3663

البركة

في فضل السعي والحركة

لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر
الوصابي الحبيشي المتوفى سنة ٧٨٢

طبع لأول مرة

(بنفقة مكتبة الخانجي)

بشارع عبد العزيز بمصر

سنة ١٣٥٤

مطبعة الشرق

أولاد عبد العزيز فايد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الصالح الورع الزاهد العلامة جمال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحبيشي الوصابي ، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته بجاه محمد وآله آمين

الحمد لله الملك الجواد ، الهادى الى سبل الرشاد ، الذى خلق الخلق كما أراد ، وجعل الأرض مهاداً وأوتدها بالأطواد [1] وأنزل من بركات السماء ماء مباركا ليحيي به البلاد ، وأخرج من بركات الأرض زرعاً ونباتاً تعيش به العباد ، ولم تزل نعمه سبحانه وتعالى فى كثرة وازدياد مالها من نفاد .

أحمده على النعم التى لا تحصيها الأعداد ، حمدا مباركا يوافى نعمه ويكافىء ما زاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الصاحبة والأولاد ، شهادة أعدها ليوم المعاد ، وأستعين بها على الكُرب الشداد . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أرشد وأفاد ، وأهان الله به الشرك وأباد ، وجعله بركة ورحمة على الحيوان والجماد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الأجواد ، صلاة متوالية دائمة الى يوم المعاد [2]

---

(١) المهاد : الفراش . والاطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم

(٢) فى ن : التناد .

أما بعد : فانى لما رأيت أهل بلدتنا هذه فى الكد مجتهدين ، وعلى الاشتغال بالحرف معتمدين ، مواظبين على ذلك معتضدين[1] ، وصاروا إذا رأوا أهل الرفاهية[2] فى البلدان ، وراحة الرجال فيها والنسوان ، استنقصوا أحوالهم ، وازدروا أفعالهم ، ظنا منهم بأن الدعة والسكون ، أمر فاضل مسنون ، كأنهم لم يبلغهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « إن الله لايحب الفارغ الصحيح ، لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة » وقوله صلى الله عليه وسلم : «أشد الناس حسابا يوم القيامة المكفى الفارغ»

أحببت أن أشرح لهم فى هذا الكتاب ما يسلى قلوبهم ، وينفس كروبهم ، من فضائل الصناعات ، وأنها للأنبياء عادات ، وأبين فضل الكد فى الزراعات ، أن الزرع أفضل المكاسب الطيبات ، وهو من أهم فروض الكفايات ، إذ به بش الحيوانات

وأذكر ما ورد فى ذلك من الأحاديث والروايات ، والآيات الكريمات ز بينات ، وأبين فضل الساعى على البنين والبنات ، وفضل محبهم ومتحفهم فى كل لاوقات ، وفضل من أطعم ذوى الحاجات ، وفضل خدمة المرأة لزوجها وعولها[3] . أن من أفضل فعلها اجتهادها فى غزلها

وأذكر فيه الأشياء المنمية للمال ، التى من استعملها سلم فى دنياه من هوال ، وحشر فى أخراه مع الأبدال

وأورد فيه من الطب ماروى فى الحديث النبوى ، بشرح قوى

وأردف ذلك بأحاديث تعم فيها البركة ، وتنفى عن المرء الهلكة ، وبأذكار

---

(١) الاعتضاد : التعاون

(٢) الرفاهية : السعة فى المعاش والخصب . من غريب المصنف

(٣) عال عياله قاتهم وقام بحاجاتهم وأنفق عليهم .

مأثورة ، بركتها مشهورة . وأنظم بين ذلك آدابا حسنة ، وآثاراً جيدة مستحسنة ، ومسائل جمة وافرة ، وفضائل مهمة باهرة

وأرتب فيه أوراداً فاخرة ، تجمع لمستعملها خيرى الدنيا والآخرة . وأبا في اختياره واختصاره ، وأوضح غرائب آثاره وأخباره . ليكون إن شاء الله كتابا نافعا لأهل بلدنا ، مسهلا عليهم ما يقاسون من العناء ، راجياً من الله الغفران وملتمساً لدعاء الاخوان .

وقسمته سبعة أبواب

﴿الباب الأول﴾ فى فضل الحرث[1] والزرع والثمار ، وغرس الشجر وحفر الانهار ، وفى ضمنه فضل متحف العيال ، ومطعم الحلال : وشروط لا يستغنى عنها فقير ولا ذو مال ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى قدر الكفاية

﴿الباب الثانى﴾ فى فضل المغزل ، وخدمة المرأة لزوجها ، وفى ضمنه بيان حكم العورة ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى النية الصالحة

﴿الباب الثالث﴾ فيما تجتلب به البركة مما ينفى الفقر ، ويعظم الأجر ، و مقصود الكتاب ، وعمدة الأبواب ، لأنى ضمنته كثيراً من الآداب الجيدات وبينت فيه فضل أكثر العبادات ، لتقوى عليها الرغبات . وأودعت[2] نبذاً جيدة مستحسنات ، من فضل العلم وآداب العالم والاعتقادات ، وم اطلاق اللسان من الخطر والآفات ، وآداب الصحبة والمجاورات ، وغير ذ من المهمات الحسنات ، كما ستراها فى مواضعها مرسومات . وجعلته أربعين قسما فصول ، وآخره فصل فى التوبة

﴿الباب الرابع﴾ فيما ورد من الآثار فى الطب والمنافع ، وآخره فصل فى معرفة الطبائع

---

(١) فى ن : الحرف ولعلها الصواب (٢) فى ن : واوردت

﴿ الباب الخامس ﴾ فى أربعين حديثا كل حديث منها يتضمن لفظ البركة ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى صفة المصطفى ﷺ وشرّف وكرم

﴿ الباب السادس ﴾ فى أذكار ودعوات ، وآداب وروايات ، جيدة باركات ، مستحسنة مختصرات ، فاضلة مشهورات ، لخيرى الدنيا والآخرة جامعات ، ومن الأهوال نافعات ، وجعلته أقساما أربعين وهى حسنة وصحيحات وآخره فصل فيما يدل على سعة رحمة الله تعالى

﴿ الباب السابع ﴾ فى الأدعية والأذكار ، المتكررة فى الأحوال والأعصار ، وفى ضمنه آداب تصلح للأخيار ، وجعلته عشرين قسما ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى آداب الدعاء .

وسميته « كتاب البركة » تفاؤلا بحصولها ، ورجاء لشمولها . وأرجو أن من حصل مافيه مع كتاب التنبيه[1] ، يستحق أن يدعى باسم الفقيه

---

(١) كتاب : التنبيه : هو أحد الكتب الخمسة من مؤلفات أبى إسحاق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ

الباب الأول

﴿ في فضل الحرف والزرع وتوابعه ﴾

قال النبي ﷺ : « إن الله يحب المؤمن المحترف » وقال ﷺ : « علم الله تعالى آدم عليه السلام ألف حرفة من الحرف، وقال له ! قل لولدك وذريتك إن لم يصبروا فليطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا يطلبوها بالدين ، فان الدين لى وحدى خالصاً ، ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له ! » وقال ﷺ : « أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم »

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفة يعيش بها ، فكان آدم حراثاً وحائكا ، وكانت حواء غزالة ، وكان إدريس خياطاً وخطاطاً، وكان نوح وزكرياء نجارين ، وهود وصالح تاجرين ، وكان ابراهيم زراعا ونجاراً ، وكان أيوب زراعا ، وكان داود زراداً (١) وكان سليمان خواصاً . وكان موسى وشعيب ومحمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام رعاة ، وكان نبينا محمد ﷺ أيضا في بيته في مهنة أهله ، يفلي ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع الثوب ، ويخصف النعل، ويخدم نفسه ، ويقم بيته، ويعقل بعيره ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم . ويقول : « أكلك مع أهلك صدقة » ويطحن معها اذا أعيت : ويعجن معها ، وكان يقطع اللحم معهن ، ويحمل بضاعته من السوق ، وكان يسم الغنم وإبل الصدقة، وكوى سعداً وأسعد وغيرهما، ونحر في حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة بيده ، ونحر عن نسائه بقراً ، وكان ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه.

---

(١) قال مصححه غفر الله له : أي حدادا يصنع الزرد وهو درع من الحديد يلبسه المحارب

ويضرب الكدية بالمعول ، وكان ينقل معهم اللبن فى بنيان المسجد ﷺ ، وضحى بكبشين ذبحهما بيده ، وعائشة تستحد له السكين ، ومر عليه الصلاة والسلام بغلام يسلخ شاة وما يحسن فقال له : « تنح حتى أريك » فأدخل ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى دخلت الى الابط ، ثم مضى فصلى بالناس ولم يمس ماء، وكان يهنأ بعيره وعليه شملة (١)

وقال أبناء خالد أتينا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعمل عملا يبنى بناء فأعناه فدعا لنا . وقالت عائشة رضي الله عنها : ماروئى ﷺ فارغا فى أهله إما أن يخصف نعله أو نعلا لمسكين أو يخيط ثوباً لأرملة

فانظر إلى النبى صلى الله عليه وسلم كيف له بد وتواضع فى كل شىء ،ولنا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة

وقال ﷺ : « البطالة تقسى القلب » وهو الكسل إما بترك كسب الحلال أو ترك القيام بأمر الآخرة . وقال الحليمى فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام : « اختلاف أمتى رحمة » أراد اختلاف الناس فى الحرف . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : جاء رجل الى النبى ﷺ فقال يارسول الله ما تقول فى حرفتى ؟ فقال له : « وما حرفتك ؟ » فقال أنا حائك ، فقال ﷺ : « حرفتك حرفة أبينا آدم ، وكان أول من نسج آدم ، وكان جبرائيل عليه السلام يعلمه ، وآدم تلميذه

---

(١) قلت : والمهنة بفتح الميم وكسرها والفتح أفصح هى الخدمة. ويفلى ثوبه أى يخرج منه القمل. وخصف نعله أى طرقها . ويقم البيت أى يكنسه. والناضح البعير الذى يستى عليه. وأعيت أى كلت وتعبت. وكرى أى وسم. وتستحد أى تحدد . والمعول فأس عظيمة ينقر بها الصخر. والكدية ما يعرض للحافر من حجر ونحوه . ودحس باحرف مهملات أى دس يده وأدخلها بين الجلد واللحم ويهنأه . أى يطليه بالهنأ وهو القطران .

ثلاثة أيام ، وإن الله سبحانه وتعالى يحب حرفتك ، وإن حرفتك يحتاج اليها الأحياء والاموات ، فمن قال فيكم قبيحا فآدم خصمه ، ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ، ومن لعنكم فقد لعن آدم ، ومن أذاكم فقد أذى آدم ، وإن آدم خصمه يوم القيامة . ولا تخافوا وابشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنـة »

وقال ﷺ : « من رزق من شيء فليلزمه » يعني من الحرف ، ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه » وروى « من حضر له في شيء فليلزمه » قال الهروى أى من بورك له فيه ورزق منه ، وهذا عام في كل شيء من الحرف والاموال ونحوها .

إذا ثبت هذا فاعلم نور الله قلبي وقلبك ، وأعلا الى درج الجنة كعبي وكعبك . أن أصول المكاسب ثلاثة : الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وقد اختلف الناس في أيها أطيب ، فقال بعضهم : الصناعة ، وقال كثيرون : بل التجارة ، وقال آخرون : بل الزراعة أفضل . وهذا هو الاعدل قال الماوردي من أصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى : والاشبه أن الزراعة أطيب قال لأنها إلى التوكل أقرب ، والله تعالى يحب المتوكلين

وقال ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » قال النووي في صحيح البخاري عن المقداد رضي الله عنه إن النبي ﷺ قال : « ما أكل عبد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » قال فهذا صريح في ترجيح الزراعة والصناعة لكونهما عمل يده ، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمي وغيره ، وعموم الحاجة اليها ، هذا لفظه . وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة ، طوبى لمن أكل من ثمرة يده . وقال جبريل لداود عليه السلام : ما في العباد أحب الى الله تعالى من عبد يأكل من كد يده . فعاد داود الى محرابه باكياً وقال يارب علمني صنعة أعملها بيدي ، فعلمه الله صنعة

الدروع وألان له الحديد. فكان اذا فرغ من قضاء حوائج أهله عمل درعا فباعها وعاش هو وعياله بثمنها . ويروى أنه كان يعمل القفة من الخوص وهو على المنبر ثم يرسل بها فيبيعها ويأ كل بثمنها . ويروى عن ابنه سليمان عليه السلام كذلك . وعن سعيد ابن عمير قال سئل النبي ﷺ أى المكاسب أفضل ؟ فقال ﷺ : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وقال أبو عبيدة المبرور الذى لا يخالطه كذب ولا شيء من المأثم . أى لا شبهة ولا خيانة ولا خديعة . وقال ﷺ « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وان ولده من كسبه »

قلت : ففي هذين الحديثين ترجيح الثلاث لكن الزراعة أفضلها كما قال النووى رحمه الله لأن نفعها يتعدى الى غير الزارع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات وما كان متعديا فهو أفضل من اللازم في غالب الأوقات. ولهذا كانت الصلاة أفضل العبادات لتعديها لأن فيها وفى تشهدها مايعم نفعه جميع المسلمين كقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فيصيب كل عبد صالح فى السماء والارض والسلام على الرسول والدعاء بالهداية للصراط المستقيم بلفظ الجمع ونحو ذلك . فبهذا ونحوه صارت أفضل عبادات البدن

فعرف بهذا ونحوه أن الحاجة الى الزراعة داعية ، وأن درجتها رتبة عالية لا ينكر ذلك إلا من أنكر الوجود ولولا الطعام ما عاشت الاجسام .

وقد عد العلماء الزراعة من فروض الكفايات، فى كثير من المصنفات ، لأنه لا يقوم أمر الدين والدنيا والمعايش كلها إلا بها ، وما سبيله سبيلها كالنخل والعنب وغيرهما فان تركها كل الناس أثموا كلهم ، وإن فعلها من تحصل الكفاية بفعله سقط الحرج أى الاثم عن الباقين . وقد قال من قال من العلماء منهم إمام الحرمين والنووى وغيرهما : إن القيام بفرض الكفاية أفضل من القيام بفرض العين لأن فرض العين كالصلاة والصيام اذا تركه أثم وحده ، واذا فعله أسقط

الاثم عن نفسه لاغير ، وفرض الكفاية اذا ترك أثم كل المكلفين من المسلمين ، فأذا فعله أحد سقط الاثم عن نفسه وعن جميع المسلمين ، وقام مقام المسلمين أجمع ، فلا شك فى رجحانه وحسن إيمانه لكن قد جبل الله تعالى الطباع على الاشتغال بها فلا سبيل الى تركها ؛ والآن أسعى الى بيان فضلها

﴿ فصل ﴾ اعلم ان دلائل فضائل الزراعة أكثر من أن تحصر ، وأشهر من تذكر ، وارتفاعها على سائر الحرف لاينكر ، لكنى أشير الى نبذ مما ورد فى فضلها مختصرا ان شاء الله وبه الثقة . وأنا معترف بقصورى عن درجة المرتفعين ، وبكونى فى النازلين المتضعين ، وبالله أعتصم من عيب الباغضين المدعين ، وأطلب مسامحة الناظرين فيه والمستمعين ، وعلى الله أتوكل وبه أستعين ، وأسأل الله الرضى عنى وعن والدى وعن جميع المسلمين أجمعين . وليجتهد المبتدؤن فى تحصيل هذه البضاعة

﴿ فصل ﴾ فمن فضائل الزرع أن الله سبحانه وله الحمد عدد نعمه على العباد مما أنعم به عليهم من الايمان وغيره ، فعدد وكرر فى كثير من الآيات ، ما أنعم به من اخراج الزرع والنبات ، ووصف به نفسه بأنه هو الذى أخرجه للحاجات فقال الله تعالى (وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ـ أى بالماء ـ نبات كل شيء فأخرجنا منه ـ يعنى من الماء ـ خضراً نخرج منه حباً متراكباً) يعنى سنابل البر والشعير والارز والذرة وسائر الحبوب ، يركب بعضه بعضاً كذا قاله أهل التفسير . وقال الله تعالى (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) وهو ما انبسط على الأرض وانتشر كالعنب والقرع وهو شجر الدباء والبطيخ وغيرها (وغير معروشات) ماقام على ساق وبسق كالنخل والزرع وسائر الاشجار كذا قاله ابن عباس رضى الله عنهما ثم قال (والنخل والزرع مختلفا أكله) أى ثمره وطعمه الحامض والمر والحلو والردىء . وقال الله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) أى متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض فى الجوار ويختلف

بالتفاضل (وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) الآية . والصنوان النخلات يجمعهن أصل واحد ويتشعب منه الرؤس فتكون نخلا . وقال سبحانه (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقال عز وجل (أو لم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا) الآية ، والجرز هى الارض التى لا نبات فيها . وقال عز وجل (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً) الآيات . وقال تعالى (وأنزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) الآيات. وقال تعالى(والارض وضعها للانام فيها فاكهة) الى قوله(والحب) يعنى جميع الحبوب مما يحرث فى الارض من الحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) يعنى الورق أول ما يبدو وقال الله تعالى(لنخرج به حباً ونباتاً وجنات ألفافاً) يعنى بساتين ملتفة . وقال الله تعالى (فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صباً) الآية . وقال الله تعالى (جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا) يعنى جعلنا حول الاعناب النخل، ووسط الاعناب الزرع. كذا ذكره الثعالبى وغيره ، فذكر أن الزرع محفوف بالنخل والعنب . وقال سبحانه (ومثلهم) يعنى محمداً عليه السلام وأصحابه رضى الله عنهم (فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره) شطأه يعنى فراخه (فآزره) أى قواه (فاستغلظ) غلظ (فاستوى) أى قام على سوقه جمع ساق (يعجب الزراع) الآية فشبه محمداً ﷺ بالزرع ، وأصحابه بالشطء ولا يشبه الفاضل بناقص وقال الله تعالى (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) ونحو ذلك فى القرآن كثير

﴿ فصل ﴾ وأما الآثار النبوية فكثيرة جداً وها أنا أشير إلى بعضها . روى الثعالبى والواحدى فى تفسيرهما باسنادهما عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما من زرع على الارض ولا ثمار على الاشجار إلا عليها مكتوب

بسم الله الرحمن الرحيم زرق فلان بن فلان » فكفى بهذه فضلية كون الانسان فى مشيه بين زرعه واشتغاله به محفوفا ببسم الله الرحمن الرحيم ، إذ هو مكتوب على الزرع والثمار واسمه تعالى أمان من النار فسبحان الملك الغفار

وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة الا كان له صدقة وكان ما أكل منه له صدقة ، وما يسرق وما أكل السبع وما أكلت الطيور فهو له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة » (١)

قال فى كتاب شمس العلوم : والزرع نبات البر والشعير والذرة وسائر الحبوب ، وعد فى كتاب البيان من الزرع البر ، والشعير ، والذرة ، والدخن ، والجاورس ، والارز ، والقطنية وهى اللوبيا وتسمى الدجر ، والهرطمان وهو الكشد ، والبلسن وهو حب كالعدس وقيل هوهو والعتر ، والباقلاء ذكره فى كتاب زكاة الزرع

وروى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ دخل على أم بشر الانصارية فى نخل لها فقال : « من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ » قالت بل مسلم يارسول الله ، فقال ﷺ « لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعا فيأكل منه انسان ولا دابة ولا شىء الا كانت له صدقة إلى يوم القيامة » وفى غريب أبى عبيد « فيأكل منه انسان أو دابة أو طائر أو سبع إلا كانت له صدقة » قال الزجاج : وجميع ماخلق الله تعالى فى الارض من حيوان لايخلو إما أن يدب وإما أن يطير ، وحين قال ﷺ غفر لمومسة أى زانية سقت كلبا » قيل له إن لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال ﷺ « فى كل ذى كبد حرا (٢) أجر » . وفى الصحاح أيضا قال النبى ﷺ

---

(١) قلت : يرزؤه أى ينقصه ويقال رزأته ماله أى أخذته منه (٢) بهامش ن : حرا أى رطبة

« يقول رجل فى الجنة أحب ان أزرع ، فيقول الله له ألست فيا شئت ، فيقول بلى ! ولـكن أحب ذلك فيؤذن له فيزرع فيكون أمثال الجبال : فقال اعرابى كان فى المسجد انك لن تجده الا انصاريا أو مهاجريا فانا لسنا بأصحاب زرع

قلت ففى هذا فوائد كثيرة ، منها دلالة على فضل الزرع لأن هـذا الرجل المعطى أمنيته فى الجنة هو من أصحاب الزرع وفيـه بشارة ورجوى إذ قال يقول رجل والرجل بالتنـكير غير معين ، فيرجو كل أحد من الزراع أن يكون هو ذلك الرجل ، وفيه دليل أيضا على ان المهاجرين والانصار كانوا زراعا لقول الأعرابى انك لن تجده إلا انصاريا أو مهاجريا وهذا هو أكبر حجة ودلالة ، إذ المهاجرون والأنصار وهم أفضل الامة كانوا اهل زرع

وقد روى ان سعد بن ابى وقاص كان يدمل ارضه بالعرة قال ابن باباه كان سعد يحمل مكتل عرة الى ارض له هكذا قال وقال مكتل عرة بمكتل بر قال قال الاصمعى : العرة عذرة الناس حكاه عنه ابو عبيد وقال غيره العرة البعر والسرجين[1]
ويروى أن أبا هريرة رضى الله عنه وهو أحد زهاد الامة كان ذا زرع ، وكان يطرح زرعه بكرة إذا طلع السماك . ففى هذا دليل على اعتنائهم بالزرع وهم هم رضى الله تعالى عنهم

---

(١) قلت : وهذا أليق ، ومعنى يدملها أى يصلحها ويحسن معالجتها . يقال دمل أرضه يدملها ودبلها يدبلها أيضا اذا اصلحها بالسرجين ونحوه . فهى مدمولة ومدبولة كله بالدال المهملة . وذكر فى صحاح الجوهرى وشمس العلوم وغيرها ، ويقال للسرجين الدمال لان الارض تصلح به ذكره أبو عبيد ويقال له أيضا الزبل . والمكتل الزنبيل ، وسعد هذا هو أحد العشرة البررة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أهـل الشورى من المهاجرين الأولين ، جمع له النبى ﷺ أبويه يوم أحد فقال : «أرم فداك أبى وأمى» وقال «اللهم سدد رميته وأجب دعوته» ثم قال « هذا خالى فليكرمن أمرؤ خاله » فما دعا سعد فى شىء إلا استجيب له

وفى الصحيح عن نافع أن ابن عمر أخبره أن النبي ﷺ عامل أهل خيبر بشطر مايخرج منها من زرع أو ثمر ، وكان يعطى أزواجه مائة وسق ثمانون تمرا ، وعشرون شعيرا ، وقسم عمر رضى الله عنه خيبر فخير أزواج النبي ﷺ أن يقطع لهن من الماء والارض ، أو يمضى لهن ، فمنهن من اختار الارض ، ومنهن من اختار الوسق ، وكانت عائشة وحفصة ممن اختار الارض

قلت : وفى هـذا الحديث أيضا فوائد ، منها اختيار عائشة وحفصة أفضل أزواج النبي ﷺ ورضى الله عنهن الارض ليزرعنها ، ومنها أنه يجوز للرجل أن يحبس قوت سنة لأهله لانه كان يمضى لهن نفقة سنة . قال الغزالى رحمه الله : ومتى جاوز ذلك خرج عن أبواب الزهد كلها ، إلا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الايدى ، كداود الطائى ملك عشرين دينارا فأمسكها وقنع بها عشرين سنة ، فذلك لا يبطل مقام الزهد ، ومنها أن النبي ﷺ زارع وساقى . وعند إمامنا الشافعى رحمه الله أن المزارعة وهى المعاملة على الارض ببعض مايخرج منها لاتجوز إلا على بياض يتخلل النخل والعنب تبعا لها ولا تجوز على ارض لانخيل فيها ولا عنب ، سواء كان البذر من المالك أو من العامل لقوله ﷺ « اذا كانت لأحدكم أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ، ولا يكرها بثلث ولا ربع ولا بطعام مسمى » يعنى مما يخرج منها . ولما روى ثابت بن الضحاك انه ﷺ نهى عن المزارعة

وقال أحمد : إن كان البذر من رب الارض جاز وتلك المزارعة ، وان كان من العامل لم يجز وهى المخابرة

وذهب كثير من العلماء الى جوازها مطلقا سواء كان البذر من المالك أو من العامل ، وصورته أن يقول زارعتك على هـذه الارض على أن لك نصف زرعها أو ثلثه . روى ذلك عن على وابن مسعود وعمار بن ياسر وسعد بن أبي وقاص ومعاذ بن جبل ، وهو مذهب ابن أبي ليلى وأبي يوسف ومحمد . والدليل على ذلك

ماروى عن نافع أن ابن عمر كان يكرى مزارعه على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وصدرا من امارة معاوية ، ثم حدث عن رافع أن النبى ﷺ نهى عن كراء المزارع . فقال : قد علمت أننا كنا نكرى على عهد رسول الله ﷺ بالربع والثلث .

وروى قيس بن مسلم عن أبى جعفر : ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزارعون على الثلث والربع . قال البخارى : وزارع على وسعد وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبى بكر وآل عمر وآل على وابن سيرين وعامل عمر على أنه ان جاء بالبذر من عنده فله الشطر ، وان جاؤا بالبذر فلهم كذا . قال عمرو : قلت لطاووس لو تركت المخابرة فانهم يزعمون أن النبى ﷺ نهى عنها فقال : — أى عمرو — أعطيهم وأعينهم فان أعلمهم — يعنى ابن عباس — أخبرنى ان النبى ﷺ لم ينه عنها ولكن قال « إن يمنح احدكم اخاه خير له »

قال الرافعى وقد قال ابن سريج : بجواز المزارعة أيضا . قال النواوى وقال بجواز المزارعة والمخابرة من كبار اصحابنا ابن خزيمة وابن المنذر والخطابى ، وصنف ابن خزيمة فيها جزءاً وبين فيه علل الاحاديث الواردة بالنهى عنها وجمع بين أحاديث الباب ، ثم تابعه الخطابى وقال ضعف الامام أحمد حديث النهى وقال هو مضطرب كثير الألوان . قال الخطابى : وأبطلها مالك وابو حنيفة والشافعى لأنهم لم يقفوا على علته ، قال فالمزارعة جائزة وهى عمل المسلمين فى جميع الامصار لا يبطل العمل فيها احد هذا آخر كلام الخطابى . قال النواوى والمختار جواز المزارعة والمخابرة وتأويل الاحاديث على انه اذا شرط لواحد منهما زرع قطعة معينة ولآخر الأخرى

قلت : وبصحتها قال ابو عبيد القاسم بن سلام الجمحى ، والقول بجوازها حسن ينبغى المصير اليه لصحة الاحاديث الواردة فى ذلك ، ولأن اختلاف العلماء

رحمة ، ولجواز الاجتهاد فى وقتنا هـذا فى بعض المسائل ؛ وللضرورة الداعية الى ذلك .

وقد جوزها ايضا شـيخ شيخنا الفقيه عبد الحميد اللورستانى التبرازى فى كتابه البحر ونصره فى كتاب الذنابة والله تعالى اعلم .

وروى ابن عبد العزيز البغوى فى منتخبه ان النبى ﷺ قال : « من غرس غرساً كتب الله له من الأجر بقـدر ما يخرج من ثمار ذالك الغرس » وفى سنن النسائى وغيره وكتاب المهذب ان النبى ﷺ قال « من أحيا ارضا ميتة فله فيها اجر ، وما اكله العوافى منها فهى له صدقة » قاله فى المستعذب وغيره [١]

وفى كتاب الترغيب والترهيب للحافظ اسماعيل بن محمد الاصفهانى باسناده أن رسول الله ﷺ قال : « من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله واحتسابا كان حقا على الله تعالى أن يعينه وأن يبارك له » وهذا ندب عام الى الاحياء ؛ وهو عمارة الارض لما يريده من زراعة أو غرس أوغيرهما

وفى مسند البزار أن النبى ﷺ قال : « سبع يجرى للعبد أجرهن من بعد موته وهو فى قبره ، من علم علماً ، أو أجرى نهـراً . أو حفر بئراً . أو غرس غرساً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته »

وعن أنس سبع يؤجر فيهن الرجل ماعمل بهن من بعـده ، من بنى مسجداً فله أجره مادام أحد يصلى فيه ، ومن أجرى نهراً فما دام يجرى فيه ماء يشرب منه الناس كان له أجره ، ومن كتب مصحفاً كان له أجره مادام يقرأ فيه أحد ، ومن استخرج عيناً ينتفع بمائها كان له أجرها مابقيت ، ومن غرس غرساً كان

---

(١) قال قلت : والعوافى جمع عافية وهى الوحوش والسباع والطير والناس مأخوذ من قـولهم : عفـوت فلانا اعفوه اذا أتيته تطلب معروفه . وقال أبو عبيد : وواحد العافية عاف

له أجره فيما أكل الناس منه والطير ، ومن علم علماً كذلك ، ومن ترك ولداً يستغفر له ويدعو له . قال النواوى : إذا مات الغارس فله ثواب مستمر من حين غرس إلى فناء المغروس . وللوارث أيضاً ثواب ما أكل من ثمره من غير معاوضة مدة استحقاقه

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض» قال أهل اللغة : الخبايا جمع خبيئة . وأراد الحرث وإثارة الارض للزراعة . وقال الزهرى قال لى عروة بن الزبير : ازرع فان العرب كانت تتمثل بهذا البيت وهو:

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوماً أن تجاب فترزقا

وقال ﷺ :«إذا أخذ الزارع البذر فى يده وكان من حله نادى ملك ثلث للزارع ، وثلث للطير ، وثلث للبهائم . فاذا طرحه فى الأرض كتب له بكل حبة عشر حسنات ، فاذا سقى ونبت فكأنما أحيا بكل حبة نفسا مؤمنة ، فهو يسبح الله الله تعالى الى أن يحصده ، فاذا حصده وداسه فكأنما داس ذنوبه ، فاذا ذراه بالريح ذهبت ذنوبه مع ذريه ، فاذا كاله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فاذا راح به إلى البيت وفرح به العيال كتب له عبادة اربعين سنه ، فاذا واسى منه الجائع والجار والمسكين امنه الله من عذابه » .وفى حديث آخر :« من غرس غرساً يوم الأربعاء وقال عند مايضع أول شيء منه سبحان الباعث الوارث ، سبحان الوارث الباعث . فله اجر عظيم ولم يمت حتى يأكل من ثمره ولو كان قد دنى اجله».

قلت : وهذان الحديثان وان كانا غريبين فقد عضدهما غيرهما مما سبق وصح واشتهر: قال ابن هبة الله الشافعى : والاحاديث الضعيفة يقوى بعضها ببعض . قال وقد تسامح الأئمة فى روايات احاديث الترغيب . وتساهلوا بالاسانيد بذكر التخويف

والترهيب ، والله الموفق . ويكفيك من هذا أنها مكسبة نبي الله أبينا آدم عليه السلام التي الهمه الله إياها ، وعلمه جبريل عليه السلام كيفيتها ومقتضاها ،واخرج له من الجنة بذرها وخلاها ، وذلك ظاهر لمن عرف السير ورواها ، وكان ثوره الذي يحرث عليه أحمر

وروى ان الله تعالى قال لموسى : ياموسى خلقت الجنة للمطيعين ، والنار للعاصين ، والقمح والشعير قوة للدين ، فمن اعزهما فقد اعزديني ، ومن اذلهما فقد اذل ديني. ياموسى : لما حرث ونبت كتبت على اصولهما ذنباً غير مغفور لمن افسدهما أو احرقهما متعمداً ، وكتبت على قصبهما إني أنا الله رب العالمين ، وكتبت على سنبلهما (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) فلما حصد وديس اضفت الأسماء كلها الى الحبوب ، فلما طحن وعجن قسمت الأسماء كلها على ثلاثة احرف وهي : خاء وباء وزاى . فالخاء خاب من أنفقهما في غير طاعة الله تعالى ، والباء بلى الانسان في طلبه ، والزاى زال عقل المرء من فقده .

ويروى أن موسى قال : يارب خلقت خلقا وجعلتهم في النار ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى ازرع زرعا ، فزرعه وسقاه وقام به حتى حصده وداسه ، فقال الله له : مافعل زرعك ياموسى ؟ قال يارب قد رفعته، قال فما تركت منه ؟ قال مالا خير فيه ، قال وني أدخل النار من لاخير فيه . ففي هذا دليل على أن موسى عليه السلام زرع

وعن ابن عباس وأبي هريرة قالا قال رسول الله ﷺ « خلق الله تعالى القمح من ضيائه ، والشعير من بهائه ، فاذا استخف بهما وأذلا عجا الى الله تعالى بالدعاء وقالا إلهنا وسيدنا قد استخف بنا واستذلنا فيعزهما الله تعالى . وذا كان كذلك لايخرج الرجل من بيته إلا في طلب الخبز عجا الى الله تعالى وقالا إلهنا

قد اشتغل بنا عن ذكرك فردنا الى ما كنا عليه فيردهما الله تعالى الى الرخص »

وروى الثعالبي باسناده عن وهب بن منبه قال أخبرنى أبى أن سليمان بن داود عليه السلام ركب الريح يوما فمر بحراث فنظر الحراث فقال له : لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلمته وألقتها فى اذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث فقال له : انى سمعت قولك، وما مشيت اليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ، لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود ، فقال الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همى . فأخبر ﷺ أن تسبيحة من الحراث مقبولة خير مما أعطاه الله من الملك وتسخير الجبال والوحوش والطير والجن الانس والشياطين والريح وغير ذلك .

وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الزرع قال رافع بن خديج أتى النبي ﷺ حارثة فرأى زرعا فى ارض ظهير بن رافع فقال « ما أحسن زرع ظهير ؟ ! » قلت : وظهير هذا هو من البدريين وكان أكثر اهل المدينة زرعا وقال ﷺ «خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة ويروى ومهرة مأمورة»(١)

وقال كعب الاحبار أنزل الله تسعاً وتسعين بركة ، فجعل فى الحرث ثمانية وتسعين بركة وجعل فى التجارة بركة واحدة . وقال ﷺ : « من غرس ثلاث نخلات حتى يثمرن وجبت له الجنة» وقال أيضا «من غرس شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر فكل شيء يصاب من ثمرها فهو صدقة » وقال ﷺ « لو

---

(١) قال فى صحاح الجوهرى وشمس العلوم . السكة بالكسر الحديدة التى يحرث بها وهى أيضا الطريق المصطفة من النخل . مأبورة أى ملقحة وكان الاصمعى يقول السكة هنا هى الحديدة التى يحرث بها فقط ومأبورة أى مصلحة قال: معنى ذلك خير المال نتاج أو زرع. قال الهروى وتسمى السكة التى يحرث بها أيضا السن واللؤمة وقوله. مأمورة أى كثيرة الولد

قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل »[1]

ويروى أن بعض الصحابة مر باعرابى يغرس غرسا فقال له : يا أخى إن بلغك ان الدجال خرج فلا يمنعك من أن تلبأها — أى تغرسها — وتسقيها أول سقيها مأخوذ من اللبأ وهو اللبن عقب النتاج يجمد بنار لينة. فكفى بهذا تحريضا على الاشتغال بالغرس ونحوه

وكاتب سلمان الفارسى مواليه على مائة ودية يغرسها وشىء من ذهب ، فغرسها له النبى ﷺ بيده فما عتم منها ودية — أى ما أبطأت — حتى علقت وقال عثمان رضى الله عنه لرجل اتبيعنى نخلتك بمائة نخلة غرسها رسول الله ﷺ بيده بالعقيق ؟ وهو فى حديث طويل.

وروى إبن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رأيت النبى ﷺ اذا اتى بباكورة [2] وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال « اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره» ، ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان ، فانظر يا أخى كيف لمس به فمه كأنه لثمه ماذاك الا لفضل حله

﴿ فصل ﴾ وقد ذكر العلماء أن ترك سقى الزرع والشجر مع الامكان مكروه ، لانه تضييع للمال وقد نهى عن الاهمال ففى الصحيحين عن جابر ان النبى ﷺ قال « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه » أى يعره إياها وقال ﷺ : إن الله تعالى ينهاكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » فلهذه المعانى التى ذكرتها نهى النبى ﷺ عن بيع الأراضى لغير حاجة ، لقوله ﷺ : «من باع منكم دارا أو عقارا قمن أن لا يبارك له فيه الا ان يجعله فى مثله » وهو حديث حسن [3]

( ) قال الجوهرى: الفسيلة الودية وهى صغار النخل.

(٢) الباكورة: أول الثمر

(٣) وقوله: قمن بفتح الميم وكسرها أى حقيق وجدير

وذكر الغزالى فى كتاب الوسيط فى الفقهان فى بيع العقار هتكا للمروءة . ولأجل هذه الفوائد التى ذكرتها لم يكن بناء الدور فى هذه الفضيلة بل الغنمية فى عمارتها قليلة لانه لا فائدة تظهر منها سوى الايواء ، ولا ثمرة تجنى من عمارتها سوى العناء. ولهذا قال ﷺ « النفقة كلها فى سبيل الله إلا البناء فلاخير فيه » رواه الترمذى وقال ﷺ « كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا » يعنى مالا بد منه. رواه أبو داود

قال النخعى : والبناء الذى لا بد منه لا أجر فيه ولا وزر

﴿ فصل ﴾ — وناهيك بها فضيلة أن يكون للمرء ارض ينتفع بها ويستغلها ويشتغل بها عن عيوب الناس وخلطتهم ، فان خلطتهم فى هذا الزمان سم قاتل أو شغل عن الله شاغل . لأنهم كما قال القائل :

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم وبقيت فى خلق كجلد الاجرب
يتحدثون مجانة وملامة ويلام قائلهم وان لم يشغب

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل أى الناس افضل؟ قال « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله » قيل له ثم من؟ قال « ثم رجل معتزل فى شعب[(١)] من هذه الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره»

وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وأنشد فى ذلك:

زمانك ذا زمان لزوم بيت وحفظك للسان وخفض صوت

وقال ابو ذر : نعم صومعة الرجل بيته ، يكف فيها بصره وسمعه وقلبه وفرجه ، افضل المجالس حيث لا ترى ولا ترى ، والله لقد وجبت العزلة .

فاذا كان هذا وهم على الحق أعوان ، وفى ذات الله اخوان ، فكيف فى هذا الزمان ؟ ! الله المستعان .

وسئل إبراهيم بن ادهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقال : ما لكم

---

(١) قلت: والشعب بكسر الشين الوادى الصغير بين الجبلين

والاختلاط بأهل الدنيا حتى يجب عليكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

﴿ فصل ﴾ — وفى الاراضى فائدة اخرى ، وهى ان يعيرها غيره ، أو يجعلها له رقبى أو عمرى فتلك درجة عليا. قال ابو كبشة السكونى سمعت ابن عمر يقول : قال النبي صلى الله عليه وسلم « اربعون خصلة اعلاهن منيحة العنز ما من عامل يعمل بخصلة منها رجاء ثوابها أو تصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة بها»

قال حسان فعددنا مادون منيحة العنز من رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإماطة الاذى عن الطريق ، فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة . وهذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره .

فاذا كان إحدى هذه الخصال يدخل بها العبد الجنة ، فهذه من جملتها إن لم تكن اعلا منها ، وقال معاوية لصعصعة العدى ـ وكان من الحكماء ـ أى الاموال ابقى واوفى وانفع واقنع ؟ قال المساكن والارضون. وامر معاوية بطلب عبيد بن شرية الجرهمى ـ وكان من الحكماء القدماء وقد أتت عليه عشرون ومائتا سنة ـ فقال له معاوية : أى المال رأيت أنفع ، وإلى صاحبه بالخير أسرع ؟ قال عين خرارة فى أرض خوارة ، تعول ولا تعال . قال : ثم مه ؟ قال: فرس فى بطنها فرس تتبعها فرس ، وأما الابل فهى لمن يتولاها بيده ، وأما الذهب والفضة فحجران ان أقبلت عليهما فنيا ، وان تركتهما لم يزيدا (1)

﴿ فصل ﴾ — وفى ذلك الغنى عن الناس وهو أكبر سعادة وأحسن إفادة. قال مالك بن دينار لمحمد بن واسع : طوبى لمن كان له غلية تقوته وتغنيه عن الناس. وقال ابن عباس: إن أمثل ما أنتم صانعون أن تستأجروا الارض البيضاء من السنة إلى السنة . وقال عمر لأبى ظبيان : ما مالك يا أبا ظبيان ؟ قال قلت : عطائى

---

(1) قوله: خوارة بالخاء المعجمة أى كثيرة الغلات. ويروى : خير المال عين ساهرة، لعين نائمة .

القاضي قال : اتخذ من هذا الحرث والسائبا ، قبل أن يليك غلمة من قريش لاتعد العطاء معهم مالا (١)

وأنشد فى هذا المعنى لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه

لنقل الصخر من قلل الجبال أخف على من منن الرجال

ولغيره : منن الرجال على القلو ب أشد من وقع الاسنه

ولهذا قيل لو بذل للعاجز ثمن الماء أو الثوب هبة أو قرضا لم يلزمه قبوله ولو من أبيه وابنه على الاصح لمشقة المنة،فيصلى عريانا ومتيمما والحالة هذه .ولبعضهم فى المعنى أيضا:

أنت ما استغنيت عن صا حبك الدهر أخوه

فاذا احتجت اليــه ساعة مجـــك فوه

لو رأى النـــاس نبـ ـيا سائلا ما وصلوه

وقال صلى الله عليه وسلم « الحسب المال » وقال « نعم المال الصالح للرجل الصالح ، ونعم الولد الصالح للرجل الصالح » وقال : « إن الله يحب الغنى التقى الخفى »ويروى أن لقمان قال لابنه : يابنى استغن بالكسب الحلال فانه ما افتقر أحد الا أصابته ثلاث خصال.رقة فى دينه، وضعف فى عقله ،ووهاء فى مروءته،وأعظم من هذا استخفاف الناس به

وقال عبد الرحمن بن عوف:ياحبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به إلى ربى . وقال أكثم بن صيفى — وكان من الحكماء عاش ثلثمائة وستين سنة وأدرك الجاهلية والاسلام — : عليكم بالمال فأصلحوه ، ولا يتكلن أحدكم على مال أخيه يرى أن فيه قضاء حاجته ، فمن فعل ذلك كان كالقابض على الماء ، ومن استغنى كرم على أهله . وانشد بعضهم هذه الابيات .

---

(١) قلت : قال هشيم: أراد بالسائبا النتاج.

احتل لنفسك ايها المحتال فمن المروءة أن يرى لك مال
إني رايت الموسرين اعزة والمعسرين عليهم الاذلال

ولكن لا يتم الفضل بجمعه وإدراجه دون رتاجه ، بل بانفاقه فى حقه وإخراجه من اخراجه

ولم تزل العرب تتمدح بالزرع . فى حديث ام زرع الطويل الذى ذكره البخارى وغبره عن النبى صلى الله عليه وسلم قالت تمدح زوجها : وجدنى فى اهل غنيمة بشق بشق فجعلنى فى اهل صهيل واطيط ، ودايس ومنق . تمدحه بأنه ذو خيل وإبل وزرع . ارادت انه نقلها من القلة الى الكثرة، وانها كانت فى قوم شاويين فنقلها الى النعميين (1)

﴿ فصل ﴾ — وفيما ذكرته تفريح الاطفال ، والسعى على العيال ، والتوصل إلى إرضاء السؤال ، وإطعام الطعام الحلال ، وفى كل واحد من ذلك اجر كامل على كل حال .

اما تفريحهم فروى ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال « للجنة باب يقال له باب الفرح لا يدخله إلا من فرح الصبيان » وقال صلى الله عليه وسلم «من فرح انثى من اهله بشىء يفرح به قلبها حرم الله جسده على النار » وقال صلى الله عليه وسلم « من بكى له صبى فأرضاه حتى يسكته أعطاه الله من الجنة حتى يرضى » وقال صلى الله عليه وسلم «من زين صبيا يوم العيد زينه الله يوم العرض الأكبر» وقال صلى الله عليه وسلم « من حمل طرفة من السوق الى ولده كان كحامل الصدقة حتى يضعها فيهم ، وليبدأ بالاناث قبل الذكور فان الله تعالى رق للأناث ومن

---

(1) قلت : قال الهروى : والعرب تتشرف بالخيل والابل . وأخبرت أن زوجها ذو زرع يداس وبنقى فان أعوزهن اللبن لم يعوزهن الحب ونحوه . ذكره ابو عبيد . وروى عن العرب : من غلى دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء .

رق للاناث كان كمن بكى من خشية الله تعالى، ومن فرح انثى فرحه الله يوم الفزع الاكبر » وعن سعد بن ابي وقاص ان النبي ﷺ قال نظرك الى ابنتك حسنة تكتب لك فابدأ بالاناث فان الله يرق لهن » وفى الصحيح عن عائشة ان النبي ﷺ قال « من بلي من هذه البنات بشيء فأحسن اليهن كن له سترا من النار » روى فى الصحيح. وقال صلى الله عليه وسلم « من كانت له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها — يعنى الذكور — أدخله الله الجنة » رواه أبو داود وقال ﷺ « خيركم خيركم لنسائه وبناته » وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ « إذا أراد الله أن يخلق جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت . فيضع أحدهما يده على رأسها والآخر على رجلها ويقول بسم الله ربى وربك الله خلقت من ضعف المنفق عليها معان إلى يوم القيامة » وأنشد ثعلب فيهن :

جـــذا هبـــة ا   لله البنات الصالحات
هن للنســل وللز   رع وهن الشجرات
يجعـــل الله لنا ف   يما يشاء البركات
إنما الارحام أرض ولـ   ـنا محـــترثات
فعلينا الزرع فيها   وعلى الله النبات

وقال ﷺ « من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الاخوات فأدبهن ورحمهن حتى يغنيهن الله أوجب الله له الجنة » فقال رجل أو اثنتين يارسول الله ؟ قال « واثنتين » حتى لو قال أو واحدة قال او واحدة . رواه أبو داود . وقال ﷺ : « من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا » وضم أصابعه . روى فى الصحيح . وعن أبي سعيد الخدرى أن النبي ﷺ قال « كرامة العيال كفارة الكبائر وإلطاف البنات زيادة فى الحسنات والدرجات »

فانظر كيف حض على إكرام البنين والبنات، وجعل برهم زيادة فى الحسنات، فما ظنك فى

غيرهم من الضعفاء والايتام ، وهل يتأتى إكرام الكل الا بالاطعام ؟ وهل يتصور طعام بلا حرث وإيلام ؟ فمن كان له حس عرف بعض هذا الكلام .

وقال ﷺ «إذا قدم أحدكم من سفر فليهد إلى أهله وليطرفهم ولو كانت حجارة »

﴿ فصل ﴾ — وأما السعي على العيال ففي الصحيحين أن النبي ﷺ قال « الساعي على الارملة والمسكين كالساعي فى سبيل الله » قال الراوى : وأحسبه قال « كالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر » وقال ﷺ « من كان فى مصر من الامصار يسعى على عياله فى عسره ويسره جاء يوم القيامة مع النبيين ، أما أنى لا أقول يمشى معهم ، ولكن فى منزلتهم » وقال ﷺ «الساعي على نفسه ليكفلها من فضل الله كالمجاهد فى سبيل الله،والساعي على أبويه ، وعلى زوجته ، وعلى ولده وخادمه ، وعلى أخيه المؤمن ، كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن سعى فى حاجة أخيه المؤمن فهو كالصائم القائم ، أو كالمجاهد فى سبيل الله » وقال ﷺ « إن لله تعالى أرضا بيضاء خلقت من نور لا شمس فيها ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ولا مطر ولا ليل ولا نهار ، لو تطلع الشمس عليها أربعين يوما من أيامنا هذه لم تقطعها مملوءة خلقا يعبدون الله تعالى لا يعرفون محمداً ولا آدم ولا ابليس قال رسول الله ﷺ من قرأ آية الكرسى عند نومه كتب الله له عدد ثوابهم وخير من ذا وذلك رد ثوبك على عيالك » وقال ﷺ « حجة مبرورة تعدل سبعين حجة غير مبرورة وطعنة صادقة فى سبيل الله تعدل سبعين طعنة كاذبة ومسألة يتعلمها الرجل فى دينه تعدل سبعين طعنة صادقة فى سبيل الله وأفضل من هذا وذاك رد ثوبك على عيالك »(1)

(١) قال أهل اللغة : عيال الرجل من يعولهم اى يقوتهم وينفق عليهم ، يقال : عاله شهراً اذا كفيته معاشه واعال اذا كثر عياله

وقال ابن المبارك لأخوانه وهم فى الغزو والجهاد فى سبيل الله : رجل متعفف ذو عيال قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما منكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه عمله هذا أفضل مما نحن فيه . وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله تعالى عليه من كل عمل قد أعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات . فقال له ذلك العالم : فأين أنت من عمل الابدال؟ قال وماهو .؟ قال كسب الحلال والسعى على العيال. وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال« من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على عياله : وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مرائيا بعثه الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان » . فانظر وفقنا الله وإياك كيف فضل من قصد التعفف والسعى على العيال وذم الطالب لغير ذلك وإن كان من حلال ، فما ظنك بالحرام السائق إلى شر مآل ؟ !

وعن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لرجل كان يخدمه فى سفر : « هل فى أهلك من كاهل ؟ أى من مسن فيقوم على عيالك لئلا يضيعوا ؟ » : قال : لاماهم إلا صبية صغار ، قال « ففيهم فجاهد » فانظر ياأخى كيف آثر خدمة الصغار على خدمة النبى المختار ، وقد قال الله تعالى (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وقرأ بعضهم وهو أب لهم . ويروى أن رجلا قال للنبى ﷺ أتيتك لاجاهد معك ، فقال : « ألك حوبة قال نعم » قال « ففيها فجاهد » (١)

---

(١) يعنى : هل لك ما تأثم فيه ان ضيعته من حرمة تضيع إن تركتها من ام او اخت أو بنت او غير ذلك . ذكره أبو عبيد . وذكر ايضا ان رجلا قال له : ابايعك على الجهاد ، فقال عليه السلام : « هل لك من ثقل ؟ » الحديث . قال الهروى : الثقل الكل والعيال . قال ويقال اراد هل بقى لك من تجب عليك طاعته كالوالدين والاهل والولد الصالح .

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار انفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى تنفقه على أهلك » قال أبو قلابة : وأى رجل أعظم أجرا من رجل يسعى على عيال له صغار حتى يعفهم أو يغنيهم ؟ وقال أيضا لرجل : لأن اراك تطلب معاشك أحب الى من ان أراك فى زوايا المسجد . وقال لآخر : عليك بلزوم السوق والصنعة فانك لاتزال كريما على إخوانك مالم تحتج اليهم . وقال ﷺ لسراقة بن مالك : « ألا أدلك على أفضل الصدقة ؟ ابنتك مردودة عليك ليس لها كاسب غيرك »(١)

وروى أن عيسى عليه السلام قال لرجل ما تصنع ؟ قال أتعبد : قال من يعولك ؟ قال أخى : قال أخوك أعبد منك . وقال ﷺ : « من لم يهتم للعيال فليس له فى الجماعة نصيب » وقال : « أعظم الناس هما المؤمن يهتم بأمر دنياه وآخرته » . وعن انس : قال قلت يارسول الله رغيف اتصدق به احب اليك ام مائة ركعة تطوعا ؟ قال : « رغيف تتصدق به احب الى من مائتى ركعة تطوعا » قال قلت: قضاء حاجة المسلم احب اليك ام مائتا ركعة تطوعا ؟ قال « قضاء حاجة احب الى من الف ركعة تطوعا » قال . قلت: ترك لقمة من حرام احب اليك أم الف ركعة تطوعا ؟ قال : « ترك لقمة من حرام احب الى من الفى ركعة تطوعا» . قال قلت : ترك الغيبة احب اليك ام الفا ركعة تطوعا؟ قال «ترك الغيبة احب الى من عشرة آلاف ركعة تطوعا » قال : قلت : قضاء حاجة الارملة واليتيم احب إليك ام عشرة آلاف ركعة تطوعا؟ قال : « قضاء حاجة الارملة واليتيم أحب الى من ثلاثين الف ركعة تطوعا » قال : قلت . الجلوس مع العيال افضل ام الجلوس فى المسجد ؟ قال : «جلوس ساعة عند العيال احب الى من الاعتكاف فى مسجدى هذا »

---

(١) المردودة المطلقة . والمراجع التى مات عنها زوجها فرجعت الى اهلها . ذكره ابو عبيد .

قال : قلت النفقة على العيال احب اليك أم النفقة فى سبيل الله ؟ قال « درهم تنفقه على العيال أحب إلى من دينار تنفقه فى سبيل الله » : قال : قلت بر الوالدين احب اليك ام عبادة الف سنة ؟ قال : « بر الوالدين احب الى والى الله من عبادة الف الف سنة » قال : قلت زيارة الاخوان احب اليك ام الطواف حول البيت ؟ قال : « زيارة الاخوان احب الى من سبعين طوافا حول البيت »

وقال ﷺ « ان فى الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة : إمام عادل ، وذو رحم وصول ، وذو عيال صبور » قال على : وما صبر ذى العيال ؟ قال « أن لا يمن على اهله بما انفق عليهم »

قال الغزالى : والقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من العبادات البدنية . ولكن ينبغى مع ذلك أن لا ينفك عن ذكر الله تعالى ولو بقلبه . كان ابو الحسن يعمل بالمسحاة دائما ويقول أعطينا اليد للعمل ، واللسان للخلق ، والقلب للحق . قال ﷺ : « ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا طلب المعيشة » وقال ﷺ «العبادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال » وقال ﷺ : «طلب الحلال جهاد فى سبيل الله» وقال : «الكسب فريضة بعد الفريضة » وقال على كرم الله وجهه : إن الجنة مشتاقة الى أصحاب الغموم والهموم من طلب الحلال ، ويروى أن الاوزاعى لقى إبراهيم بن ادهم وعلى عنقه حزمة حطب فقال الى متى هذا يا ابا إسحاق؟ اخوانك يكفونك . فقال : دعنى يا ابا عمرو فانه بلغنى انه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال ابو سليمان الدارانى : من بات تعبا من كسب الحلال بات والله عنه راض . ويروى من أمسى فانيا من طلب الحلال بات مغفورا له واصبح والله عنه راض . ومر ﷺ برجل عالج خبزة لأصحابه حتى عرق وآذاه حر النار فقال : « لا يصيبه وهج النار ابداً » وقال ﷺ : « من سعى على نفسه ليعزها ويغنيها فهو شهيد . ومن سعى على والديه ليعفهما فهو مجاهد فى سبيل

الله،ومن سعى على عياله فهو فى سبيل الله،ومن سعى مكاثرا فهوفىسبيل الشيطان.

﴿ فصل ﴾ فان قلت قد قيل : إن ابتذال النفس بنقل الماء والطعام ونحوه نقص مروءة ، قلنا : ذاك إذا فعله عن شح ، فاما اذا فعله استكانة واقتداءبالسلف التاركين للتكلف فلا يقدح فى مروءته . كذا ذكره فى الوسيط وفى الروضة عن العزيز

وذلك يختلف باختلاف الاشخاص والأحوال والأماكن. فانالمروءة هى تخلق الانسان بخلق أمثاله فى زمانه ومكانه ، وقد كان الصحابة وأفاضل الأمة يمتهنون أنفسهم ويسعون على عيالهم تعففا وتواضعا . فيروى أن عمررضى الله تعالى عنه كان يحمل قربته على عنقه،وحمل يوما دقيقا وشحما وسمنا وتمرا وثيابا ودراهم فى غرارة ثم رفعها له غلامه فحملها عمر على عنقه حتى أتى منزل امرأة لها صبيان يبكون فأخذ القدر وجعل فيها دقيقا وشيئا من شحم وتمرا وجعل يحرك وينفخ تحت القدر والدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا وضحكوا فخرج .

ويروى أنعليا كرمالله وجهه كانيستقى الماء ليهودى كل دلو بتمرة . ويروى أنه آجر نفسه يسقى نخلا بشىءمن شعير ليلة حتى أصبح . وقال : تزوجت فاطمة وما معنا إلا إهاب كبش ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار . وقال : لما أردت أن أبتنى بفاطمة واعدت رجلا صواغا على أن يرتحل معى فنأتى بأذخر فنبيعه من الصواغين فأستعين به على وليمة عرسى . وفى حديث ابنعمر أن النبى ﷺ رآه وهو يختلى لفرسه أى يحش لها وقال : بنيت بيتا بيدى يكننى من المطر ويظلنى من الشمس ماأعانى عليه أحد من خلق الله تعالى .

وقالابنعباس لما أراد النبى ﷺ أن يبعثعليابالرايةقال : « أين على ؟ » قالوا : هوفى الرحا يطحن،فقال « وما كانأحدكم يطحن عنه » وفى حديث كعب

ابن عجرة قال : أتى على النبي ﷺ وأنا أوقد تحت قدر . وقال أنس : بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من الانصار يقرؤن القرآن ويتدارسونه بالليل ويتعلمون ، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء رضى الله عنهم ، وهم الذين قنت النبي ﷺ شهرا يدعو على قاتلهم . وفى حديث جابر : ولنا داجن فذبحتها وطحنت يعنى زوجته صاع شعير ففرغت الى فراغى فقطعتها فى برمتها وبصق عليه السلام فى العجين والبرمة وبرك ثم قال : « ادع خابزة فلتخبز معك واقدحوا برمتكم ولا تنزلوها » فأكل منه ألف حتى تركوه ، ثم اكل ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنس وفضلت فضلة . وفى حديث جابر بعثنا النبي ﷺ ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ، وكان المهاجرون والانصار يحفرون الخندق بأيديهم ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم . وقال ابن أبي مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يقول أوسعوا للأمير أوسعوا للامير . وهو يومئذ خليفة لمروان. وفى خبر عرس ربيعة الأسلمى قال قال رسول الله ﷺ «اذهب الى عائشة وقل لها تبعث بما كان عندها من طعام» فانطلقت فقلت لها ذلك فقالت : خذ ذلك المكتل فيه تسعة آصع من شعير، قال فأخذته فأتيت به النبي ﷺ فقال «اذهب به اليهم» يعنى الى أصحاب المرأة العروس « وقل لهم ليصبح عندكم هذا خبزا » فانطلقت به وبالكبش فأخذوا الطعام وقالوا اكفنا انت الكبش . قال فجاء معى ناس من أسلم فاجتمعنا على الكبش فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم وأصبحت عروسا فدعوته ﷺ هو وأصحابه وهو فى حديث طويل .وقال المقداد: عمدت الى الشملة فشددتها على وأخذت الشفرة وانطلقت الى الأعنز أيها أسمن فاذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال جابر : دخل على النبي صلى الله عليه وسلم فعمدت الى عنز لى لأذبحها فقال ﷺ « لا تقطع دراً ولا نسلا » وجاء ﷺ

وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما منزل أبي الهيثم بن التيهان — وكان كثير النخل والشاء — فسأل امرأته عن زوجها فقالت: يارسول الله ذهب يستعذب لنا من الماء ، فجاء بقربة يرعبها أى يحملها بنشاط الحديث الى قوله ثم أخذ السكين ليذبح لهم فقال ﷺ « لا تذبحن ذات در » ويروى أن عمار بن ياسر — وكان اميراً بالكوفة — خرج إلى العلاف فاشترى منه علفا واستزاده وأخذ حزمة قت واخذ البائع جانب الحزمة وجعل يمد كل واحد منهما حتى صار نصف الحزمة فى يد هـذا ونصفها فى يد هذا ، ثم جعلها على عاتقه وذهب بها إلى منزله

وروى ان النبي ﷺ قال يوماً « اللهم اسقنا » فقال أبو لبابة : إن التمر فى المرابد ، فقال النبي ﷺ « اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عريانا يسد ثعلب مربده بازاره » فمطروا حتى قام أبو لبابة فنزع إزاره فسد به ثعلب المربد وهو الجرين ، ويسمى أيضا الجرن ، والبيدر والأندر . وثعلبه جحره الذى يسيل منه ماء المطر . ففى هذا دليل على امتهان أبى لبابة نفسه بمعاناة ذلك باشارة المصطفى ﷺ . وجاء قوم لقمان اليه يختصمون ، فوجدوه يسوط قدراً ويأكل منها ، فقالوا الى هذا نختصم ؟ فسمعها فقال : ادخلوا كل فى بيته صبى

وفى حكمة آل داود عليه السلام : حق على العاقل أن لا يصرف زمنه إلا فى إحدى ثلاث : زاد لمعاد ، أو حرمة لمعيشة ، أو لذة فى غير محرم . وأخبارهم فى ذلك كثيرة

وقال عليه السلام «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة» ويروى «فى الجنة» وأومأ إلى السبابة والوسطى ، يعنى امرأة آمت من زوجها وهى ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على يتاماها حتى ثابوا أو ماتوا . وقال أنس ما كان أحد أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان ابنه مسترضعاً فى عوالى المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن ، وكان ظئره قينا فيأخذه فيقبله

ويشمه ، ثم يرجع ﷺ ، فلما توفى قال لهم : « لا تدرجوه فى أكفانه حتى أنظر اليه » فأتاه فانكب عليه وبكى ، وكان ﷺ يقول فى الأولاد : « إنهم من ريحان الله » وكان يداعب الصبيان ويجلسهم فى حجره ويقبلهم ، وربما قبل فى أفواههم ، وكان يقول « أكثروا من قبل اولادكم فان لكم فى كل قبلة درجة فى الجنة حتى أن الملائكة لتحضر فتكتب لكم من الدرجات بعدد ماقبلتم ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » . وكان ﷺ يدعو الحسن والحسين فيشمهما ويضمهما اليه ويقول « ريح الولد من ريح الجنة » وقد ذم ﷺ من لم يسع لهم أو اهمل حقهم فقال « كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول » وفى رواية من « يقوت » وقال عبيد بن عمير : إن الرجل ليسأل عن كل شىء حتى عن حية أهله . قال أبو عبيد : أى عن كل شىء حى كالدابة والهرة ونحو ذلك . فبان لك بهذا أن السعى مندوب اليه وأن الزرع هو المعول عليه . وقال ﷺ : « ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله »

﴿ فصل ﴾ واما إرضاء السائل فقد قال الله تعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) الآية وقال ﷺ « لا يمنعن احدكم السائل أن يعطيه إذا سأل وإن رأى فى يده قلبين من ذهب » وقال ﷺ « لا تردوا السائل » ويروى « ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطير من الطعام » وقال ﷺ « من سأل بالله فأعطوه » وقال ﷺ « لو صدق السائل فى سؤاله ماأفلح من رده » وقال ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » وقال ﷺ « هدية الله إلى عبده المؤمن السائل على بابه » وقال ﷺ « إذا أتى سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ، ثم ردوا عليه بوقار ولين وببذل يسير ، أو رد جميل ، فانه قد يأتيكم من ليس بأنس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما خولكم الله » وقد كان ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره ، كان

يضع طهوره بالليل ويخمره بيده ، وكان يناول المسكين بيده . وقال ﷺ : « من أتاه رجل مؤمن معتقد لى ولصحبتى وسأله نصف ماله فلم يعطه شيئا أو شك أن تزول عنه تلك النعمة التى هو فيها » وقال وهب بن منبه رضى الله عنه أصاب بنى إسرائيل بلاء وضيق ، وأصابتهم شدة ، وفيهم يومئذ نبى فأتوه فقالوا لهيانبي الله مايرضى ربنا عنا ؟ فقيل لنبيهم: مرهم أن يرضوا مساكينهم ، فاذا فعلوا ذلك فهو رضائى عنهم .ويروى ان موسى عليه السلام قال يارب أى الناس أبخل؟ قال الذى يرد سائله وهو على الطعام قادر ، ثم الذى يبخل بالسلام . وقال عيسى عليه السلام: من رد سائلا خائبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام.وقال تعالى (وأما السائل فلا تنهر) أى لاتكلمه ضجراً . وقال ابن عباس : يريد الجواب بالغلظة ،يقال نهره وانتهره إذا استقبله بكلام يزجره به ، فينبغى لمن لايملك شيئا أن يتأدب بقول الله تعالى (وإما تعرضن عنهم) أى عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوى القربى والمساكين وابن السبيل (ابتغاء رحمة من ربك) أى انتظار رزق يأتيك من الله (فقل لهم قولا ميسوراً) والمعنى إن تعرض عن السائل إضاقة وإعساراً فقل له قولا جميلا رزقك الله ، بارك الله فيك، يرزقنا الله واياك من فضله ، ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وأما إطعام الحلال فقال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) يعنى بالتجارة والصناعة (ومماأخرجنا لكم من الأرض) يعنى من الزرع والثمار الذى يقتات ويدخر . وروى أبو داود والترمذى أن النبى ﷺ قال « أيما مسلم كسى مسلما ثوبا على عرى كساه اللهمن خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعممسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » وقال ﷺ « من أطعم جائعاً فأشبعه فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أى باب شاء. ويروى « من أطعم أخاه المؤمن

المسلم حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه، باعده الله من النار مسيرة خمسمائة عام» . وقال ﷺ « مامن عمل أفضل عند الله من إشباع كبد جائع » وقال ﷺ « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن ، وإشباع جوعته ، وتنفيس كربته » (قلت) : وفى الزرع يدخل الراحات على المسلمين . وبه يتوصل إلى إعانة ذوى الحاجات والمساكين. ومنه يشبع الجائعين . ويكرم القاصدين والوافدين . وقال ﷺ «أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى ، فان لهم دولة» قالوا يارسول الله وما دولتهم ؟ قال « إذا كان يوم القيامة قال لهم الله انظروا من أطعمكم كسرة ، أوسقاكم شربة، أو كساكم ثوبا ، فخذوا بيده وامضوا به إلى الجنة وانشدوا فى ذلك شعراً :

لا تعد عيناك مسكينا تلاقيه   فانما هى أقسام وأرزاق
وكن محباً له ترجو شفاعته   فللمساكين يوم الحشر أسواق

وقال ﷺ « يقول الله تعالى للرجل يوم القيامة :وعزتى وجلالى مازويت الدنيا عنك لهوانك على، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، اخرج ياعبدى إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك » ويروى « من حفر بئراً كان له حسنات بعدد شعر من ورد عليها ، ولصرير نسعة فى الحج أفضل من ذلك ، ولمسألة فى العلم أفضل من ذلك ، وللقمة تهوى فى بطن جائع أفضل من ذلك ، وذلك وذلك»

وقال ﷺ « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنان جنة الفردوس ، وجنة الخلد ، وجنة عدن » وقال ﷺ « من ختم له عند الموت باطعام مسكين يبتغى به وجه الله تعالى دخل الجنة» وقال ﷺ « من أطعم مؤمنا لقمة حلوى صرف الله عنه مرارات الموقف» وقال ﷺ «من أنفق على مريض حتى

ينكشف عنه ضره كتب الله له بكل حبة عبادة مائة سنة » . وقال ﷺ « لأن أجمع إخوانى على صاع أحب إلى من عتق رقبة » ويروى « لأن أطعم أخالى فى الله لقمة أحب إلى من أن أتصدق بعشرة دراهم » وقال ﷺ « يكون فى آخر الزمان مجاعة وجهد ، فمن أراد الآخرة فى ذلك الزمان فعليه بالأكباد الجائعة » وقال ﷺ «أيما أهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله »وقال ﷺ «أيما رجل مات جوعا فى محلة قوم سألهم الله بدمه يوم القيامة».فهذا بعض ماحضرنى من ذلك ، ولم أحص ماهنالك ، وإلا فهو أكثر من أن يحصى،وأعظم من أن يستقصى ، فاعتمد أيها الطالب على الزراعة ، فانها أربح تجارة وبضاعة ، وبها تأمن أنت والمسلمون من المجاعة . وقد رأيت فى ذلك بقليل من كثير، ونذر من غزير ، وفيه كفاية إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ فأن قلت قد روى عن أبى أمامة أنه رأى سكة وشيئا من آلة الحرث.فقال:سمعت النبى ﷺ يقول « لا يدخل هذا دارقوم إلا دخله الذل » وقال ﷺ « العز فى نواصى الخيل ، والذل فى أذناب البقر » وهذا يدل على عدم الفضل فيه ؟ فالجواب أنه لم يرد بذلك إلا تحريضاً لنا أن لا نشتغل به عن مهماتنا وجهاد أعدائنا وتعلم مهم أدياننا ، ولهذا قال الهروى : إنه إنما قال ذلك لأن المسلمين إذا أقبلوا على الدهقنة والزراعة شغلوا عن الغزو ، وأخذهم السلطان بالمطالبات، علم النبى ﷺ ما ينال الناس من الذل عند تغير الأحوال بعده ، ولهذا لما قالت الانصار حين فشا الاسلام : إن أموالنا قد ضاعت ، وإن الله قد أعز الاسلام وكثر ناصروه ، فلو قمنا فى أموالنا فأصلحنا ما كان ضاع منها ؟ فأنزل الله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب : فكانت التهلكة الاقامة على الاموال وإصلاحها ، وترك الغزو . هذا وكان الجهاد يومئذ مع الكفار وفى بلادنا لم تجد إلا مسلما يقتل مسلما ففى الاشتغال به عن البغى أكبر فائدة وأحسن عائدة .

وقال شقيق فى قوله تعالى (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) لو أن الله رزق العباد من غير كسب لتفرغوا وتفاسدوا ، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد. فان قلت : فقد قال ﷺ « إن الجفاء والقسوة فى الفدادين »(١)

(١) قلت : وقد قال أبو عمرو : وهى بالتخفيف البقر التى تحرث وأراد فى اهل الفدادين فحذف كقوله (واسأل القرية) أى اهل القرية . قال : يقال إن اهلها اهل قسوة وجفاء لبعدهم عن الامصار والناس . فالجواب ان اباعبيد القاسم بن سلام . قال : لا ارى ابا عمرو حفظ هذا . قال وليس الفدادين من هذا بشيء ولا كانت العرب تعرفها إنما هى للروم وأهل الشام . وانما افتتحت بعد النبي ﷺ ولكنهم الفدادون بالتشديد وهم الرجال واحدهم فداد . وقال الاصمعى والاحمر : هم الذين تعلو اصواتهم . فيما يعالجون وكان ابو عبيدة يقول : الفدادون هم المكثرون من الابل يملك احدهم المائتين منها الى الالف وهم مع ذلك جفاة اهل خيلاء . وقال ابو العباس : الفدادون الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون كذا ذكره ابو عبيد . وقد روى ان الفخر والخيلاء فى اهل الخيل والابل الفدادين من اهل الوبر ، وذلك صريح فى انهم أهل الخيل والابل . وفى رواية إن القسوة وغلظة القلوب فى الفدادين وعند أصول اذناب البقر حيث يطلع قرن الشيطان فى ربيعة ومضر . وفى رواية نحو المشرق فى أهل الخيل والابل . وفى رواية قبل مطلع الشمس . وكلها فى صحيح مسلم وذلك تصريح بأن ذلك فى مكان مخصوص وقوم مخصوصين والله اعلم .

فان قلت : فى كتابه ﷺ الى قيصر يدعوه الى الاسلام « وان توليت فعليك إثم الاريسيين » قال الهروى : يعنى الاكارين وهم الحراث ؟ فالجواب ما قاله المازنى : إن أهلها الاكارون والملوك والرؤساء . فعلى الاكارين يكون المعنى عليك إثم رعاياك لانك تدعوهم الى ضلالة . وقال النبي ﷺ : « أيما داع دعا الى ضلالة فاتبع فان عليه مثل أوزار من اتبعه » وعلى الملوك يكون المعنى عليك إثم الملوك الذين يقودون الناس الى المذاهب الفاسدة .

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه لا ينال المرء هذه الفضائل كلها ، ويكون أحق بها وأهلها إلا بشروط سبعة

الاول — أن تكون المزارعة حلالا محضاً بعيدة عن الشبهة ، قال ﷺ « من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فانه يطوقه من سبع أرضين يوم القيامة » وقال رسول الله ﷺ «من أخذ أرضاً بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر» وقال صلى الله عليه وسلم «لعن الله من غير منار الارض» ويروى «ملعون من غير تخوم الارض» [1] قال الشاعر :

يابني التخوم لا تظلموها إن ظلم التخوم ذو عقال

وقال ﷺ « من اكتسب مالا من مأثم وتصدق به أو وصل به رحمه أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك كله وألقى فى النار » وقال ﷺ «من أصاب مالا من مهاوش [2] أذهبه الله فى نهابر » وقال الثورى: من أنفق الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول . وقال ﷺ «لا يكسب العبد مالا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتركه وراء ظهره إلا كان زاده الى النار ، ان الله لا يمحو السيء بالسيء ، ولكن يمحو السيء بالحسن » وقال بعض الصالحين : اشتريت لحمارى شعيراً بدراهم ، وصببته فى البيت ، وخرجت فلما رجعت اذا شيخ جالس عند الشعير ، فنظرت اليه وكان الشيطان ، فقلت له : يالعين إيش تعمل هاهنا ؟ قال : لى فى هذا نصيب ، فرددت الباب وخرجت ، فقلت للذى اشتريت منه الشعير: من أين لك هذا الشعير ؟ قال أنا زرعته ، ففتشت عنه فاذا الارض غصب

الثانى — استقصاء الزكاة وصرفها لأهل الصدقات فغلولها محبط للاعمال ، مهلك للاموال . قال ﷺ «مانع الزكاة فى النار » وقال ﷺ «ماخالطت الصدقه

---

(١) المنار والتخوم بفتح التاء وضمها هى الحدود بين الارضين (٢) المهاوش بالميم ويروى بالنون التخاليط من غير حله ونهابر واد فى جهنم وقيل المهالك

مالا الا أهلـكته» ويروى «اذا منعت الصدقة هلـكت الاموال» وقال ﷺ «ما منع قوم زكاة أموالهم إلا منع الله منهم قطر السماء ، ولولا البهائم لم يسقوا »وقال ﷺ «ما انتقص مال من صدقة ـ وقيل من زكاة . ولا ضاع مال فى بر ولا بحر الا بمنع الزكاة »وقال ﷺ «من لم يزك فلا صلاة له ، ولا دين له ، ولا صوم له ، ولا حج له، ولا جهاد له » وقال ﷺ «المعتدى فى الصدقة كمانعها » قيل:هو الذى يضعها فى غير موضعها .

فيجب أداؤها على الشروط المعروفة فى الـكتب الفقهية ، فيخرج زكاة كل مال فى تلك البلد التى المال فيها ويصرفه الى الاصناف الموجودين فيها ، فان لم يجد فيها أحداً .نقل الى أقرب بلد اليه . قال الغزالى : وقد عدم من الاصناف فى أكثر البلدان صنفان ، وهم المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها ، وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون بعض وهم الغزاة والمكاتبون ، والموجود فى جميع البلاد أربعة ، الفقراء ، والمساكين ، والغارمون، وأبناء السبيل، وهم المسافرون ، قال: فان وجد هذه الاصناف الأربعة مثلا قسم زكاة ماله أربعة أقسام متساوية حتما ، وعين لـكل صنف قسما ، ثم صرف كل قسم الى أكثر من اثنين ، فان لم يجد إلا أقل من ثلاثة أعطى كل سهم صنفه ، وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له أن يقسم كل قسم على عشرة وعشرين، وأكثر، فينقص بعضاً ويفضل بعضاً، بخلاف الاصناف فلا تقبل الزيادة ولا النقصان ، فلو لم يجد الا صاع الفطرة فى الفطرة ، ووجد أربعة أصناف فعليه أن يوصله الى اثنى عشر نفراً ، فان نقص واحداً مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد ذكر ذلك الغزالى وهذه مهمات جيدة فلا يغفل عنها . وتمات ذلك فى كتب الفقه

وقال النبى ﷺ « ان فى المال لحقاً سوى الزكاة ، ثم قرأ(وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الآية ، وقال الله تعالى

(وآت ذا القربى حقه) يعنى من الصلة والبر (والمسكين) قال مقاتل حقه أن يتصدق عليه ، (وابن السبيل) بالضيافة . وقال تعالى (كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم) أى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) بمنع الزكاة والحقوق (فأهلكته) . ويقال من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال، ومن منع الصدقة منعت منه العافية، ومن منع العشر منع الله منه بركة أرضه ، ومن تهاون بالصلاة منع منه قول لا إله إلا الله عند الموت . ذكره أبو الليث السمرقندى وقال الله تعالى (قد أفلح) أى فاز وبقى ونجا (من تزكى) أى أخرج زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) يعنى تكبير العيد (فصلى) خرج فصلى العيد ، ذكره الواحدى . وإنما سمى ما يدفع إلى المساكين زكاة لانه ينمى المال ، والزكاة فى اللغة النماء والزيادة يقال زكت الثمرة إذا كثرت ، وزكت النفقة إذا بورك فيها ذكره فى البيان

والثالث : المواظبة على الصلوات المفروضات وتأديتها فى الاوقات المعروفات، قال الله تعالى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وقال النبى ﷺ « الصلاة عماد الدين ، وفرض على المسلمين » وقال ﷺ « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم فى صحيحه، فمن أهملها فقد استخف بحرمة الاسلام، ولم يفرق بين حلال وحرام ، وكيف تكتب الحسنات، لمن هو مهمل للواجبات. وقد قال ﷺ « من لقى الله تعالى وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته . وينشد فى ذلك للسلف :

صلاة المرء فى أخراه ذخر وأول ما يحاسب بالصلاة
فان يمت فطوبى ثم طوبى له الفوز فيها بالصلاة
وإلا النار مثواه وتباً له تباً له بعد الممات

فيشترط أداؤها فى أوقاتها ، بشروطها المرسومة فى مظنوناتها ، ولا يشتغل عنها بزرع ولا عيال ، ولا شىء من سائر الاشغال

قال الغزالى : وإياك أن تقول الله رحيم يغفر للعصاة ، فانها كلمة حق أريد بها باطل ، وهو كمن يترك الحرث والكسب ويقول الله قادر على أن يرزقنى كنزاً يغنينى ، كيف والله يقول (إنما تجزون ما كنتم تعملون) (وأن ليس للانسان إلا ماسعى) (والله شديد العقاب) ولا يحصد الانسان إلا ما زرع ، وليت من صام وصلى يغفر له

وأما النوافل والتطوعات، فزيادات فى الدرجات ، من قام بها ربح الأجر ، ومن أهملها فلا وزر

والرابع : معرفة مالا يستغنى عنه من أصول الاعتقادات ، والعلوم الشرعيات، وأقل ذلك كتاب من المختصرات، يفهم منه شروط الصلاة والزكاة، وطرفاً من المعاملات والمناكحات، وأنه لايجوز بيع زرع لم يشتد حبه دون شرط القطع لأنه لا تؤمن عليه العاهات ، وأنه لا يجوز بيع جزء من الزرع الأخضر ولا قسمته فى بعض المقالات ، ولا يجوز بيع الأرض مع بذرها ، أو مع زرع لايفرد بالبيع ، ونحو ذلك ومن المسائل المهمات ، فمعرفة هذا وشبهه على الزارع من الفروض المتعينات ،سأوضح فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى ما يشترط معرفته من العلوم والاعتقادات

والخامس : حسن صحبة الأخوان ، والقيام بما يجب من حقوق الأهل والجيران ، وسهولة الانفاق على القرابة والنسوان ، وسيرد فى الباب الثالث ان شاء الله تعالى مايزيدك فى البيان

والسادس : الاقلاع من النميمة والاغتياب ، ومجانبة أهل الارتياب ، والمواظبة على تلاوة الكتاب ، والقيام بما يجب لله ورسوله وللأصحاب ، فحينئذ يتسربل صاحبها حلة الأتقياء ، ويحشر فى زمرة الأولياء ، ويكون من حزب الانبياء .

والسابع : أن لا يحيف عند موته فى وصيته ، فان حاف عليهم فقد أتى بدعة قوية. قال الله تعالى (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) إلى قوله تعالى (غير مضار) أى مضارر ، فيدخل الضرر على الورثة كأن يوصي بدين ليس عليه ، قال قتادة : إن الله تعالى كره الضرر فى الحياة وعند الموت ، ونهى عنه ، ولا تصلح له مضارة فى حياة ولا موت

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لسعد رضى الله عنه حين قال له : إن لى مالا كثيراً وليس يرثنى إلا ابنتى أفأوصى بمالى كله ؟ قال : لا ، الى أن قال : فالثلث ؟ قال «الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة (١) يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الى فى امرأتك

قال الثعالبى : وفى الخبر « من قطع ميراثا فرضه الله تعالى قطع الله ميراثه من الجنة » ونحوه ذكره الصيرفى فى كتاب الفرائض وقال ﷺ «الضرار فى الوصية من الكبائر » ذكره فى الكواكب، ورواه الرامهرمزى فى كتاب الفاصل مسنداً عن ابن عباس ، وفى سنن الترمذى أن النبى ﷺ قال «إن الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى وصيتهما فتجب لهما النار » ثم قرأ (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) الآية ، ورواه أيضا الثعالبي وقال فيه : قال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى وحاف فى وصيته ختم الله له بشر عمله فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فاذا أوصى ولم يحف فى وصيته ختم الله له بخير عمله فيدخل الجنة » ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم (تلك حدود الله) إلى قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)

---

(١) قوله عالة اى فقراء ويتكففون يسألون الناس كي يضعوا الصدقة فى أكفهم

وقال ﷺ « حامن ف فى وصيته ألقى فى اللوى » اللوى واد فى جهنم ، رواه الثعالبي أيضا .وفي السنن أن رجلا أعتق ستة أعبد له عند موته لم يكن له مال غيرهم فقال النبي ﷺ « لو شهدته قبل أن يدفن لم يدفن فى مقابر المسلمين » وفى رواية « لو أدركته ما صليت عليه لمضارته فى الوصية » رواه مسلم. ودخل على رضى الله عنه على صديق له يعوده ، فقال : انى أريد أن أوصى فقال له على : ان الله تعالى يقول (إن ترك خيراً) وإنما تدع شيئا يسيراً فدعه لعيالك فانه أفضل لك . وقال رجل لعائشة رضى الله عنها: أريد أن أوصى ، قالت: كم مالك؟ قال ثلاثة آلاف ، قالت : كم عيالك ؟ قال: أربعة ، قالت :إنما قال الله تعالى (إن ترك خيراً) وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك . وقال عروة بن ثابت للربيع بن خثيم : أوصى لى بمصحفك . فنظر إلى ابنه وقال : وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقال الله تعالى (فمن خاف من موص جنفا أو إثما) يعنى جوراً أو عدولا عن الحق . والجنف الميل. وقرأ على رضى الله عنه حيفا أى ظلما (فأصلح بينهم فلا إثم عليه) الآية، يعنى من حضر مريضا وهو يوصي فخاف أن يخطيء فى وصيته فيفعل ما ليس بعدل أو يتعمد جورا فيها فيأمر بما ليس له فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثته فيأمره بالعدل فى الوصية ، وينهاه عن الحيف فيها. وقال طاووس : جنفه أن يوصى لبنى ابنه يريد ابنه ، ولبنى بنته يريد بنته ، أو يوصى لزوج بنته يريد بذلك بنته ، فلا حرج على من أصلح بين الورثة. وقال عطاء : هو أن يعطى عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه جميعا بعد موته ، فلا إثم على من أصلح بين الورثة. وقال السدى وابن زيد : هو هو فى الوصية بالأثرة يميل إلى بعضهم ويحيف لبعضهم فى الوصية ، فان أعظم الأجر أن لا ينفذها ، لكن يصلح بينهم فينقص بعضاً ويزيد بعضا ويروى أن جاراً لمسروق دعاه ليشهده على وصيته ، فوجده قد بذر فيها

وأكثر فقال : لا أشهد ، إن الله تعالى قسم بينكم فأحسن ، فمن رغب برأيه عن أمر الله فقد ضل ، أوص لذى قرابتك الذين لا يرثون ، ودع المال على قسم الله . قال الله تعالى (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً) أى عدلا فى الوصية . ولا يجوروا فيها وقال ابن مسعود رضى الله عنه : هما المريان الامساك فى الحياة ، والتبذير عند الممات . المريان تثنية المرى ، نسبهما إلى المرارة لما فيهما من المأثم .

فكل هذه الأحاديث مصرحة بالنهى عن الجور فى الوصية ، وهذه خصلة قبيحة قد ظهرت فى بلادنا وكثرت بين أظهرنا ، وقطعوا الميراث ، وتحيلوا فى ذلك بالحيل الخبيثة ، حتى ان الرجل ليبيع ماله فى مرض موته ، أو فى صحته حسداً لبعض ورثته ، ويفعل ذلك فرارا ، ويطوى عليه جانبه إزوراراً ، ولم يخش فى ذلك عارا ، ولا ناراً ، ويقطع نسوة ضعافاً ، وأطفالا صغاراً ، وأنا أستغفر الله إنه كان غفاراً ، لأنى قد جهلت لحضرت على ذلك مرراً ، وأستعين به على قطع هذه البدعة ، وإطفاء هذه الشنعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ فصل ﴾ ثم ما ذكرته أولا فهو مالم يبالغ فى الكدح ، مبالغة تورث القدح ، فان بالغ فى ذلك مبالغة منكرة ، وسار فى طلب الدنيا سير القنبرة والقسورة ، وأعمل فى تحصيلها يده وسمعه وبصره ، ولم يكتف بما كفاه من المال وستره ، فهو كساع بنفسه إلى المجزرة أو المقبرة ، وعاد حينئذ مدحه ذما ، وكدحه فى ذلك إثما وكثرته فى الحقيقة عدماً

واعلم أن حقيقة السعادة القوية ، الدنيوية والأخروية ، بعد أداء الوظائف الشرعية ، والتأدب بالآداب السنية ، أن يكون للمرء مسكن يأويه ، وضيعة قريبة غلتها تكفيه ، ولا تزيد على كفايته فتطغيه ، وزوجة مؤمنة تواتيه ، وولد مبارك يسليه ، وجار صالح لا يؤذيه ، وخادم عن مهنة نفسه يحميه ، وما وراء ذلك فلا حاجة له فيه . فقد قال رسول الله ﷺ « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ جيفة

وهو لا يدرى » وقيل له ﷺ : أى أمتك أشر ؟ فقال : « الأغنياء » . وسئل رسول الله ﷺ من الموتى ؟ فقال « الاغنياء » وقال ﷺ « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الاغنياء ليدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده ويستخرج » . وقال ﷺ « اطلعت فى الجنة فاذا عامة أهلها الفقراء وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار » قال أبو الدرداء : وذو الدرهمين أشد حسابا من ذى الدرهم . وقال ﷺ «يقول ابن آدم مالى مالى ومالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت »وقال ﷺ « ليس لابن آدم حق فى شىء سوى هذه الخصال ، بيت يكنه وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء » -يعنى كسر الخبزالبارد بلا أدم -رواه مسلم . وقال ﷺ « هلك المكثرون الا من قال من عباد الله هكذا وهكذا ،وقليل ماهم»

ويروى إن الله أوحى إلى آدم عليه السلام إن كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك ، فان حبى وحبها لا يجتمعان أبداً . وقال ﷺ « ما من أحد يوم القيامة غنى ولا فقير إلا ود أن ما كان أوتى من الدنيا قوتاً » وقال ﷺ « مافوق الازار وظل الحائط وجر الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيمة أويسأل عنه» وقال ﷺ «سيأتى بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ، ويلبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركبون فره الخيل وألوانها ، وينكحون أجمل النساء وألوانها ، بطونهم بالقليل لا تشبع ، وأنفسهم بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها ، اتخذوها إلهاً من دون الله ، ورباً من دون ربهم ، إلى غيهم ينتهون ، وهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان من عقب عقبكم أوخلف خلفكم أن لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ، ولا يشيع جنائزهم ، ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام » وقال

ﷺ « اطلبوا الدنيا طلباً لا يشغلكم عن الآخرة ، وادخلوا فيها مدخلا لا يبطل أعمالكم » وقال ﷺ « إذا أراد الله بعبد شراً شغله بالدنيا حتى يموت » وقال ﷺ « والله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » وقال ﷺ « إن لكل قوم فتنة وفتنة أمتى المال » وهذا كقوله تعالى (لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه) والغدق العذب ، وقيل الكثير ، أراد لأخصبنا بلادهم ، وقيل لأعطيناهم مالا كثيراً . وقال ﷺ « لا تفتح الدنيا على أحد الا ألقت بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة » وقال ﷺ « إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض وزهرة الدنيا »

قلت : وإنما كان كذلك لأن بسطها مطغ للبشر جالب للبطر منس للعبر . قال الله تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) يعنى رخاء الدنيا ويسرها وسرورها (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون) آيسون من كل خير .

قال الحسن : من وسع عليه فى رزقه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه نظر له فلا رأى له ، ثم قرأ هذه الآية ، وقال : مكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا . وقال الله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الضحاك : كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة . وقال ابن عباس : سنمكر بهم ، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ، ثم يأخذهم على غرة منهم ، أغفل ما يكونون . فبين الله تعالى أن كثرة المال سبب لاستدراج العبد أو فتنته أو لأخذه بغتة فى غفلته وغرته ، وليس كثرة المال فى الدنيا كرامة ، لأنها دار رحلة لا دار إقامة ، ولا لمحبها منها سلامة وأنشد المتنبى فى المعنى:

فذى الدار أخون من مومس وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل

وقال ابن مسعود : نهى النبي ﷺ عن التبقر فى الأهل والمال ، ثم قال يعنى ـ ابن مسعود : فكيف بمال برازان ، ومال بكذا ، يريد الكثرة والسعة. قال أبو عبيد : أراد النهى عن تفريق الأموال فى البلاد فيتفرق قلبسه لذلك . وقال مالك بن دينار رضى الله عنه : إن الله تعالى إذا أحب عبداً انتقصه من الدنيا ، وكف عليه ضيعته ، يقول الله تعالى لا تبرح من بين يدى ، فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل ، واذا أبغض الله عبداً دفع فى نحره شيئاً من الدنيا، يقول اغرب من بين يدى فلا أراك بين يدى ، فتراه متعلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا . وقال ﷺ « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه ، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهى راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له ، فلا يمسى إلا فقيراً ولا يصبح إلا فقيراً ، وما أقبل عبد إلى الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد اليه بالود والرحمة ، وكان الله اليه بكل خير أسرع » وقال ﷺ « من جعل الهموم هماً واحداً ـ هم المعاد ـ كفاه الله هم الدنيا ، ومن تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله فى أى واد من أوديتها هلك » وقال ﷺ « يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك » وقال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً حتى تقتله . وفى كتاب الله تعالى (ألهاكم التكاثر) قال ﷺ تكاثر الأموال جمعها ومنعها وشدها فى الأوعية (حتى زرتم المقابر) صار ابن آدم يطلب الدنيا قدماً قدماً ، ويزداد حرصه فيها يوماً فيوماً ، فمهما كانت الدنيا لديه أكثر كان حرصه أكبر ، وشرهه المركب فيه أوفر ، فلهذا قال النبى ﷺ

« لو أن لابن آدم وادياً من مال لسأل ثانياً ، ولو أعطى ثانياً لسأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب .

وقد كان هذا يقرأ فى الكتاب،فينبغى لكل أحد أن ينظر فى دينه إلى من هو فوقه ، وينظر فى دنياه إلى من هو أسفل منه، كذا ندب اليه ﷺ.وقال الله تعالى (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) وقال الله تعالى (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً) قال أبي بن كعب رضى الله عنه : فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ، ومن يتبع بصره ما فى أيدى الناس يطل حزنه ولا يشفى غيظه ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعمه ومشربه نقص عمله ودنا عذابه ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء . كذا قاله الرسول ﷺ.

﴿ فصل ﴾ قال الغزالى رحمه الله : الزيادة على الكفاية مهلكة من وجوه

أحدها أنها تدعو إلى التنعم بالمباحات ، فينبت على التنعم ، جسده ولا يمكنه الصبر عنه ولا استدامته الا بالالتجاء إلى الظلمة ونحوهم ،وذلك يدعوه الى الكذب والرياء والعداوة ونحوها .

الثانى أنها تدعو الى المعاصى ، فانها تمكن منها ، ومن العصمة أن لا تقدر ، قال الله تعالى (كلا إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى)

والثالث أنها تلهى عن ذكر الله تعالى الذى هو أساس السعادة الأخروية ، إذ بها يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء ، والتفكر فى تدبير الحذر منهم ، وتدبير استنماء المال ، وكيفية تحصيله أولا ، وحفظه ثانياً ، وإخراجه ثالثاً ، وكل ذلك يسود وجه القلب ويصد عن ذكر الرب .

وقد أوصى النبى ﷺ رجلا فقال « لا تجمع المال فانك لا تقدر على جمعه حتى يجمع الله فيك أربع خصال ، الحرص، والشح ، وطول الأمل،وقلة الحياء »

وهذه الخصال هى التى أهلكت أكثر الأولين وستتبعهم أكثر الآخرين . قال أبو سليمان : ما شغلك عن الله من أهل أو مال فهو عليك مشئوم . قال الحكيم الترمذى : إذا رزقت مالا وولداً فهم كلهم لك عون على ما أنت بسبيله إذا بورك لك فيهم ، فليس واحد منهم ضالا ولا مضلا ، والذى تنزع منه البركة من مال أو ولد فهو ضال لنفسه ومضل لك .

﴿ فصل ﴾ فان قلت : مامن غنى الا ويدعى أن مافى يده دون قدر كفايته، فكم مقدار الكفاية ؟ فاعلم أن الضرورة إنما تدعو إلى المطعم والملبس والمسكن والأثاث ، أما الملبس فان تركت التجمل فيه فيكفيك فى السنة ديناران أى مثقالان لشتائك وصيفك ، وأحسن الملابس ما يلبسه أمثاله في زمانه ومكانه من غير شهرة فى الطرفين ، وأفضلها البياض ثم عصب اليمن ، ويجوز للرجل والمرأة لبس الثوب الأخضر ونحوه من المصبوغات بلا كراهة ، ولبس الكتان والصوف والقطن والخز وإن كانت نفيسة غالية الاثمان ، ويحرم على الرجل لبس الحرير والمزعفر والمعصفر

ويحرم عليه إطالة الثوب والسراويل والازار عن الكعبين للخيلاء ، ويكره لغيرها فى الصلاة وغيرها ، ولبس ماله قعقعة ، ويسن له أن يعتم فالعمائم تيجان العرب ، وصلاة بعمامة أفضل من سبعين صلاة بغير عمامة ، وله لبسها بالاقتعاط[1] وغيره ، وبعذبة وغيرها ، والسنة فى العذبة أن تكون بين كتفيه، واطالتها كاطالة الثوب

وأما المطعم فان تركت التنعم فيه والشبع من الطعام فى كل أحوالك فيكفيك فى كل يوم مد وهو حفنة بكفى رجل معتدل الكفين . قاله النووى وسيأتى بيانه

---

(١) الاقتعاط : هو ان تعتم بالعمامة ولا تجعل منها شيئا تحت ذقنك كذا فى النهاية .

فى القسم الرابع والثلاثين من الباب الثالث بأوضح من هذا إن شاء الله تعالى ، فيكون فى السنة خمسمائة رطل ، ويكفيك لادامك إن اقتصرت على القليل منه فى بعض الاوقات ثلاثة دنانير تقريبا فى السنة عند رخاء الاسعار ، وإذاً بلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسمائة رطل ، وهو الذى نقدره اذا فرضنا نفقة الزوجة والقريب ، فان كنت معيلا فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك ، فاذا كنت كسوبا وكسبت فى اليوم ما يكفيك ليومك فاشتغل بعبادتك ، فان طلبت الزيادة صرت من أهل الدنيا ، فان لم تكن كسوباً وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل عليك منها هذا القدر دائما فأرجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا ، لا سيما فى هذه الأعصار ، وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح ، وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات فاقتناء هذا أولى من السؤال

وهذا بشرط أن يكون بودك أن تتخلص من التعرض إلى الجوع والبرد ، وأن تطرح الضيعة ، ولا تكون كارهاً للموت ، ولا محباً للضيعة ، وأن ماتزيده للضرورة ، وبودك لو تخلصت منه ، فهذا مخرج النهى عن قوله ﷺ : « لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا » فأنت إن قصدت الزراعة للاستعانة بها على الدين كنت متزوداً مسافراً إلى الله تعالى لا معرجاً على الضيعة ، وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذى ذكرت الا بشدة أو مشقة ، ولا حرج فى الدين فى ازدياد الضعف على هذا القدر ، إذ لا يصير بذلك من أبناء الدنيا ، فأن رأى أنه إن أضعف على هذا القدر لم يصر من أبناء الدنيا ولا يخرج عن حزب أبناء الآخرة المسافرين إلى الله تعالى جاز له ذلك مالم يقصد بذلك إلا دفع الألم الشاغل عن العبادة والذكر ، دون التنعم فى الدنيا ، كذا ذكره الغزالى ، قال : ثم لا تبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة إلا التنعم ، أو التصدق أو الاستظهار لو أصاب المال آفة

وأما التنعم فأعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا ، وبئس العبد عبد سهى ولهى ، ونسى المقابر والبلى، وبئس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسى العلى الأعلى وقال ﷺ « يكون فى آخر الزمان قوم من أمتى يأكلون لباب البر أولئك شرار متى » وقال ﷺ « إياكم والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين » وقال ﷺ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، ويقال للمتنعمين يوم القيامة (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) الآية وأما التصدق فترك المال أفضل منه قال ﷺ « يا طالب الدنيا لتبر . تركك لها أبر وأبر » وأما الاستظهار فهو سوء ظن لا آخر له ، وما قدره الله تعالى فلا مرد له . بل ينبغى دفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله تعالى وتكفله ، فانه تعالى يقول (ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها) وقال ﷺ لابنى خالد « لا تيأسا من الرزق ما تهزهزت رؤوسكما . فان الانسان ولدته أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه » وقد رزق الله الكافرين به فكيف بالموحدين له ؟ قال الغزالى : فان تصور أن يصيب المال آفة لا تتوقع فيتصور أن يفتح للرزق باب لا يحتسب . وان تصور على الندور خلافه ، فلا ينبغى أن يعتقد العبد أن سلامته طول العمر عن البلاء محمود . بل البلاء هو الذى يصقل القلب ويزكيه . ويخلصه من الخبائث كلها . وهو يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله تعالى . ويمنع نسيانه ،والصحة والغنى سبب البطر فى الغالب

ولهذا كان البلاء والفقر موكلين بالأنبياء ثم الاولياء.ثم الامثل فالامثل،قال ﷺ « لا يزال البلاء بالمؤمن(١) فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وماعليه خطيئة » قال الترمذى حديث صحيح وقال ﷺ « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه »

(١) فى الثانية : والمؤمنة

روى فى الصحيحين. وقال ﷺ : « كفى بالسلامة داء » وقال ﷺ : « إن الله تعالى يبغض العفريت النفريت الذى لم يرزأ فى جسمه ولا ماله » . وقال ﷺ : « اذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا . وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيامة » . وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : وعزتى وجلالى لا أخرج أحداً من الدنيا أريد أن أغفر له حتى أستوفى كل خطيئة فى عنقه بسقم فى بدنه وإقتار فى رزقه . فان بقى عليه منها شىء شددت عليه الموت حتى يجىء الى كيوم ولدته أمه » .

قال الترمذى ثم قال الغزالى : وهـذا الذى ذكرت تقريب تمكن الزيادة عليه والنقص منه بالاجتهاد فى بعض الأشخاص والأحوال

وأما المسكن فأعلاه أن يطلب ما يكنه ويقيـه الحر والبرد . إما بشراء أو كراء بشرط أن لا تزيد سعته على قدر الحاجة ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجصيصه وتفضيضه . فنى الأثر : من رفع بناءه فوق ستة أذرع ناداه مناد الى أين يا أفسق الفاسقين ؟ . ويروى أنه اذا أراد الله بعبده سوءاً يجعـل ماله فى الطبيخين – يعنى الجص والآجر – وقال ﷺ «من بنى فوق ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة» وقال وهيب: والبناء الذى لا اسراف فيه ما ستر من الشمس وأكن من المطر . والطعام الذى لا اسراف فيه ما سد من الجوع وكان دون الشبع . واللباس الذى لا إسراف فيه ماوارى العورة وأدفأ من البرد . والضحك الذى لا إسراف فيه ما تكشف فيه السن ولا يسمع له صوت

وأما الأثاث فعلى قدر الحاجة والعائلة يكون قال ﷺ « فراش للرجل وفراش للمرأة ، والثالث للضيف ، والرابع للشيطان والله أعلم .



الباب الثانى

فى فضل خدمة المرأة ومغزلها وما يليق بها

قال ﷺ : « ما كانت ولا تكون من امرأة ترفع من بيت زوجها شيئاً أو تضعه تريد بذلك الاصلاح إلا نظر الله اليها »

اعلم أن نساء النبى ﷺ ورضى الله عنهن ، ونساء أصحابه كن يسعين على عيالهن ، ويخدمن أزواجهن ، ويمتهن أنفسهن ، فنى الصحيح قال جبرائيل عليه السلام : يارسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه أدام وطعام وشراب فاقرأ عليها السلام وبشرها ببيت فى الجنة . وقالت عائشة رضى الله عنها كنت أفتل قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدى فيقلد هديه . وقالت : أيضاً ما رأيت صانعة للطعام مثل حفصة رضى الله عنها . وقالت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها : لم أر امرأة قط خيراً منها فى الدين ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل .

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ رأى امرأة فأعجبته ، فأتى امرأته زينب وهى تمعس منيئة لها الحديث (١) وقال ﷺ لخالة جابر وهى فى عدتها « اخرجى فخذى (٢) نخلك لعلك أن تصدق أو تفعلى خيراً » ويروى معروفاً . وفى صحيح البخارى أن أبا سعد الساعدى رضى الله عنه دعا النبى ﷺ لعرسه وأصحابه رضى الله عنهم

(١) والمعس . هو الدلك يقال معس الاديم إذا دلكه . والمنيئة على وزن فعيلة الجلد أول ما يدبغ . وفى النهاية : عزاه بنصه لأسماء بنت عميس

(٢) كذا بالنسخ ، ولعل الصواب : فجذى نخلك يعنى اقطعى ثمره . مصححه

فما صنع لهم طعاماً ولا قربه اليهم إلا امرأته ، وبلت تمرات من الليل فى تور من حجارة ، فلما فرغ النبي ﷺ من الطعام ماشته[1] له فسقته إياه تتحفه بذلك وكانت امرأته خادمهم يومئذ وهى عروس . وقال جابر: خرج النبي ﷺ وأنا معه ، فدخل على امرأة من الأنصار فذبحت لهم شاة فأكل ، وأتته بقناع من رطب فأكل منه ، ثم توضأ للظهر وصلى ، ثم انصرف فأتته بعلالة من علالة الشاة فأكل ولم يتوضأ ، ثم صلى بنا العصر

قلت : وما أكثر فوائد هذا الحديث . فى الصحيح قالت الربيع[2] كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم نسقى القوم ونخدمهم ، ونرد القتلى إلى المدينة ، ونداوى الجرحى . وقالت أم عطية رضى الله عنها: غزوت مع النبي ﷺ سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ، وأصنع لهم طعامهم ، وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى . وفى حديث أنس رضى الله عنه : كن يسقين الماء ويداوين الجرحى . وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق امرأة الزبير بن العوام رضى الله عنه وهى أخت عائشة رضى الله عنها : كنت أعلف فرسه — تعنى فرس الزبير — وأستقى الماء ، وأخرز غربه ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبزه لى جارات من الانصار وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه النبي ﷺ على رأسى وهى على ثلثى فرسخ من المدينة ، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت النبي ﷺ ومعه نفر من الانصار ، فدعانى ثم قال «إخ إخ» ليحملنى خلفه ، فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، فعرف النبي ﷺ أنى استحييت فمضى وتركنى ، قالت : ثم أعطانى النبي ﷺ خادماً فكفتنى سياسة الفرس . وفى صحيح البخارى عن سهل رضى الله عنه انه قال : كانت فينا امرأة تأخذ

---

(١) كذا فى نسخة دار الكتب وفى اصلنا : اتته له . وفى الأصل الآخر : ماثته (بالثاء)

(٢) الربيع (بضم الراء وكسر الياء) بنت معوذ الانصارية

من أصول السلق فتطرحه فى القدر ، وتكركر حبات من شعير أى تطحن ، فإذا صلينا الجمعة انصرفنا فتقدمه الينا ، — والسلق نبات أخضر — قال البخارى : وأمر أبو موسى رضى الله عنه بناته أن يضحين بأيديهن . وروى أن فاطمة رضى الله عنها جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها ، ومجلت وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها ، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها وأصابها من ذلك ضر ، فأتت إلى أبيها ﷺ تشكو اليه ما لقيت من ذلك وتطلب منه خادماً ، فقال لها ولعلى : «أدلكما على ماهو خير لكما من خادم؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثا وثلاثين ، واحمدا ثلاثا وثلاثين ، وكبرا أربعا وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم» وقال سهل رضى الله عنه : جاءت امرأة ببردة — وهى الشملة — إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إنى نسجت لك هذه بيدى لأكسوكها ، فقبلها منها النبى ﷺ. وفى خبر مقتل جعفر رضى الله عنه قالت أسماء بنت عميس رضى الله عنها دخل على النبى ﷺ وقد دبغت أربعين منيئة ، وغسلت بنى ونظفتهم ودهنتهم. وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ليشكو إليه زوجته ، فلما بلغ بابه سمع زوجة عمر تتطاول عليه ، فقال لعمر : كنت أردت أن أشكو اليك زوجتى فلما سمعت من زوجتك ماسمعت تركت ذلك . فقال عمر : إنى أتجاوز عنها لحقوق على لها أولها : أنها سترت بينى وبين النار . وثانيها : أنها خازنة مالى اذا خرجت حفظته . والثالث : أنها قصارة لي تغسل ثيابى . والرابع : أنها ظئر لولدى . والخامس : أنها خبازة وطباخة لى . فقال الرجل. إن لي مثل ذلك فتجاوز عنها.

فكل هذه دلائل مصرحة بأن نساءهم كن يشتغلن بالخدمة وهن أفضل نساء الأمة رضى الله عنهن أجمعين . وقال أنس رضى الله عنه : بعثنى النساء الى النبى ﷺ فقلن يارسول الله ذهب الرجال بفضل الجهاد فهل لنا من عمل ندرك

به عمل المجاهدين فى سبيل الله ؟ فقال النبي ﷺ «مهنة إحداكن فى بيتها تدرك بها عمل المجاهدين فى سبيل الله» وقال ﷺ اذا لم تفرح المرأة بضيف زوجها ولم تخدمه لعنها الله والملائكة والناس أجمعون . وروى الثعالبي باسناده عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال « مامن امرأة رفعت شيئاً من بيت زوجها أو وضعته تريد بذلك الاصلاح إلا كتب الله لها حسنة ، ومحا عنها سيئة ، ورفع لها درجة ، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا كان لها من الأجر مثل الصائم القائم والغازى فى سبيل الله ، وما من امرأة يأتيها طلق إلا كان لها بكل طلقة عتق نسمة ، وبكل رضعة عتق رقبة ، فاذا فطمت ولدها ناداها مناد من السماء أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفى العمل فيما بقى ، فقالت عائشة لقد أعطى الله النساء خيراً كثيراً فما لكم أنتم معشر الرجال؟ فضحك النبي ﷺ وقال ﷺ « ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له خمس حسنات ، فان عانقها فعشر حسنات، فان قبلها فعشرون ، فان أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها ، فاذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شيء من جسده إلا محا عنه سيئة ورفع له درجة ، ويعطى بغسله خيراً من الدنيا وما فيها ، وإن الله تعالى يباهى به الملائكة يقول انظروا إلى عبدى قام فى ليلة قر باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأنى ربه ، أشهدكم أنى قد غفرت له » وبأسناده أيضاً عن جابر رضى الله عنه قال : بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت : السلام عليك يا رسول الله، أنا وافدة النساء اليك ، ليست من امرأة يبلغها مسيرى اليك إلا أعجبها ذلك ، إن الله رب الرجال ورب النساء ، وآدم أبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، والرجال إذا خرجوا فى سبيل الله وقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا خرجوا فلهم من الأجر مثل ماعلمت ، ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيء ؟ قال :« نعم ! أقرئى النساء

عنى السلام وقولى لمن بن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ما هناك ، وقليل منكن تفعله » وقال ﷺ « خير الرجال من أمتى خيرهم لنسائهم ، وخير النساء خيرهن لأزواجهن ؛ يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة أجر ألف شهيد قتلوا فى سبيل الله صابرين محتسبين ؛ وتفضل إحداهن على الحور العين كفضل محمد على أدنى رجل منكم ، وخير النساء من أمتى من تأتى مسرة زوجها فى كل شىء يهواه ما خلا معصية الله تعالى ، وخير الرجال من أمتى من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها ، يكتب لكل رجل منهم فى كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا فى سبيل الله تعالى صابرين محتسبين » فقال عمر رضى الله عنه : وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة ؟ فقال النبى ﷺ « أوما علمت يا عمر أن المرأة أعظم أجراً وأفضل ثواباً من الرجل ؛ أوما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله معصية المرأة لزوجها »

﴿ فصل ﴾ وخير أعمالهن المغزل ، روى أن آدم عليه السلام ذبح كبشاً ثم أخذ صوفه فغزلته حواء عليها السلام ونسجته هى وآدم فجعل منه جبة لنفسه . وجعل لحواء درعاً وخماراً . وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال « نعم لهو المرأة المغزل » وعن عائشة قالت قال ﷺ « مغزل المرأة يعدل التكبير فى سبيل الله والتكبير فى سبيل الله أثقل فى الميزان من سبع سماوات وسبع أرضين ؛ وأيما امرأة ألبست زوجها من غزلها كان لها بكل سداً ولحمة مائة ألف حسنة » وعن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ؛ وعمل البارات من النساء المغزل » وعن أنس قال قال رسول الله ﷺ « مروا نساءكم بالغزل فانه خير لهن وأزين » وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور » — يعنى النساء — وكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه . ومر إبراهيم النخعى بامرأة تغزل على بابها ، فقال لها : يا أم فلان

أما كبرت ؟ أما آن لك أن تلقى هذا؟ قالت : كيف ألقيه وقد سمعت علياً يقول: إنه من طيبات الرزق . وكان ذلك صنع العابدات والزاهدات ، ولهذا قيل لعائشة يوم الجمل : صرير المغزل خير لها من السيف. وخرج عمر رضي الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت عجوز وهي تنفش صوفاً وتقول : على محمد صلاة الأبرار ، صلى عليه الطيبون الأخيار ، قد كان قواماً كل الاسحار ، فليت شعري والمنايا أطوار ، هـل تجمعني وحبيبي الدار . تعني النبي ﷺ . فجلس عمر يبكي . وعن سلمان الفارسي قال قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة : « ما من امرأة جعلت التوابل في القدر إلا أعطاها الله من الأجر بعـدد ما على وجه الأرض ، وإذا قشرت البصل فدمعت عيناها فكأنما بكت من خشية الله تعالى ، يا بنية أفضل عبادة النساء طاعة الزوج ، وبعد طاعة الزوج ليس لها عمل أفضل من الغزل ، وإن رضاء الزوج أجره الجنة ، والجلوس ساعة على المغزل خير لها من عبادة سنة وإنها يكتب لهـا في كل طاق من غزلها عبادة شهيد ، يا بنية إن المرأة إذا غزلت حتى تـكسو زوجها وصبيانها لها الجنة وأعطاها الله تعالى بكل شبر من ثوبها مدينة في الجنـة . وقال : « ما من امرأة طبخت لزوجها إلا أعطاها الله أجر شهيد ، فذا سجرت التنور بعث الله اليها ألف ملك يستغفرون لها ، وأيما امرأة قامت وخبزت لزوجها وآذى حر النار وجهها ويديها إلا حرم الله وجهها على النار ، وخدمة المرأة لزوجها خير من الدنيا وما عليها بطاعتها له».

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لأم سلمة « إذا أدت المرأة فرضها ، وأطاعت بعلها ، وحركت المغزل كانت كأنها تسبح ، وما دام المغزل في يدها كانت كأنها تصلي جماعة ، واذا طبخت القدر لأجل أطفالها تساقطت ذنوبها،وغزل المرأة بمغزلها مثل عمارة القناطر والربط ، وثلاثة أصوات تبلغ تحت العرش ، أحدها : قسي الغزاة المجاهدين في سبيل الله تعالى ، الثاني : صرير أقلام

العلماء ، الثالث : أصوات مغازل المصوتات من النساء» . وفى الحديث أيضاً « خيركن أذرعكن للمغزل» [1] .

وفى تفسير الثعالبي أن علياً رضى الله عنه انطلق الى يهودى يعالج الصوف ، فقال له : هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد ﷺ بثلاثة آصع من شعير ؟ قال : نعم ! فأعطاه الصوف والشعير ، فقبلت فاطمة وأطاعت ، وقامت إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص. الحديث بطوله [2] وقال ﷺ « شربة يشربها الرجل من يد امرأته خير لها من صيام سنة ، وطعام تضعه لزوجها خير لها من حجة وعمرة ، وغسلها من الجنابة خير من ألف بدنة تنحرها للمساكين ، فاذا حملت لزوجها سميت فى السماء شهيدة وكانت خدمتها لزوجها جهاداً وخدمتها لصبيانها ستراً من النار ، ونظرها فى وجه زوجها تسبيح ، والمرأة اذا كست زوجها أعطاها الله ثواب من حج واعتمر ، وإن رضا الله لا ينقطع عن امرأة أصبحت وأمست فى رضا الزوج ، وأيما امرأة خففت عن زوجها من مهرها إلا كتب الله لها بكل درهم حجة مبرورة وعمرة متقبلة ، وكانت من القانتات الذاكرات التائبات العابدات » .

﴿ فصل ﴾ فهذا بعض ماحضرنى من ذلك ، لكنه منوط بالشروط السبعة

---

(١) أى أخفكن به يداً ، ومنه امرأة ذراع أى خفيفة اليدين بالمغزل ، قال الهروى : ويجوز أن يكون معناه أقدركن عليها .

(٢) قال مصححه : وتمامه : أنها كانت هى وعلى رضى الله عنهما صائمين فأعطت لكل من ولديها قرصاً من الخبز وأبقت الباقى لوقت الافطار . فجاءها سائل وقال : مسكين فأعطته قرصاً ثم جاء آخر وقال يتيم فأعطته قرصاً ثم جاء آخر وقال أسير فأعطته قرصاً وباتا على الطوى فأنزل الله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً) الآية والله أعلم .

الماضية ، وشرط آخر وهو حفظ مال الزوج ، فانها له راعية ، وطاعته فيما يأمرها به سراً وعلانية

ومن حقوق الزوج عليها أن لا تحنث قسمه ، ولا تكفر نعمه ، ولا تخرج من بيته الا باذنه ، ولا تصوم تطوعا الا باذنه ، ولا تأذن فى رحله بشيء يكرهه . ولا تأكل وتلبس ما يؤذيه ، ولا تكلم رجلا من غير محارمها إلا بأذنه ؛ وعليها الرفق بأقاربه ، والأدب مع إخوانه وأعمامه وأخواله ، والرعاية لذريته بعد موته ، وينبغى أن لا تتزوج بعده إذا كان صالحاً لتكون زوجته فى الجنة ، فان المرأة لآخر أزواجها ، ولها أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاه به وأنه لا يغضب لسببه ، فقد رخص لهن فى الرطب أن يأكلنه ويهدينه .

وفى الصحيحين أنه ﷺ قال « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً » .

﴿ فصل ﴾ وأما الزوج فمن حقها عليه أن يحسن معاشرتها ، ويحتمل عنها وان تطاولت عليه ، ويعفو عن ذلتها ، ويخدمها من وراء الستر ، ويصبر عليها ان ضعفت أو خرفت ، ويعلمها ما تحتاج اليه من أحكام الوضوء والصلاة والصوم والحيض ونحو ذلك مما لا بد لها من معرفته ، ويطعمها من الحلال ، ولا يظلمها شيئاً مما يجب لها من الحقوق المذكورة فى الكتب المشهورة ، ولا يكلفها خدمته فانها غير واجبة عليها ، ولا يلبس ويأكل ما يؤذيها .

ويسن أن لا يمنعها زيارة والديها ، ولا الخروج الى المسجد ونحوه إلا لعذر .

ويسن ملاعبتها إيناساً وتلطفاً ، ما لم تترتب عليه مفسدة ، وأن يتزين لها كما يحب أن تتزين له ، وأن لا يطيل عهدها من الوقاع من غير عذر ، وأن لا يدع

ذلك عند قدومه من سفر — ذكره النووى رحمه الله — ولا فى ليلة الجمعة أو يومها — ذكره فى الأحياء

ويسن أن لا يخاطب أحداً من أهلها وأقاربها بلفظ فيه ذكر الوقاع ، أو التقبيل أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن ، وما يتضمن ذلك أو يستدل به عليه، قال على رضى الله عنه : كنت رجلا مذاء فاستحيت أن أسأل النبى ﷺ لمكان ابنته منى ، فأرسلت اليه المقداد بن الأسود رضى الله عنه فسأله الحديث

ولا يكره له التعريض لها بالوقاع ولا التصريح به ، ويكره التعريض به لغيرها فضلا عن التصريح ، ويكره أن يتحدث الرجل بما جرى بينه وبين زوجته أو أمته ، وأن يسأل فيما ضرب امرأته من غير حاجة ، وأن تخبر المرأة زوجها أو غيره بحسن بدن امرأة من غير حاجة شرعية كرغبة فى زواجها ونحو ذلك ، ويكره للرجل أن يطأ زوجته أو أمته وهناك من يسمع حسه من امرأة ونحوها ، ولا يكره الوقاع مستقبل القبلة ولا مستدبرها لا فى البنيان ولا فى الصحراء ، ولا يحرم العزل والأولى تركه على الاطلاق ، لأن المرأة تتأذى بذلك ، ولا يحرم وطء المرضع والحامل بل يكره

ويجوز الاستمناء [1] بيد زوجته وجاريته كما يستمتع بسائر بدنها ، ويسن غسل الفرج والوضوء بين كل وطأين ، ويحرم الوطء فى الدبر والاستمناء بيد نفسه ويجوز التلذذ بما بين أليتيها ، والايلاج فى القبل من جهة الدبر ، كل ذلك ذكره النووى . ويحرم وطء الحائض والاستمتاع بما بين سرتها وركبتها حتى تغتسل ، ولا بأس بعؤا كلتها ، واذا طهرت فلتصلح من شأنها ثم تأخذ إناء فيه ماء فتطرح فيه ملحاً ثم تغتسل به ، وتأخذ شيئاً من طيب فتجعله فى قطنة أو خرقة فتتبع به آثار الدم كذا أمر به المصطفى ﷺ

---

(١) ن : الاستمتاع .

﴿ فصل ﴾ وقد رأيت أن أذكر هنا جملة من أحكام النظر والعورات ، وألحقه بهذا الباب فانه من المهمات .

اعلم أنه يحرم نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض ما لم يكن بينهم رحم من نسب أو محرم من سبب كالرضاع ونحوه ، وهم كل من لم يحرم الشرع تزويج بعضهم من بعض على التأبيد قال الله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) الآية (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) الآية

وروى أن أم سلمة وميمونة كانتا عند النبي ﷺ فأقبل ابن أم مكتوم — شيخ كبير أعمى — فقال النبي ﷺ « قوما فاحتجبا عنه » قالت أم سلمة : أليس هو أعمى لا يبصرنا ؟ فقال النبي ﷺ « أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه؟ » وقال ﷺ « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى عورة المرأة » وقال « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك »

إذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على المرأة الاحتجاب عن الأجانب ، ويحرم على الرجل النظر إلى شيء من المرأة الأجنبية ولو كانت زوجة لأخيه ، أو أختاً لزوجته وكذا فى حالة أمن الفتنة فى الأصح . وكذا نظر المرأة للرجل الأجنبي حرام ولو كان جاراً لها أو زوجا لأختها ما لم يكن محرماً ، قال النبي ﷺ « إذا نظرت المرأة إلى غير زوجها نظر شهوة سمر بين عينيها بمسامير من نار ينظر إليها كل من حضر عرصات يوم القيامة »

ويحرم أن يخلو رجل بأجنبية لقوله ﷺ « لا يخلون أحدكم بامرأة ليست له بمحرم فأن ثالثهما الشيطان » وقال النبي ﷺ « لا يبيتن أحدكم عند امرأة ثيب الا أن يكون ناكحا أو ذا محرم » وقال ﷺ « من فاكه امرأة لا تحل له ولا يملكها حبس بكل كلمة ألف عام فى النار » وقال ﷺ « إياكم والدخول على

النساء » قيل أفرأيت الحمو ؟ قال : « الحمو الموت »(١)

ولا بأس أن يخلو رجل أو رجلان بنسوة ثقاة أو امرأتين ، ولا يجوز أن يخلو رجلان أو رجال بواحدة ولا أن تخلو خنثى بخنثى

وأما ذو المحارم من النسب والرضاع والمصاهرة ، وهم الذين لا يحل نكاح بعضهم لبعض أبداً فيجوز لهم الخلوة بهن ، وأما مملوك المرأة فيجوز له النظر الى غيرما بين السرة والركبة ، وكذلك الخلوة أيضا مع أمن الفتنة ، وكذا نظر المرأة الى المرأة ، ونظر الرجل الى الرجل ، ونظرهما إلى الأمة يجوز الى غير ما بين السرة والركبة فى جميع ذلك

ويحرم على الرجل أن يغتسل عرياناً بحضرة الناس ، وكذلك المرأة لا تغتسل عريانة بحضرة النساء ولو كانت أمها أو اخواتها أو بناتها

وأما فى الخلوة فيكره لهما الاغتسال عريانين إذ يجب ستر العورة فى الخلوة على الأصح ، لأنه لما قيل له ﷺ أفرأيت إذا كان الرجل خالياً ؟ قال: « فالله أحق أن يستحى منه » وقال ﷺ « إياكم والتعرى فان معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط ، وحين يفضى الرجل إلى امرأته فاستحيوهم وأكرموهم » وقال ﷺ : « إذا أتى الرجل أهله فليطرح على عجزها وعجزه شيئاً ، ولا يتجردا تجرد العيرين » وقال ﷺ « لا تخلع المرأة ثوبها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر فيما بينها وبين ربها »

وكما يحرم النظر فالمس أشد تحريماً ، فيحرم مس شيء من الأجنبية، ومس بطن

---

(١) قلت : قال ابو عبيد : الحمو هو ابو الزوج. وقوله الموت اى فلتمت ولا تفعل ذلك . فاذا كان هذا فى أبى الزوج وهو محرم فكيف بالغريب ونحوه ؟ ذكره الهروى . وقال : قوله الموت اى ان خلوة الحمو معها اشد من خلوة غيره من البعداء وجمع الحمو أحماء وهم قرابة الزوج . والاختان قرابة المرأة والصهر يجمعهما .

أمه وأخته وبنته وظهرها ، ولا يجوز أن يغمز ساق أمه ورجلها ، ولا أن يقبل وجهها ، ولا بأس أن تفلى رأسه ، وأن يضفر ذوائبها وينام فى حجرها ، ونحوه، ولا يجوز أن تغمزه بنته وأخته إلا أن يكون من دون حائل صفيق

ويحرم على الرجل ذلك فخذ الرجل بلا حائل ، فان كان من فوق إزار جاز مالم يخف . فتنة قال النووى : وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير الذكر والانثى ، وأخيه وأخته وقبلة غير خده من أطرافه على وجه الشفقة واللطف ومحبة القرابة فسنة مأثورة ، وكذا قبلة ولد صديقه وغيره من صغار الاطفال الذين لا يشتهون. وأما قبلة يد غيره ورجله فان كان لزهده أو صلاحه أو نحو ذلك فهو مستحب ، وان كان لغناه أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه ، وقيل حرام . ولا بأس بتقبيل وجه صاحبه إذا قدم من سفر ونحوه ، ومعانقته ، ولا بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك

وأما المعانقة وتقبيل الوجه لغير المذكورين فمكروهان . وهذا كله فى غير الامرد الحسن ، فأما هو فيحرم تقبيله بكل حال والنظر اليه على الاصح، قال النووى والظاهر أن معانقته كتقبيله .

وأما التقبيل بالشهوة فحرام على كل أحد غير الزوجين، سواء الوالد وغيره ، بل النظر بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والاجنبى ، ويسن مصافحة الرجل الرجل ، والمرأة المرأة عند كل تلاق مع البشاشة والدعاء بالمغفرة ونحوها ، قال ﷺ « مامن مسلمين يلتقيان فيتصافحان فيصليان على إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا » رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما ، وسيأتى فيه زيادة فى الباب السادس إن شاء الله تعالى . ولا بأس بها بعد صلاة الصبح والعصر لاسيما من لم يحصل لهما اجتماع قبلهما . هذا معنى كلامه

وتكره مصافحة الابرص ونحوه ، وتحرم مصافحة الامرد الحسن، ولا يجوز

أن يفضى فى ثوب واحد رجلان ولا امرأتان ، قال رسول الله ﷺ « لا يفضين رجل إلى رجل ، ولا امرأة إلى امرأة ، إلا إلى والد أولده فى الصغر، أو زوج .

﴿ فصل ﴾ ويجوز النظر بأسباب : أحدها للمداواة بقدر الحاجة إلى ذلك والثانى إذا أراد أن يتزوجها فله النظر الى الوجه والكفين لاغير ، الثالث فى المعاملة المفتقرة الى الشهادة عليها والتعريف بها ، للرجوع بالعهدة الى غير ذلك مما تدعو اليه ضرورة المعاملة ، فينظر الشاهد إلى الوجه لاغير ، الرابع المعلم ينظر بقدر الحاجة والضرورة ويجوز سماع صوتها والاصغاء اليه عند أمن الفتنة فى الأصح ، واذا احتاجت الى خطاب الاجانب فليكن بصوت غليظ لا رخيم

قال ابراهيم المروذى رحمه الله : فتأخذ ظهر كفها بفيها وتجيب كذلك ، ويجوز لها أن تستفتى وتستشير الرجال ، ويجوز النظر الى كل الصغيرة التى لا تشتهى ، وإلى كل بدن الزوج والزوجة ، والصبى إذا بلغ أو كان له شهوة كالبالغ فيجب الاحتجاب منه ، ومن المجنون ، ويلزم الولى أن يمنعه النظر فى هذه الحالة كما يمنعه سائر المحرمات ، ومن بلغ عشر سنين من ذكر أو أنثى وجب أن يفرق فى المضجع بينه وبين أمه وأبيه وأخته وأخيه لقوله ﷺ « وفرقوا بينهم فى المضاجع» ويحرم سفر المرأة بلا زوج لها أو محرم أو نسوة ثقات .

﴿ فصل ﴾ ويسن للمرأة أن تتزين لزوجها وأن تتطيب له لقوله ﷺ « خير النساء العطرة المطرة » [1]

وقال ﷺ « طيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه ، وطيب الرجال ما خفى لونه وظهر ريحه » وهذا إذا أرادت الخروج ؛ فان كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت . قالت عائشة : كنا نضمد جباهنا بالمسك على عهد رسول الله ﷺ ،

---

(١) قلت : والعطرة المتطيبة بالعطر ، والمطرة هى التى تتنظف بالماء .

فاذا عرقت إحدانا سال ذلك على وجهها فيراه النبي ﷺ ولا ينكره

ويسن لها أن تخضب يديها ورجليها بالحناء ونحوه ، قال ﷺ : « انى لأبغض المرأة أن أراها مرهاء أو سلتاء » [1]

وإنما يستحب لها تعميم اليد والقدم به دون النقش والتسويد والتطريف

وإنما يسن لذات الزوج شابة كانت أو عجوزة ، سواء أذن لها الزوج أم لم يأذن.

ويكره لغيرها ، قال العلماء : ولا بأس بتصفيف الطرة وتسوية الأصداغ للكل ، فقد صح أن النبي ﷺ نهى المرأة أن تحلق رأسها وأنه نهى عن اتخاذ القصة ، وقال « إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم »

فيحرم على المرأة وصل شعرها بشعر آدمى ، أو بشعر نجس ، وكذا بشعر طاهر غير شعر الآدمى إن لم تكن ذات زوج ولا سيد ، أو كانا ولم يأذنا لها بذلك ، فان اذنا جاز فى الأصح .

وكذا حكم تحمير الوجه ، والخضاب بالسواد ، وتطريف الأصابع ، وتجعيد الشعر ، والوشر — وهو تحديد الاسنان بالمبرد ليكون لها أشر كأسنان الأحداث ، ذكر ذلك الرافعى وغيره .

قال أبو عبيد : وقد رخصت الفقهاء فى القرامل ، — وهو كل شيء وصل به الشعر ـ مالم يكن الوصل شعراً . قال : وقد رخص فى الصفرة للشاب أيام عرسه

قلت : وفى هذا دليل على كراهيتها لغير العروس ، ولا بأس بها للنساء

واعلم أن الوشم حرام على ذات الزوج وغيرها ، وعلى الشابة وغيرها سواء أذن فيه الزوج أم لم يأذن ، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عنه ولعن الواشمة والمستوشمة ، فالواشمة هى التى تغرز ظهر الكف أو المعصم أو اللثة ونحوها بأبرة ونحوها ، حتى تؤثر فيه ثم تحشوه بالكحل أو النؤور فيخضر ، تفعل ذلك بدارة

---

(١) قلت : فالمرهاء التى لا كحل بعينيها ، والسلتاء التى لا خضاب بكفيها .

ونقوش ، والمستوشمة التى يفعل بها ذلك.

قال أبو عبيد : وأما ما روى عن قيس أنه قال : دخلت على أبى بكر رضى الله عنه فرأيت أسماء بنت عميس موشومة اليدين ، فيحمل على أن هذا كان منها فى الجاهلية ثم بقى فلم يذهب ، ويجوز للمرأة لبس الذهب والفضة وغيرهما من الحلى والحلل والحرير ، والتحلى بذلك كيف شاءت بلا إسراف

ولا يجوز لها استعمال أوانى الذهب والفضة ؛ ولا الدراهم والدنانير التى تثقب وتجعل فى القلادة على الأصح ، ولا أن تحلى ربعتها ومرآتها ؛ ويحرم شبيهن بالرجال فى اللبسة والهيئة ، كما يحرم تشبه الرجال بهن ، ويكره لها ترك الحلى تشبهاً بالرجال والله أعلم

وأما الرجل فيحرم عليه خضاب يديه ورجليه بالحناء إلا لحاجة أو قرحة ، نص على ذلك القاضى الحسين ، والبغوى . والعجلى ، والجيلى ، والنووى ، وغيرهم . وذكر النووى فى شرح المهذب أن بعض العلماء صنف كتاباً فى إثبات تحريمه والرد على فاعله ، فمن فعل ذلك من الرجال مع العلم بتحريمه أثم . ولم يصح عن النبى ﷺ فى ذلك شىء ؛ بل الوارد عنه فى خضاب الشعر الشائب لا غير ، فانه يسن خضاب الرأس واللحية بصفرة أو حمرة ، وأحسن ما غير به الشيب الحناء والكتم [1] كذا قاله النبى ﷺ ويحرم خضابه بالسواد إلا لجهاد الكفار .

ودليل جميع ما ذكرته من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة معروف مشهور وفى كتب الفقه والحديث مسطور مذكور والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ويجوز فى وقتنا هذا اللعب بالبنات للنساء الصغار ، وبيعهن وشراؤهن لانه به تعلم الحضانة والمرون عليها ، قالت عائشة : كنت ألعب مع الجوارى بالبنات ، فاذا رأين النبى ﷺ انقمعن وانزوين أى تغيبن فيسربهن إلى

(١) نبت يصبغ به الشعر فيكون أسود .

قال أبو عبيد : والمراد من الحديث الرخصة فى اللعب التى يلعبن بها الجوارى وهى البنات وهى تماثيل مخصوصة من الصور المنهى عنها ، وليس وجه ذلك إلا من أجل أنها لهو للصغار ، ولو كان ذلك للكبار لكره ، فانه يجوز للصغار مالا يجوز للكبار من اللعب واللهو والغناء والحرير والحلى ونحوها

ولا بأس أيضا بنصب الأرجوحة واللعب عليها للرجال والنساء ، نص على ذلك العمرانى فى فتاويه ، والنووى والقاضى عياض وغيرهم . وقالت عائشة رضى الله عنها : تزوجنى النبى ﷺ لست سنين ، فقدمنا المدينة فوعكت شهراً فتمزق شعرى فوفى [1] جميمة ، فأتتنى أمى وأنا على أرجوحة ومعى صواحبى، فصرخت بى فأتيتها وما أدرى ما تريد بى ، فأخذت بيدى فأوقفتنى على الباب ، فقلت : هه هه ، حتى ذهب نفسى ، فأدخلتنى بيتا فاذا بنسوة من الانصار ، فقلن على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتنى إليهن ، فغسلن رأسى وأصلحن من شأنى ، وأصلحننى فلم يرعنى إلا النبى ﷺ ضحى ، فأسلمتنى اليه .

قال العمرانى أيضاً وحكى عن بعض العلماء أن الارجوحة تنفع لوجع الظهر ، والحديث فى الأمر بقطعها مرسل ذكره البيهقى ، وذكر الحكيم الترمذى إباحتها للصغار مطلقا ، وللكبار للتداوى وغرض صحيح . وحمل قطعها على من اتخذها للهو واللعب. وذكر فى الروضة ان الرقص الذى لا تكسر فيه لا يحرم ، لكن ترد الشهادة بالمداومة عليه لترك المروءة ، فان كان فيه تثن وتكسر شبه أفعال المخنثين فهو حرام على الرجال والنساء والله أعلم

﴿ فصل فى النية الصالحة ﴾ اعلم أن أفعال العباد كلها تنقسم إلى المعاصى والطاعات ، والمباحات ، فما كان فى نفسه معصية فلا يصير عبادة بالنية أصلا :

---

(١) كذا فى الاصلين . وفى النهاية : وقد وفت لى جميمة اى كثرت والجميمة تصغير الجمة والجمة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين

وأما الطاعات فلابد فيها من النية ، ولا يصير أصلها طاعة إلا بالنية، لقوله ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » لكن بدوام النية وحسنها تتضاعف درجاتها . ورب فعل هو فعل واحد من حيث العدد ، ويمكن أن يصير بسبب حسن النية جملا من العبادات ، كما لو جلس فى المسجد فينوى زيارة الله تعالى كما ورد فى الحديث « من قعد فى المسجد فقد زار الله وحق على المزور أن يكرم الزائر » وينوى انتظار الصلاة فالمنتظر للصلاة فى الصلاة ، كذا ورد فى الحديث ، وينوى أيضاً الاعتكاف وهو اللبث فى المسجد على وجه القربة ، ومعناه كف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات المعتادة فانه نوع صوم قال ﷺ : « رهبانية أمتى القعود فى المساجد » وينوى كف الجوارح عن المعاصى والتحصن فى المسجد ، وينوى الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر فى الآخرة وكيفية الاستعداد لها ، وينوى إفادة علم أو تنبيه من نسى الصلاة ونحو ذلك ، وينوى استماع ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فكل هذه خيرات مترادفة بسبب النية الصالحة

وأما المباحات فانها تصير عبادة بحسن النية ، فينبغى الاعتناء بهذا الفن إذ به تصير جميع الحركات والسكنات عبادات ، فيفضى به إلى أن لا يضيع من عمره العزيز لحظة من اللحظات ، ويتميز بذلك عن البهائم فان من شأنها الاتيان بما يتفق من غير قصد ولا نية ، وقد قال ﷺ « ان العبد يسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه، وعن فتات الطين بأصبعيه وعن لمس ثوب أخيه » وقال ﷺ « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة » فمن حافظ على جميع أعماله لتكون على أحكام السنة ونية الخير فهو من المقربين

مثاله أن ينوى بالنكاح قضاء شهوتهما لئلا تطمح العين الى ما حرم الله

تعالى ، أو التماس ولد يوحد الله وتكثر به أمة محمد ﷺ ، ويدخل به السرور عليه ﷺ إذ يباهى الأمم بكثرة أمته ، وأن ينوى بلبس الثوب طاعة الله فى ستر العورة ، والتجمل الى خلق الله ولا ينوى به الرياء والمفاخرة . وينوى بالأكل التقوى على طاعة الله . وينوى بالتطيب اتباع السنة ودفع الاذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة عنه . وإيصال الرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة اذا شموا منه رائحة كريهة وينوى بترك الطيب ونحوه صيانة قلوب الناس عن الحسد كما قال بعضهم : إنى لأترك لبس الجديد خشية أن يحدث الحسد فى قلوب جيرانى

ومن مل العبادة وعلم أنه إذا نام زاد نشاطه فالنوم أفضل له ، بل لو علم مثلا أن الترفه بدعابة وحديث مباح فى ساعة لطيفة يرد نشاطه فذلك أفضل له من العبادة مع الملل ، وعلى هذا يحمل ما يحكى عن الافاضل من أشياء قد ينكرها الجاهل ، قال أبو الدرداء : إنى لأجم نفسى بشىء من الباطل لأستعين به على الحق . وقد كان النبي ﷺ إذا أراد الخروج الى أصحابه ينظر وجهه فى جب الماء . ويسوى شعره ويعدل عمامته ، فتقول له عائشة : أو تفعل هذا يارسول الله ؟ فيقول «نعم ! يستحب للعبد أن يتزين لأخوانه إذا خرج إليهم» فهذا منه ﷺ عبادة لأنه مأمور بدعوة الناس ، ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك والله أعلم . وقد أمر النبى ﷺ المحدث فى الصلاة أن يأخذ بأنفه وينصرف ليوهم أن به رعافاً ، وهو نوع من الأدب فى ستر العورة وإخفاء القبيح ، والكناية عن الأقبح بالأحسن ، ولا يدخل فى باب الرياء والكذب ، إنما هو من باب التجمل والحياء والسلامة من الناس ، وكل هذا محتاج الى حسن النية والله أعلم

الباب الثالث

فيما تجلب به البركة

مما يورث الوقر ، وينفي الفقر ، ويمد العمر ، ويعظم الأجر ، ويذهب بالوزر ، وانما ترجمته بهذه الترجمة لأني رأيت حب الدنيا قد غلب على القلوب ، ودخل كل الناس في هذا الاسلوب ، فأحببت أن أورد من العبادة مايجمع لهم الافادة ، في العاجل والآجل ، لعل حب الفضائل العاجلة التي ذكرتها ، والفوائد الجمة التي بينتها يقوى عزمهم على اعتماد ذلك ، واستعمال ماهنالك ، فيحصل به خير الدارين ، وسعادة المحلين ، ان شاء الله تعالى ، فأربح بذلك أجراً يمحو سيئاتي ، ودعوة نافعة تدركني في حياتي أو تلحقني بعد وفاتي ، والله الكريم أسأل غفران تبعاتي ، واصلاح أحوالي ونياتي ، انه لطيف حليم رؤف رحيم

وقد قسمته أربعين قسما ، ونظمت الفوائد في سلكه نظماً .

القسم الاول — في تقوى الله وحسن التوكل عليه : قال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال سبحانه وتعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) قال ﷺ « من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة » وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) قال الواحدي : أي يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة . وقال تعالى (ثم ننجي الذين اتقوا) وقال تعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) وقال تعالى (إنما يتقبل الله من المتقين) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا أيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة » ثم قرأ ﷺ (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعني يقنعه برزقه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعني البركة في الرزق

وقال ﷺ « من اتقى الله أهاب الله من كل شىء ، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شىء » وقال الجوزى رحمه الله : كان شيخ يدور فى المجالس ويقول : من سره أن تدوم له العافية فليتق الله . وقال الأعمش رحمه الله : من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه . وقال القشيرى فى رسالته : وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن عقوبته. وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وقال ﷺ « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً » ومعنى التوكل هو أن تفوض أمرك إلى الله ، ويثق به قلبك ، وتطمئن بالتفويض اليه نفسك ، وليس من شرط التوكل ترك الكسب والتداوى والاستسلام للمهلكات ، فذلك خطأ ، بل حرام فى الشرع ، وإذا اعتقدت أن لا حول ولا قوة إلا بالله . فالحول الحركة ، والقوة القدرة ، فاذا كان هذا حالك فأنت متوكل عليه ، وإن سعيت وتكسبت ذكره الغزالى . قيل لأبى حازم : إن البر قد غلا ؟ فقال : والله لو بلغ حبة بمثقال ما باليت ، علينا أن نعبده كما أمرنا ، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا . وقال ﷺ « من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله اليها » .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء أن ينادى : إن ربكم يقول : من تحول لى مما أكره إلى ما أحب تحولت له مما يكره إلى ما يحب

القسم الثانى — كثرة الاستغفار ، آناء الليل وأطراف النهار ، مع الندم وترك الاصرار ، قال الله تعالى (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) وقال تعالى (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى) الآية .

وقال تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال ﷺ «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجا وزرقه من حيث لايحتسب» رواه أبو داود. وقال ﷺ «من قتر الله عليه فى رزقه فليكثر من الاستغفار» وقال ﷺ «سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت، أعوذ بك من شر ماصنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها فى النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل موقناًبها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخارى فى صحيحه [1]

القسم الثالث — الصلاة وإقامتها بالخشوع، وتعديل الأركان، والجماعة فى الفرائض، كان رسول الله ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة قال «قوموا إلى الصلاة، بهذا أمرت» قال الله تعالى (وأمر أهلكبالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) وقال ﷺ «من صلى الصبحفهوفى ذمة[2] الله فلا تخفروا الله فى ذمته» رواه مسلم فى صحيحه. قال الطحاوى: فى هذا دليل على أن صلاة الصبح سبب للحفظ والعصمة ودفع الآفات. وقال ﷺ «إذا صليت كلهن — يعنى الخمس — حلت عنك هذه عقدة، وأطلقت عنك هـذه عهدة، وصرفت عنك هـذه عظيمة، ووضعت عنك هذه كبيرة، وغسلت عنك هذه موبقة، ثم نوافلك لك بعد ذلك زلفى» وقال ﷺ «خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عهد عند اللهأن يدخله الجنة، ومن لم يأت بهن فليس له عندالله عهدإن شاء عذبه وإن شاءأدخله الجنة» وقال عامة المفسرين فى قوله تعالى(إن الحسنات يذهبن السيئات)يريدإن

---

(١) ومعنى قوله ابوء اى اقر واعترف

(٢) قوله فى ذمة الله اى فى ضمانه وامانه

الصلوات الخمس تكفر ما بينهما من الذنوب. وكان ﷺ إذا حزبه أمر صلى، أي إذا نزل به مهم. وقال ﷺ « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » . وقال ﷺ « الصلاة مرضاة للرب ، وإجابة للدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة في الأموال ، وسعة في الأرزاق ، وراحة في الأبدان ، وسلاح على الأعداء » وقال وهب : كانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة . وقال : ما نزل بأحد منهم كربة إلا فزع إلى الصلاة . وقال ﷺ « يدفع بمن يصلى من امتى عمن لا يصلى ، وبمن يزكى عمن لا يزكى ، وبمن يصوم عمن لا يصوم ، وبمن يحج عمن لا يحج ، ولو أنهم اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين » وقال ﷺ « لولا عباد لله ركع ، وصبية رضع ، وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صباً »

وكان ابن المسيب يقول إذا رأى ابنه : أى بنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية (وكان أبوهما صالحاً) وكان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء قال النووى : الصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الخلق. وقال ﷺ « إن الله ليرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) الآية قال ابن عباس : وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى (وأن ليس للانسان إلا ما سعى) فيدخل الله الأبناء الجنة بصلاح الآباء. وقال ﷺ « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت من جيرانه البلاء » وقال ﷺ « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله ما دام فيهم » ويروى « إن الله ليحفظ بالصالح من بعده ثمانين سنة ». وقال ﷺ « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بأفضل من سجود خفى وقال ﷺ « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة »

﴿فصل﴾ ولا يكمل الفضل إلا بالخشوع وتعديل الأركان قال ﷺ « لا ينظر الله يوم القيامة إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده » وقال ﷺ « أما يخاف من يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » وقال ﷺ « الالتفات فى الصلاة هلكة » وقال ﷺ « من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهى بيضاء مسفرة ، تقول حفظك الله كما حفظتنى ومن صلاها لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول ضيعك الله كما ضيعتنى ، حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » وقال ﷺ لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه .

ويروى أن الله تعالى قال : إنما يسكن بيتى وأتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ، وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلى ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك الذى يضىء نوره فى السماء كالشمس ، إذا دعانى لبيته ، وإذا سألنى أعطيته .

قلت : ولفظة إنما تقتضى الحصر ، أى لا تقبل الصلاة إلا من هذا الموصوف ولا تقبل من غيره . وقال ﷺ « كم من قائم ليس له من صلاته إلا النصب والتعب » قال الغزالى رحمه الله : وما أراد الا الغافل .وقال ﷺ « ان العبد ليصلى صلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها ، وإنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها »

واعلم أن قول الفقهاء فى الصلاة التى لا يحضر فيها القلب ولا يتم فيها السنن إنها صحيحة ، كقول الطبيب فى وصيفة مقطوعة الأطراف أهديت للسلطان : إنها حية ، فإن كان ذلك كافياً فى التقرب بأهدائها إلى الملك فالصلاة الناقصة صالحة

للتقرب بها الى الله تعالى ، فان أوشك أن ترد الجارية الى مهديها ويزجر فلا يبعد مثل ذلك فى الصلاة كما تقدم فى الحديث

فينبغي للمصلى أن يجمع قلبه ويصرف شواغله ، وعلاجه أن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم ، ولا يترك بين يديه ما يشغل قلبه ، وأن لا يكون إماماً . وأصل تفرق القلب من حب الدنيا الذى هو أساس كل نقصان ، ومنبع كل فساد وخذلان، فليعلم الانسان انه فى صلاته يناجي ربه ، والمناجى مع الغفلة والاعراض حقيق بأن يؤدب . وليذكر خطر المقام بين يدى الله تعالى فى الآخرة وموقف الحاجات ثم، وسرعة انتقاله عن الأحباب ، ووداعه للأهل والأصحاب ، وإيداعه فى ظلم التراب ، فكيف يغفل عن آخرته من هذه عاقبة عيشته ؟

قال بعضهم : ان العبد ليسجد السجدة عنده أنه تقرب بها الى الله تعالى ، ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل فكيف ذاك ؟ قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ الى الهوى ومشاهد إلى باطل قد استولى عليه فنسأل الله تعالى أن يوفقنا ، ويختم لنا بخير ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً كذا قاله رسول الله ﷺ . وفى رواية « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة » وطاعة الصلاة أن ينهى عن الفحشاء والمنكر .

﴿ فصل ﴾ وللمواظبة على الجماعة أصل كبير فى ذلك قال ﷺ «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وقال ﷺ إن الله ليستحي من العبد إذا صلى فى جماعة ثم سأل حاجته أن ينصرف حتى تقضى له حاجته » وقال ﷺ « أفضل الاعمال عند الله صلاة الغداة يوم الجمعة فى جماعة »

ويقال من داوم على صلاة الجماعة أعطاه الله خمس خصال ، يرفع عنه ضيق المعيشة ، ويدفع عنه عذاب القبر ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب

القسم الرابع — صلاة الضحى قال رسول الله ﷺ « ركعتا الضحى تجلب الرزق وتنفى الفقر » وقال ﷺ حاكيا عن ربه تعالى « ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » رواه الترمذى وأبوداود ، وحمل ذلك على صلاة الضحى. وقيل على صلاة الصبح وركعتى الفجر . وقال ﷺ « يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » . رواه مسلم والسلامى: بضم السين وفتح اللام والميم العضو . وفى ابن آدم ثلاثمائة وستون مفصلا

وليواظب على أربع ركعات عند الزوال . قال ﷺ « من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى عصمه الله فى أهله وماله ودينه ودنياه »

القسم الخامس — : المواصلة بين المغرب والعشاء بالذكر والصلاة والقرآن ، فله أثر كبير فى ذلك قال ﷺ « من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة حفظ الله أهله وماله ودينه ودنياه وآخرته » ويروى « من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد ثلاث مرات حفظه الله فى ستة أشياء ، فى نفسه ، ودنياه ، وآخرته ، واهله ، ودينه ، وماله » ويروى بأم القرآن وقل هو الله أحد مرة حفظ الله له سمعه ، وبصره ، وعن يمينه ، وعن شماله ، وفوق رأسه ، وتحت قدميه ، وامام وجهه ، ووراء قفاه ، وبورك له فى ماله ودنياه ودينه وآخرته واولاده » وقال ﷺ « من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة » رواه الترمذى وقال ﷺ « من عكف نفسه مابين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لا يتكلم الا بصلاة وقرآن كان حقاً على الله تعالى أن يبنى له قصرين فى الجنة ، مسيرة كل قصر منهما مائة عام » وقال ﷺ « من نام قبل العشاء فلا أنام الله عينه »

وقال الجوزى فى قوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا يسهرون قليلا من الليل . قال أنس : وهو ما بين المغرب والعشاء . وكذا ذكره الواحدى فى قوله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أنه فيما بين المغرب والعشاء ونحوه روى الثعالبى وفيه أقوال أخر والله أعلم .

القسم السادس — صلاة الوتر ، وسنة الفجر ، وسائر الرواتب ، قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى أمركم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وهى الوتر » وقال ﷺ « ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها » وقال ﷺ « من صلى فى كل يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً فى الجنة ، ركعتين قبل صلاة الفجر ؛ وأربعاً قبل الظهر ، وركعتين بعدها ؛ وركعتين بعد المغرب ؛ وركعتين بعد العشاء » وقال ﷺ « من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » وقال ﷺ « رحم الله عبداً صلى أربعاً قبل العصر » وكان يصلى قبل العصر ركعتين ، وبعد العشاء أربعاً . وينبغى فعلها فى البيت . وقال ﷺ « من أوتر فى بيته بورك له فى أهله وماله وفى تجارته وفى كل شىء من أمره » وقال ﷺ « إذا قضى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل فى بيته نصيباً من صلاته فان الله تعالى جاعل فى بيته من صلاته خيراً »

﴿ فصل ﴾ واعلم أن قيام الليل قربة فاضلة قال ﷺ « من قام من الليل فتوضأ وأسبغ الوضوء ثم قام فصلى فواق ناقة غفر الله له » وقال ﷺ « عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى ، وتكفير للسيئات ومنهاة عن الآثم ، ومطردة للداء عن الجسد » وقال ﷺ « قيام الرجل فى جوف الليل يطفىء كل خطيئة » وقال ﷺ « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فان استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، فان توضأ انحلت الثانية ، وإن صلى انحلت

عقده كلها ويصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان »

فينبغي أولا أن يعرف ما يعين على قيام الليل وهو قلة الأكل والشرب ، وأن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تضعف بها الأعصاب ، وأن لا يترك القيلولة ، وأن يجتنب الآثام فانها تحول بينه وبين أسباب الرحمة ، وملقاة أول الليل مهدمة لآخره

ومما يعين على القيام سلامة القلب من الحقد والبدع ،ومن فضول هموم الدنيا ، فمن استغرق الهم في أمر الدنيا لم يتيسر له قيام الليل ، وإن قام فهو في وساوسها ، وربما كان حظه السهر والتعب ، وأشرف البواعث لذلك حب الله وقوة الايمان به ، وقد كان قيام رسول الله ﷺ على غير ترتيب ، كان يقوم مرة نصف الليل ، ومرة ثلثه ، ومرة ثلثيه ، ومرة سدسه

وأقل مراتب القيام مقدار ركعتين . قال ابن عباس : من صلى بالليل بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجداً وقائماً وقال ﷺ « قوموا من الليل ولو قدر حلب شاة ، فان لم يتيسر له طهارة فيسن أن يمسح أعضاءه بالتراب ، ون لم يتيسر له فليقعد ساعة مستقبلا للقبلة مشتغلا بالذكر والدعاء والفكر في قدرة الله تعالى فانه يكتب من جملة قوام الليل برحمة الله ومشيئته ؛ ذكره الغزالي . قال : ونوم آخر الليل مستحب لأنه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه .

قلت وهذا بشرط الاستيقاظ للفجر في أول وقته أو قبله ، وينبغي لمن أراد النوم أن يعد سواكه وطهوره لقيامه ، ويستاك كلما انتبه وينام متطهراً تائبا من كل ذنب بعد أن يوصي بما يحتاج إليه فلعل روحه لا ترد عليه . فالنوم أخو الموت ، والمحروم من حرم وصيته قاله النبي ﷺ

ولا ينعم تمهيد فراشه ، ولا يتكلف استجلاب النوم إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام آخر الليل وينوي القيام للعبادة قال ﷺ « من أتى فراشه

وهو ينوى أن يقوم يصلى بالليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى » وسيأتى ما يقول عند إرادة النوم فى الباب السابع إن شاء الله تعالى

واعلم أنه يكره قيام كل الليل دائما ، وترك كل تهجد أو ورد اعتاده بلا عذر ، ويسن لمن قام إلى تهجد أن يوقظ معه من يطمع بتهجده إذا لم يخف ضررا ظاهراً ، فأن أبى نضح فى وجهه الماء

﴿ فصل ﴾ وينبغى الاجتهاد فى الليالى الفاضلة أكثر من سواها وهى خمس عشرة ليلة ، أوتار العشر الأخير من رمضان ، وفيها ليلة القدر ، وهى ليلة طلقة لا حارة ولا باردة ، تطلع الشمس صبيحتها بيضاء ليس لها كثير شعاع ، وهى ليلة مباركة لا يحدث فيها داء ، ولا يرسل فيها شيطان ، وليلة سبعة عشر من رمضان ، وليلة عرفة ، وليلتا العيدين ، وأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء منه ، وليلة أول جمعة من رجب

قال ﷺ « مامن أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة » الحديث إلى قوله « ثم يسأل حاجته فى سجوده فانها تقضى » قال النبى ﷺ « لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الاشجار ، ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » قال الغزالى: فهذه صلاة مستحبة نقلها الآحاد ، ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها . وسيأتى الكلام فيها مستقصى آخر الباب السابع إن شاء الله تعالى

وليلة نصف رجب ، وليلة سبعة وعشرين من رجب وهى ليلة المعراج ، من صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وسورة ويتشهد فى كل

ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ، ويستغفر الله مائة مرة ، ويصلى على النبي ﷺ مائة مرة،ويدعو بما شاء من دنياه وآخرته ويصبح صائما ، فان الله سبحانه وتعالى يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية ، كذا ذكره فى الاحياء ،عن النبي ﷺ وليلة النصف من شعبان وهى ليلة الخامس عشر ، ليلة البراءة ،وليلة الصك يصلى فيها مائة ركعة ، يسلم من كل ركعتين ،ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد عشر مرات ،وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة . قال الغزالى : فهذه مروية من جملة الصلات كان السلف يصلونها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روى عن الحسن رضى الله عنه أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه قال « من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة يقضى له فى كل نظرة سبعين حاجة، أدناها المغفرة» ذكره فى الأحياء وفى كتاب أنس المنقطعين وقال ﷺ « فى ليلة النصف من شعبان يكون هبوط جبرائيل وملائكة الله من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ،فارغبوا فى صيامه وإذا طبختم اللحم فاطبخوا الحب ، فان لكم بكل حبة عشرة آلاف حسنة ، ويمحى عنكم عشرة آلاف سيئة ، ويرفع لكم عشرة آلاف درجة ، وإن يوم النصف من شعبان تصومه الانس والجن والطير والوحوش والسباع والبهائم وحيتان البحر وهوام الأرض، وإن الطير تقول هذه ليلة النصف من شعبان ،وإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، أو مدمن خمر أو قاطع رحم ، فصلوا فى ليلة النصف من شعبان ركعتين فاقرؤا فى أولاهما فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ألف مرة . وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة واكتحلوا فى أحد عينيكم ثلاث مرات ،وفى الاخرى مرتين ، ليقيكم الله رمدها ، وصلوا فى يومها

يحتسب لكم بكل ركعة ما كان عليكم من صلاة فتكم ، وحركوا أوعيتكم فى بيوتكم فان الله يبارك لكم فيما أوعيتم فيها الى السنة المستقبلة ، وإن الله اذا غفر لعبده المؤمن وقبل منه لم يعذبه أبداً » وقال ﷺ «من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات محيت عنه سيئاته وبورك له فى عمره » روى ذلك عن المقرى جمال الدين محمد ابن يوسف التباعى إجازة باسناده المتصل إلى النبى ﷺ قال المقرى رحمه الله : وهذا شىء عظيم أعنى محو السيئات والبركة فى العمر ، وهذا قدر ما يصليها أهل الوقت فى الغالب لاجتماع الناس فيها فيجتمع عليهم النوم ، واستحياء بعضهم من بعض ، والصلاة أمرها عظيم لا يقابل الله بشىء من ذلك الا بالصدق وحضور القلب ، وأى حضور مع النائم والغافل الذى قد ملىء قلبه من شغل الدنيا والوسواس وهذا الذى يكفى جميع الناس ، اذ قد غلب على كثير من أهل الوقت الكسل والفتور وعدم متابعة الشريعة فى العبادات وغيرها . ما العباد وأهل الاخلاص فدونهم المائة وأكثر . هذا معنى كلامه رحمه الله

قال الامام الشافعى رحمه الله : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال ليلة الجمعة وليلتى العيدين وأول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان والله أعلم

فهذه الليالى مواسم الخيرات ، ومظان التجارات ، فينبغى لكل أحد أن لا يضيع حظه منها ، وأفضل الليل آخره . قال ﷺ « إذا بقى ثلث الليل الأخير نزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول : من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له ، من ذا الذى يسترزقنى فأرزقه ، حتى ينفجر الصبح »

القسم السابع — الاجتهاد بالطاعة أول النهار فأن الله تعالى يقسم أرزاق الخلق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، كذا قاله النبى ﷺ وذلك من أفضل الأوقات للذكر ونحوه قال ﷺ « من صلى الغداة فى جماعة ثم ذكر الله تعالى وذكر به حتى تطلع الشمس ، ثم صلى أربع ركعات لم يضره شىء من خلق الله

من ساعته تلك إلى مثلها من الغداة » وقال ﷺ « يقول الله تعالى يا ابن آدم اذكرنى من بعد صلاة الفجر ساعة ، وبعد صلاة العصر ساعة ، أكفك ما بينهما » وقال ﷺ « من صلى الفجر فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » رواه الترمذى. وقال ﷺ «الصبحة تمنع الرزق» — يعنى النوم أول النهار وقال عمر : إياكم ونومة الغداة فإنها مبخرة للفم مجفرة مجعرة أى تورث البخر ، وتيبس الطبيعة ، وتقطع النكاح . وقال علقمة بن قيس : بلغنا أن الأرض تعج الى الله تعالى من نومة العالم بعد صلاة الصبح . ذكره البغوى فى شرح السنة . وليقل الكلام فى هذا الوقت ففى استدامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر والقراءة فى هذا الوقت أن اثر كثير وبركة غير قليلة ، يجده من واظب عليه ومن أحكم أول نهاره فقد أحكم بنيانه . وقال ﷺ « من قعد فى مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتى الضحى لا يقول إلا خيراً غفر الله له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر » وكان ﷺ إذا صلى الصبح تربع فى مصلاه حتى تطلع الشمس حسناء. والآثار فى ذلك كثيرة مشهورة والله أعلم.

القسم الثامن — كثرة الصدقة والسخاء وحسن الانفاق . قال الله تعالى: (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) الآية وقال ﷺ « الصدقة تنمى الرزق » ويروى « الصدقة تزيد فى العمر والمال » وقال ﷺ « الصدقة فى السر تطفىء غضب الرب ، والصدقة العلانية تذهب عن صاحبها سبعين ومائة شر . والصدقة تكفر الخطيئة وتطفىء غضب الرب . والصدقة شىء عجيب قالها ثلاثاً . وقال ﷺ «التواضع لا يزيد العبد إلا عزاً فعفوا[1] يعزكم الله تعالى . والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة . فتصدقوا يرحمكم الله » ويروى « ما نقص مال من صدقة »

---

(١) كذا فى الاصول ولعله تواضعوا الخ والخطأ من الناسخ.

وقال ﷺ « لا تبخلوا على إخوانكم بذات أيديكم فيمسك الله ما فى يديه عنكم ، دن ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، ولا تمنعوهم المعونة بأنفسكم والمشى فى حوائجهم فيحجب الله دعاءكم عنه » وقال ﷺ « من أملق فليتاجر الله بالصدقة » وقال ﷺ « توبوا إلى الله وتحببوا اليه بالصدقة تجبروا وتنصروا وترزقوا » وقال ﷺ « بركه الأموال الصدقة » وقال ﷺ « واسوا الفقراء توسع أرزاقكم » ويروى « مواساة الفقير المؤمن تنمى الرزق » وقال ﷺ « من لا ينفق لا يرزق » ويروى « من حبس رزقاً حبس عنه » وقال ﷺ « الصدقة ترد القضاء المبرم »

ويروى أن ملك الموت أخبر سليمان بن داود عليه السلام بموت شاب بعد خمسة أيام ، فبقى سليمان يراعيه خمسة أشهر فلم يمت ، فسأل ملك الموت عن حاله فقال : إنه لقيه سائل فدفع اليه شيئاً فدعا له بالبقاء فأمرت بتأخيره لبركة صدقته. وقال ﷺ « ما من رجل يتصدق يوماً وليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة و هدمة أو موت بغتة » وقال ﷺ « السخاء خلق الله الأعظم » وقال للزبير بن العوام « يا زبير أتدرون ما ذا قال ربكم ؟ قالوا الله ورسوله أعلم ، قال « قال لما استوى على عرشه ونظر إلى عباده : يا عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم أرزاقكم بيدى فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم واطلبوا منى أرزاقكم وإلى فارفعوا حوائجكم وتظاهوا إلى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم ، أتدرون ماذا قال ربكم ؟ قال لى ربكم أنفق أنفق عليك ، ووسع أوسع عليك ، ولا تضيق فأضيق عايك ، ولا تصر فأصر عليك ، ولا تحزن فأحزن عليك ، إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرش فلا يغلق ليلا ولا نهاراً ، ينزل الله منه الرزق على كل امرىء بقدر نيته وعطيته ونفقته . من أكثر أكثر عليه ، ومن أقلل اقلل عليه ، ومن أمسك أمسك عليه ، يا زبير فكل وأطعم ولا توكى فيوكي عليك ، ولا تحصى فيحصى

عليك ، ولا تقتر فيقتر عليك ، ولا تعسر فيعسر عليك ، إن الله يحب الانفاق ويبغض الاقتار ، وإن السخاء من اليقين والبخل من الشك ، ولا يدخل النار من أنفق ، ولا يدخل الجنة من أمسك ، يا زبير إن الله يحب السخاء ولو بشق تمرة ، والشجاعة ولو بقتل عقرب أوحية، وقال إن الله يحب الصبر عند زلزلة الزلازل ، واليقين النافذ عند مجيء الشهوات ، والعقل الكامل عند نزول الشبهات ، والورع الصادق عند الحرام والخبائث ، يا زبير عظم الاخوان ، وأجلل الأبرار ، ووقر الأخيار ، وصل الجار ، ولا تماش الفجار ، تدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب وقال ﷺ « إن الله تعالى يدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء » وقال ﷺ « مناولة المسكين تقي ميتة السوء وميتة السوء أن يموت مصراً على المعصية ، أو قانطاً من رحمة الله تعالى ، أو ظالماً ، أو قاطعاً لرحمه ، أو يفاجأ بالموت ، أو يختم له بسوء ، أو يموت هدماً أو غرقاً أوحرقاً أو لديغاً أو شبه ذلك » ذكره في نوادر الأصول

ويروى « الصدقة تمنع ميتة السوء » وقال ﷺ « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء »

ويروى أن امرأة غاب عنها ولدها غيبة طويلة وأيست منه ، فجلست يوماً تأكل فكسرت لقمة وأهوت بها إلى فيها ، فوقف سائل فحملت اللقمة اليه وبقيت جائعة ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ولدها وأخبرها بشدائد مرت به ، قال : ومن أعظم ذلك أني كنت منذ أيام أمشي في أجمة في موضع كذا ، إذ خرج علي أسد فقبض علي من ظهر حمار كنت راكبه ، وتشبكت مخالبه في مرقعتي وثيابي ، حتى تحيرت وذهب عقلي ، فأدخلني الأجمة وبرك ليفترسني ، فجاء رجل أبيض الوجه والثياب فقبض بيده من غير سلاح على قفا الأسد وشاله وخبط به الأرض ، وقال : قم يا كلب لقمة بلقمة ، فقام الأسد هارباً ،

ورجع إلى عقل فلم أجد الرجل ، فمشيت حتى لحقت القافلة فعجبوا لما رأونى ، ولم أدر ما قول الرجل لقمة بلقمة . فنظرت المرأة فذا هو يوم أخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها . ونحوه روى فى امرأة أخرى خرجت ومعها صبى لها . فاختاسه منها الذئب فخرجت فى أثره ومعها رغيف ، فعرض لها سائل فأعطته إياه فجاء الذئب يصبيها حتى رده اليها وقال لقمة بلقمة .

ويروى أن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم مر به مسكين فتصدق عليه برغيف ، فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال ﷺ « إذا أذنبت ذنباً فعجل فى إثره صدقة قبل أن تنزل عليك عقوبة » وقال ﷺ « الضيف ينزل برزقه ، ويرتحل مغفوراً لأهل البيت » وقال ﷺ «أكرم الضيف ولو كان كافراً فان الضيف مفتاح الجنة ، والبركة مع الضيف » وقال ﷺ « ما أتى أحداً من المسلمين ضيف إلا ومعه ملكان يكتبان لصاحب البيت لكل لقمة ألف حسنة . ويرفع له مائة درجة ، ولا يكتب على صاحب البيت سيئة بعد الضيف أربعين يوماً ، ويكون فى أمان الله تعالى » وقال ﷺ « إذا اشتد غضب الله على عبد لزم عنه الضيف وطالب الحاجة » وقال ﷺ « كن لله يكن لك واخدمه يجازك » وقال ﷺ « ما طلعت الشمس قط إلا بجنبتيها ملكان يقولان : اللهم عجل لمنفق خلفاً ، وعجل لممسك تلفاً » وقال ﷺ حاكياً عن ربه تعالى « من تصدق لوجهى سراً وجهراً نشرت عليه رحمتى صباحاً ومساء » وقال ﷺ « تجافوا عن ذنب السخى دن الله آخذ بيده كلما عثر » قلت : وإن كان كافراً فقد روى أن موسى عليه السلام هم بقتل السامرى فقال الله له : لا تقتله فانه سخى . وقال ﷺ « الرزق » ويروى « الخير أسرع إلى البيت الذى يغشى من الشفرة إلى سنام البعير » ففى هذا حث على المعروف وبذل الطعام وبشارة بسرعة الخلف والاضعاف كسرعة الشفرة إلى سنام البعير وهو أسمنه

وأفضله عند العرب كأنه يقول بمقدار ماينحر ويسلخ ويهوى بالشفرة إلى سنامه يأتيه الخير بل أسرع من ذلك . وقال ﷺ : ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ؟ وقالت أسماء : يابناتى تصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه ، وإن تصدقتين لن تجدن فقرا . وقال الضحاك : من أخرج درهماً من ماله ابتغاء مرضات الله تعالى فله فى الدنيا بكل درهم سبعمائة درهم خلفا عاجلا ، وألف ألف درهم يوم القيامة. وقال ﷺ أيما مسلم كسى مسلما ثوباً كان فى حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة » وقال ﷺ إن لله قوماً يختصهم بالنعم مابذلوها، فإذا منعوها نزعها الله منهم» وقال ﷺ « ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال» . وقال ﷺ « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يصعد الى الله إلا الطيب— فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يزكى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبال» ولأجل أن الله تعالى يتقبلها بيمينه . كان على ابن حسين إذا أعطى السائل شيئاً قبله ثم وضعه فى يده . وقال ﷺ « رأيت على باب الجنة مكتوباً القرض بثمانية عشر ، والصدقة بعشر ، فقلت : يا أخى يا جبرائيل مابال القرض أعظم أجراً من الصدقة ؛ قال : لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجاً وربما وقعت الصدقة فى غير أهلها » . وقال ﷺ « من أقرض أخاه المسلم قرضاً كان له بكل درهم وزن أحد وثبير وطور سيناء حسنات » وقال ﷺ « من هم بحجة أو عمرة فعمد إلى مثل نفقته فأقرضها أخاه المسلم عدل ذلك عشر حجات مبرورات متقبلات » وقال ﷺ «من تصدق بدرهم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه إلى يوم تصدق » وجاء رجل بناقة مخطومة وقال : هذه فى سبيل الله، فقال ﷺ « إن لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة » وقال ﷺ «المؤمن فى ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » وقال ﷺ

« السخى الجهول أحب الى الله من العابد البخيل »

قال الغزالى رحمه الله: وحد البخل منع ما يوجبه الشرع والمروءة جميعاً ، فمن له مال وأمكنه أن يقطع ذم شاعر ونحوه بقدر يسير فلم يفعل فهو بخيل ، وان لم يكن ذلك واجباً عليه ، وكذا من يضايق فى الاستحقاقات بقدر هين فهو بخيل ؛ ولا ينال درجة السخاء الا ببذل مايزيد على واجب الشرع والمروءة جميعا .

﴿ فصل ﴾ فجتهد أن لا ينقضى عليك يوم إلا وتتصدق فيه بشىء وراء الواجب ولو كسرة خبز ، فترتفع بذلك عن درجة البخلاء . وقال ﷺ « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وقال ﷺ « لأم بجيد إن لم تجدى شيئا تعطيه إياه — يعنى المسكين — إلا ظلفا محرقا فأدفعيه اليه فى يده » وأعطت عائشة سائلا حبة عنب وقالت : إن فيها لذراً كثيراً تعنى قوله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يراه) . وأعطت أم سلمة السؤال كل واحد تمرة تمرة . وأفضل الصدقة سقى الماء وما وافق ضرورة أو حاجة ؛ فان لم تملك شيئا فليست الصدقة كلها فى المال ؛ لكن كل معروف إلى غنى أو فقير صدقة ، وتبسمك فى وجه أخيك صدقة ، وإرشادك الرجل فى أرض الضلال صدقة ، وبصرك للرجل الردىء البصر صدقة ، وتفهيمك الأصم والبليد صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم وما يؤذى عن الطريق صدقة ، وافراغك من دلوك فى إناء أخيك صدقة ، وإمساكك عن الشر صدقة . وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل خطوة تخطوها الى الصلاة صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة . وكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ؛ وإتيانك زوجتك صدقة ، وما أكلت من مالك صدقة ، ومشيتك بدينك تقضيه صدقة ، ودعاؤك واستغفارك للمؤمنين والمؤمنات صدقة . وما وقيت به عرضك صدقة ، ومداراة الناس صدقة ؛ وإيناسك الحزين والمستوحش صدقة . ورفعك اللقمة إلى فى أهلك

صدقة . واطراق لخلك صدقة : ورد السلام صدقة ، واعادتك الصلاة مع رجل يصلى وحده صدقة عليه . كل ذلك ورد عن النبي ﷺ في أحاديث صحيحة. وكذلك الشفاعة والمعونة فى الحاجة ، والصلح بين الاثنين ، والنخامة فى المسجد تدفنها ، واخراج القذى منه ، وفرشه واضاءة السراج فيه ، والجلوس مستقبلا ، والتبشير بما يسر ، والتهنئة ، والدلالة على الخير ، والحاجة ، وأداء الأمانة الخفية والدين الخفى ، والاعارة . وعيادة مريض ، وتشييع جنازة ، وحملها ، وتعزية مسلم ، وزيارة صاحب ، وقادم ، وقرض طعام ، ودرهم ونحوه . وقال ﷺ « ان الله يسأل الرجل عن فضل جاهه ، كما يسأله عن فضل ماله »

وفى الجملة أن تبذل شيئاً مما تقدر عليه من جاه أو نفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب لك جميع ذلك صدقة

﴿ فصل ﴾ وينبغى المحافظة فى الصدقة على أمور :

الاول — بأن تكون من حلال محض وقد تقدم ذلك فى الباب الأول

الثانى — الاسرار بها ، فصدقة السر تطفىء غضب الرب وتدفع سبعين باباً من البلاء كذا قاله ﷺ .وقال ﷺ « معطى الصدقة فى السر أفضل من العلانية بسبعين جزءاً » وقال الله تعالى (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية

الثالث — أن تكون من جيد المال وأحسنه وأحبه إليه قال الله تعالى(ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) وقال الله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)

الرابع — أن لا يستكثر ما أعطى وإن كان كثيراً ، فان الدنيا كلها قليلة

الخامس— أن يعطى بوجه مستبشر وطيب نفس، قال ﷺ « سبق درهم مائة ألف درهم أراد ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس أفضل من مائة ألف مع الكراهة

السادس— أن يقصد بها وجه الله تعالى

السابع — أن يتحرى للصدقة محلا تزكو به وهو أن يدفعها للتقى العالم الذى يستعين بها على طاعة الله ، والصالح المعيل ذو الرحم ، أو من به خصلة من هذه وقال ﷺ « لا يقبل الله صدقة رجل وذو رحم محتاج » وقال ﷺ « لامرأة ابن مسعود : زوجك وولدك أحق من تصدقت عليهم » وقال ﷺ الصدقة « على المسكين صدقة ، وهى على ذى الرحم الكاشح ثنتان صدقة وصلة » والكاشح المحتاج[1] وقال ﷺ « مامن ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل به عليه إلا أخرج الله له يوم القيامة حية يقال لها شجاع تلمظ فتطوقه فى عنقه وقال ﷺ « مامن صدقة أفضل من صدقتك على مملوك عند مليك سوء » وقيل : ما أفلح رجل احتاج أهله الى غيره . ذكره فى البيان

قال العلماء : فالاولى فيها وفى الوصية والكفارة أن يبتدىء بذى الرحم المحرم كالأخوة والأعمام والأخوال ، وبالزوجة أو الزوج ثم بذى ، الرحم غير المحرم كأولاد العم ، وأولاد الخال ، ثم المحرم بالرضاع ، ثم بالمصاهرة ، ثم بالمولى من أعلى وأسفل ، ثم الجار ، بعدهم وإن كان قريب الدار

الثامن — أن يعجلها فى صحته قال ﷺ لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من أن يتصدق عند موته بمائة درهم » وسئل ﷺ أى الصدقة أفضل ؟ فقال « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا » وقال ﷺ ما يخرج الرجل الصدقة حتى يفك عنها لحيي سبعين شيطانا » وقال ﷺ . مثل الذى يعتق أو يتصدق عند الموت كمثل الذى يهدى بعد ما شبع »

تاسعها — أن يحذر من المن ، قال الله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) وحقيقة المن أن ترى نفسك محسناً إليه ، وعلامته أن تتوقع منه شكراً أو تستنكر

---

(١) ن : الكاشح : العادى

تقصيره فى حقك ومما لأته عدوك استنكاراً يزيد على ما قبل الصدقة . ومتى من بطل ثوابها ، قال الله تعالى (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) وقال تعالى (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) قال الجوزى: والأذى مواجهة الفقير بما يؤذيه من الكلام . وقيل أن يخبر الناس بما فعل مع الفقير

كان حسان بن أبى سنان يشترى أهل البيت فيعتقهم ولا يعلمهم من هو ، وقال بشراً : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ، لأن ذلك يركب ويذهب ويرجع فيراه الناس . وهذا يعطى سراً فلا يراه إلا الله تعالى

قال الغزالى فى الاحياء : وينبغى لآخذ الصدقة أن ينظر ، فان كان الدافع يحب الشكر ونشرها فينبغى للآخذ أن يخفيها ، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم ، وطلبه الشكر ظلم ، وإن علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فينبغى أن يشكره ويظهر صدقته ، ومثل هذا العلم هو الذى يقال : إن تعلم مسألة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيي عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ قال الاصحاب وندب أن ينوى المتصدق الصدقة عن أبويه ، فان الله تعالى ينيلهما الثواب ولا ينقص من أجره شيئاً ، حكاه فى الروضة عن العزيز قال ﷺ « إن الصدقة لو جرت على يد سبعين نفساً لكان أجر آخرهم مثل أجر أولهم » وقال ﷺ « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » وقال ﷺ « رد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة »

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه يتأكد استحباب الصدقة فى رمضان ، وعند الكسوف والأمور المهمة ، والمرض ، والسفر والأوقات الفاضلة ، وهى تحل لبنى هاشم ، ولبنى المطلب ، وللكفار ، والأحسن للفقير الأخذ فى الملا والترك فى الخلا

ولا يحرم سؤالها للمحتاج ، فان كان غنيـا بمال أو ضيعة حرم سؤالها وما أخذه حرام ويسن للغني التنزه عنها ، ويكره له التعرض لأخذها ، ويكره لمن تصدق بشيء أن يتملكه من جهة من دفعه إليه بمعاوضة أو هبة ، ولا بأس بتملكه منه بالارث ، ولا بتملكه من غيره . ومن دفع إلى ولده ونحوه شيئا ليدفعه إلى سائل فهو على ملكه حتى يقبضه السائل ، فان لم يتفق دفعه اليه ندب أن لا يعود فيه بل يتصدق به . ويستحب لمن صبر على الاضاقة أن يتصدق بجميع ما فضل عن حاجته وحاجة عياله ودينه ، فان لم يثق بالصبر كره ، ومن احتاج الى ماله لنفقة من تلزمه نفقته حرم عليه التصدق به ، وكذا إن احتاج اليه لقضاء دينه إلا أن يغلب على ظنه حصول وفائه من جهة أخرى فحينئذ لا بأس به ، والأفضل للمحتاج أن يأخذ من الصدقة لا من الزكاة إن عرض له شبهة فى استحقاقه الزكاة ، أو كان المتصدق إن لم يأخذها هذا لا يتصدق ، فان كان لا بد من إخراج تلك الصدقة ولم يضق بالزكاة تخير والله أعلم

القسم التاسع — المباكرة فى الصدقة وإن قلت . قال ﷺ « المباكرة بالصدقة تنمى الرزق وتدفع العاهات » ويروى «الصدقة بالغداة تذهب بالعاهات» وقال ﷺ « باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة »

القسم العاشر : البر وصلة الأرحام والرفق وحسن الخلق للمرأة والولد والجار والغلام وبيان حقوقهم وحقوق أهل الاسلام

قال النبي ﷺ « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم . فان صلة الرحم منجاة فى الأهل ، منسأة فى الأثر ، مثراة فى المال » وقال ﷺ « صلة الرحم تزيد فى العمر ، وصنائع المعروف تقى مصارع السوء » وقال ﷺ « اتقوا الله وصلوا الرحم فانه أبقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة » وقال ﷺ «من أحب أن يمد

له فى العمر ويزاد له فى الرزق فليبر والديه وليصل رحمه » وقال ﷺ « لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » وقال ﷺ « من بر والديه طوبى له طوبى له وزاد الله فى عمره » وقال ﷺ « رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بر بوالديه فرده عنه » وقال ﷺ « ما من شىء أطيع الله فيه بأعجل ثواباً من صلة الرحم » وقال ﷺ « لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم » وقال ﷺ « ان الله تعالى ليعمر بالقوم الديار ويكثر لهم المال وما نظر اليهم منذ خلقهم » قيل : وكيف ذلك ؟ قال بصلتهم أرحامهم. ولما ذكر له قتال بنى مدلج قال « إن الله تعالى منع منى بنى مدلج لصلتهم الرحم وطعنهم فى لبات الابل » — يعنى نحرهم الابل للضيف —

وقال كعب الأحبار : مكتوب فى التوراة يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك أمد لك فى عمرك ، وأيسر لك يسرك ، وأصرف عنك عسرك . وقال ابن عمر رضى الله عنه : من اتقى ربه ووصل رحمه أنسىء له فى عمره — يعنى يزاد له فى عمره — وينمو ماله — يعنى يكثر — ويحبه أهله

وعن الضحاك فى تفسير قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قال : إن الرجل ليصل رحمه وما بقى من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله الى ثلاثة أيام. ويروى أن ملك الموت أخبر داود عليه السلام بقبض روح رجل بعد سبعة أيام . فلما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل حياً ، فسأل ملك الموت عنه فقال : إنه لما خرج من عندك وصل رحماً قد كان قطعها فمد الله تعالى فى عمره عشرين سنة أخرى. وقال أنس رضى الله عنه : ثلاثة نفر فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة ، واصل الرحم يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ، وامرأة مات زوجها وترك يتامى

فتقوم عليهم حتى يغنيهم الله من فضله أو يموتوا ؛ والرجل يتخذ طعاماً فيدعو إليه اليتامى والمساكين. وعن عائشة رضى الله عنها : أن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الدار وتزيد فى الأعمار. وقال ﷺ « من أعطى حظه من الرفق فى الدنيا فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ، ومن حرم حظه من الرفق فى الدنيا فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة » وقال ﷺ « من رفق بأمتى رفق الله به » وقال ﷺ « من ولى من أمور أمتى شيئاً فرفق بهم رفق الله به ؛ ومن شق عليهم شق الله عليه » وقال ﷺ « إن الله رفيق يحب الرفق ؛ ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » وقال ﷺ « الحياء خير كله والحياء لا يأتى إلا بخير » وقال ﷺ « ماحسن الله خلق امرىء وخلقه فتطعمه النار » وقال ﷺ « من حسن الله خلقه وخلقه وجعله فى موضع غير شائن فهو من صفوة الله تعالى » وقال ﷺ « البر حسن الخلق ، والاثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه »

فهذا حديث جامع ينبئك أن كل ما قلته أو فعلته وأنت تكره أن يطلع عليه الناس فذلك هو الاثم ، وما لا تكره الاطلاع عليه لحسنه فليس بإثم. قال عمر : عليكم بعمل العلانية ما إذا اطلع عليه لم تستح منه ، وهذا أصل من الأصول. وقال ﷺ « وسع لجليسك يوسع الله عليك رزقك » وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ؛ ويقال من ساء خلقه ضاق عليه رزقه ، ويروى أن موسى عليه السلام قال : يارب امهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب آياتك ؟ فقال الله تعالى : إنه كان حسن الخلق ، سهل الحجاب ، فأحببت أن أكافئه

قال أبو الليث : وفى صلة الرحم خصال محمودة — أولها : رضا الله تعالى لأنه أمر بتقواه وصلة الرحم فقال (اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) — الثانى :

إدخال السرور عليهم ، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن — الثالث: فرح الملائكة وحسن الثناء من المسلمين ، وزيادة فى العمر ، وبركة فى الرزق ، وسرور الاموات لأن الآباء يسرون بصلة القرابة ، وزيادة فى المودة لأنه إذا وقع له سرور أو حزن اجتمعوا عليه ويعينونه على ذلك : فيكون له زيادة فى المودة وزيادة بعد موته لأنهم يدعون له كلما ذكروا بره

﴿ فصل ﴾ فإن قلت أريد أن أعرف من الأرحام ؟ وكيف الصلة والاكرام ؟ وحقوقهم وحق الجار والغلام ؟ وسائر أهل الاسلام وحسن الخلق وما يستدل به من فعل النبي ﷺ ؟

فاعلم أن الأرحام هم القرابة كالآباء والامهات ، والبنين والبنات ، والأخوة والاخوات ، والاعمام والعمات ، والاخوال والخالات ، وأولاد العم والعمة ، والخال والخالة ، ونحوهم من القرابات المشتبكات

وأما صلة الرحم فهى أن يفعل الانسان مع أقاربه ما يعد به مواصلا غير منافر ولا مقاطع ، فان كان عندهم وصلهم بهدية ونحوها ، فإن لم يقدر على الصلة بالمال أو لم يكونوا محتاجين وصلهم بزيارة وإعانة فى أعمالهم إن احتاجوا ، وإن كان غائباً عنهم وصلهم بالكتاب وإرسال السلام ولين الكلام ونحو ذلك ، فإن قدر على المشى إليهم فهو أفضل ، وهذا عام فى كل قريب

﴿ فصل ﴾ وللوالد حقوق زائدة ذكرها أبو الليث وغيره ، أحدها : إذا احتاج إلى الطعام أطعمه . الثانى : إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها الثالث : إذا احتاج إلى الخدمة خدمه ، الرابع : إذا دعاه أجابه وحضره . الخامس: إذا أمر بأمر غيره معصية أطاعه ، السادس : أن يتكلم معه باللين وخفض الصوت ولا يتكلم معه بالغلظ ، السابع : أن لا يدعوه باسمه فيقول يا فلان بل يقول يا أبت أو يا والدى ، الثامن : أن لا يسبه ولا يستسب له وأ لا يمشى أمامه

ولا يجلس قبله وكذا الشيخ والعالم لا يدعوه باسمه ولا يمشي أمامه ؛ فقد روى أن ذلك يورث الفقر ، التاسع : أن يرضى له ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ، العاشر : أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه

قال بعض التابعين : من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لأن الله تعالى قال (اشكر لي ولوالديك) فشكر الله تعالى أن يصلي في كل يوم خمس مرات ، فكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في اليوم خمس مرات . وقال النبي ﷺ « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما بعد موتهما فيكتبه الله من البارين » وقال بعض الصحابة : ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد ، وإذا كان كذلك فالدعاء لهما يوسع العيش عليه. نسأل الله تعالى أن يرضى عنا وعن والدينا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء . وقال ﷺ « بر الوالدين أفضل من الصلاة الصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالى » وقال ﷺ « لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » . وقال ﷺ « من بر الوالدين بعد موتهما أن يأتي ما يسرهما من الطاعات لله تعالى وغيرها مما ليس بمنهي عنه » ومن البر الاحسان الى صديقهما ، وقال ﷺ « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الاب » وأنشدوا في ذلك :

خالل خليل أبيك وارع إخاءه　　واعلم بأن أخا أبيك أخوكا
وبنوك ثم بنوا بنيك فكن بهم　　براً فان بني بنيك بنوكا
والطف بجدك رحمة وتعطفاً　　وارحم فان أبا أبيك أبوكا

وقد ذكر النبي ﷺ من الكبائر العقوق ، وهو كل ما أتى به الولد مما يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بالواجب في الأصح ، ولا منع للولد من حج الفرض وله منعه من حج التطوع ، وليس له منعه من السفر في طلب العلم وإن لم يتعين عليه أو كان يمكنه التعلم في بلده على الاصح ، ولا منع من سفر

التجارة وكل سفر مباح إن قصر ، فان كان طويلا وظهر خوفه فلهم المنع ، وان غلب الأمن فلا إذن ولا منع

﴿ فصل ﴾ وللولد أيضاً حقوق زائدة أن يستنجب أمه لئلا يعيرَ بها ، وأن يحسن اسمه وأدبه ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوجه إذا بلغ، وإن كانت أنثى زوجها جميلا تقياً ، وينفق عليه[1] ويكسوه إذا احتاج اليه، ويسوى بين أولاده وأولادهم فى العطية، وبين غنيهم وفقيرهم، وذكرهم وأنثاهم . قال ﷺ « ساووا بين أولادكم فى العطية فانى لو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال» وفى الصحيحين أن بشير بن سعد قال يارسول الله : انى أعطيت ابنى عطية ، وإن أمه قالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « فهل أعطيت كل ولدك مثل ذلك» ؟ قال لا ، قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، أليس يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء ؟ » قال بلى ! قال : « فلا إذاً » ويروى أنه قال ، « لاأشهد على جور » وروى « هذا جور وتلجئة » وقال « إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم أن يبروك »

قال أبو عيسى الترمذى : والعمل على هذا عند أهل العلم ، حتى قال بعضهم يسوى بين الولد حتى فى القبلة . قال الشافعى : ولأنه يقع فى نفس المفضول ما يمنعه من بره ، لأن الأقارب ينفس بعضهم بعضا مالا ينفس العدا — يعنى الأجانب — وربما كان ذلك سببا للهجران . وقد قال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) وقال ﷺ « رحم الله تعالى والداً أعان ولده على بره » قال خارجة بن مصعب رحمه الله : يعطيه ويحسن اليه حتى يبره ، قال أبو الليث : وكان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه فى ذلك فيستوجب النار . وقال يزيد بن معاوية : أرسل أبى الى الأحنف بن قيس فقال

---

(١) فى الاصلين: وينفقه

له :ياأبا الحسن ما تقول في الاولاد؟قال يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نصول على كل جليلة ، فان طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم ، ولا تك عليهم قفلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت علي وأنا مملوء غضبا على يزيد . فلما خرج الأحنف من عنده رضي عن ابنه يزيد وبعث إليه بمائتي ألف درهم ومائتي ثوب، فأرسل منها يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب قاسمه إياها . وسأل رجل النبي ﷺ فقال: من أبر ؟ قال« بر والديك » فقال ليس لي والدان. قال بر ولدك ، كما أن لوالدك عليك حقا كذلك لولدك عليك حق » وقال أيضا « أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك » وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه « أوصيك بريحانتي خيراً » — يعني الولدين الحسن والحسين — وقال ابن عمر رضي الله عنه: ما سموا أبراراً حتى أبر الآباء الأبناء والأبناء الآباء وروى مرفوعا ونحوه. وقال سفيان بن عيينة وقال الحسن :الابرار الذين لا يؤذون الذرية.

واعلم أنه يجوز للوالد استخدام ولده الصغير وضربه فيما فيه تدريب له وتأديب وحسن تربية ، وقال لقمان : ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع . وليس له أن يعيره للخدمة لأن ذلك هبة لمنافعه فأشبه إعارة ماله ، قال النووي رحمه الله : وهذا يحمل على ما يقابل بأجرة ، ويقال ولدك سبع سنين أسير ، وسبع أمير ، وسبع وزير ، ثم إن أحسنت اليه فنظير ونصير ، وان أسأت اليه فعسير وبصير. وقال الفضل : تمام المروءة من بر والديه ، ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه مع ولده وخدمه ، وأحرز دينه، وأصلح ماله ، وأنفق فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته . وقال بعض الحكماء : من عصى والديه لم ير السرور من ولده ، ومن لم يستشر في الأمور لم يصل إلى مقصده ، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشه. وقال ﷺ «لا

يدخل الرجل بين الرجل وابنه إذا كانا متماشيين » وقال ﷺ « ان حق كبير الاخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده» وقال ﷺ «خيركم المدافع عن عشيرته مالم يأثم » وقال رجل: يارسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن اليهم ويسيئون إلى ؟ فقال ﷺ « لا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك »وقيل: ماأفلح رجل احتاج أهله إلى غيره . ذكره فى البيان وقال بعضهم : عدوك من قومك خير من صديقك من غيرهم . ولا تأمنن امرأة وإن أبدت لك نصيحة ، ولا تأمنن على سرك غيرك ، ولا تثق بمالك وإن أكرمك

﴿ فصل ﴾ وأما حسن الجوار فهو الصبر على الأذى من الجار . قاله الحسن وقال أيضا : من صبر على أذى جاره ملكه الله داره .وقال الله تعالى(وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى)ذى القرابة (والجار الجنب) وهو الذى ليس بينك وبينه قرابة (والصاحب بالجنب) يعنى الرفيق فى الطريق (وابن السبيل) الغريب (وما ملكت أيمانكم) من المماليك وقال ﷺ «حق الجار إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ؛ وإن غاب حفظته ، وإن افتقر جدت عليه ، وان مرض عدته ؛ وإن مات اتبعت جنازته ، وان أصابه خير هنأته ، وان أصابته مصيبة عزيته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا باذنه ؛ واذا اشتريت فاكهة فأهد له ؛ فان لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ؛ ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها » وقال ﷺ «من فطر ثلاثة غفر له ، ومن كانت له جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له »وقال ﷺ « اذا قال جيرانك قد أحسنت فقد أحسنت واذا قالوا قد أسأت فقد أسأت » وقال ﷺ « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه — يعنى غوائله وشره وقال ﷺ اذا طبخت مرقة فأكثرها وتعاهد جيرانك » وقال ﷺ « اذا رميت كلب جارك فقد آذيته » وقال ﷺ « لا تأكل اللحم دون

جارك حتى تذيقهم منه ولو عظما أو مريقة ، فانه من أكل اللحم دون جاره أزال الله عنه عشر عقله ،ورفع البركة من كسبه فيكون كثير التعب قليل الرزق »

واعلم أنه يحرم الاشراف على بيوت الناس والاستماع إلى حديثهم لغير مصلحة ظاهرة

﴿ فصل ﴾ وأما المملوك فحقه أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ويعفو عن ذلته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ، ويحسن معاشرته،ولا يكلفه فوق طاقته ، وان استباعه باعه ، وأن يعلمه مهم دينه

قال القاضى حسين : يجب أن يمكن عبده من تعلم القرآن قدر ما يؤدى به الفرض ،كما يجب عليه تمكينه من فعل الصلاة، ويجب عليه أن يمكنه من نفسه زمانا يكتسب فيه قدر أجرة التعليم إن لم يجد متبرعاً ، ويسن للسيد أن يسوى بين عبيده مطلقا ، وله أن يفضل من إمائه ذات الجمال والفراهة . وقال ﷺ « حسن الملكة يمن » ويروى « نماء . وسوء الملكة شؤم » وقال ﷺ « لا يدخل الجنة سيء الملكة » وقال ﷺ : « مامن رجل يضرب عبده إلا أقيد منه يوم القيامة » وروى الترمذى فى جامعه باسناده عن عائشة أن رجلا قعد بين يدى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ان لى مملوكين يكذبوننى ويخونوننى ويعصوننى ، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم ؟ فقال له النبي ﷺ « يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك ، ويحسب عقابك إياهم، فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم، دون ذنوبهم كان فضلا لك ، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لك منهم الفضل » فتنحى الرجل وجعل يبكى ويهتف : فقال النبي ﷺ « أما تقرأ كتاب الله تعالى (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ؟ فقال الرجل : والله يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء شيئاً خيراً من

مفارقتهم ، أشهدكم أنهم أحرار كلهم . وفى الصحيحين أنه ﷺ قال « ألا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والامام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » وقال ﷺ « الاحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو » وقال ﷺ « من أحسن إلى ما ملكت يمينه نصره الله على عدوه » وقال ﷺ « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه »

وينبغى للعبد أيضا أن يبذل جهده لسيده

﴿ فصل ﴾ ويجب على المالك سقى السوائم وكل حيوان محترم وعلفها عند الجدب ، ولا يجوز الحلب إذا كان يضر بالبهيمة لقلة العلف ، ويكره ترك الحلب إذا لم يكن فيه إضرار بها . ويسن أن لا يستقصى فى الحلب ، وأن يقص الحالب أظفاره، ويبقى للنحل شيئا من العسل فى الجبح(١) فان قام شىء مقامه لم يتعين ، وليكن المبقى فى زمن تعذر خروجها كالشتاء أكثر . وقال ﷺ « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة » وفى كتاب الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والاحسان) قال الفضيل رحمه الله لو أن العبد أحسن الاحسان كله وكان له دجاجة قد أساء اليها لم يكن من المحسنين . وقال عبيد بن عمير رضى الله عنه : إن الرجل ليسأل عن كل شىء حتى عن حية أهله. قال أبو عبيد : أى عن كل شىء حى كالدابة والهرة ونحو ذلك. ويروى أن كل من آذى بهيمة طولب بذلك يوم القيامة. ذكره فى الاحياء وعن ابن عمر ومحمد بن على وعمر بن عبد العزيز فى قوله تعالى (حق للسائل والمحروم) قالوا المحروم هو الكلب

---

(١) كذا فى ن . وفى نسختين : الجبح . وفى ن الجبج.

ويحرم الوسم فى الوجه، ويجوز خصى ما يؤكل لحمه فى الصغر كما يجوز الوسم للحاجة، ولا يجوز فى الكبر ولا خصى مالا يؤكل لحمه. وقال ﷺ «عذبت امرأة فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشرات الارض». ويحرم قتل الهرة إلا إذا صالت، ويحرم قتل كل كلب فيه منفعة مباحة سواء الأسود وغيره، ويباح اقتناؤه للصيد، ولتعلمه وللماشية وللخيل ونحوها وللنخل والزرع والشجر ونحوها، ولأهل البادية والخيام فى الفلوات، ولحفظ الدروب والحصون والبيوت المنفردة ونحوها، وتربية الجرو كذلك، ويحرم اقتناؤه قبل وجود الماشية والزرع ونحوها

ويسن قتل الكلب العقور وكل سبع ضار، ويكره قتل الكلب الذى لا نفع فيه ولا ضرر

﴿ فصل ﴾ وأما الزوجة فقد تقدم فى الباب الثانى ما يجب لها وعليها، ومن كان له زوجتان وجب عليه التسوية بينهما فى كل شىء إلا فى الجماع وميل القلب قال ﷺ « من كانت له امرأتان فمال الى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » وعن مقاتل فى قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قال حق على المسلم أن يؤدب نفسه وأهله وعبيده فيعلمهم الخير وينهاهم عن الشر

﴿ فصل ﴾ والناس بعد هؤلاء فى حقك ثلاثة، اصدقاء، ومعارف، ومجاهيل فلا تواخ منهم إلا من جمع خمس خصال، العقل، وحسن الخلق، والصلاح، والزهد، والصدق. فلا خير فى صحبة الأحمق وهو الجاهل، ولا من ساء خلقه وهو من لا يملك نفسه عند الغضب، ولا الفاسق لأن من لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غائلته، وصحبة الحريص سم قاتل، وكذا الكذاب، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما يرى له

وأما المعارف الذين ليسو بمؤاخين، والمجاهيل، فعاملهم جميعا بما سيأتى وكن منهم على حذر، فلا تركن إليهم بسرك، ونزه نفسك عندهم عما تنقص به

مروءتك كمد رجلك عنـدهم ، وكثرة تنخمك وضحكك ونحو ذلك من الأشياء التى تستنكرها من غيرك ، وإذا كان مثلك ماشيا فلا تركب ، أو قائمـا فلا تقعد ، أو قاعداً فلا تتكىء ولا تضطجع ، واحبب حبيبك برفق، وابغض بغيضك برفق. فكم من مداهن يظهر لك المحبة وما فى قلبه منها وزن حبة ، فلا تركن اليه فيغدرك ولا تنافره فيجسرك :

وعاشر الـكل واصبر ما بقيت لهم   أصم أبكم أعمى ذا تقيات

واعلم أن الأخوة ثلاثة ، أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين ، وأخ للدنيا فلا تراع فيه إلا حسن الخلق ، وأخ لتأنس به فلا تراع فيه الا السلامة من شره

وحق كل مسلم عليك أن تسلم عليه كلما لقيته ، وتجيبه اذا دعاك ، وتشمته اذا عطس وحمد الله ، وتعوده اذا مرض ، وتشهد جنـازته اذا مات ، وتبر قسمه اذا أقسم مالم يكن فى الابرار مفسدة ، وتنصح له اذا استنصحك ، وتحفظه اذا غاب عنك ، وتحب له ماتحب لنفسـك ، وتـكره له ماتـكره لنفسك ، وتـكتم سره وعيبه وتحسن الاصغاء الى حـديثه ، ولا تسأله اعادته، وتعينه فى حاجته ، وتذب عن عرضـه وماله فى غيبته ، وتعفو عن هفوته ، وتقبل عذره وشفاعته وهديته ، وتـكافئها وتؤثر التخفيف عنـه ، وتقوم له إذا أقبل اليك ، وتؤثره فى المجلس، وتشيعه اذا ذهب، وتدعوه بأحب أسمائه اليه ، وتسر بسروره وتحزن بحزنه

وعلى الجملة أن تعامله بما تحب أن يعاملك. قال النبي ﷺ « ان أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئا فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه وان أحدكم ليدع تشميت أخيه فيقضى له عليه » ومن حقوق المسلمين التواضع لهم وترك التـكبر عليهم . قال ﷺ « لا تعاظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة ، ولا تفحش فى مجلسك كى يحذرك الناس من سوء خلقك ؛ وان تـكبر عليك أحد احتمله. ولا يسمع بلاغات الناس على نفسه ولا على غيره ، ولا يزد فى هجر من يعرفه على ثلاثة

أيام ، ولا يدخل على أحد بغير اذنه ، ويدارى أهل الشر ليسلم منهم ، وينصف من نفسه ولا يقابل من عادى بالعداوة ، ويخالق الناس بالخلق الحسن . فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان وينزل الناس منازلهم ، فيزيد فى اكرام ذى المنزلة وان كانت منزلته فى الدنيا ، واذا كان عند ذى جاه لم يذهب عنه حتى يستأذنه ، ويقيل ذا الهيئة عثرته ويتجافى عن عقوبته ، ويشفع لمن له حاجة الى من له عنده جاه ، ولا يلتمس من الجاهل والغبى ما يلتمس من الورع والعالم ، بل يخالق أهـل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا ، ويخالق أهل الآخرة بأخلاق أهل الآخرة ، ويكون مع كافة الناس طلق الوجه ، ويصلح ذات البين ، ويتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن به وألسنتهم عن الغيبة ، وفيما ذكرته كفاية لمن وفقه الله تعالى

وهذا هو حسن الخلق الذى ذكرته أول هذا القسم ، وهو ينقسم الى ظاهر وباطن . فحسن الخلق الظاهر هو الجمال الظاهر فى الافعال والهيئات والمجاملات ، وحسن الخلق الباطن هو غلبـة الاخلاق الحميدة على الصفات الذميمة . وقال ابن المبارك : حسن الخلق هو بسط الوجـه ، وبذل المعروف . وكف الاذى . وقال ﷺ « حسن الخلق أن تصل من قطعك ، وتعفو عـل ظلمك ، وتعطى من حرمك » وقال ﷺ «ان لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق واحد مع التوحيد دخل الجنة »

قال الغزالى : وقد تظن بنفسك حسن الخلق وأنت عنه عاطل فينبغى أن تحكم فيه غيرك ، فتسأل عنه صديقاً بصيراً لا يداهنك ، وعدوك أخبر بعيوبك منك ، فان نسبك الى سوء خلق فصدقه وبادر الى اصلاحه

﴿ فصل ﴾ وهـذه جملة من أخلاق المصطفى ﷺ قال الله تعـالى (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال تعالى (لقد كان لـكم فى رسول الله أسوة حسنة) وذلك أنه ﷺ كان أحلم الناس وأجودهم وأكثرهم حياء وعن العورات إغضاء ، وكان

أشد حياء من العذراء فى خدرها ، وكان أوسع الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة . وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش، ولا عياب ، ولا مداح ، يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً أو جرعة لبن أو فخذ أرنب ، ويأكلها ويكافىء عليها ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يمازح أصحابه ويخالطهم ، ويحنك أطفالهم ويضعهم فى حجره ويلاعبهم ، ويجيب من دعاه بلبيك ، ويجيب دعوة العبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ماشياً ولو من وجع العين ، ويعود الأعراب والصبيان ، ويقبل عذر المعتذر ، ويكثر مشاورة أصحابه ، ولا يقطع أمراً حتى يستأمر عائشة رضى الله عنها لأنها كانت رجلة الرأى . وقال لوقد عبد القيس « مرحبا بالقوم » وقال لعمار رضى الله عنه « مرحبا بالطيب المطيب » وقال « مرحبا بأم هانىء » وقال لفاطمة « مرحبا بابنتى » وكان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها فى مجلسه ، وكذا كانت هى تفعل إذا دخل عليها ، وارتحله أحد ابنى بنته وهو ساجد يصلى بالقوم فطول سجوده مخافة أن يعجله حتى يقضى حاجته ، وكان يدلع لسانه للحسن بن على ، وقال له وهو يرقصه : حزقة حزقة ترق عين بقة أى اصعد على ياصغير الجثة — فترقى حتى وضع قدميه على صدره . وكان رسول الله ﷺ يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويقول « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » وقال ﷺ « إذا أكرم الرجل أخاه فانما يكرم ربه » ويقول « أنزلوا الناس منازلهم » وكان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، وكان ﷺ يؤلفهم ولا ينفرهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس

بسطه وخلقه فصار لهم أبا ، وصاروا فى الحق عنـده سواء ، ما التقم أحـد أذنه فينحي رأسه حتى يكون هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ، ولم ير مقدما ركبتيه بين يدى جليس له وكن عليه السلام يبدأ من لقيه بالسلام، ويبدأ أصحابه بالمصافحة، ثم يأخذ بيده فيشابكه ويشد قبضته، ولم ير قط ماداً رجليه بين يدى أصحابه حتى يضيق بهما على أحد، يكرم من يدخل عليه وربمـا بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلس عايه ، ويؤثر الوارد بالوسادة التى تحته ، فان أبى أن يقبلها عزم عليه أن يفعل ، ويقول: « مامن مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى له وسادة إكراما له إلا غفر الله له» ورمى لجرير بثوب ليجلس عليه فوضعه جرير على وجهه وقبله ، وعم عبد الرحمن بن عوف بيده ، وكان يكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم إليهم تكرمة لهم ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتحوز فيقطعه بانتهاء أو قيام . ويسر الرجل من أصحابه اذا رآه مغموما بالمداعبة ، ولا يلتفت إلى أصحابه مخافة أن يراهم يمزحون فيستترون، وكانوا يتناشدون الشعر ويتذاكرون أمر الجاهلية وهو عندهم ساكت، وربمـا تبسم معهم . وكان يضحك مما يضحكون منه ، ويعجب ممـا يعجبون ، ويصبر للغريب على الجفوة فى منطقه ومسألته . وكان يمشى فى السوق مرة بعـد أخرى فيأمر فيه وينهى، وكان لا يجلس اليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته ، فاذا فرغ عاد إلى صلاته ، وكانت الأمة من إماء المدينة تأخذ بيـده فتذهب به إلى حيث شاءت ، وكان أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا مالم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب، وكان يجالس الفقراء ويواكل المساكين، ويسأل لاصحابه ، ويأكل ما يسقط من المـائدة ، وسابق عائشة وهما فى سفر فسبقته ثم سابقها مرة أخرى فسبقها، وقال «هذه بتلك » وكان يخاطب كل قوم بما يفهمونه من لغتهم ، ولمـا سئل أمن امبر صوم فى ام سفر فأجاب كذلك « ليس من امبرم امصيام فى

امسفر » وهى لغة الأشعريين وأهل اليمن . وقال لرجل : انط — أى اسكت — وهى لغة حميرية ، وقال لعمر « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وقال لهلال غلام المغيرة « ادع لنا واستغفر لنا » وقبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكى ، وأعتق زيد بن حارثة وقبله ، والتزم جعفرا وقبل ما بين عينيه. وقال للزبير ، «فداك أبى وأمى» وكذا لسعد، وكان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ثم يأكل سؤرهم ويشرب آخرهم ويقول «ساقى القوم آخرهم شربا» له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ﷺ .وكان يحتضن أولاد بناته ويحملهم أيضا على ظهره ، وحمل أمامة معه فى صلاته فكان إذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وأراد يوما أن ينحى مخاط أمامة عن منخريها فقالت عائشة رضى الله عنها دعنى حتى أنا التى أفعل ذلك. وكان إذا أتته هدية أطعم من حضر، وخبأ نصيب من غبر، وكان يجلس بالارض ويأكل الطعام فى الارض ، ويقول « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ﷺ» وكان لا تغلق دونه الأبواب ولا يقوم دونه الحجاب، ولم يغد عليه بالجفان، ولم يرح عليه بها ، حيث ما انتهى به المجلس جلس . لا يجلس بين اثنين إلا باذنهما ويقول لا يحل لاحد أن يفرق بين اثنين إلا باذنهما ولا يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول « تفسحوا وتوسعوا» وجاء الى رجل بشىء الى حاجة فألقى له الرجل وسادة فلم يقبلها حتى قضى له حاجته ، وكان لا يتقى الارض بشىء وهو أشجع الناس واشدهم تواضعا وأقلهم كبرا وأرحم الناس بالناس واشدهم خوفا من ربه تعالى وما ضرب بيده آدميا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ولم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها أو نكاحها حتى فى البيعة ، كن يلمسن ثوبه ، ولم يقل لخادمه أف قط، ولا لم فعلت ولا هلا فعلت كذا وكذا ، وكان اذا تكلم بكلمة كررها ثلاثا حتى تفهم عنه ، واذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا ﷺ

وقال زيد : كنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، قد ترك نفسه من ثلاثة ، الرياء والاكثار ، وما لا يعنيه . وكان ﷺ لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ، ولا يواجه أحداً بشيء يكرهه ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه ، وقال لمملوك امرأة من مزينة : « أبلغها سلاما » ووجه قوماً لقتل يهودى ؛ فلما قدموا وهو على المنبر يخطب قال « أفلحت الوجوه » ومر على غلمان يلعبون فقال « السلام عليكم يا صبيان » ومر على نسوة قعود فأومأ بيده بالتسليم ، وكان الحبشة يلعبون فى المسجد ويزفنون ، فقام ينظر إليهم وعائشة تنظر خلفه حتى سئمت فانصرفت فانصرف وكان قيامه لأجلها ، وأخذ ثوب حذيفة فستر عليه حتى اغتسل، وكان يصغى الاناء للهرة لتشرب منه ، وكان إذا قدم من سفر يلقى بصبيان أهل بيته ، وكان يواسى الشعراء وأمثالهم ، ويسمع الشعر ويرق له ويهش ، وكسى كعباً بردته لما أنشده بانت سعاد ، وكان يركب حيناً الحمار عرياً ، وحيناً البغلة ، وحيناً الجمل والناقة ، وحيناً الفرس ، وأحياناً راجلا وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة ، وكان يردف خلفه وأمامه وبعض نسائه وعبيده ، ووضع ركبته عند بعيره فوضعت صفية رجلها عليها فركبت، وركب جابر الجمل وهو ﷺ يسوقه ويضربه بالعصا، وكان يدعى إلى خبز الشعير والاهالة السنخة — أى المتغيرة — فيجيب ، وكانت عائشة تشرب وتأكل وهى حائض ثم تناوله فيضع فاه موضع فمها فيأكل ويشرب ، وترجل رأسه وهى حائض ، واغتسل هو وميمونة فى قصعة فيها أثر العجين ، واغتسل هو وعائشة من إناء واحد وهى تقول : دع لى دع لى ، وكان ﷺ أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضا ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم

القسم الحادى عشر : المواظبة على الوضوء وتحسينه قال ﷺ « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » وقال ابن سلام : وجدت فى بعض ما أنزل الله أنه من توضأ

لكل حدث ، ولم يكن دخالا على النساء فى البيوت ، ولم يكسب مالا بغير حق ، رزق من الدنيا بغير حساب

فينبغى أن يكون نهاره كله على الوضوء ، وينام ليله على الوضوء ، فانه إذا فعل ذلك أحبه الله تعالى والحفظة ، ويكون فى أمان الله تعالى . قال ﷺ « من نام على طهر بات معه ملك الموت يحفظه من كل آفة » وقال ﷺ « إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهر فلا تلومن إلا نفسك » وقال لعلى « يا على حسن وضوءك يزد فى رزقك ويحببك الله إلى خلقه » وقال ﷺ « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » وقال ﷺ لأنس « أسبغ الوضوء يزد فى عمرك » وقال ﷺ « إن ملك الموت إذا قبض العبد وهو متوضىء كتبها له شهادة »

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالصلاة فانه من توضأ كان فى أمان مما يتخوف منه . وقال له أيضاً أتحب أن أبارك لك فى رزقك وعافيتك ؟ قال نعم ! قال أحسن طهارتك للصلاة . وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بوجهه وقلبه إلا وجبت له الجنة » فيسن ركعتان عقب كل وضوء فى أى وقت كان ينوى بهما سنة الوضوء ، يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورتى الاخلاص وهما الكافرون وقل هو الله أحد . وقال « إذا فرغ أحدكم من وضوئه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء » رواه مسلم أيضا

ويندب أن يتوضأ مستقبلا وأن ينضح مذاكيره بالماء بعد الفراغ دفعاً للوسواس ، وصفات سنن الوضوء وفروضه مشهورة فى كتب الفقه والله أعلم

القسم الثانى عشر : الصيام قال ﷺ « يقول الله تعالى الصوم لى وأنا

أجزى به » وقال ﷺ « إن لكل شيء باباً وباب العبادة الصيام » وقال ﷺ « الصائم لا ترد دعوته حتى يفطر » وقال ﷺ « نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف » وقال ﷺ « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر هي خير من ألف شهر شهر فرض الله صيامه وجعل قيام ليله تطوعاً ، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان كمن أعتق رقبة ومغفرة لذنوبه » قيل : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم قال « يعطى الله هذا الثواب لمن فطر الصائم على مذقة لبن ، أو تمرة ، أو شربة ماء » ثم قال ﷺ « من أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه ، وأسقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عتق من النار ، ومن خفف على مملوكه فيه اعتقه الله من النار » وقال ﷺ «أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه ، وتفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم »[1] فاغتنم أيها الطالب شهر البركة لتنجو باذن الله من الهلك

﴿ فصل ﴾ ويسن فى شهر رمضان زيادة الصدقة كما قدمنا ، والخير والعبادة والذكر والتلاوة والمدارسة ، وهو أن يقرأ على غيره ويقرأ غيره عليه ، وتفطير الصائمين وتسحيرهم ، والمداومة على صلاة التراويح كل ليلة عشرون ركعة بعشر تسليمات بعد صلاة العشاء وسنتها ، ثم يصل ثمان ركعات ، ثم ركعتين ، ثم يوتر

---

(١) كذا بالنسخ

بواحدة ، فيجمع بين التراويح وكل الوتر .

وليحذر إن كل إماماً من التطويل على القوم بقراءة أكثر من جزء فى كل ليلة من ثلاثين جزءاً ، فقد كان على يقرأ فى كل ركعة منهـا بخمس آيات ، وإن اقتصر على التراويح وبعض الوتر فلا بأس ، وإن اقتصر على جميع الوتر وترك التراويح فلا بأس ، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زاد ﷺ فى رمضان ولا فى غيره عن صلاة الوتر إحدى عشرة ركعة

﴿ فصل ﴾ وقال عليه السلام « من صام من كل شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ثلاثة أيام كتب الله له عبادة سبعمائة سنة » ويروى « غفر له » والأشهر الحرم هى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . وقال ﷺ « من صام رمضان ثم ستاً بعده من شوال فكأنما صام الدهر كله » وقال ﷺ « من صام من رجب أربعة أيام عوفى من الجذام والجنون والبرص ومن فتنة المسيح الدجال » وقال ﷺ « من صام أول خميس من شعبان وآخر خميس منه كان حقاً على الله أن يدخله الجنة برحمته » وقال ﷺ « صوم يوم عاشوراء كفارة سنة ، وصوم يوم عرفة كفارة سنتين سنة قبلها ماضية وسنة بعدها مستقبلة » وقال ﷺ « صوم ثلاثة أيام من كل شهر تذهب وحر الصدر » — أى ضيقه وغشه

واعلم أن أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان شهر الله المحرم ، ثم شعبان بعده ، ثم رجب بعدهما ، ثم ذو القعدة وذو الحجة

ويسن صوم الاثنين والخميس ، وأيام البيض من كل شهر ، والصوم من أول كل شهر وآخره .

﴿ فصل ﴾ وسر الصوم هو كف النفس عن الشهوات والمحرمات :

إذا ما المرء صام عن الدنايا فكل شهوره شهر الصيام

قال الغزالى : ولا تظن أن الصوم هو ترك المفطرات ، فقد قال عليه السلام:

« كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » بل تمام الصوم أن يكف الجوارح كلها عما كره الله من الغيبة والنميمة ، والنظر بالريبة ، والنطق بما لا يعني ، ونحو ذلك من المحرمات

ثم بعد ذلك يفطر على حلال محض ، ولا يكثر منه بل يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فان جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما يأكل ليلا لم ينتفع بصومه ، لأنه قد جمع في أكلة بين أكلتين فتبطل بذلك فائدة الصوم ، ويستدعي به كثرة النوم ، وكثرته دليل الشقاوة والضعف، ولهذا لما ذكر للنبي عليه السلام أن رجلا نام حتى أصبح قال « بال الشيطان في أذنه »

﴿ فصل ﴾ واعلم أن في الصوم فوائد جليلة ، منها إجابة الدعاء ، ونزول البركة من السماء ، وللصائم فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه، وعندي أن فرحته عند الفطر ، إنما هي لبلوغه الى الحالة التي يتيقن بها إجابة الدعاء ، ويرجو حسن الجزاء، فللصائم عند فطره دعوة لا ترد ،والصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة حتى يفرغوا ، ومنها مجاهدة الجوع والعطش،وليس شيء أفضل عند الله منهما قال ﷺ «أفضلكم عند الله طولكم جوعا ، وأكثركم تفكرا.وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب،وإن الله تعالى يباهي الملائكة بمن قل طعمه،ويقول انظروا إلى عبدي ابتليته بهذه الشهوات الضعيفة الطعام والشراب في الدنيا فتركها أشهدكم أنه ما من أكلة تركها إلا عوضته عنها درجات في الجنة » وقال ﷺ «اسيد الأعمال الجوع وقلة الطعام هي العبادة»

وقال أبو سليمان : لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من قيام ليلة إلى الصبح. وفي حكمة لقمان يابني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة،وخرجت الحكمة ، وقعدت الاعضاء عن العبادة . وقال ذو النون : من أكل حتى شبع ، وشرب حتى روي ، عصى الله تعالى شاء أم أبي على رغم أنفه. وقال بعضهم:لا تأكلوا كثيرا

فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً

قال الغزالى رحمه الله والجوع الصادق أن يشتهى أى خبز كان من غير إدام ، وقيل أن لا يميز بين خبز وخبز ، ومن أكل كل يوم مرتين لم يكن له حال جوع أصلا. ومنها الاستيلاء على النفس التى إصلاحها أصعب شيء عليه، ويتمكن من السهر ولا ينسى البلاء وأهله ، ويتمكن من إيثار الفقراء ، ويتخلص من شره بطنه فلم يفتقر الى مال كثير فتسقط عنه أكثر هموم الدنيا ، ويستريح من الطلب والطبخ ومؤنته ، ومن غسل اليد والخلال وكثرة التردد الى الخلاء . ومنها أنه يفيد الصحة فان كل من قل أكله قل مرضه ، وكثرة الاخلاط سبب الأمراض ، ولهذا قال بعض الحكماء : الدواء الذى لا داء معه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك منه وأنت تشتهيه وفى . الخبر « صوموا تصحوا » وعن على رضى الله عنه الصوم يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم . وقال ﷺ « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش »

ففى الصيام وتقليل الطعام صحة للاجسام من الأسقام ، وصحة القلوب من الطغيان والآثام ، والله المستعان وعلى نبيه الصلاة والسلام

القسم الثالث عشر : الاعتكاف فى المساجد وعمارتها وصيانتها ؛ قال الله تعالى (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال) إلى قوله تعالى (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) وقال تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب . وقال ﷺ : « إنما بناء المساجد للذكر » وقال ﷺ « من آثر جلوسه فى المسجد على جلوسه فى المنزل أعطاه الله خمس خصال سهل الله له ضيق المعيشة . وضيق القبر ، وأعطاه كتابه بيمينه ، وجاز على الصراط كالبرق الخاطف ، ودخل الجنة مع الأبرار »

وقال ﷺ «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم مادام في المسجد، وتقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يحدث» وقال ﷺ من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتاً في الجنة» روى في الصحيحين . وقال ﷺ « إذا نزلت عاهة من السماء صرفت عن عمار المساجد »وقال ﷺ «قال الله تعالى إذا نظرت إلى مجالس العلماء وعمار المساجد سكن غضبي و صفحت عنهم » وقال ﷺ قال الله تعالى ان احب عبادى الى المتحابون بمحبتي . والمعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم فصرفت العقوبة عنهم بهم » وقال ﷺ : « ضمن الله تعالى لمن كانت بيوتهم المساجد بالروح والراحة والاجارة من النيران إلى رضوان الجنان » وقال ﷺ «ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة . أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة» (١) ويروى ست مجالس ما كان العبد في مجلس منها إلا كان ضامنا على لله تعالى، الغازى في سبيل الله ، أو مسجد جماعة ، أو عند مريض ، او يتبع جنازة ، أو في بيته ، أو عند إمام مقسط . ومن اعتكف عشرا من رمضان كان كحجتين وعمرتين »

﴿ فصل ﴾ وإنما ينال كل هذه الفضائل بأن يعظم المساجد ، ففي تعظيمها تعظيم الله تعالى لأنها بيوت الله فلايتكلم في المسجد بشيء من كلام الدنيا ، ويجوز ذلك بغير الفحش والمعصية ، ولا ينشد فيه ضالة ما خلا مسجد مكة ؛ ولا ينازع في مكان ، ولا يضيق على إنسان. ولا يؤذى أحداً ،ولا يرفع فيه صوتاً ، ولا يقيم أحداً ، ولا يسل سيفاً ، وليطيبه وينزهه ما استطاع . فقد قال ﷺ « إنما بنيت لذكر الله والصلاة » وقال ﷺ « يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم

---

(١) قلت : قوله ضامن أى صاحب ضمان اى فهو في رعاية الله تعالى .

حاجة »ويروى : « الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»

واعلم أنه يحرم على الجنب المكث فيه والتردد فى جوانبه إلا لضرورة ؛ ويكره له العبور لغير غرض ، ويجوز للمحدث النوم فيه بلا كراهة ، ونضحه بالماء المطلق ، ولا يجوز بمستعمل ، ويمنع منه الصبيان والمجانين والسكران ، وليس للكافر ان يدخل مساجد غير الحرم إلا بأذن مسلم مميز لا لنوم وأكل فان دخل بلا إذن عزر

ويكره اتخاذه مجلساً للقضاء ، ونقشه واتخاذ الشرفات له وحفر البئر فيه ، وعمل الصنائع كالخياطة ونحوها فيه، وغرس شجر فيه فان فعل قطعه الامام .ويكره البيع والشراء فيه وإن قل للمعتكف وغيره إلا لحاجة ، ويكره لمن أكل ثوماً أو بصلا ونحوه مما له رائحة كريهة دخوله بلا ضرورة ما لم يذهب ريحه ، ولا بأس باغلاقه فى غير وقت الصلاة صيانة له ، ولا بالوضوء فيه إن لم يتأذ به أحد ، ولا بالأكل والشرب فيه ، والأولى بسط سفرة ونحوها ، وله غسل اليد فيه والأولى فى طشت ونحوه ، ولا يقام فيه حد ، ولا يسل فيه سيف ، ولا يقعد فيه مريض خاف تلويثه ، والبصاق فيه خطيئة كفارتها دفنها فى ترابه ومسحها بيده ونحو ذلك . وتجنبها أفضل ، والأولى ترك الفصد والحجامة فيه ولا يجوز إن خاف التلويث

﴿ فصل ﴾ ويسن أن يتعاهد الداخل نعله أو قدمه عند بابه ، وأن يقدم رجله اليمنى ، وكذا فى دخول السجادة والبيت ، وكذا فى لبس الثوب والنعل والسراويل والمصافحة وأخذ الحاجة من الانسان ودفعها إليه . وفى الاكتحال والسواك والقلم والقص والنتف والحلق والأكل والشرب ونحو ذلك يبدأ باليمنى ويفعل بها .ويقول ماسنذكره فى الباب الآخر إن شاء الله تعالى ، ثم يسلم عند دخوله وان لم يكن فيه أحد ،ثم يصلى ركعتين فى أى وقت دخل ينوى بهما التحية بسورتى

الاخلاص، وتتأدى بالفرض والنفل وان لم ينو، ويكثر فيه من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وحديث الرسول ﷺ والفقه وسائر العلوم الشرعية، ويتأكد فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وينوى الاعتكاف وإن قل جلوسه

قال ﷺ: من اعتكف ولو فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة. قال فى البيان: ويسن للمعتكف دراسة العلم وتعليمه، وتعليم القرآن وذلك أفضل من صلاة النافلة، وإذا أراد الخروج قدم رجله اليسرى، وكذا فى خلع النعل ونحوه وفى دخول الخلاء والحمام، ويقول ما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى، والمسجد هو ما وقف للصلاة مبنياً كان أو غير مبنى، ولا يمنع الجنب من دخول المصلى الذى ليس بمسجد، ولا يصح الاعتكاف فيه لا للمرأة ولا لغيرها، ولحائط المسجد من خارجه حرمة المسجد فى كل شىء والله أعلم

القسم الرابع عشر: إكثار الحج والعمرة لمن استطاع ولم يضيع به حقا. روى الترمذى والنسائى عن النبى ﷺ أنه قال «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة»[1] وقال ﷺ «ما أمعر[2] حاج قط» وقال ﷺ «ليدخلن الجنة بالحجة الواحدة ثلاثة نفر: الموصى بها، والمنفذ لها، والحاج عنه»

القسم الخامس عشر: تلاوة القرآن فى كل حين وآن. قال الله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) الآية وقال ﷺ «القرآن غنى لا غنى دونه، ولا فقر بعده» وقال ﷺ «لا فاقة لعبد يقرأ القرآن، ولا غنى له بعده» وقال صلى الله عليه وسلم «لا يجتمع الزنا والغنى فى بيت، ولانا قراءة القرآن

---

(١) قلت: والمبرورة هى التى لا يخالطها إثم. (٢) أى ما افتقر.

والفقر فى بيت » وقال ﷺ « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول الٓم حرف ، ولـكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » وقال ﷺ « قراءة القرآن نور فمن شاء نور بيته » وقال ﷺ « القرآن هو الدواء » وقال ﷺ « من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله » وقد قال الله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) وقال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) — أى من الأوجاع ، ذكره الواحدى — وقال ﷺ « حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون بنور الله ، المتعلمون كلام الله ، فمن عاداهم فقد عادى الله ، ومن والاهم فقد والى الله ، يقول الله تعالى ياحملة كتاب الله تحببوا إلى الله بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم إلى خلقه ، يدفع عن مستمع القرآن شر الدنيا ، ويدفع عن تاليه بلاء الآخرة ، ولمستمع آية من كتاب الله تعالى خير من ثبير ذهباً ولتالى آية من كتاب الله خير مما تحت العرش الى تخوم الارض السفلى » وقال ﷺ « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » وقال ﷺ « خير ماأخذ عليه الرجل الأجر كتاب الله تعالى » وقال « إن أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء ، والنجاة يوم الحشر ، والظل يوم الحرور ، والهدى من الضلالة ، فادرسوا القرآن فانه كلام الرحمن ، وحرز حريز من الشيطان ، ورجحان فى الميزان » وقال ﷺ « من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ، ومن شهد فاتحة الـكتاب كان كمن شهد فتحاً فى سبيل الله تعالى »

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب الذى لا عامر له . وقال أبو هريرة : البيت الذى يقرأ فيه القرآن تحضره الملائـكة ، وتخرج منه الشياطين ، ويتسع بأهله ، ويكثر خيره . والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن تخرج منه الملائـكة ، وتحضره الشياطين ، ويضيق بأهله ، ويقل خيره . ونحوه عن ابن سيرين

﴿ فصل ﴾ ومن أهم ذلك السور والآيات التي وردت فيها الفضيلات قال ﷺ « تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولن تستطيعها البطلة » — يعني السحرة — ويروى « تعلموا الزهراوين — يعني البقرة وآل عمران — فإن تعلمهما بركة ، وتركهما حسرة ، ولن تستطيعهما البطلة » وقال ﷺ « من قرأها — يعني البقرة — لم يدخل بيته الشيطان ثلاثة أيام »

ومنه المواظبة على قراءة آية الكرسي صباحاً ومساء وفي كل وقت ، قال ﷺ « ما قرئت هذه الآية — يعني آية الكرسي في دار إلا هجرها الشيطان ثلاثة أيام ، أو قال ثلاثين يوماً ، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة ، يا علي علمها أهلك وولدك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله »

قال الثعالبي : وقد جعل الله آية الكرسي أمانا لأهل الإيمان من شر الشيطان . ويروى أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فاذا التمر قد خذ منه ملء الكف ، ثم دخل يوماً آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ، ثم دخل يوماً آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال النبي ﷺ « له أيسرك أن تأخذه ؟ » قال نعم قال « فاذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد » فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه ، فقال له يا عدو الله أنت صاحب هذا ؟ قال نعم ، فاني لا أعود ، ما كنت آخذه إلا لأهل بيت فقراء من الجن ، فتركه . ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « أيسرك أن تأخذه ؟ » فقال نعم ، فقال « قل له مثل ما تقدم » ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد ، فاذا هو قائم بين يديه فقال « يا عدو الله أليس قد زعمت أنك لا تعود ؟ قال دعني هذه المرة فاني لا أعود ، فتركه ثم عاد الثالثة فأخذه ، فقال له أليس قد عاهدتني أنك لا تعود ؟ والله لا أدعك حتى أذهب

بك إلى رسول الله ﷺ ، فقال لا تفعل فانك إذا أفلتنى علمتك كلمة إذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ، ذكر ولا أنثى ، فقال له لتفعلن ؟ قال نعم ! قال فما هى ؟ قال الله لا إله إلا هو الحى القيوم حتى ختمها ، فتركه أبو هريرة فذهب فلم يعد ، فذكر ذلك أبو هريرة للنبى ﷺ فقال له « أما علمت يا أبا هريرة أنه كذلك صدق الخبيث » رواه الثعالبى ونحوه روى البخارى فى صحيحه أيضاً وقال آخره فقال النبى ﷺ « أما إنه صدق وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ؟ ذلك الشيطان » ونحو ذلك روى الترمذى فى جامعه أيضاً عن أبى أيوب الأنصارى وذكر أن الذى فعل ذلك الغول . ويروى أن عمر ابن الخطاب اتى رجلا من الجن فقال له الجنى : هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل منزلك لم يدخله شيطان ؟ فصارعه فصرعه عمر فعاوده الثانية فصرعه عمر رضى الله عنه ، فقال له الجنى أتقرأ آية الكرسى فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خبج كخبج الحمار . وقال ﷺ « من خرج من منزله فقرأ آية الكرسى بعث الله إليه سبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون له ويدعون له ، فاذا رجع إلى منزله ودخل بيته فقرأ آية الكرسى نزع الله الفقر من بين عينيه » وقال ﷺ « سيد القرآن البقرة . وسيد البقرة آية الكرسى ، إن فيها لخمسين كلمة فى كل كلمة خمسون بركة » وقال أبو جعفر الباقر : من قرأ آية الكرسى مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا ، وألف مكروه من مكروه الآخرة ، أيسر مكروه الدنيا الفقر ، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر . وقال ﷺ « قال الله تعالى وعزتى وجلالى ما من عبد قرأ كن — يعنى الفاتحة ، وآية الكرسى ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك ، الى قوله بغير حساب — دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه ، ولأنظرن إليه فى كل يوم سبعين نظرة ، ولأقضين له فى كل يوم سبعين حاجة ، أدناها

لمغفرة ، ولأعذته من كل عدو ونصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت . ذكره الثعالبي . وقال ﷺ لمعاذ « مامنعك من صلاة الجمعة ؟» قال دين لفلان خشيت أن يحبسني ، فقال له « اتحب أن يقضي الله دينك ؟ » قال قلت نعم ! قال (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) إلى قوله (بغير حساب) رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منهما من تشاء وتمنع منهما من تشاء ، اقض ديني. فلو كان عليك ملء الارض ذهباً لأداه الله عنك ». وقال ﷺ: « من قرأها يعنى سورة الهمزة فى فريضة نفى الله عنه الفقر، وجاب الله الرزق ، ودفع عنه ميتة السوء » وروى ابن السنى عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال : وجهنا رسول الله ﷺ فى سرية وأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون) إلى آخر السورة، فقرأناها فغنمنا وسلمنا . وقال ﷺ « لوأن رجلا موقناً قرأها على جبل لزال » وقال ﷺ « لو يعلم الناس مافى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب لعطلوا الأهل والمال ولتعلموها ، مامن عبد يقرؤها بليل إلا بعث الله إليه ملائكة يحفظونه فى دينه ودنياه ويدعون الله له بالمغفرة والرحمة ، وإن قرأها نهاراً أعطى من الثواب بعدد ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل » وقال المسعودى بلغنى أن من قرأ فى أول ليلة من شهر رمضان (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) فى التطوع حفظ فى ذلك العام .

ومنه يس قال ﷺ « يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له ، فاقرؤها على موتاكم » وقال ﷺ « من قرأها وهو خائف أمن ، ومن قرأها وهو جائع شبع ، أو ظمآن روى ، وهى لما قرئت له بصدق النية » ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات ، وعدلت له عشرين حجه، ومن سمعها عدلت له بألف دينار ينفقها فى سبيل الله ، ومن كتبها وشربها خل جوفه ألف دواء وألف يقين وألف زلفة وألف رحمة ونزع منه كل داء

وغل ، ومن قرأها فى ليلة أصبح مغفوراً له ، ومن دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات ، ومن قرأها عند ميت خفف الله عنه كرب الموت . ومن قرأها عند مريض خفف الله عنه ، وإن لم يحضره أجله شفاه الله تعالى . وقال ﷺ « سورة يس تسمى المعممة تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، وتسمى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتدفع عنه كل شر وتقضى له كل حاجة » وروى «من قرأها نهاراً كان هو وأهله وماله وولده فى أمان الله ، ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح إلى أن يمسى ، ومن قرأها حين يمسى كان فى حرز الله إلى أن يصبح وقيل : من قرأها فى موضع نظيف خالياً أربع مرات لا يفرق بينها بكلام . ثم قال ثلاث مرات : سبحان المنفس عن كل مديون ، سبحان المفرج عن كل محزون ، سبحان من أمره بين الكاف والنون ، سبحان من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، يامفرج الهموم فرج همى ياحى ياقيوم صل على محمد وآله وافعل لى كذا وكذا ، فإنه تقضى حاجته كائنة ما كانت

قلت : وذلك مجرب والحمد لله. وهذا بشرط حسن الظن والنية، وأن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم . وقال ﷺ من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة» وسماها سورة الغنى ، وقال ﷺ « من قرأ سورة والتين أعطى صحة اليقين ، وجلبت له رزقاً ويسراً ».

ومنه سورة الاخلاص . قال ﷺ « من أتى منزله فقرأ الحمد لله والاخلاص نفى الله عنه الفقر وكثر خير بيته » وقال ﷺ « من قرأ سورة الاخلاص مرة حين يدخل منزله نفت عنه الفقر » وقال ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتى مرة محى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين » رواه الترمذى . ويروى « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بورك له وعليه ، ومن قرأها ثلاثين مرة فى الصلاة بنى الله له ألف قصر فى الجنة ، ومن قرأها فى

غير الصلاة بنى الله له مائة قصر فى الجنة . ومن قرأها مائة مرة حين يدخل منزله نفت عنه الفقر ، ومن قرأها ثلاث مرات حين يأوى إلى فراشه وكل الله به خمسين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح » ويروى « أن الله تعالى إذا نظر إلى المعاصى من العباد غضب ، فترجف الأرض وتضطرب السماء ، فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الأرض ، وتصعد ملائكة الأرض فتمسك أطراف السماء ، ولا يزالون يقرؤن قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه » فذلك قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا)

ومن ذلك قراءة سورة الكهف ، وطه ، وحم الدخان ، وتبارك الملك ، وق ، وعم يتساءلون ، والبروج ، والطارق ، والحواميم ، والمسبحات ، والمعوذات ، فقد ورد فى فضائلها أحاديث كثيرة وسيأتى فى الباب السادس من فضائل آيات متفرقة مافيه شفاء الصدور إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ ولا تنال هذه الفضائل إلا بتعظيم المصحف والقرآن ، والائتمار بأمره ، فقد قال ﷺ « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » وقال ﷺ « اقرأ (١) القرآن ما نهاك ، فاذا لم ينهاك فلست تقرأه » . وقال بعض العلماء : أجرأ الناس على الله من قرأ كتابه وخالف خطابه وخان عباده . ونسى معاده . وقال أبو سليمان الدارانى : الزبانية أسرع يوم القيامة إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى عبدة الأوثان . والاخلاص لله تعالى فى قراءته ، والاخلاص فى كل العبادات ، هو إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بالطاعة التقرب إلى الله تعالى دون شىء آخر من صنيع المخلوق ، أو اكتساب محمدة عند الناس ، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعانى سوى التقرب إلى الله تعالى ، كذا ذكره القشيرى . فما خرج عن هذا القصد فهو رياء لا يثاب عليه

---

(١) ن : اقرؤا . بضمير الجماعة فى كل

صاحبه وقال ﷺ «من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب»

﴿ فصل ﴾ ومن صيانة المصحف والقرآن القيام له إذا قدم به ، وتناوله ووضعه باليمين ، ويجب منع المجنون ومن لا يميز من حمله ، ويحرم مسه على المحدث، ويحرم مسه والقراءة على الجنب والحائض ولو بعض آية.

ويجوز لهما إجراؤه على القلب من غير تلفظ ، وكذا النظر فى المصحف وإمراره على القلب، ويجوز لهما التسبيح والتحميد والتهليل ونحوها من الاذكار مالم يقصد القرآن

وتحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار إن خيف وقوعه فى أيديهم . ويحرم توسده وتوسد شىء من كتب العلم ، ويحرم تثقيله بشىء فوقه . حكاه الخطابى عن الحليمى . ويحرم اللحن عمداً بلا عذر ، والقراءة بالعجمية والشواذ فى الصلاة وغيرها .

ويسن كتابة المصحف وتبيينها وتحسينها وتحقيق الخط دون مشقه وتعليقه ، ولا بأس بنقطه وشكله ووضع الفواتح والعواشر فيه ، ولا بكتابته بالذهب وتحليته بالفضة ، ولا بكتابته فى إناء وبسقى لمريض . ويكره محوه بالريق ونحوه ، ويكره نقش حيطان المسجد والثياب به وبأسماء الله تعالى ، ولا يجوز كتابته بشىء نجس ولا فى شىء نجس .

قال مالك : ولا بأس بكتابة الحروز من القرآن إذا كان فى قصبة أو جلد وخرز عليه والاولى تركه لانه يحمل فى حال الحدث

﴿ فصل ﴾ والذى يستعان به على حفظه أن يترك المعاصى ، ثم أن يلقن أولا آيتين آيتين، ثم ثلاث آيات، فاذا استمر فليجعله خمساً خمسا ، فاذا حفظها فعشرا عشرا ، ثم يتعاهد درس ما حفظه ليبقى له ، ويستعان على ذلك أيضا بمعرفة العدد لكل شىء ومعرفة أجزاء القرآن وأسباعه ليكون له من الدرس جزء معلوم :

وسيأتى فى باب الطب إن شاء الله تعالى مما يعين(١) على الحفظ ويورث النسيان .

﴿ فصل ﴾ والأفضل أن يقرأ وهو على طهارة مستقبلا متخشعا مطرقا فى موضع نظيف غير مقع ولا متربع ولا متكىء .

ويقرأ على حال من يرى الله تعالى ويناجيه ، فان لم يكن يراه فان الله يراه ، فان قرأ محدثا جاز بالاجماع ، وكذا لو قرأ قائما أو مضطجعاً فى غير صلاة أو ماشيا ولم يلته أو على غير ذلك من الأحوال . ولا كراهة فى شيء من ذلك وله فى كل ذلك أجر ولكن دون الاول

ويسن الخشوع والتدبر عند القراءة وترديد الآيات كذلك والقراءة على ترتيب المصحف

ويكره أن يقرأه منكوساً وهو أن يبتدىء من آخر القرآن . وأشد كراهة أن يبتدىء السورة من آخرها لو تصور

وأما تعليم الصبيان من آخره فحسن لسهولته وصعوبة الطوال .

ويسن ترتيل القراءةولو لمن لا يفهم،وطلب القراءةمن حسن الصوت،والاستماع لها ، وتحسين الصوت بها بأى وجه كان ، وترتيبها وتزيينها بترديد الصوت مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط ، فن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام قال الشافعى : وأحب أن يقرأ حدراً وتحزيناً (٢)

ويسن البكاء والتباكى مع القراءة ، وطريق تحصيله ن يحضر قلبه الحزن بان يتأمل فيه التهديد والوعيد الشديد،والوثائق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى ذلك، وان لم يحضره حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك ، فانه من أعظم المصائب . ذكره الغزالى وغيره

---

(١) كذا بالنسخ

(٢) فالحدر :الادراج (الاسراع) بلا تمطيط ، والتحزين ترقيق الصوت

﴿ فصل ﴾ وقد أجمع العلماء على أن القراءة فى المصحف أفضل من القراءة من حفظه لأحاديث وردت فيه ، ولأن القارىء نظراً يستعمل جوارحه ، عينه وفمه ويده وحجره، قال النووى: وليس هو على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له من التدبر والفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وان استويا فمن المصحف أفضل ، فان النظر أيضا إلى المصحف عبادة ، وحمله بالتعظيم عبادة ، وينبغى لمن أراد القراءة نظراً أن يتوضأ ثم يلبس أحسن ثيابه ، ثم يأخذ المصحف مجللا له . ثم يقبله ويضعه على وجهه ثم على رأسه ثم يقرأ

﴿ فصل ﴾ ومن خاف الرياء إن جهر فى قراءته فالاسرار له أفضل بحيث يسمع نفسه أو أعلى من ذلك وإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيرهما ، لأنه يتعدى نفعه إلى غيره ولأنه يوقظ قلبه ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه اليه ، ويطرد النوم ويزيد فى النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه ، فمتى حضره شىء من هذه النيات فالجهر أفضل. وقال ﷺ « إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون لقراءته »

﴿ فصل ﴾ وأفضل القراءة ما كان فى الصلاة وفى المسجد ، وأفضل الوقت للقراءة فى غير الصلاة قراءة الليل ، وأفضله النصف الأخير ، وأفضل قراءة النهار بعد صلاة الصبح ، وأفضل الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة والعشر الآخر من شهر رمضان ، والعشر الأول من ذى الحجة ولا تكره فى وقت من الاوقات

وينبغى أن لا يخلى عنها وقت، قال النووى : ومن كان مشغولا بنشر العلوم

والقضاء وغير ذلك من المصالح العامة فليقتصر على ما لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له . وكذا من كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ . ومن لم يكن من المذكورين فليستكثر من القراءة ما أمكنه من غير خروج الى حد الملل والهذرمة . قال ﷺ « لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » وأمر ابن عمر أن يقرأه فى أربعين يوماً قال أبو إسحاق فلا نحب أن يأتى أربعون على من يقرأ القرآن ولم يختمه لهذا الحديث . وكان ﷺ يحزبه فى سبع ليال . فثلاث سور حزب ، ثم خمس ، ثم سبع ، ثم تسع ، ثم إحدى عشرة سورة ، ثم ثلاث عشرة ثم المفصل . وإذا ارتج على القارىء فسأل غيره قرأ ما قبل الآية ثم سكت . ولا يقول كيف كذا وكذا فيلتبس عليه

وينبغى اذا ابتدأ القارىء من أثناء السورة أن يبتدى من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض ، فإذا وقف فليقف على آخر الكلام المرتبط ، ولا يتقيد ذلك بالاعشار ولا بالاحزاب والاجزاء ، فإنها قد تكون فى وسط الكلام كالجزء الاول فى النساء ، وجزء التوبة ونحوها . لا يبتدىء بذلك ولا يقف عليه لتعلقه بما قبله

ويسن قراءة الجماعة معاً والادارة بالقرآن وهى معينة على حفظه ، وهى أن يقرأ آية أو جزء ثم يسكت فيقرأ الآخر من حيث انتهى . والجلوس فى حلق القراءة، وليجتنب اللغط والضحك والكلام فى خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه ، ولا يعبث بيده ولا غيرها ، ولا ينظر إلى محرم ولا الى ما يلهيه

وينبغى لمن عرض له ريح وهو يقرأ أو تثاءب أن يمسك عن القراءة حتى ينقضى ذلك ثم يعود اليها ، ومن بدره ريق حال القراءة فلا يرميه فى موضع نجس أو قذر ، وتكره القراءة فى حال النعاس . وإذا استعجم عليه القرآن ، وإذا كان فمه نجسا ، وفى الطريق إن التهى ، وفى الحمام والحبس وبيت الرحا وهى تدور ،

وكره النخعي قراءة القرآن يراد بها الكلام ، ومفهوم كلام أصحاب الشافعي أنه لا بأس بذلك ، وسيأتي في آخر القسم الرابع من الباب السابع فصل يتعلق بالتلاوة إن شاء الله تعالى

﴿ فصل ﴾ والرحمة تنزل والدعاء يستجاب عند ختم القرآن،فينبغي أن يحضر الشخص أهله ومن أحب عند ذلك ويدعو بما شاء من خيرات الدنيا والآخرة . وقال ﷺ «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الابل في عقلها» وقال ﷺ «لم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها» وقال ﷺ «من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم» وقال أبو عبيد : وهذا إذا ترك تلاوته وجفا عنه حتى نسيه ، فأما الذي هو دائب على تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء ، فقد كان ﷺ ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره .

ويسن لمن نسي حزبه أو نام عن شيء منه أن يقضيه بين صلاة الصبح والظهر ، قال ﷺ « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه مابين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل »

وينبغي لحامل القرآن أن يستغني به . قال ﷺ « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »(١)

وقال ﷺ « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر عظيما » فلا ينبغي أن يرى أن أحداً أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها . قال عبدالله من قرأ من القرآن سورة آل عمران فهو غني . وقال الله تعالى (ورزق ربك خير وأبقى) أي ما رزقك الله من القرآن خير وأبقى مما رزقهم

---

(١) معناه من لم يستغن [illegible] العرب ناشية ، يقولون تغنيت بمعنى استغنيت .

من الدنيا والله أعلم .

القسم السادس عشر : كثرة الصمت وقلة الحديث بما لا يعنى قال ﷺ « من صمت نجا » وقال ﷺ « من صمت استغنى » وقال ﷺ « إذا رأيت قساوة فى قلبك ووهناً[1] فى عظمك وبدنك وحرما نافى رزقك فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك » وقال ﷺ « من كف لسانه عن أعراض الناس ، أقال الله عثرته » وتوفى رجل فقيل له : أبشر بالجنة ، فقال ﷺ لعله لم يتكلم فيما لا يعنيه ، أو لم يبخل بما لا يغنيه » ويروى « بما لا ينقصه »[2] وقال ﷺ «من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه .

فان قلت : أحب أن تبين لى طرفا مما يعنى ومالا يعنى ؟ فاعلم أن حد مالا يعنى هو ترك مالو تركته لم يفت به ثواب ولا ينجر به ضرر ، ومن جملة مالا يعنى حكاية الأسفار وأحوال الأطعمة فى البلاد وعاداتهم وأحوال الناس وصناعاتهم ، وهو جملة ماتراهم يخوضون فيه وهو مالا كذب فيه ولا مضرة على مسلم . قال الله تعالى (لاخير فى كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) الآية[3] ومعنى الا ية أن لا تتكلم فيما لا يعنيك ، وتقتصر على المهم ففيه النجاة . ذكره الغزالى رحمه الله

ومما لا يعنى أن تكرر مالا فائدة فى تكراره ، أو تزيده بزيادة ألفاظ مستغنى عنها كما سيأتى ، ومنه قولك اللهم اخز هذا الكتاب ونحو ذلك من فضول الكلام وهى لا تنحصر ، قال الله تعالى (مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال النبى ﷺ « كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو

---

(١) والوهن والضعف

(٢) كذا فى الأصل الاول وفى الثانى : لعله تكلم بمالا يعنيه او بخل الخ

(٣) والنجو فى الكلام ما يتفرد به الجماعة او الاثنان سرا كان او ظاهرا

ذكر الله تعالى » وقال ﷺ « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه »

وهذه آفات اللسان التى لا تغنى الانسان ، وهى ثلاثة وعشرون خطراً .

أولها : الخوض فى الباطل والمعاصى كحكايات صفات النساء ، ومقامات الفساق ، وإليه الاشارة بقوله (وكنا نخوض مع الخائضين) ثانيها : المراء والجدال ، قال النبى ﷺ « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة » وقال ﷺ « لا تمار أخاك » وقال ﷺ « إياكم ومشارة الناس فانها تظهر العرة ، وتدفن الغرة » (١)

وحد المراء الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه ، إما باللفظ أو بالمعنى ، فالواجب أن يصدق بما سمعه من الحق ، ويسكت عما سمعه من الخطأ ، إلا إذا كان فى ذكره فائدة ظاهرة فيذكره برفق لا عنف .

قال الخليل : لا تردن على معجب خطأ فيستفيد منك علماً ، ويتخذك به عدواً . وقال النخعى : المراء بدعة فى الدين ، وقال الأوزاعى : دع المراء فانه يقطع الألفة ويورث الضغائن . قال النووى : ويحمد الجدال للوقوف على الحق وتقريره ، ويحرم المراء فى القرآن والجدال فيه بغير حق . وقد صح أنه ﷺ قال « المراء فى القرآن كفر » وقال الخطابى : قيل المراد بالمراء الشك ، وقيل الجدال المشكل فيه ، وقيل هو الجدال الذى يفعله أهل الأهواء فى آيات القدر ونحوها .

واعلم أنه يحرم تفسير القرآن بغير علم ، والكلام فى معانيه لمن ليس من

---

(١) المشارة الملاحات والجدال . والعرة العيب . والغرة ، الحسن . وقيل : العمل الصالح

أهلها ، وأما للعلماء فجائز حسن والله أعلم . ثالثها : كثرة المخاصمة لاستيفاء حق أو مال ، وقد عدها بعض العلماء من الصغائر وهي مبدأ الشر قال ﷺ « إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد[1] الخصم ، وكفى بالمرء إثما ان لا يزال مخاصما » وقال ﷺ « من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله » وقال ﷺ « ليس منا من مات على عصبية » وقال « ﷺ ليس من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية » وقال على رحمه الله تعالى: إن للخصومات قحماً ، اى مهالك.

فينبغي أن لا يفتح على نفسه باب خصومة إلا لضرورة لا بد منها ، وعند ذلك ينصر حجته بطريق الشرع بلا لدد ولا زيادة في اللجاج ، ولا تعصب ولا غضب ولا قصد عناد ، ولا إيذاء ، ويحفظ لسانه وقلبه عن آفاتها . رابعها : التشدق بالكلام ، وتكلف الفصاحة ، والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون ، وإطالة القصص وكثرة الكلام ، قال النبي ﷺ هلك المتنطعون » قالها ثلاثا[2] وقال ﷺ « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » وقال ﷺ « إن أبغضكم إلى الله الثرثارون المتفيهقون »[3] وقال « أنا وأتقياء أمتي براء من التكلف »

فينبغي أن يقصد في مخاطبته غير لفظا يفهمه صاحبه فهما جلياً ، فلا يستثقله ولا يمله في القول ، قال ﷺ « لقد أمرت أن أتجوز في القول فإن الجواز خير » قال بعضهم : والتكلف مذموم في كل شيء ، كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه ، والتكلف في الكلام ، وزيادة التملق الذي صار دأب أهل هذا الزمان ، ولا يكاد يسلم منه إلا أفراد . وكم من متملق لا يعرف أنه يتملق وقد يخرجه تملقه

---

(١) الألد :هو الشديد المخاصمة (٢) أي المبالغون في الامور

(٣) يعني الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به افواههم

إلى صريح النفاق . وقد كان ﷺ يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم[1] وقال ﷺ « إن هـذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » فإذا كان هـذا فى العبادة فـكيف فى غيرها ؟ وقال الزهرى : إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب . وقال ابن مسعود : حدث القوم ما حدجوك بأبصارهم ، فإذا غضوا فأمسك . وقال مطرف : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه. يعنى الحديث . خامسها : الفحش والبذاء ، وهو التعبير عن الأمور القبيحة بعبارة صريحة وإن كانت صحيحة . قال الله تعـالى (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) ـ وقال النبى ﷺ « إياكم والفحش فإن الله لا يحب الفحش » وقال ﷺ « شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه» وقال ﷺ « الحياء والعى شعبتان من الايمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق»

فينبغى اذا احتاج إلى ذلك أن يستعمل الـكنايات ، ويعـبر عنها بعبارات جميلة يفهم بها الغرض، فإن دعت حاجة إلى التصريح بصريح اسمه لغرض البيان والتعليم ونحوه فلا بأس به . سادسها : الاخبار بالمعصية وإظهارها ، والتبجح بها كقولك : ما رأيتنى كيف شتمته ، أوخدعتـه فى المعاملة ، وفلجته ، ونحوه . قال ﷺ « كل أمتى معافى الا المجاهرين . وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عمـلا بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنـه » وقال ﷺ « من ارتـكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله » وقال ﷺ ما ستر الله على عبد ذنبا فى الدنيا فيعيره به يوم القيامة »

فينبغى إكثار حمد الله تعالى على ستره القبيح ، وسؤاله إدامة الستر فى الدنيا

(١) اى يتعهدهم ويلتمس نشاطهم

والآخرة ، لـكن إن أخبر بمعصيته شيخه أو شبهه ممن يرجو باخباره أن يعلمه مخرجاً منها ، أو يعلمه ما يسلم به من الوقوع فى مثلها أو يدعو له أو نحو ذلك فلا بأس به بل هو حسن . سابعها : اللعن لحيوان أو جماد أو مسلم وهو محرم ، قال ﷺ « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء ، ومن لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه » وقال ﷺ « لعن المؤمن كقتله » وقال « عثر رجل برجل حماره فقال تعست ، فـكتبت بها عليه خطيئة » وقال ﷺ « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بجهنم » ويروى « ولا بالنار » فينبغى إذا لعن ما لا يستحق أن يبادر بقوله الا إن كان يستحق . ذكره أبو جعفر النحاس . وانما يحرم لعن المصون فاما ذو الوصف المذموم فان كان غير معين جاز لعنه ، كقولك لعن الله الظالمين ، ولعن الله من فعل هـذا ، وان كان معينا كالذى اتصف بشىء من المعاصى من ظالم أو سارق فظاهر الحديث أنه لا يحرم وأشار الغزالى إلى تحريمه الا من علمنا موته على الـكفر .

قال الغـزالى أيضاً : ويقرب من اللعن الدعاء على إنسان بالشر كقوله : لا أصح الله جسمه ونحوه فـكل ذلك مذموم . وقال لا تذمن شيئا مما خلق الله ، فقد كان ﷺ لا يذم الطعام الردىء إن اشتهاه أكله وإلا تركه

ويجوز الدعاء على من ظلمه أو ظلم غيره من المسلمين . قال النووى : وعلى من خالف الحـكم الشرعى

قلت : وترك الدعاء عـلى ظالمه أولى لقوله ﷺ « إن المظلوم يدعو على ظالمه حتى يكافئه ، ثم يبقى للظالم عليـه فضل عنده يطالبه به يوم القيامة » وقال ﷺ « من دعى على من ظلمه فقد انتصر » وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها وقد سمعها تدعو على من سرق متاعها « لا تسبخى بدعائك عليه » أى لا تخفق

قلت وشبيه باللعن قولك قاتله الله ونحوه

﴿فصل﴾ ومن هذا اللعن الدعاء على النفس والاهل والمال قال ﷺ « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لئلا توافقوا من الله ساعة نيل فيها عطاء فيستجاب لكم » وقال ﷺ « لا تدعو على أولادكم فتحرموا برهم » قلت : وهذا إذا خرج الدعاء عن جد فاما اذا سبق على اللسان من غير قلب فالمرجو أنه من اللغو الذى لا يؤاخذ الله به قال أبو عبيد : وقد يرد الدعاء بلسان العرب ولا يريدون معناه كقوله ﷺ تربت يداك ، وعقرى حلقى ، وقول ابن عباس فى امرأة خطأ الله نوءها ، وقول امرؤ القيس يمدح رجلا بجوده * الزمنا ماله * لاعدمنا نفره * وكقولك للرجل يفعل الشىء أو يتكلم بكلام يعجبك منه ماله لا عد من نفره ، قاتله الله ، أخزاه الله ونحوه مما يجرى على ألسنتهم من غير نية الدعاء والله أعلم . وقال الهروى فى قوله تعالى (ويدعو الانسان بالشر دعاءه بالخير) أى يدعو على نفسه وولده وماله عند الضجر عجلة منه ولا يعجل الله عليه . وقال الثعالبى: لا يستجيب له فى ذلك وقال الله تعالى (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) قال الواحدى يقول لو أجابهم الله تعالى اذا دعوا بالشر لماتوا وهلكوا جميعاً وقال ﷺ « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فان كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم احينى ما كانت الحياة خيراً لى ، وتوفنى اذا كانت الوفاة خيراً لى » قال العلماء : وأما اذا تمنى الموت خوفا على دينه لفساد الزمان ونحوه فلا بأس

وندب أن يدعو بموته شهيدا أو فى البلد الشريف ، فقد صح أنه ﷺ « قال من سأل الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه »

ثامنها : المزاح الذى فيه إفراط ويداوم عليه حتى يورث الضحك والقسوة ، وقد يؤدك الى الايذاء والحقد ويسقط المهابة والوقار قال ﷺ « لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعداً فتخلفه » . وقال ﷺ ان الرجل ليتكلم بالكلمة

يضحك بها جلساءه فيهوى بها فى النار أبعد من الثريا» وقال ﷺ « كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء الوجه » وقال ابراهيم النخعى رضى الله عنه : ان الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله فيسخط الله بها ، فيصيبه السخط فيعم بها من حوله ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة يرضى بها الله فتصيبه الرحمة فتعم من حوله

﴿ فصل ﴾ ولا بأس باليسير منه فى بعض الاوقات ، سيما فى السفر ومع النساء أو الصبيان تطييباً لقلوبهم ، وذلك سنة فعله النبي ﷺ وقال لجابر « هل لا تزوجت بكراً تداعبها وتداعبك » وقال لعجوز « لا تدخل الجنة عجوز » [1] وقال ﷺ « يا أبا عمير ما فعل النغير » [2] وقال ﷺ لأنس « يا ذا الأذنين » ونحو ذلك كثير وقال ﷺ « من كان عنده صبي فليتصاب له » وقال ﷺ « إن الله لا يؤاخذ المزاح الصادق فى مزاحه » وقال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد فى مزاحك فكثرته تذهب بالبهاء ، وتجرىء عليك السفهاء ، وتركه يغيظ المؤانسين ، ويوحش المخاطبين . وقد كان رسول الله ﷺ يصارع ركانة وغيره ، وكانت الصحابة رضى الله عنهم يتمازحون ويتبادحون [3] بالبطيخ ويجذون حجراً لاختبار قوتهم . وقال عمر لابن عباس : تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفساً ، — وهما محرمان — وقد ورد الأمر بملاعبة الزوجة ، وتأديب الفرس ، وتعلم الرمى والسباحة .

تاسعها : السخرية والاستهزاء وهو حرام . قال الله تعالى (لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء) الآية . ومعناه الاحتقار والاستهانة والتعيير بالعيوب . وقال ﷺ « إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم

---

(١) اى لا تبقى عجوزاً فيها بل تعود شابة (٢) عصفور كان يلعب به الصبي.
(٣) اى يترامون به .

باب من الجنة فيقال هلم هلم ، فيجىء بكربه وغمه . فاذا وصله أغلق دونه ، فلا يزال كذلك حتى أن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم ، فما يأتيه ليأسه منه » وقال ﷺ « لا تظهر الشماتة لأخيك فيعافيه الله ويبتليك » وقال ﷺ « من شمت بالمصيبة ابتلى بها » وقال « من عير أخاه المسلم بذنب لم يمت حتى يعمله » ويروى « بذنب قد تاب منه » وقال ﷺ « إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم » قال مالك : يعنى إذا قال ذلك عجباً بنفسه وتصاغراً للناس ، فان قاله تحزناً لما يرى من أمر دينهم ، ويرى نفسه مع الهالكين معهم فلا بأس به . وقال ﷺ « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون نعله حسنة ، وثوبه حسناً . فقال ﷺ « إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمض الناس »[1] قال الغزالى : والأنفة من الحق ، والاستحقار بالخلق يغلق باب السعادة فلا تحتقرن أحداً فلعله ولى من أولياء الله تعالى

عاشرها : المواعيد الكاذبة قال الله تعالى (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) قال الواحدى : أى ان الله تعالى يبغض بغضاً شديداً أن تعدوا من أنفسكم ثم لم تفوا به . وقال ﷺ « العدة دين » وقالت امرأة لولدها الصغير : تعال أعطك ، فقال ﷺ « وماذا كنت تعطيه لو جاءك ؟ » قالت تمرة ، قال « أما لو لم تفعلى كتبت عليك كذبة » . وقال ﷺ « آية المنافق ثلاث . اذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، واذا ائتمن خان ، وان صام وصلى وزعم أنه سلم » وقال ﷺ « المسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرم حلالا وأحل حراماً » وقال النووى : وخلف الوعد عندنا مكروه وأما من واعد صاحبه ؛ وفى نيته أن يجيبه ثم عاقه عائق من مطر أو مخافة أو مرض لم يسم ناقضاً لموعده انما وعده كان بشرط السلامة وارتفاع الموانع . من كتاب الحلل . وقال خوات : مرضت فعادنى النبى ﷺ

---

(١) بطره اى دفعه وإبطاله . وغمض الناس ، ويروى وغمط ومعناهما الاحتقار

فقال « صح الجسم يا خوات » فقلت : وجسمك يا رسول الله ، قال « فف لله بما وعدته » قال ما وعدت الله شيئا ، قال « بلى ! مامن عبد يمرض الا أحدث لله خيراً فف لله بمـا وعدته »

الخطر الحادى عشر : الـكذب، وهو من أقبح الذنوب ، قال الله تعالى (إنما يفترى الـكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وقال تعـالى (قتل الخراصون)[١] وقال ﷺ « كل خصلة يطبع عليها المؤمن إلا الـكذب والخيانة » وقال ﷺ « ويل لمن يتحـدث بالـكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له » وقال ﷺ « الـكذب ينقص الرزق » وقال ﷺ « إياكم والـكذب فان الـكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار » فبان لك أن الـكذب حرام فى كل شىء إلا لضرورة ، وهو الاخبار عن الشىء بخلاف ما هو به سواء جهلت أم تعمدت لـكن لا إثم إلا فى العمد

واعلم أن كل مقصود أو محمود أمكن التوصل اليه بالـكذب ولم يمكن بالصدق فلـكذب مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً ، وواجب إن كان واجباً ، ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه .قال الغزالى رحمه الله : وفيه يكون كذب أكثر الناس ، فاذا اختفى مسلم من ظالم وجب الـكذب باخفائه عنه ، وكذا لو كان مقصود حرب أو صلح أو استمالة قلب مجنى عليه لا يحصل إلا بالـكذب فلا يحرم . وفى معناه كذبه ليستر مال غيره عن ظالم ، وإنـكاره لشىء غيره ، وكذا كل ما ارتبط به غرض صحيح مقصود كأن سـأله ظالم عن ماله ليأخذه ، أو سأله الامام عن فاحشة ارتـكبها بينه وبين ربه تعالى فله الانكار، وكانكاره مع زوجته أن تـكون ضرتها أحب إليـه ، وكأن يسأل عن سر أخيـه فينكره ،

---

(١) يعنى لعنوا. وهم الخطاط والكتاب والعياف والنجام والكهان والحساب وكل كاذب أو قائل بالظن

وكانكاره خيانة نفسه على غيره ليطيب قلبه،ونحو ذلك، فكل هذا مباح ، وذلك يرجع إلى دفع المضرات

قال ابن عيينة : ولو أن رجلا اعتذر إلى آخر فحرف الكلام وحسنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذباً ، لأن إصلاحه فيما بينه وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس.وقد قال ﷺ « لا يحل الكذب إلا فى ثلاث . كذب الرجل على امرأته ليرضيها ، والكذب فى الحرب ، والكذب ليصلح بين الناس » وقال ﷺ « من لم يقبل العذر ممن تنصل إليه صادقاً أو كاذباً لم يرد على الحوض إلا منضحا » وقال ﷺ « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى» وقال ﷺ «ما من أحد يعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره الا كان عليه خطيئة صاحب مكس»[(١)] وقال ﷺ « ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً[(٢)] »

ويجوز الكذب لاظهار الحق ، قال الله تعالى (بل فعله كبيرهم هذا) وقال (ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) فينبغى أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق . فان كان المفسدة فى الصدق جاز له الكذب وإن كان عكسه أوشك حرم

﴿ فصل ﴾ وفى المعاريض مندوحة — أي سعة وغنى — عن الكذب ، وهو أن يطلق لفظاً هو ظاهر فى معنى يريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ لكنه خلاف ظاهره ، وهو ضرب من الخداع ، فن دعت إليه مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب ، أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض والتورية ، وإن لم يكن شيء من ذلك كره ، وليس بحرام إلا أن يتوصل به إلى

---

(١) وهو العشار (٢) اى أبلغ ورفع للاصلاح

أخذ باطل أو دفع حق ، وهذا مالم يحلفه القاضى ، فان حلفه القاضى بالله فى دعوى فلاعتبار بنية القاضى

مثال التعريض المباح : الله يعلم ماقلت من ذلك من شيء ، اطلبه فى المسجد، خرج أبى فى وقت قبل هذا ،مارأيته ، ماذكرته ، ماقلبته : ماخدعته ، ماحلفته ، أى ماضربت ورأيته وذكره،وقلبه وأخدعه وحلفه. أناعلى نيةموهما أنهصائم ونحو ذلك ، فلو حلف على شيء من ذلك. وورى لم يحنث، وإن حلف بالطلاق ونحوه .

ومن الكذب قولهم فى المبالغة . قلت لك، أو طلبتك مائة مرة ونحوه ، فان لم يكن طلبه إلا مرة فقط كان كاذباً ، وإن طلبه مرات لا يعتاد مثلها كثرة لم يأثم ، وإن لم يبلغ مائة . فقد قال ﷺ « أبو جهم لا يضع عصاه عن عاتقه » ومعلوم أنه كان يضعها وقت الصلاة والنوم والأكل ، على أى تأويل كان . وقال فى الكهان « ليسوا بشيء » . وقال سليمان عليه السلام : وأوتينا من كل شيء . ومعلوم أنه لم يؤت ما مع بلقيس . وقولها : وأوتيت من كل شيء . ومعلوم أن النبوة وملك سليمان شيء كبير لم تؤته . ومنه قوله لمن يخاصمه : ياتيس، ويا كلب ونحوه ، بخلاف قوله: ياظالم فانه يتسامح به فى المخاصمة لأنه قل أن يوجد إنسان إلا وهو ظالم لنفسه وغيرها .

وينبغى للانسان أن لا يحدث بكل ما سمع إذا لم يظن صحته ، قال ﷺ « كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع » وقال « بئس مطية الرجل زعموا » .

﴿فصل﴾ واعلم أن اليمين مكروهة وإن كانت فى صدق لقوله ﷺ «اليمين حنث أو ندم » فن كانت فى طاعة كالبيعة على الجهاد ، أو صادقة فى الدعوى ، أو دعت إليها حاجة كتوكيد كلام ، أو تعظيم أمر، لم تكره فى شيء من ذلك ، فاليمين الغموس كبيرة وهى أن يحلف على ماض كاذباً وهو عالم ، قال ﷺ « اليمين الفاجرة تعقم الرحم وتدع الديار بلاقع » وقال ﷺ « من حلف على

يمين مصبورة كاذبة فليتبوأ مقعده من النار » وقال ﷺ « اليمين الفاجرة تذهب بالمال » وقال ﷺ « إن اليمين الكاذبة نحس على ذرية الحالف إلى يوم القيامة » وقال ﷺ « لا تكثروا الحلف في البيع فانه ينفق ثم يمحق » وقال ﷺ « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » وقال ﷺ « من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة » وقال ﷺ « من اقتطع حق إمرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة وإن كان قضيباً من أراك » ثم قرأ (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) الآية .

ولغو اليمين معفو عنه ، وهو أن يسبق لسانه إلى لفظها بلا قصد كقوله في غضب أو لجاج أو عجلة أو صلة كلام : لا والله ، وبلى والله ، أو كان يحلف على شيء فسبق لسانه إلى غيره أو سبق إلى الحلف بغير الله بلا قصد : فانه لا إثم في شيء من ذلك ولا كفارة ، قال ﷺ « أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة » ومن اللغو قوله : هذا الطعام أو الثوب حرام علي ، أو إن فعلت كذا فذلك حرام علي ، فانه لا يحرم شيء من ذلك ولا كفارة ولا غيرها .

ويكره الحلف بغير أسماء الله تعالى وصفاته ، سواء في ذلك الأنبياء والملائكة ، والكعبة ، والحياة ، والروح ، وغير ذلك ، ومن أشدها (كراهة) الحلف بالأمانة ، قال ﷺ « من حلف بالأمانة فليس منا » وقال ﷺ « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » وقال ﷺ « من حلف بغير الله فقد أشرك » قال في البيان : ولا يخلو الحالف بغير الله من أقسام ، أحدها : أن يقصد قصد اليمين ولا يعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد بالله فهذا يكره ولا يكفر به . الثاني : أن يقصد اليمين ويعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد بالله فهذا يحكم بكفره . الثالث : أن يجرى على لسانه من غير

قصد إلى المحلوف به فهذا لا يكره كلغو اليمين المتقدم . ومن قال إن فعلت كذا فأنا يهودي ، أو برىء من الله أو الرسول أو الكعبة ، أو الاسلام ، أو مستحل للخمر ، أو الميتة ، أو الدم ، فلا يمين، فان قصد تبعيد نفسه عنه لم يكفر لكن ارتكب محرماً فليتب ويأت بالشهادتين ندباً ، ويستغفر وإن قصد الرضا بذلك وما فى معناه إذا فعله كفر حالا ، قال الله تعالى فى الذين يظاهرون من نسائهم (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً)

﴿ فصل ﴾ والنذر منهى عنه لقوله ﷺ « النذر لا يغنى من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج به من البخيل » وقال ﷺ « الطلاق يهتز منه العرش » ويروى « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » وقال ﷺ « ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق »

الخطر الثانى عشر : الغيبة ، وهى محرمة قال الله تعالى (ولا يغتب بعضكم بعضاً) الآية . وقال تعالى (ويل لكل همزة لمزة) قال الواحدى : وهو الذى يغتاب الناس ويغضهم . وقال النبي ﷺ « إياكم والغيبة فانها أشد من الزنا ، وإن الرجل ليزنى ويتوب فيتوب الله عليه ويغفر له وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها » وقال ﷺ « الغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الاسلام » وقال ﷺ « من اغتاب جاره المسلم حول الله قبله إلى دبره يوم القيامة » وقال ﷺ « الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه ، وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم » ويروى « إن الله عز وجل أوحى إلى موسى : يا موسى أتحب أن أنصرك فى الدنيا والآخرة ؟ قال : نعم ! قال لا تذكر مسلماً بما يكرهه إذا سمعه » وأوحى الله أيضاً إليه ما من مسلم يموت تائباً من الغيبة إلا كان آخر من يدخل الجنة . ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار . وقال الجنيد رحمه الله ترك الغيبة أفضل من

سبعين حجة ، ومن عتق عسر رقاب . ومن انفاق جبل (من مال) ويروى : من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه.

والغيبة هى كل ما أفهمت بهغيرك نقصان مسلم بما فيه مما يكره ، سواء كان فى بدنه أو دينه أو دنياه أو خلقه أوخلقه أو والده أو ولده ، أو زوجه أو خادمه أو لباسه أودابته أو ماله أوحركاته أو فى شىء مما يتعلق به، تلفظت بذلك أو كتبت أو أشرت أو لوحت . ذكر عنده ﷺ رجل فقيل : ما أعجزه ؟ فقال ﷺ « اغتبتموه » وقالت عائشة فى امرأة خرجت من عندها : ما أطول درعها ! ! فقال ﷺ « قد أكلت لحمها يا عائشة » وقالت : حسبك من صفية كذا كذا — تعنى قصيرة — فقال لها « لقد قلت كلة لو مزج بها البحر لمزجته »[1] واعلم أن السكوت على الغيبة ونحوها حرام . قال ﷺ « المغتاب والمستمع شريكان فى الاثم » وقال تعالى (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) — يعنى فى الاثم — فيجب على سامعها ردها وإبطالها ، فان عجز فارق ذلك المجلس ، فان تعذر قعد كارهاً ويشغل نفسه بذكر أو فكر حتى لا يسمعها

﴿فصل﴾ وتباح بأحوال — أحدها غيبة المجاهر بفسقه فيما يجاهر به لا غير ، وعليه يحمل قوله ﷺ « ليس لفاسق غيبة ، ومن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » وللمتظلم إلى من له قدرة على أن ينصفه من ظالمه . وللمستعين على إزالة المنكر إلى من يرجو قدرته على إزالته . وللمستفتى كقوله : ظلمنى أبى أو زوجى بكذا فما ترى فيه ؟ وللتعريف فيذكره بلقبه كالأعرج والأقرع والحداد والاسكاف ، ناوياً التعريف لا غير . ولتحذير المسلمين من الشر ، قال ﷺ أترعون عن ذكر الفاجر ؟ متى يعرفه الناس ؟ اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس»

---

(١) أى لو جعلت فى البحر لغيرته لشدة نتنها وقبحها .

وذلك كمن استشارك فى معاملة شخص أو مصاهرته يجب أن تذكر ما تعلمه منه على وجه النصح إن لم يحصل الغرض إلا بصريح ذلك . وكبيان عيب السلعة إن لم يعلمه المشترى ، وكجرح المجروح من الرواة والشهود ، فيجب كل ذلك ؛ وكما إذا أنت رأيت من له نيابة لا يقوم بها على وجهها يجب ذكر ذلك لمن له عليه راية أو ولاية عامة ليزيله ، أو يعلم ذلك منه فيعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به ، أو رأيت من يأخذ العلم من مبتدع أو فاسق وخفت تضرره بذلك وجب بيان حاله بقصد النصح فى كل ذلك

﴿ فصل ﴾ ويحرم أيضا أن تحدث نفسك بمساوى مسلم ، وأن تسىء الظن به وتعقد عليه قلبك . قال ﷺ « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن تسىء الظن به » وقال ﷺ « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، — وأشار الى صدره ثلاثاً — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، ان الله لا ينظر الى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم »

قلت : وما أحسن فوائد هذا الحديث ، وما أحسن قول المتنبى فى الظن

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه　　　وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته　　　فأصبح فى ليل من الشك مظلم

وقال ﷺ « من أساء الظن بأخيه فقد أساء بربه » وقال ﷺ « حسن الظن من حسن العبادة » وقال أبو داود : يريد أن تحسن الظن بالناس وتلتمس لهم المخارج . وقال ﷺ « اذا ظننت فلا تحقق » وقول عمر : احتجزوا من الناس بسوء الظن ، أى لا تثقوا بكل أحد فانه أسلم لكم كما قال ﷺ « الحزم

سوء الظن ، والثقة بكل أحد عجز »

وقال الجنيد:معناه أسيئوا الظن بأنفسكم تسلموا من الناس ، وقال الله تعالى (إن بعض الظن إثم) قالسفيان : الاثم هو أن تظن ظناً وتتكلم به. قلت :وتحققه. فأما الخواطر وحديث النفس بالغيبة والكفر وغير ذلك ما لم يستقر ويستمر عليه صاحبه — فمعفو عنه باتفاق العلماء . قال ﷺ « إن الله تعالى تجاوز لأمتى عما تحدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل » لكن يجب دفع الخاطر بالاعراض عنه ، وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره ، ومهما خطر لك سوء فى مسلم فزد فى إكرامه ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ،ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة لا شك فيها فانصحه فى السر ؛ ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه.ذكره الغزالى رحمه الله وغيره

فينبغى لكل بالغ عاقل حفظ لسانه إلا عن كلام تظهر فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه فى المصلحة أو شك فيمسك عنه.وقال ﷺ « من حفظ لسانه ستر الله عورته ، ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه ، ومن اعتذر إليه فى الدنيا قبل الله معذرته في الآخرة » قال الحكيم الترمذى : ان الله تعالى بكرمه ولطفه ، يقبل من المعتذر صادقاً كان أو كاذباً

الخطر الثالث عشر : النميمة وهى كبيرة ، قال الله تعالى (هماز مشاء بنميم) وقال ﷺ «لا يدخل الجنة نمام »وقال ﷺ « من مشى بالنميمة قطع له نعلان من نار يغلى منهما دماغه ؛ وأكثر عذاب القبر من النميمة ، والبول ، والخيانة . وهى إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول اليه أو غيرهما ، سواء كان الكشف بالقول أو الكتب أو الرمز ونحوه ، سواء كان المنقول عملا أو قولا عيباً ، أو غير عيب ، حتى لو رآه يخفى مال نفسه

فذكره فهو نميمة

فينبغي لكل أحد أن يسكت عما يراه من أحوال الناس إلا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية قال ﷺ «ما من مسلم يريد لمسلم فضيحة إلا فضحه الله في الدنيا والآخرة، ومن شيع فاحشة على مسلم عذبه الله في الدنيا والآخرة» وذلك قوله تعالى (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة) وشر خلق الله في عباده أبصرهم بعيوب الناس. وقال ﷺ «لا تتبعوا عورات المسلمين فانه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» وقال ﷺ «من أشاع على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها يوم القيامة في النار» وقال ﷺ «من أشاع فاحشة فهو مثل من أبداها» — أي فهو كفاعلها لاشاعته إياها — وقال ﷺ «اغفر الذنب واستر العيب يفعل الله لك ذلك» وقال ﷺ «لا يستر عبد عبداً في الدنيا الا ستره الله في الآخرة» وقال ﷺ «انما يتجالس المتجالسان بأمانة الله، ولا يحل لأحدهما أن يفشي لصاحبه ما يكره» وقال ﷺ «اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة» وقال ﷺ «ان أحبكم الى الله أحاسنكم أخلاقا، الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، وان أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة الملتمسون لهم العثرات المفرقون بين الاحباب»

ويروى أن الله تعالى قال لموسى: لا تتعرض لهتك ستر مسلم بما قد صنع، فني أهتك ستر من لا يستر الناس. ويروى أن موسى قال: يا رب أي عبادك أقبح؟ قال: من اذا رأى سيئة أفشاها. قال ﷺ «من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة»

﴿فصل﴾ وهنا أذكر الأمر بالمعروف وهو واجب الشرع، والنهي عن المنكر وهو محرمه. وذلك واجب على آحاد المسلمين، قال الله تعالى (وأمر

بالمعروف وانه عن المنكر) الآية . وقال فى قوم جعل منهم القردة والخنازير (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية . وقال ﷺ : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » وقال ﷺ « إذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى ، وإذا تسابت أمتى سقطت من عين الله » وقال ﷺ « إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » وقال الله تعالى فى قوم نهوا فلم ينتهوا (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس[1] بما كانوا يفسقون) فذكر أنه أنجى الآمرين بالمعروف وأهلك الآخرين . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ، وتدعون عليه فلا يستجاب لكم ، وتنتصرون فلا تنصرون ، وتستغفرون فلا يغفر لكم. ولا يسقط بكونه يظن أنه لا يفيد ، أو يعلم بالعادة أن كلامه لا يؤثر، ولا بكون المأمور أجل من الآمر وأفضل. ولا يشترط كونه ممتثلا ما يأمر به ، مجتنباً ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر والنهى فى حق نفسه وحق غيره ، فان أخل بأحدهما لم يجز الاخلال بالآخر . قال ﷺ «مروا بالمعروف وإن لم تفعلوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تنتهوا عنه كله » وأما قوله تعالى (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فالمراد بالاهتداء امتثال أمره تعالى . ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . فانما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى ، فان كان من الواجبات المشهور كالصلاة والصوم ، أو المحرمات المشهورات كالزنا والسرقة ، فكل المسلمين علماء بهما ؛ وإن كان من دقائق الأقوال والافعال وما يتعلق بالاجتهاد فذلك للعلماء ومن أعلموه . ولا ينكر

(١) أى شديد

إلا ما أجمع العلماء على إنكاره لا ما اختلف فيه ، ويغيره بكل وجه أمكنه ، ولا يكفى الوعظ لمن أمكنه إزالته باليد ، ولا تكفى كراهة القلب لمن قدر على النهى باللسان

وينبغى أن يرفق فى التغيير بالجاهل والظالم الذى يخاف منه ، فان لم يمكنه الاستقلال استعان إن قدر ، ما لم يؤد إلى إظهار حرب أو سلاح ، فان عجز رفع إلى صاحب الشوكة فان عجز عن ذلك كله كرهه بقلبه ، وذلك أضعف الايمان . وليس له البحث والتجسس واقتحام الدور بالظنون ، بل إن رأى شيئا غيره ، إلا أن يكون فيه هتك حرمة يفوت تداركها بان يخبره ثقة أن رجلا اختلى بآخر ليقتله ، أو بامرأة ليزنى بها ، فيجوز حينئذ التجسس والاقدام على الانكار ، ولا يسقط الامر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا بان يخاف على نفسه أو ماله ، أو يخاف الاستخفاف بجاهه بوجه يقدح فى مروءته ، أو يخاف على نفسه مفسدة أعظم من مفسدة المنكر الواقع

روى الخطابى باسناده : أن النبى ﷺ قال « إن الله عز شأنه يسأل العبد حتى يقول ما منعك إذ رأيت المنكر فى الدنيا أن تنكره ؟ فاذا لقن الله عبداً حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس » قال فعلى هذا لا يخرج المرء إن شاء الله إذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا خاف عاديتهم ولم يأمن بوائقهم مادام كارهاً لفعلهم بقلبه مصارما لهم بعزمه .

قلت : ويجوز بل يستحب التبرؤ من أهل البدع والمعاصى ، ودليله فى الصحيحين مشهور ، ومن أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً فهو كمن عمله .

الخطر الرابع عشر : كلام ذى اللسانين ، وهو أن يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد منهما بما يوافقه لغير غرض الاصلاح . قال الغزالى : وذلك عين النفاق قال ﷺ « من كان له وجهان فى الدنيا كان له لسانان من نار يوم

القيامة ويروى : شر عباد الله ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . وقال ﷺ « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثا هو لك مصدق وأنت له به كاذب » وقال الجنيد رحمه الله : إن المؤمن من تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد ، ووجه واحد ، ونصيحة واحدة ، وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم ويسعى مع كل ريح

وأما ماروى أن رجلا إستأذن النبى ﷺ فقال : إيذنوا له ، بئس أخو العشيرة هو ، فلما دخل عليه انطلق فى وجهه وانبسط اليه ، فان هذا منه ﷺ من باب المدارة والتأليف إلى الخير ، لا من باب النفاق . وكان قوله « بئس أخو العشيرة » بيانا لحاله وتحذيرا منه ، لئلا يغتر به . وقول أبى الدرداء : إنا لنكشر فى وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم ، محمول على ذلك ، وكذا قول ابن مسعود : خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه . والله أعلم .

الخطر الخامس عشر : المدح قال الله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) الآية وقال ﷺ « اذا رأيتم المداحين فاحثوا فى وجوههم التراب » ومدح رجل آخر عند النبى ﷺ فقال له « ويحك قطعت عنق أخيك أوصاحبك ولو سمعها ما أفلح » وقال ﷺ «اذا مدح الفاسق اهتز العرش » وقال ﷺ « إياكم والمدح فانه الذبح »

لكن اذا لم يجازف ولم يدخل فى حد الكذب وكان فى غيبة الممدوح فلا بأس به وهو يزيد فى المحبة ، وان ترتبت عليه مصلحة ولم يجر الى مفسدة بأن يبلغ الممدوح فيفتتن ونحوه فهو مستحب . وأما المدح فى الوجه فان كان الممدوح كامل الايمان حسن اليقين والرياضة ، ذا معرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر فلا بأس به ، وان خيف شيء من ذلك كره ، وأما مدح النفس فان ذكره للافتخار واظهار الارتفاع والتميز على الاقران ونحوه كره ، وان كان فى

ذكره مصلحة دينية بأن يكون آمراً أو ناهياً أو مشيراً بمصلحة أو معلماً أومصلحا أو يدفع عن نفسه شراً ونحوه فلا بأس به ، فيذكر محاسنه ناويا أن يكون هذا أقرب الى قبول قوله ونحوه . وقيل لبعض الحكماء : ما الصدق القبيح ؟ قال : ثناء المرء على نفسه

الخطر السادس عشر : الافساد والتحريش قال ﷺ « ليس منا من خبب امرأة على زوجها، أو عبداً على سيده » — أى أفسده — فيحرم أن تحدث عبد غيرك أو زوجته أو ابنه أو خادمه ونحوه بما يفسدهم عليه اذا لم يكن أمراً بمعروف أو نهيا عن منكر وقال ﷺ « لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئا فانى أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر» وقال ﷺ « اذا ابتغى الامير الريبة فى الناس أفسدهم » وقد نهى ﷺ عن التحريش بين البهائم وهو الاغراء بينهن حتى يتقاتلن ، فما ظنك بالآدميين ؟ وقال قتادة ومجاهد والحسن : ان من الجن شياطين ، ومن الانس شياطين ، وان شيطان الجن اذا أغوى المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الانس — وهو شيطان الانس — فأغراه بالمؤمن يفتنه ، فلا يغرى إلا شيطان .

الخطر السابع عشر : سب المسلم وإذاؤه وهو حرام . قال النووى رحمه الله . ويحرم أن يقال لمسلم يا كافر ، ويا عدو الله ، وأن يدعى عليه بسلب الايمان ونحوه . قال الله تعالى (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وقال ﷺ « لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » وقال ﷺ «من دعا رجلا بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا جار عليه » وقال ﷺ « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقال ﷺ : ساب المؤمن كالمشرف على الهلكة » وقال ﷺ « المتسابان ما قالا ، فعلى البادى منهما ما لم يعتد المظلوم »

وقال ﷺ « ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من الله عز وجل ، فاذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله تعالى» وقال ﷺ « من آذى مؤمناً فقيراً بغير حق فكأنما هدم الكعبة عشر مرات، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين » وقال ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يؤذى المؤمن والله يكره أذى المؤمن »

قال بعض العلماء : فان كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة ، فقد سار رسول الله ﷺ فطمة بحضرة جميع أزواجه . وقال لابى بكر حين أراد أن يسر اليه « أخرج من عندك » فقال إنما هم أهلك . فذكر حديث الهجرة وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن يشد إلى أخيه بنظرة تؤذيه » وقال ﷺ « لا يحل لمسلم تفريع مسلم » ويروى « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » وقال « إن روعة المسلم عند الله عظيم »

الخطر الثامن عشر : المن بالعطية ، وهو حرام ، وقد تقدم بيانه فى القسم الثامن. وقال ﷺ « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » فقرأها ثلاث مرات . فقال أبو ذر: خابوا وخسروا ، من هم يارسول الله ؟ قال « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » وقال ﷺ « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان »

الخطر التاسع عشر : شهادة الزور وهى كبيرة ، قال الله تعالى (واجتنبوا قول الزور) ؟ وقال ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ثلاثاً ، قالوا بلى يارسول الله ! قال « الاشراك بالله تعالى ، وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، وشهادة الزور » قال الراوى : فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وقال ﷺ « عدلت شهادة الزور بالشرك بالله » وقال ﷺ « شاهد الزور لن تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النار » ويروى : يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعا لسانه في النار »

وقال ﷺ « من شهد شهادة ليستباح بها مال امرىء مسلم فقد استوجب النار » وقال ﷺ « من كتم شهادة إذا دعى كان كمن شهد بالزور » وقال تعالى فى الذين يظاهرون (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً)

ومن ذلك الطعن فى النسب الثابت فى ظاهر الشرع ، وقذف المحصن وذلك حرام . قال الله تعالى (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) الآيات وقال الله تعالى (ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرمى به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا) وقال ﷺ « قذف محصنة يحبط عمل مائة سنة » وقال « اثنتان فى الناس هما بهم كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت » وقال ﷺ « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيء ، ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه إلا احتجب الله عنه يوم القيامة وفضحه على رؤس الخلائق فى الأولين والآخرين » وقول الله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) معناه لا تقل ماليس لك به علم . قال قتادة : لا تقل علمت ولم تعلم ، وسمعت ولم تسمع ، ورأيت ولم تر (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وفى هذا زجر عن النظر إلى مالا يحل ، والاستماع إلى مايحرم ، وإرادة مالا يجوز .

الخطر العشرون : الشعر ، سئل النبي ﷺ فقال : « كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح »[1] ويحرم هجو مسلم فيه ولو بعـا فيه ؛ والتجرد له ، والاقتصار عليه مذموم على كل حال ، قال ﷺ وقد عرض له شاعر ينشد شعرا « لأن يمتلىء جوف

---

(١) فان الشعر كالنثر يحمد حيث يحمد ويذم حيث يذم ولا بأس باستماع نشيد الاعراب وهو إنشاد الشعر من غير لحن فقد استنشد ﷺ الشريد من شعر امية بن ابى الصلت كلما انشده بيتا قال ﷺ هيه حتى انشده مائة بيت

أحدكم قيحا خير له من أن يمتلىء شعراً » فما كان منه فى المواعظ والحكم وذكر نعم الله وصفة المتقين . فهو حسن . وما كان من ذكر الأطلال والأزمان والأمم فهو مباح ، وما كان من هجر وسخف فحرام ، وما كان من وصف الخدود والقدود والشعور فهو مكروه ، كذا فصله أبو النجيب السهرودى . وكثرة إنشاده وإنشائه حتى يترك به مهماته ، أو يجعله مكسبة له نقص مروءة ترد به الشهادة

قال الوالد الفقيه موسى بن أحمد الوصابى رحمه الله : والغناء من غير آلة مطربة ممنوع منه شرعاً ، وقال فى البيان : هو مكروه لا محرم ولا مباح . وقال مالك وأبو حنيفة وغيرهما : هو مباح . والشعر والرجز والهزج والنصب وجميع ضروب الشعر يسمى غناء إذا أخذ بلحن أى طريقة . قال ﷺ « مامن رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله إليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت . قال فى الروضة : ويحرم الغناء بالآلة المطربة التى هى شعار شاربى الخمر ، كالعود ، والصنج ، والمعازف والأوتار ، والمزمار العراقى ، والشبابة والضرب بالصفارتين ، ولا يحرم من الطبول إلا المكوبة وهو طبل واسع الطرفين ضيق الوسط . وقال : وتكره أشعار المولدين المشتملة على الغزل والبطالة ، ويحرم التشبب بمعينة ولو بزوجته وأمته فى الأصح إذا ذكر ماحقه الاخفاء . ولا بأس للنساء بضرب الدف فى العرس والختان ، ولو ذا جلاجل ، وفى جوازه فى غيرهما خلاف

قلت : وكل ماحرم فعله أو قوله حرم القصد لاستماعه والنظر إليه ، ولا بأس أن ينشد على الأرجوحة مايباح ، ولا بالحداء فى السير للسرعة وتنشيط النفوس وترويحها ، ذكره النووى ، ودلائله كثيرة . وعلى هذا مشايخ الصوفية بارك الله فيهم يجتمعون وحدهم فى مكان فيقرأ أحدهم شيئاً من القرآن ، ويحدوا حاديهم بذكر الجنة والنار والشوق إلى العزيز الغفار ، فهذا القدر لمثلهم لا يقال بانكار ،

ذكره فى كتاب المعتمد ، ولا يبعد أن يقرب من ذلك مايقوله المشتغلون بأعمالهم من ارتجازاتهم التى تزيد فى نشاطهم ، ويستدل لذلك بما روى فى الصحيحين عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ ينقل التراب يوم الخندق ويقول : « والله لولا الله مااهتدينا ، ولا تصدقنا ولا صلينا » إلى قوله : « إذا أرادوا فتنة أبينا » يرفع بها صوته « أبينا أبينا » .

قال أنس : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد مابقينا أبداً

فيجيبهم ﷺ

اللهم لاعيش إلا عيش الآخره فاغفر للأنصار والمهاجره

وقال ﷺ — وقد زوجت جارية من الأنصار — ألا أرسلتم معهم من يقول أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم ، ذكره ابن السنى

الخطر الحادى والعشرون : الافتخار . قال ﷺ « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدكم على أحد ولا يبغى أحدكم[1] على أحد » وقال ﷺ لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا إنما هم فحم من جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعل يدهده الخرأ بأنفه ، إن الله قد أذهب عنكم عتية[2] الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب »

الخطر الثانى والعشرون : ما هو ردة عن الاسلام يبيح الدم والمال ، ويحبط جميع الاعمال ، وذلك كأن أنكر الربوبية أو سخر باسم من أسماء الله تعالى أو بأمره ، أو وعيده . أو نسبه إلى الظلم ، أو قال : لو أمرنى بكذا لم أفعل . ولو صارت القبلة هذه الجهة ما صليت إليها ، ولو شهد الأنبياء والملائكه بكذا

---

(١) فى ن : أحد على أحد (٢) قوله العتية بضم العين وهو الـكبر

ماصدقتهم ، ولو كان فلان نبياً لم أؤمن به ، أو كذب رسولا أو سبه أو استخف به ، أو صغر عضواً من أعضائه على سبيل الاستهانة ، أو قال: إن كان ما قال الأنبياء صدقاً نجونا إذاً .أو ادعى النبوة ،أو أنه يوحى إليه ، أو إنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها، أو قال: كان النبي ﷺ أسودا، أو قال مات قبل أن يلتحى ، أو سأله كافر يريد الاسلام أن يعلمه التوحيد فقال اصبر إلى آخر المجلس ، أو أشار عليه بأن لا يسلم ، أو أشار على مسلم بأن يرتد أو كذب المؤذن(١) أو قال قصعة ثريد خير من العلم ، أو قال اليهود خير من المسلمين ، أو قال القرآن غير معجز ، أو أنكر مكة أو الجنة أو النار أو البعث والحساب ، أو قال لا أخاف القيامة ، أو جحد آية من القرآن مجمعا عليها ، أو زاد فيه كلمة أو اعتقد أنها منه ، أو قال الأئمة أفضل من الأنبياء ، أو لا أدرى ما الايمان ، أو لم يكن أبو بكر من الصحابة ، أو تمنى أن لا يحرم الله الزنا ، وكل ما لم يكن حلالا فى زمان ، أو قال لمسلم يا كافر بلا تأويل ، أو جحد مجمعا عليه ، أو استحل حراماً بالاجماع ، فكل لفظة من هذه كفر تبيح القتل وتخلد فى النار . فليحذر الانسان من إطلاق لسانه فى نحو ذلك لئلا يحبط عمله وهو لا يدرى ، قال الله تعالى (ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وممن نص على أن ذلك كفر النووى رحمه الله فى كتاب الروضة حاكياً عن العزيز

الخطر الثالث والعشرون : فى أشياء مجموعة منها مايكره ، ومنها ما يحرم ، ومنها ما يباح ، وقال ﷺ « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت » قال العلماء : ويكره أن يقال لولا الله وفلان لكان كذا ، أو أن يقول أعوذ بالله وبك ، ولكن ليقل ثم بك ، بلفظة ثم ،

---

(١) اى قال وهو يسمع المؤذن : انه يكذب

وقال ﷺ « لا تقبحوا الوجه — أى لا تنسبوه إلى القبح — فان الله أحسن كل شيء خلقه» وقيل «لا تقولوا قبح الله وجهه» وقال ﷺ « لا تسبوا الدهر فن الله هو الدهر » وقال ﷺ « إن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » وقال ﷺ « لا تقولوا للمنافق ياسيد فانه إن لم [1] يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم » قال العلماء : فان كان المسود فاضلا لعلم أو صلاح ونحوه ، أو زوجا ونحوه فلا بأس بأن يقال له: سيد والسيد ومولى والمولى وسيدى ومولاى . وقال ﷺ «لا يقل أحدكم أطعم ربك ، واسق ربك ، وليقل سيدى ومولاى» قال العلماء : والرب لا يطلق إلا على الله خاصة ، فاما مع الاضافة فليقل رب المال ونحوه بلا كراهة. ويكره للمملوك أن يقول لمالكه ياربي، وقال ﷺ «لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى، ولكن ليقل غلامى وجاريتى ، وفتاى وفتاتى » وقال ﷺ « لا يقولن أحدكم جشت نفسى ولا جاشت، ولكن ليقل لعست [2] وقال ﷺ «لا تسموا العنب الكرم ، فان الكرم المسلم ، ولكن قولوا العنب والحبلة» وقال ﷺ «لا تسبوا الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » وقال ﷺ « لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلاة » ويروى « لا تسبوا البراغيث فانها توقظ للصلاة» ونهى عن سب الريح والابل والايام والشمس والقمر والنجوم ، ونهى عن السمر إلا لمصل أو مسافر، وقال ﷺ « من سأل عرافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة »

قال النووى : ويجوز أن يذكر الانسان من يتبعه من غلام وولد ومتعلم ونحوه باسم قبيح ليؤدبه ويزجره ، ويجوز لكل مؤدب أيضاً أن يقول لمن يخاطبه ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا ظالم نفسه بحيث لا يتجاوز إلى

---

(١) فى ن : باسقاط لم (٢) قلت أو يقول تبعثرت فهو فى حديث أبى هريرة

الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف كناية ولا تعريضاً . ولو كان صادقاً فى ذلك قال : ولا بأس بقولك للعالم والصالح : جعلنى الله فداك ، أوفداك أبى وأمى ، وإن كانا مسلمين . وأنا فداؤك.

ويكره أن يقال للرجل عند الغضب اذكر الله ونحوه ويكره أن يسمى المحرم صفراً ، والعشاء عتمة ، والمغرب عشاء ولا يكره تسمية الصبح غداة ، ولا تسمية المغرب والعشاء عشاءين ، ويكره لمن صلى العشاء أن يتحدث بالحديث المباح فى غير هذا الوقت ، ولا بأس به فى الخير كمع الضيف ومذاكرة العلم أومكارم الأخلاق ، قال ويكره للعالم أن يحدث الناس بمالا يفهمونه ، أو يخاف أن يحملوه على خلاف المراد به ، ويكره أن يقال فى المال المخرج فى طاعة الله كالحج والضيافة والختان والعرس خسرت أو غرمت أو ضيعت ، بل ينبغى أن يقول أنفقت ونحوه ، لان تلك الالفاظ لا تستعمل الا فى المعاصى

وينبغى أن لا يقول لغيره أنعم صباحا ، وأنعم الله بك عينا ، أو أنعم الله عينك ونحوه . ويكره أن يقول نسيت آية كذا ، بل يقول أنسيتها أو أسقطتها ، ويكره أن يقال لمن أعاد القرآن خائض . أو هو يخوضه ونحوه ، لان هذا اللفظ لا يستعمل إلا فى الباطل، ولا بأس أن يقال رمضان للشهر وإن لم تدل قرينة على أنه الشهر فى الاصح . ولا بأس بقوله سورة البقرة والعنكبوت ونحوه ، ولا بقوله هذه قراءة نافع أو أبى عمرو أو غيرهما ، ولا بقوله سمعت الله تعالى يقول ، ولا بتسمية الطواف شوطا أو دوراً ، والاولى أن يقال طوفة أو طوفتان أو ثلاث ، ولا بأس بأن يقول لولد غيره يا بنى أو يا بنية ، قال النحاس : وكره بعض العلماء أن يقال ما كان معى خلق إلا الله ، قال النووى رحمه الله . وينبغى أن يقول بدل ذلك ما كان معى أحد إلا الله .

قال البغوى فى شرح السنة : ولا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين أمير

المؤمنين ، أو الخليفة وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل ، قال ولا يسمى أحد خليفة الله بعد آدم وداود ، وقال أبو الحسن الماوردى: فيقال الخليفة على الاطلاق ، أو خليفة رسول الله ﷺ .

قال النووى : والصواب أن يقال فى المكوس التى تؤخذ ممن يبيع ويشترى ونحوهما المكس ، أو ضريبة السلطان ونحوه . ولا يقال لذلك حق السلطان ونحوه مما يتضمن تسميته حقاً أو لازماً . قال بعض العلماء : من سمى هذا حقاً فهو كافر . قال النووى : والصحيح أنه لا يكفر بمجرد ذلك إلا إذا اعتقده حقاً مع علمه بأنه ظلم ، قال ومن أقبح الالفاظ المذمومة ما يقول من يريد أن يحلف على شىء فيتورع عن قوله والله — كراهة الحنث أو تصوناً عن الحلف ونحوه — فيقول الله يعلم ، أو علم الله ما كان كذا ، ولقد كان كذا ونحوه . قال النووى رحمه الله : وفى هذه العبارة خطر . فإن تيقن أن الأمر كما قال فلا بأس ، وإن شك فى ذلك فهو من أقبح القبائح ، لانه تعرض على الكذب على الله تعالى ، فانه أخبر أن الله تعالى يعلم شيئاً لا يتيقن كيف هو ، والكذب على الله سبحانه وتعالى كفر ، وفيه دقيقة أقبح وهو أنه تعرض لوصف الله تعالى بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو وذلك لو تحقق كان كفراً

قلت ونحو ذلك من يريد أن ينكر شيئاً فيقول ما سمع الله بهذا ونحوه

﴿ فصل ﴾ وينبغى للعالم والمعلم والقاضى والمربى ونحوهم ممن يقتدى به أن يجتنب الاقوال والأفعال التى ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محقاً فيها ، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد منها توهم أن ذلك جائز على ظاهره بكل حال ومنها: وقوع الناس فيه واعتقادهم نقصه ، وإساءة الظن فيه فينفرون عنه وينفرون ، فان احتاج إلى شىء من ذلك وكان محقاً فى نفس الأمر لم يظهره ، فإن أظهره أو ظهر أو رأى مصلحة بإظهاره ، فينبغى أن يقول هذا الذى فعلته ليس بحرام ، وإنما

فعلته لتعرفوا أنه إذا كان على هذا الوجه الذى فعلته عليه لم يحرم ، وهو كذا وكذا ودليله كذا وكذا . روى أن عليا رضى الله عنه شرب قائما وقال رأيت النبى ﷺ فعل كما رأيتمونى فعلت

ويسن للتلميذ إذا رأى من شيخه وغيره شيئا فى ظاهره مخالفة للمعروف أن يسأله بينة الاسترشاد ، حتى إن كان قد فعله ناسيا تداركه ، وإن كان عمداً وهو صحيح بينه له . ويسن لمن أراد أن يلقى على الناس وعظاً أو علماً أن يستنصتهم

﴿فصل﴾ ويكره أن يقال مطرنا بنوء كذا ، قال ﷺ « ثلاث من أمر الجاهلية ، الطعن فى الانساب ، والنياحة والانواء» (١)

فورد النهى عن ذلك بأحاديث كثيرة فمن قاله معتقداً أن الكوكب هو الفاعل كفر وإن قاله معتقداً أن الله هو الفاعل وأن النوء علامة لنزول المطر لم يكفر بل ارتكب مكروها لتلفظه بلفظ كانت الجاهلية تستعمله وقد نهينا عن استعمال ألفاظهم . قال ﷺ « ليس منا من ضرب الخدود أوشق الجيوب ، أو دعا

(١) اراد بالانواء منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما السرطان والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا والاكليل والقلب والشولة والنعائم والبلدة وسعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد الاخبية والفرع المقدم والفرع المؤخر وبطن الحوت . وهى معروفة المطالع فى ازمنة السنة كلها من الصيف والخريف والشتاء والربيع يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وكلاهما معروف وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ثم يرجع الامر إلى النجم الاول مع استئناف السنة المستقبلة كانت العرب إذا سقط منها نجم وطلع منها آخر قالوا لا بد عند ذلك من مطر ورياح فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الساقط حينئذ وقال الاصمعى إلى الطالع فيقولون مطرنا بنوء الثريا ونحوه

بدعوى الجاهلية » وقال ﷺ «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه[1] »
قال وأما الحديث الآخر « من لم يتعز بعزى الاسلام فليس منا » فعزى الاسلام أن يقول يا للمسلمين

﴿ فصل ﴾ واعلم أن التمنى نوعان أحدهما : محرم وهو أن يتمنى مال غيره أن يكون له ، ويخرج من صاحبه على جهة الحسد وهو المراد بقوله تعالى (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) والثانى مباح وهو أن يتمنى مثل ما لصاحبه من غير أن يحب زواله عن صاحبه قال ﷺ « إذا تمنى أحدكم فليكثر فأنما يسأل ربه[2] » وقال ﷺ « ليت رجلا صالحا يحرسنى الليلة » وقال ﷺ « وددت أن عندى خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن » وقال عمر لما ذكر عنده الجراد وددت أن عندنا منه قفعة أو قفعتين ونحو ذلك كثير

﴿ فصل ﴾ ويكره نعى الجاهلية ، وهو أن عادتهم كانت إذا مات منهم شريف بعثوا راكباً إلى القبائل يقول نعايا فلان ، أو يا نعايا العرب ، أى هلكت العرب بمهلك فلان ، ويكون مع النعى ضجيج وبكاء

ويسن الانذار بالميت وإشاعة موته بالنداء والاعلام ، سواء الغريب وغيره لما فيه من كثرة المصلين عليه والداعين له . ذكره النووى .

ويكره الانين وكثرة الشكوى للمريض قال ﷺ «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ، ولا تذكر مصيبتك » وقال قال الله تعالى : إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر ولم يشكنى إلى العباد أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودما خير من

---

(١) قال ابو عبيدة وهى الدعوى للقتال كقولهم يال فلان يا آل فلان

(٢) قال ابو عبيد فجعل التمنى هنا المسألة وهى الامنية التى اذن فيها لان القائل إذا قال ليت الله يرزقنى كذا فقد تمنى ذلك ان يكون له قال الله تعالى (واسألوا الله من فضله)

دمه ، فان أبرأته أبرأته ولا ذنب عليه ، وإن توفيته توفيته إلى رحمتي. وقال ﷺ قال الله تعالى : إذ وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشر له ديوانا » ويروى « أنه من وعك يوما ولم يشك ربه سقى يوم الظمأ وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وستر الله عليه في الآخرة كما ستر بلاء الله عنده في الدنيا »

قال النووي : ولا بأس بقوله : أنا شديد الوجع ، أو موعوك ، أو وارأساه ونحو ذلك بلا كراهة ، اذا لم يكن شيء من ذلك على وجه السخط وإظهار الجزع

ويحرم الندب على الميت ، وهو تعديد شمائله كياسيداه ، والنياحة عليه والصياح وراء الجنازة ، والدعاء بالويل والثبور . ويحرم الدعاء بالمغفرة للكفار أحياء وأمواتاً

ويستحب الدعاء بها لكل مسلم ، ويتأكد الدعاء بها لكل مسلم من والديه جميعاً ؛ فيدخل فيه كل من أسلم من آبائه وأجداده إلى آدم وحواء ، وأدلة جميع ما ذكرته أكثر من أن تحصى ، ويحرم كل صوت رفيع وكل كلام يشعر بخلاف الانقياد لأمر الله تعالى ، ذكره في البسيط

﴿ فصل ﴾ واعلم أن المبالغة في رفع الصوت مكروهة ولو بذكر الله تعالى إلا في المواضع التي نص على الجهر فيها كالأذان والتلبية وتكبير العيدين ونحوهما . قال الله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول وقال تعالى (ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة إنه لا يحب المعتدين) قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت بالدعاء والنداء والصياح وكانوا يؤمرون بالتضرع والاستكانة وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همساً بينهم وبين ربهم وقد ذكر الله تعالى عبداً صالحاً ورضي فعله فقال : (إذ نادى ربه نداء خفيا) وقال حاكيا عن قول لقمان لابنه (واغضض من صوتك) قال ابن عباس : اغضض من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك . وكذا وصية الله تعالى في الانجيل لعيسى

ابن مريم . مر عبادى إذا دعونى يخفضوا أصواتهم فانى أسمع وأعلم مافى قلوبهم . وقال ﷺ « خير الرزق ما يكفى ، وخير الذكر الخفى » وقال ﷺ لأصحابه حين هللوا وكبروا وارتفعت أصواتهم « اربعوا [1] بأنفسكم فانكم لاتدعون أصم ولا غائبا إنه معكم سميع قريب » وقال ﷺ «اذكروا الله ذكراً خاملا [2] » وقال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا . ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبداً

﴿ فصل ﴾ فهذا ماوفق الله تعالى لذكره يفهمك إن شاء الله مايغنيك عما لا يعنيك ، وهو قليل بالنسبة إلى ماذكره العلماء فيه

وروى أن صبيين تخايرا إلى الحسن بن على أيهما أحسن خطا؟ فقال له أبوه ، احذر يابنى فان الله سائلك عن هذا . ولما سئل ابن عباس عمن طلق زوجته ألفا، قال : ثلاث تحر منها ، وما بقى عليه وزره . فاذا كان مثل هذا يأثم فيه ، فكيف بما يضر مسلما أو يؤذيه ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . فاجتنب من هذه الأخطار وما استطعت لتربح أجراً كثيراً . قال ابن مسعود رضى الله عنه : مامن شىء أحق بطول السجن من اللسان

ويروى أنه اجتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى ، فقال أحدهما لصاحبه : وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟ قال هى أكثر من أن تحصى ، والذى أحصيته ثمانيه آلاف عيب ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها وهى حفظ اللسان . وقال ﷺ وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم . وقال ﷺ « إن الله عند لسان كل قائل ويده » وقال الفضيل : من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه ، وقال ابن عباس فى

---

(١) اى ارفقوا (٢) اى خفيا

تفسير قوله تعالى « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » قال كل متكلم في غير ذات الله تعالى فهو صوت الشيطان ، وقال في المهذب والبيان : الحدث حدثان ، حدث الفرج وحدث اللسان ، وأشدهما حدث اللسان . قال في المهذب والمستحب أن يتوضأ من الكلام القبيح . فانظر كيف شبهوا ما يخرج من الفم مما لا خير فيه بالنتن الذي يخرج من الفرج فان استطعت أن لا تخرج جيفة تؤذي بها الناس فافعل

واعلم أنك لا تسلم من هذه الأخطار إلا بالعزلة وترك الخلطة ، فقد بان لك مما قررته وهذبته وأوضحته أن في الصمت جماع كل الخير ، وحرزاً من الشيطان ، وأمانا من غضب الرحمن ، وتحببا إلى الاخوان ، وزيادة في الأرزاق ، وهو من آداب الحضرة وتهذيب الاخلاق ، ويكره صمت يوم إلى الليل عن الخير أو بعض يوم بقصده والله أعلم .

القسم السابع عشر : التبكير في طلب العلم والرزق ، واختيار الأيام . وعن صخر الغامدي قال : قال رسول الله ﷺ « اللهم بارك لأمتي في بكورها » ويروى « في يوم سبتها وخميسها » ويروى « واثنينها » أيضاً . وكان صخر تاجراً ، فكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله . قال الترمذي : وفي الباب عن عن علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وابن عمر وبريدة وأنس وجابر رضي الله عنهم قال ﷺ « باكروا في طلب الرزق فان الغدوة بركة ونجاح » وقال ﷺ « سافروا يوم الاثنين فانه نجاح » وقال ﷺ « من غدا يوم السبت في طلب حاجة يحل طلبها فأنا ضامن قضاءها » وقال ﷺ « اطلبوا العلم في كل يوم اثنين فانه ميسر لطالبه » ويروى « كل اثنين وخميس » ويروى « تبركوا بيوم الأحد فانه اسم من أسماء الله تعالى » ويروى « ما من شيء بديء في يوم الأربعاء إلا وتم

القسم الثامن عشر : التزوج قال الله تعالى (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) الآية وقال ﷺ « ثلاثة حق على الله عونهم ، المكاتب يريد الأداء ، والناكح يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله تعالى » وقال ﷺ « عليكم بالتزويج فانه يجلب الرزق » ويروى « التمسوا الرزق بالنكاح » وقال ﷺ « ومن تزوج امرأة ليعف بها فرجه أو يصل بها رحماً كفاه الله تعالى هم آخرته ودنياه ، ومن تزوج امرأة لغناها أفقره الله ، ومن تزوج امرأة ليعز بها أذله الله تعالى » وقال ﷺ « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ، ويوكل الله به ملكين يكتبان بين عينيه يا مضيع سنة الله أبشر بقلة رزق الله » وقال ﷺ « ركعة من متأهل خير من سبعين ركعة من أعزب » وقال ﷺ « مسكين مسكين رجل بلا امرأة وإن كان غنياً ، مسكينة مسكينة امرأة بلا زوج وإن كانت غنية » ويروى أن رجلا أتى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة ، فقال ﷺ « عليك بالباءة » وجاء رجل الى أبي بكر رضى الله عنه بعد النبي ﷺ فشكا اليه الحاجة . فقال عليك بالباءة . وكذا قال عمر رضى الله عنه لرجل آخر ، وكذا قال عثمان لرجل آخر

﴿ فصل ﴾ وتزوج البكر الولود أولى لقوله ﷺ « عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً ، وأرضى باليسير » ويروى « وأثبت مودة » ويروى « وأعز أخلاقاً » وقال ﷺ « تزوجوا الودود ولود فنى أباهى بكم الأمم يوم القيامة حتى بالسقط » وقال ﷺ « سوداء ولود خير من حسناء لا تلد » وقال ﷺ « لحصير فى ناحية البيت خير من امرأة لا تلد » وقال ﷺ « اطلبوا الولد والتمسوه فانه قرة العين وريحانة القلب ، وإياكم والعجز والعقر » وقال ﷺ « لا خير فى امرأة عقيم »

ولم تزل العرب تكره من لا تلد قال أبو صرد فى عجوز بحضرة النبي

ﷺ : والله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بما كد [1] ؛ فكل هذا حث أكيد على التماس الولد ، لأنه إن عاش فله رزق من الله تعالى ، قال الله فيهم (نحن نرزقهم وإياكم) ولعل والده يسعد به ، ولهذا قال النبي ﷺ لرجل شكا إليه أخاه « لا تعيبه لعلك به ترزق » وقال ﷺ « بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه » وقال ﷺ « من كان له مال فليستكثر من العبيد ، فرب عبد قسم له من الرزق ما لم يقسم لمولاه » فالولد كذلك .

﴿ فصل ﴾ والولد خير فى كل أحواله إن شاء الله تعالى . قال ﷺ « بكاء الصبى فى المهد أربعة أشهر توحيد ، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم ﷺ ، وأربعة أشهر استغفار لابويه ، وهو إن مات فى صغره كان فرطاً لوالديه تثقل به موازينهما ، وإلى الجنة يقودهما » قال ﷺ « إن الطفل يجر أبويه بسرره إلى الجنة » ويروى « أن الأطفال يجتمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة اذهبوا بهم إلى الجنة فيقفون على بابها ، فيقال لهم مرحباً بذرارى المسلمين ، ادخلوا الجنة لا حساب عليكم ، فيقولون : ونذر [2] آباءنا وأمهاتنا ؟ فيقال إنهم ليسوا مثلكم لهم ذنوب يحاسبون عليها ؛ فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة ويقولون : لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا ؛ فيقول الله تعالى للملائكة تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم وأمهاتهم فأدخلوهم معهم » وقال ﷺ « لأن أقدم سقطاً أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتلون فى سبيل الله » وهو إن عاش فما اكتسب من حسنة شاركه الوالد فى ثوابها . روى الثعالبى أن النبى ﷺ قال : « خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم ؛

(١) أى بدائم . (٢) ن : اين ابا ؤ نا الخ .

ون المعلم إذا قال للصبي : قل بسم الله فقال الصبي بسم الله كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم من النار » وقال ﷺ « المولود حتى يبلغ الحنث ما ترك من حسنة كتبت لوالديه ، فان عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسددانه ، فاذا بلغ أربعين سنة فى الاسلام أمنه الله من البلايا الثلاث من الجنون والجذام والبرص ، فاذا بلغ خمسين سنة خفف الله عنه حسابه ، فاذا بلغ ستين سنة رزقه الله الانابة إليه فيما يحب ، فاذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، فاذا بلغ ثمانين سنة كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فاذا بلغ تسعين سنة غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى أهل بيته وكان اسمه أمير الله فى أرضه[1] فاذا بلغ أرذل العمر كتب الله له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير ، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه » رواه الواحدى والحكيم الترمذى بأسنادهما . وغيرهما . فاذا شب الطفل ووحد الله وقرأ وصلى كان ذلك زيادة فضل . قال ﷺ « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس » وقال ﷺ « من استظهر القرآن خفف الله عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين » وقال ﷺ « من رفع كتاباً من الأرض فيه اسم من أسماء الله تعالى رفع الله اسمه فى عليين ، وخفف عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين » وقال ﷺ « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضياً ، فيقرأ صبي من صبيانهم فى الكتاب فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى ويرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » وقال ﷺ « إذا أفصح أولادكم فلقنوهم لا إله إلا الله ثم لا تبالوا متى ماتوا » وقال ﷺ « من ربى صبياً حتى يقول لا إله الا الله لم يحاسبه الله » وقال اذا نظر الوالد إلى ولده فسره كان للوالد بكل نظرة عتق نسمة » وقال

---

(١) وفى ن فى الارض

ﷺ « من هلك من أمتى فخلف خلفاً يصلى صلاته ويقوم قيامه فلم يمت » وأما قوله تعالى (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فأحذروهم) فالمراد به الولد الذى يدعو والده إلى الكفر والضلالة وترك الهجرة ، كذا قاله المفسرون . ثم إذا مات والده ودعا له نفعه ذلك قال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » قال الغزالى فى وسيطه : وليست الصدقة الجارية إلا الوقف . وقال ابن المسيب : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، وقال بيده نحو السماء يرفعها ، ويروى مرفوعاً .

﴿ فصل ﴾ والمرأة اليسيرة المهر أولى ، قال ﷺ « إن أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً » وقال صلى الله عليه وسلم « من بركة المرأة سرعة تزويجها ، وسرعة رحمها — يعنى الولادة — ويسر مهرها » وقال ﷺ « البركة فى المرأة والفرس والدار » رواه الحميدى . ويروى « فيمن المرأة قلة مهرها وحسن خلقها وكثرة ولدها ، وفى الفرس رخصها وقلة عللها وكثرة نسلها ، وفى الدار رخصها وسعتها وصلاح جيرانها ، ويروى « الشؤم فى ثلاثة » وذكر هذا ، وهو إذا كانت بالضد فينبغى أن لا ينقص الصداق عن عشرة دراهم ولا يزيد على خمسمائة درهم فضلة » وقال ﷺ « تزوجوا الزرق فان فيهن يمنا » وقال ﷺ « إذا راد أحدكم أن يتزوج امرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها فان الشعر أحد الجمالين » وقال « إنما النساء لعب فاذا اتخذ أحدكم لعبته فليستحسنها » وقال ﷺ « إياكم وخضراء الدمن » وقا ﷺ « ايا كم والزنج فانه خلق مشوه » وقال ﷺ « تخيروا لنطفكم » وغير القريبة أولى لقوله ﷺ « لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاوياً أى نحيفاً » ويروى

« اغتربوا ولا تضووا[١] » وقال هاجروا تورثوا أبناءكم مجداً[٢] » وقال ﷺ « من تزوج من بلدة فهو من أهلها » قال النووى : وقرابته غير القريبة أولى من الأجنبية ، وذات الدين أولى ، وذات الجمال والعقل أولى

وندب أن لا يزيد على امرأة من غير حاجة ظاهرة ، وأن لا يتزوج من معها ولد من غيره من غير مصلحة ، وأن لا يتزوجها إلا بعد بلوغها إن لم يكن حاجة ومصلحة ، وبعد النظر إليها ليكون أحرى أن يؤدم بينهما

ويسن لأرحام المرأة زيارتها يوم ثامن زفافها ، فقد زوج ابن المسيب بنته من أبي هريرة فحملها هو بنفسه إليه ليلا ، فلما أدخلها من الباب انصرف ، ثم جاء بعد سبعة أيام فسلم عليها . ويسن لهم أن يبعثوا إليها بهدية يوم ثانى زفافها والله أعلم .

القسم التاسع عشر : إكثار حمد الله تعالى وشكره . قال الله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم) وقال ﷺ « لا يرزق الله العبد الشكر فيحرمه الزيادة » وقال ﷺ « ما أنعم الله على عبد من نعمة صغرت أو كبرت فقال الحمد لله إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذه » وقال ﷺ « اول من يدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله فى السراء والضراء » وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » ويروى من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع الله عنه سبعين داء أهونها الجذام » وقال ﷺ « من ابتلى فصبر ، وأعطى فشكر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر ، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وقال ﷺ « الطاعم الشاكر بمنزلة

---

(١) أى انكحوا فى الغرائب فان ولد الغريبة أنجب وأقوى وأولاد القريب أضوى أى أضعف . وقال عمر يا بنى السائب قد أضويتم فانكحوا فى الغرائب . ونحوه عن على رضى الله عنه (٢) اى تزوجوا من غير قبيلتكم

الصائم الصابر » وقال « من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ، وإن حديثا بنعمة الله شكر ، وان السكوت عنه كفر » وقال ﷺ « أسرع الذنوب عند الله عقوبة كفران النعمة » وقال ﷺ « إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » وقال ﷺ « من أعطى خيراً فلم ير عليه سمى بغيض الله محارباً لنعمة الله »

﴿ فصل ﴾ وحقيقة الشكر أن تظهر فى قلبك الفرح بالله وبنعمته وفضله عليك ، ثم تخوض فى العمل بموجبه ، وذلك بالجوارح والقلب واللسان . أما الجوارح فاستعمالها فى طاعة الله ، والتوقى من الاستعانة بنعمه على معاصيه

فشكر العين ستر كل عيب تراه من المؤمن وأن لا تنظر بها إلى المعاصى وقال ﷺ « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه فكأنما ينظر فى النار » وقال سفيان رحمه الله : النظر إلى وجه الظالم خطيئة

وشكر الأذن ستر كل ما تسمع من العيوب وأن لا تسمع بها إلا مباحاً

وشكر البطن حفظه عن تناول الحرام والشبه

وشكر اليد الاعانة للمسلمين ، والتقوى بها على الدين ، وحفظها عن أن يضرب بها مسلما أو يتناول بها حراماً ، أو يؤذى بها أحداً ، أو يخون مسلما فى أمانة أو وديعة ، أو يكتب بها ما لا يجوز النطق به ، فالقلم أحد اللسانين :

فلا تكتب بكفك غير شيء   يسرك فى القيامة أن تراه

وتأمل قوله عليه السلام : « لا تمسح يدك بثوب من لا تكسوه » وقوله ﷺ « من أشار إلى أخيه بحديدة فان الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » وقوله ﷺ « لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لاعباً ولا جاداً » وقوله ﷺ « من قتل عصفوراً عبثاً » وقوله ﷺ « كل مصور فى النار » ونهيه عن الحذف ونحوه

وشكر الفرج حفظه عما حرم الله من الزنا واللواطة ونحوه ، ولا تصل إلى حفظه إلا بحفظ العين عن النظر والقلب عن الفكر ، والبطن عن الشبع

والرجل شكرها السعي الى الطاعات والشفاعات والاعانة فى الحاجات وحفظها عن المشى الى المحرمات والى أبواب الظلمة فان المشى اليهم من غير ضرورة معصية ، فانه تواضع لهم وإكرام ، وقد نهينا عنه. قال الثورى : من تبسم فى وجه ظالم أو وسع له فى مجلسه أو أناله من عطائه فقد قطع عرى الاسلام وكان من أعوانهم ا وقال ﷺ « ما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً » وقال حذيفة: اتقوا أبواب الامراء فانها مواقف الفتن .وقيل من شاركهم فى عز الدنيا شاركهم فى ذل الآخرة . قلت : وشاركهم فى ذل الدنيا أيضا . وقال ﷺ « من اقترب من باب السلطان افتتن » فان كان ذلك بسبب طلب أموالهم فهو سعى إلى حرام وقد قال ﷺ «من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » وهذا فى غنى صالح ، فما ظنك فى الظالم ؟ اللهم إلا أن تقرب اليهم لمصلحة غيره فذلك لا بأس به؛ فقد روى أن نبياً من الأنبياء كان يأخذ بركاب الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس .وقال ابن عطاء : لأن يرائى الرجل سنين ليكتسب جاهاً يعيش فيه مؤمن أنجى له ، من أن يخلص العمل انجاة نفسه . ولكن لا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه أنه لا رغبة له فى شىء من الجاه والمال ولو أن ملوك الارض وقفوا فى خدمته ماطغى ولا استطال . وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من الله تعالى عليك ، فشكرها استعمالها فى الطاعة وأن لا تحرك شيئاً منها فى معصيته

﴿ فصل ﴾ وأما القلب فشكره دوام المراقبة ، وتخوفك من الله تعالى فانه يراك ، والتفكر فى الملكوت وما خلق الله من شىء فقد قال ﷺ « تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة » وحسن ظنك بالله وبالمسلمين ، ورحمتك لجميع الخلق ، وإضمارك الخير لهم ، وحفظه عن الحسد والرياء والكبر والعجب. فالحسد هو أعظم

من الشح ، لان الشح هو البخل بما فى يده على غيره ، والحسود يبخل بنعمة الله على غيره وإن لم تحصل له . قال ﷺ : «الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب»

والرياء هو طلب المنزلة فى القلوب لينال به الجاه والحشمة ، وذلك من الهوى المتبع وفيه هلك الاكثرون. قال ﷺ « ثلاث مهلكات، شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه » وكل ما يرائى به فى الدين فهو حرام . قال الغزالى رحمه الله : بل هو من الكبائر ، سواء كان فى البدن كاظهار النحول والحزن أو بالهيئة كالاطراق ، أو فى اللباس كلبس الخشن والمرقعة ، أو بالقول كتحسين اللفظ ، أو بالعمل كتحسين الصلاة ، أو بكثرة الاصحاب ونحو ذلك فكله حرام . قال الغزالى : بل هو شرك لقوله ﷺ « من صلى صلاة يرائى بها فقد أشرك ، ومن صام صوماً يرائى به فقد أشرك »

وأما طلب المنزلة بغير عبادة فلا يحرم ما لم يكن فيه تلبيس كمن ينفق فى الضيافات وعلى الاغنياء ليعتقدوا سخاءه ، لا ليعتقدوا صلاحه وورعه ، فليس بحرام ، وكذا طلب الجاه للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعزاز الدين ونصر المظلومين ، فجائز إن شاء الله تعالى

وأما العجب والكبر فهو نظرك إلى نفسك بعين الاستعظام ، وإلى غيرك بعين الاحتقار ، والمتكبر هو الذى إن وعظ عنف ، وان وعظ أنف ، وإن رد كلامه عليه استنكف قال ﷺ « لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه مسلم. وقال حاتم الأصم : لا يخرج المتكبر من الدنيا حتى يريه الله الهوان . قال الغزالى رحمه الله : وكل من يرى نفسه خيراً من أحد من خلق الله فهو متكبر ، بل ينبغى أن يعلم أن الكبير والخير من هو كبير خير عند الله فى الدار الآخرة ، وذلك غيب موقوف على الخاتمة ، فشغلك بخوف سوء

الخاتمة عن التكبر مع الشك أولى ، فرب كافر ختم له بخير فصار من الفائزين ، ومسلم ختم له بشر فعاد من الخاسرين . قال الغزالي رحمه الله : ومن الكبر أن يحمل ما يجري للناس بسببه ، فمن أذاه فمات أو مرض قال قد رأيتم ما فعل الله به ، ويقول عند الايذاء : سترون ما يجري عليه ، ولم يعلم أن جماعة نالوا من الأنبياء عليهم السلام فعاشوا بلا انتقام ، وربما أسلم بعضهم فسعد في الدارين بالاسلام

وأصل هذه الخصال حب الدنيا ولهذا قال ﷺ « حب الدنيا رأس كل خطيئة » فمن أخذها للتنعم فهي مهلكته ، ومن أخذها بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة فهي مزرعته

﴿ فصل ﴾ واللسان شكره ذكر الله تعالى ، وتلاوة كتابه ، وإرشاد الخلق إلى طريق الخير وطريق السلامة ، والدعاء لهم وحفظه من الآفات وقد تقدمت .

وأجل التحاميد أن يقول : الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافىء مزيده ، وأعظم الثناء وأحسنه قولك : سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى . ذكره أبو سعد المتولي وغيره

ويروى أن آدم عليه السلام قال : يارب شغلتني بكسب يدي فعلمني شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح ، فأوحى الله إليه : يا آدم إذا أنت أصبحت فقل ثلاثاً ، وإذا أمسيت فقل ثلاثاً ، الحمد لله رب العالمين حمداً يوافي نعمه ويكافىء مزيده ، فذلك مجامع الحمد والتسبيح . وفي صحيح مسلم أن رجلا جاء إلى الصلاة وقد حفزه النفس ، فقال : الله أكبر الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ، فلما قضى النبي ﷺ صلاته قال « أيكم المتكلم بالكلمات ؟ لقد رأيت اثني عشر ملكا يبتدرونها أيهم يرفعها » وسأورد في الباب السادس والسابع من أذكار اللسان ما فيه مقنع لكل إنسان إن شاء الله تعالى . وقال ﷺ « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اقطع

ويروى » أجذم ، وكل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء [1] » فيسن ابتداء كل قول ونحوه بالحمد لله

وقيل الشكر معرفة المنعم . قال ﷺ « مامست عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله له شكرها وإن لم يحمده » رواه الواحدى فى وسيطه باسناده والله أعلم

القسم العشرون : إكثار الصلاة والتسليم على النبي ﷺ قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) وقال ﷺ « من صلى على فى اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ، سبعين منها لآخرته وثلاثين لدنياه » وقال أبي : يا رسول الله إنى أكثر من الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال « ما شئت» قال الربع ؟ ، قال «ماشئت ؟ وإن زدت فهو خير » قال الثلث؟ قال « ما شئت وإن زدت فهو خير» قال النصف ؟ قال « ما شئت وإن زدت فهو خير» قال الثلثين ؟ قال « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال فأجعل صلاتى كلها لك ؟ قال « إذن تكفى همك ويغفر ذنبك » وقال ﷺ « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب » ﷺ وقال ﷺ « من صلى على فى كل يوم خمسمائة مرة لم يفتقر أبداً » وقال ﷺ « من صلى على بقربى سمعته ، ومن صلى على نائياً بلغته » وقال ﷺ « ما من مسلم يصلى على إلا حملها ملك حتى يؤديها إلى ، حتى أنه يقول إن فلاناً يقول كذا وكذا » وقال ﷺ « ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام » وقال ﷺ « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » وفى جامع الترمذى : أن من صلى على النبي ﷺ فى مجلس مرة أجزأ عنه ما كان فى ذلك المجلس

---

(١) قوله أجذم: أى ناقص قليل البركة. ذكره النووى

﴿ فصل ﴾ وأفضل الصلاة على النبي ﷺ أن تقول اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ذكره النووى وغيره . وقال ﷺ « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد » وذكر كثير من متأخرى أصحابنا أن أفضل الصلاة على النبي ﷺ « أن يقول : اللهم صل على محمد وعلى آله كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه الغافلون » وقيل : اللهم صل على محمد أفضل صلواتك وعدد معلوماتك وملء أرضك وسمواتك » وقال ﷺ « لا تجعلونى كقدح الراكب » (١) بل اجعلونى أول الدعاء وآخره » ﷺ .

﴿ فصل ﴾ ويسن إكثار الصلاة عليه فى كل وقت ، ويتأكد الأمر بها عند ذكره وسماع اسمه أو كتبه ، وأول الدعاء وآخره ؛ وعند الأذان ودخول المسجد والخروج منه ، وتجب فى التشهد الأخير ، وصلاة الجنازة ، وخطبتى الجمعة .

وينبغى أن تكتب فى صدور الرسائل بعد البسملة الصلاة عليه وعلى آله صلى الله عليه وسلم . قال القاضى عياض : على هذا مضت الأمة وعمل الناس به فى أقطار الأرض ، قال ومنهم من يختم بها الكتب أيضاً . قال النووى : ويسن أن يجمع المصلى عليه بين لفظ الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما . ويرفع قارىء الحديث ونحوه صوته مبالغة ، وهما مستحبان أيضا على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا ، ويجوز على غيرهم بالتبعية لهم . ويكرهان على غير الانبياء استقلالا

---

(١) يعنى آخر الدعاء فان الراكب إنما يأخذ قدحه آخر متاعه

كراهة تنزيه فى الأصح . ويسن الترضى والترحم على الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى وقتنا ، فيقال : على رضى الله عنه ، أو رحمه الله ونحوه ، وأبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم .

القسم الحادى والعشرون : الاحسان إلى اليتيم وهو من لا أب له ولا جد ، قال الله تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) وشكا رجل إلى النبى ﷺ قساوة فى قلبه ، فقال « أتحب أن يرق قلبك وتدرك حاجتك ؟ قال نعم ! قال : ارحم اليتيم وامسح برأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك » وقال ﷺ « من كان فى منزله يتيم رحمه الله وأعانه » وقال ﷺ « من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » وقال ﷺ « من أذهب الله كريمتيه — يعنى عينيه — فصبر واحتسب وجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » وقال ﷺ « لا يلى أحد منكم يتيما فيحسن ولايته ويضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ، ومحى عنه بكل شعرة سيئة ، ورفع له بكل شعرة درجة » وقال ﷺ « من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر عليها يده نور يوم القيامة » ويروى « من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات »

وينبغى أن يقول إذا مسحه : جبر الله يتمك وجعلك خلفا من أبيك . ورأس اليتيم يمسح من وسطه إلى ناصيته ، ومن له أب يمسح من ناصيته إلى وسطه. كذا قاله ﷺ .وقال ﷺ « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » وقال ﷺ « إن اليتيم إذا ضرب اهتز العرش لبكائه فيقول الله تعالى من أبكى الذى غيبت أباه فى التراب ؟ — وهو أعلم به — فتقول الملائكة : لا علم لنا به ؛ فيقول الله تعالى فإنى أشهدكم أن من أرضاه فإنى أرضيه من عندى ، وكانت عائشة رضى الله عنها لا ترى

بأسا باستصلاحه كما يستصلح الانسان ولده .وقال إبراهيم: حكم اليتيم كما تحكم ولدك[1]

وقد عد العلماء من الكبائر أكل مال اليتيم بغير حق لقوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) الآية . لكن اذا افتقر وليه أو كان يفوته كسبه لشغله بمال اليتيم ، فله الأكل منه بالمعروف ، وهل يضمن ؟ على وجهين . قال للنووى رحمه الله: وله خلط ماله بماله والأكل جميعاً ، وأن يضيف من ذلك المشترك من شاء بشرط أن لا يكون على اليتيم حيف فى شىء من ذلك . وذكر فى العزيز عن الزيادات لابى عاصم أنه اذا خاف الوصى أن يستولى على المال غاصب فله أن يؤدى شيئاً ليخلصه به ، والله يعلم المفسد من المصلح .

قلت : والمسجد كاليتيم والله أعلم

القسم الثانى والعشرون : التيسير على المعسرين ، وإعانة المسلمين ، ورحمة المخلوقين ، ونصرة المظلومين . قال ﷺ « من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس بها علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى مسجد من مساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم فى صحيحه وهو كثير الفوائد . وقال ﷺ « من أحب أن تستجاب دعوته وتكشف كربته فلييسر على المعسر » وقال ﷺ « إذا أيسرتم على معسر يسر الله عليكم كل عسير » وقال ﷺ « من أقال مسلما أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة » وقال ﷺ « من قضى لأخيه حاجة من حوائج الدنيا قضى الله له

---

(١) أى امنعه من الفساد واصلحه كولدك

اثنين وسبعين حاجة من حوائج الآخرة ، أسهلها المغفرة » وقال ﷺ « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » وقال ﷺ « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان له خيرا من اعتكاف شهرين ، ومن قام فى حاجة أخيه المسلم حتى يستتمها ثبت الله قدميه يوم القيامة حين تزول الأقدام ، فان مات قبل ذلك مات شهيداً » وقال ﷺ « ما من عبد خطا خطوة فى قضاء حاجة أخيه المسلم إلا كتب الله له بها أجر شهيد ، ودفع عنه سبعين نوعاً من البلاء » وقال ﷺ « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على أهل بيت سروراً ، ومشى مع أخ مسلم فى حاجة أحب إلى الله من اعتكاف شهرين فى المسجد الحرام » ويروى « من أدخل على أهل بيت سرورا خلق الله من ذلك السرور خلقاً يستغفر له إلى يوم القيامة » وقال ﷺ « أفضل الأعمال أن تدخل على أخيك المسلم سروراً » وقال ﷺ « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » ويروى « خير الناس أنفعهم للناس » وقال ﷺ « إن لله خلقا خلقهم لحوائج المسلمين تقضى حوائج الناس على أيديهم أولئك الآمنون يوم القيامة » وقال ﷺ « الخادم فى أمان الله مادام فى خدمة المؤمن ، وللخادم فى الخدمة أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل » وأوصى جعفر الصادق حاجبا لابن عمار فقال : اضمن لى واحدة اضمن لك ثلاثاً ، اضمن لى أنك لا تلقى أحداً من موالينا فى دار الخلافة إلا قمت فى قضاء حاجته ، وأنا أضمن لك أن لا يصيبك حد السيف أبداً ، وأن لا يظلك سقف السجن أبداً ، وأن لا يدخل الفقر بيتك أبداً . وقال ﷺ « ما من مسلم يخذل مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ؛ وما من مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » وقال ﷺ

« من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصرته فنصره نصره الله فى الدنيا والآخرة » وقال ﷺ : « من رد الغيبة عن أخيه المسلم رد الله عنه سبعين آفة ونصره على من عاداه »

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « يقول الله تعالى ان كنتم تريدون رحمتى فارحموا خلقى » وقال « إنما يرحم الله من عباده الرحماء » وقال ﷺ « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » وقال ﷺ « إن الله لا يرحم من لا يرحم ، ولا يغفر لمن لا يغفر ، ولا يتوب على من لا يتوب ، ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله » وقال ﷺ « ينادى مناد فى النار ياحنان يامنان نجنى من النار فيأمر الله مالكا فيخرجه حتى يقف بين يدى الله عز وجل ، فيقول الله تعالى له : هل رحمت فى شيء قط فأرحمك ؟ فيقول : يا رب رحمت عصفورا »

ويروى أن رجلا نزل به ضيف فذبح له عجلا عند أن ولد ولم يرحم أمه ، فأصبح وقد شلت يده اليمنى ، ثم مر يوماً بعصفورة قد سقطت من جحرها فأدخلها فيه ، فرأى فى منامه كأنه يقال له : إذ رحمت رحمت ؛ فأصبح وقد زال الشلل من يده . وروى أن عابداً مر بصبيان ينتفون ريش ديك وهو حى فخسف الله بالعابد كما لم يرحمه ويستنقذه من أيديهم . وقال ﷺ « لا توله والدة بولدها » ويروى « لعن الله من فرق بين الوالد وولده ، وبين الاخ وأخيه » ويروى من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة »

وقد كره ﷺ ذبح ولد الناقة قرب الولادة لثلاث خصال ، لأنه لا ينتفع بلحمه ، وتبقى الأم بلا ولد ترضعه فينقطع درها . ولانه يولهها بذبحه ويفجعها فيه فيأثم . ذكره أبو عبيد . وقال ﷺ « بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن برحمة الله وسلامة الصدور ، وسخاوة النفوس ، والرحمة

لجميع المسلمين » وقال ﷺ « من مشى فى قضاء حاجة مسلم كان الله له عوناً متى احتاج إليه » وقال ﷺ « يقول الله تعالى : من لم يقبل من عبادى الميسور ويدع المعسور لم أنفس كربه ، ولم أسمع دعاءه

وأنشد بعضهم فى معنى ذلك فقال :

إذا شئت أن تبقى من الله نعمة   عليك فسارع فى حوائج خلقه
ولا تعصين الله ما نلت ثروة   فيحظر عنك الله واسع رزقه

القسم الثالث والعشرون : فى زيارة الضعفاء والغرباء وإكرامهم ، والإلانة القول معهم . قال ﷺ « أكرموا الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » وقال « إن الله ينصر المسلمين بدعاء المستضعفين » وقال ﷺ « بفقراء أمتى تنزل الرحمة فى الدنيا والآخرة » وقال ﷺ « إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها بدعواتهم وصلواتهم واخلاصهم » وقال ﷺ « من أكرم الضعيف أكرمه الله ، ومن أبغض الضعيف أبغضه الله » وقال ﷺ « ألا أخبركم من ملوك الجنة ؟ كل أغبر ذوى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » وقال لابى بكر « إن كنت أغضبتهم — يعنى الضعفاء — فقد أغضبت ربك » وقال ﷺ « لولا الفقراء لهلك الأغنياء » وقال ﷺ « من أكرم غريباً فى غربته وجبت له الجنة » وقال ﷺ « طوبى للغرباء ، يفسح للغريب فى قبره على قدر بعده من أهله » وقال ﷺ « من مشى إلى فقير ليزوره عشرين خطوة كتب الله له سبعين حجة مقبولة »

ويروى أن الله قال لموسى عليه السلام إذا ذكر أهل الغنى أهل الفقر ، وأهل السعة أهل الضيق ، وأهل العافية أهل البلاء ، أتممت عليهم نعمتى . وقال موسى عليه السلام إلهى أين أطلبك ؟ قال عند المساكين المنكسرة قلوبهم من أجلى . ويروى : جالسوا المساكين ، فان رحمتى لا تفارقهم . ويروى : ما أهلك الله قوماً

وإن عملوا ماعملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم . قال القشيرى : والفقراء صفوة الله من عباده ، ومواضع أسراره بين خلقه ؛ بهم يصون الخلق ، وببركتهم يبسط الرزق

القسم الرابع والعشرون : طلب العلم وإكرام المشايخ والعلماء ، والتماس البركة فى مؤاكلتهم ومجالستهم ، وترك الوقيعة (١) فيهم . قال ﷺ « البركة مع أكابركم » — يعنى به العلماء والاتقياء — دليله قوله ﷺ « المشى بين يدى الكبراء من الكبر ، ولا يمشى بين يدى الكبراء إلا ملعون » قالوا ومن الكبراء ؟ قال « العلماء والصالحون » وقال ﷺ « من غدا فى طلب العلم صلت عليه الملائكة وبورك له فى معاشه ، ولم ينقص له من رزقه ، وكان عليه مباركا » وقال ﷺ « من طلب العلم تكفل الله برزقه » وقال ﷺ «إن الملائكة لتضع أجنحتها رضى لطالب العلم » وقال ﷺ « أكرموا العلماء فانهم ورثة الانبياء ، من أكرمهم فقد أكرم الله ، ومن أكرم عالماً فقد أكرم سبعين نبياً ، ومن أكرم متعلماً فقد أكرم سبعين شهيداً ، ومن أحب العلم والعلماء لا تكتب عليه خطيئة أيام حياته » وقال ﷺ « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان » وقال ﷺ « أفضل الأعمال الجهاد فى سبيل الله ، والتواضع للعالم ، وكرامة الشيخ » وقال ﷺ « ما وقر شاب شيخاً لسنه إلا وقيض الله له فى سنه من يوقره »

قال الغزالى : وفى هذا تبشير بطول العمر ، قال فى المهذب : والشيخ من جاوز الأربعين سنة . وقال ﷺ « من شاب شيبة فى الاسلام كانت له نوراً يوم القيامة » وقد أقام ﷺ العالم مقام نفسه فقال « من زار عالما فكأنما زارنى ، ومن صافح عالما فكأنما صافحنى » وقال ﷺ « النظر الى وجه الوالد عبادة ،

---

(١) أى اغتيابهم .

والنظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » وفى رواية « والنظر الى وجه العالم عبادة، والنظر فى المصحف عبادة » وفى رواية « والنظر الى وجه العالم عبادة ، والجلوس معه عبادة، والا كل معه عبادة » .

ويروى أن الله تعالى يحاسب عبداً فترجح سيئاً ته على حسناته ، فيؤمر به إلى النار ، فاذا ذهب به يقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام : أدرك عبدى وسله هل جلس فى مجلس عالم فى الدنيا فأغفر له بشفاعته ، فيسأله جبريل فيقول: ما جلست فى مجلس عالم قط ، فيقول جبريل يارب أنت أعلم بحال عبدك ، فيقول الله تعالى ياجبريل سله هل أحب عالما قط ؟ فيسأله فيقول لا ، فيقول ياجبريل سله هل جلس على مائدة عالم قط ؟ فيسأله فيقول لا ، فيقول يا جبريل سله عن اسمه وعن نسبه فان وافق اسمه اسم عالم غفرت له ، فيسأله جبريل فلا يوافق اسمه اسم عالم ، فيقول الله لجبريل خذ بيده وأدخله الجنة فانه كان يحب رجلا كان ذلك الرجل يحب عالماً فيغفر له ببركته . وقال ﷺ « قال لى جبريل : يا محمد لا تحقرن عبداً آتاه الله علماً فان الله لم يحقره حين علمه ، إن الله جامع العلماء فى بقيع واحد فيقول لهم : إنى لم أستودعكم علمى إلا لخير أردته بكم ، فقد غفرت لكم ما كان منكم » وقال ﷺ لهلال بن يسار « لا تفارق المحبرة فان الخير فيها وفى أهلها إلى يوم القيامة » وقال ﷺ « من حقر عالما فهو ملعون فى الدنيا والآخرة » وقال ﷺ « العالم سلطان الله فى الارض ، فن وقع فيه فقد هلك » وقال ﷺ « قال الله تعالى من عادى لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة » . وقال الشافعى وأبو حنيفة رضى الله عنهم . إن لم تكن العلماء أولياء فليس لله ولى .

﴿ فصل ﴾ إذا عرفت هذا فاعلم ان كل ما تقدم لا يتم الا بالعلم ، فالعلم هو الاصل ، والعمل فرعه قال ﷺ « العلم امام العمل ، والعمل تابعه » وانما صار أصلا متبوعا لان العبادة لا تحصل الا بعده ، لأنه يجب أن يعرف المعبود ثم

يعبد ، وكيف يعبد من لا يعرف بأسمائه وصفاته ، وما يجب له وما يستحيل في نعته وقال ﷺ « لان يغدو أحدكم فيتعلم بابا من العلم خير له من صلاة مائة ركعة » وقال ﷺ « أفضل العبادة الفقه » قال الغزالى رحمه الله : ومن اجتهد بالحج والصوم ونحوهما من العبادات ولم يقدم شروطها من التوبة ورد المظالم ، ولم يتعلم من علم الآفات ما يحتاج اليه من تنقية الظاهر والباطن فهو من المغرورين ، وقد قال ﷺ « حبذا نوم الاكياس وفطرهم ، كيف يغبنون سهر الحمق واجتهادهم ، ولمثقال حبة من صاحب تقوى ويقين خير من ملء الارض من المغترين » فعرف بهذا ونحوه :أنه أفضل من كل شيء سواه ، وصاحبه هو الذى يتقى الله ويخشاه ، وهو أكبر فضيلة ، وأحسن موهبة،جليلة لانه الحامى عن كل رذيلة ، وهو إلى الخيرات أكبر وسيلة :

به يعبد الرحمن حقا ويقدر به يعرف التوحيد والحق يظهر
به يعرف الحل الصريح جميعه وما حرم البارى وعرف ومنكر
به تعرف الأحكام والطرق التى إلى جنة الفردوس بالعلم يخبر

﴿ فصل ﴾ واعلم أنى إنما عنيت بذلك العلم الشرعى المأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ دون غيره من العلوم الباطلة والمحرمة ، كالتنجيم ، والسحر ، والرمل ، وهو الخط ، والطرق بالحصا ونحوه ، والكهانة ، وعلم الفلسفةو الطبائعيين ، فكلها محرمة نص على ذلك النووى وغيره

ثم العلوم الشرعية تعود إلى ثلاثة ، أحدها : علم التوحيد الذى هو أول واجب على المكلفين ، وهو أن تعلم أن لك إلهاً عالماً قادراً حياً متكلماً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وهو الله الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى الانس والجن كافة وهو خاتم الانبياء

لا نبى بعده ، وهو الصادق فيما جاء به عن الله ، وفيما ورد على لسانه من الامور ﷺ ، ثم أنزل عليه القرآن الذى هو أكبر معجزة وبرهان ، وهو كلام الله القديم وصراطه المستقيم الذى عجز الخلق عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وهو المكتوب فى المصاحف من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس

الثانى : علم الأحكام الباطنة وهى عبادة القلب ، وهى اكتساب واجتناب فالاكتساب مثل معرفة الله تعالى على ما ورد فى الكتاب والسنة ، ومعرفة صدق رسله ، والتزام التقوى والتوكل والاخلاص والصبر وشبه ذلك ، والاجتناب مثل ترك الحسد والغضب والرياء والعجب والكبر ، وترك اعتقاد ما يخالف الشرع

والثالث : علم الشريعة الظاهرة وهى اكتساب واجتناب أيضا ، فالاكتساب مثل النطق بالشهادتين وفعل الطهارة والصلاة والصوم وما جرى على هذا المجرى ، والاجتناب مثل اجتناب الزنا والغصب والسرقة

فمن ذلك ما هو متعين على كل أحد كعلم التوحيد الماضى ، وصدق الرسول ، والتصديق بما جاء به القرآن ، والتزام التقوى ، ونحو ذلك من عبادات القلب المكتسبة ، وما يحتاج إليه لاقامة الفروض كالوضوء والصلاة والصوم وغيرها ، وكالزكاة لمن له مال زكوى ولا يسقط عنه بالساعى وكمن يبيع ويتجر يتعين عليه معرفة أحكام التجارة وما يصح من المعاملات ، وأنه لا يجوز بيع مطعوم بمطعوم نسيئة ، إذ هو عين الربا ، ونحو ذلك من المهمات وكذا ما يحتاج إليه صاحب كل حرفة يتعين عليه تعلمه كالخباز يجب عليه العلم بأنه لا يجوز بيع الخبز بالحب والدقيق وشبهه ونحو ذلك

وأما علم القلب وهو معرفة أمراضه المحرمة ، كالغضب والحقد والحسد والكبر

والرياء ، فمن رزق قلباً سليما منها كفاه ذلك ، ومن لم يسلم وتمكن من تطهير قلبه من غير معرفةأسبابها وحدودها وعلاجها وجب تطهيره ، وإن لم يتمكن إلا بتعلم تعين ذلك ، مثال علاجها أن يعالج الغضب عنـد هيجانه بأن يعلم ثواب كظم الغيظ ، ويذكر قوله تعالى لموسى عليه السلام : من ذكرنى حين يغضب ذكرته حين أغضب ، ولم أمحقه فيمن أمحق . وقوله له أيضا : « أتحب أن تأخذ أمانا من غضبى قال : نعم ! قال : لا تغضب عـلى مامن تحت يدك » ثم يخوف نفسه ويعلم أنه هو أقدر عليـه ، ويحذر نفسه عاقبـة الانتقام ، فان العدو يشمر لمجازاته فتصير العداوة طويلة ، ويتفكر فى قبح صورة غيره عنـد الغضب فيقيس نفسه عليه ، ويعلم أنه يشـبه السبع الضارى اذا استعمله ، ومتى استعمل الحلم والعفو أشبه الانبياء والاولياء ، ثم يتعوذ من الشيطان ويقول: اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى ، وأذهب غيظ قلبى ، وأجرنى من مضلات الفتن ، ويتوضأ ويتحول من مكانه ، وليجلس إن كان قائما ، وليضطجع إن كان جالسا وعلاج سائر هذه الامراض مشهور ، وفى كتب الغزالى وغيرها مذكور

﴿ فصل ﴾ ثم بعد معرفة ما يتعين عليك فتعلم العلم النافع أفضل من النوافل ومن سائر العلوم . قال الغزالى رحمه الله والعلم النافع هو ما يزيد فى خوفك من الله ، وفى بصيرتك بعيوبك ، وفى معرفتك بعبادة ربك ، وفى رغبتك فى آخرتك ، ويقلل رغبتك فى الدنيا ، ويقصر أملك ، ويفتح بصـيرتك بآفات عملك لتحترز منها ، ويطلعك على مكايد الشيطان وتلبسه على علماء السوء حتى أكلوا الدنيـا بالدين ، واتخذوا علمهم وصلة إلى أموال السلاطين ، وأكل مال الوقف والمساكين ، وصرف همتهم إلى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب المخـلوقين ، واضطرهم إلى المراء والمنافسة وما يغضب رب العالمين

قال : وكل علم لا يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعود عليك منه ،

فان فرغت من هذا العلم النافع وأصلحت نفسك ظاهراً وباطنا ، فلابأس باشتغالك بعلم المذهب فى الفقه ، لتعرف الفروع النادرة فى العبادات ، وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات ، وسائر الأحكام والمعاملات ، فكل ذلك من فروض الكفايات ، ومن ذلك أيضا الطب والحساب المحتاج اليه لقسمة المواريث ونحوها ، ومعرفة أصول الفقه والنحو واللغة والتصريف ، وأسماء الرواة والجرح والتعديل ، واختلاف العلماء واتفاقهم قال الغزالى رحمه الله : وكما أن الشرعيات تفضل غيرها من العلوم ، فالعلم الذى يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل ويزيد على الاحكام الظاهرات ، فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ، ورواة العلم الذى يتعرف به كون العبادة مقبولة أو مردودة ونحو ذلك من علوم أهل الباطن والمكاشفات

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه لا يتم لعالم علمه حتى يكون عاملا بمقتضاه ، معرضا عن حب دنياه ، هاربا عما يصده عن الله ، إلا ما لا بد منه أن يتولاه قال ﷺ « لا يكون العالم عالما حتى يكون بالعلم عاملا » وقال ﷺ « إنما العالم من عمل بعلمه » وقال ﷺ « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » وقال ﷺ « العلماء رجلان ، رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج . ورجل تارك لعلمه فهذا هالك ، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه » وقال الفضيل رحمه الله : إذا كان العالم راغباً فى الدنيا حريصاً عليها فان مجالسته تزيد الجاهل جهلا ، والفاجر فجوراً . وقال الغزالى رحمه الله : والناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال ، رجل طلب إلى الهداية ليتخذه زاداً إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله تعالى فهو من الفائزين ؛ وهو الذى أثنى عليه سيد المرسلين بقوله « الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » وهو الذى يستغفر له من فى السماوات والأرض ، حتى الحيتان فى البحر ؛ كما ورد فى الحديث ، ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والمال ، وهو مع ذلك مستشعر

فى نفسه ضعف حاله وخسة قصده ، فهذا إن مات قبل التوبة خيف عليه ، وإن وفق لها قبل الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل ، وتدارك ما فرط ، التحق بالفائزين . ورجل اتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، يدخل بعلمه كل مدخل ليقضى من دنياه وطره ، ويضمر أنه عند الله بمكان لا تسامه بسمة العلماء فى الزى والمنطق ، مع تكالبه على الدنيا ظاهراً وباطناً . فهذا من الهالكين المغرورين ، وهذا هو العالم السوء الذى حذر منه سيد المرسلين ﷺ فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ، ويجنبنا معصيته ، بمنه ورحمته آمين . وخوف منه أشد من تخويفه من الدجال اللعين ، فهذا هو الساعى فى هلاك نفسه وبيع آخرته بدنياه ، ومعكم من هذه صفته معين على العصيان ، وشريك له فى الخسران ، كبائع سلاح من حربى ، أو قاطع طريق ومن أعان على معصية ولو بتلويح وبشطر كلمة كان شريكا له

قال : وعلماء الآخرة هم الذين لا يأكلون بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا ، لما علموا من عز الآخرة وذل الدنيا ، ومن لم يعلم معاندة الدنيا للآخرة ومضارتها فليس من العلماء ، ومن أنكر ذلك فقد أنكر ما دل عليه القرآن والآثار ، ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان ، فقد أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه صفته ؟ ! قال : وقد مرض العلماء فى هذه الاعصار مرضاً عسر عليهم علاج أنفسهم ، لأن المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء ، واضطروا إلى الكف عن تحذير الخلق عن الدنيا كى لا تنكشف فضيحتهم ، اصطلحوا كى لا يفتضحوا على الاقبال على الدنيا والتكالب عليها . فبهذا السبب عم الداء ، وانقطع الدواء ، واشتغل الاطباء بفنون الاغواء ، فهم وان صرفوا الناس عن الدنيا بذمهم وقولهم ، فقد دعوهم إليها بحرصهم وأفعالهم ، ولسان الحال أنطق من لسان القال ، غليتهم إذا لم يصلحوا لم

يفسدوا،و ليتهم سكتوا وما نطقوا،بل قد كان كل واحد منهم كأنه صخرة فى فم الوادى ، لا هى تشرب ولا تترك الماء يشرب به غيرها هذا كلامه رحمه الله .

قلت:وإذا كان هذا فى عصره وهم أولو الحقيقة ، فكيف فى وقتنا هذا وقد أهمل الناس عن العلم بالطريقة،وراموا عقوقه ، وأباروا سوقه ، حتى تخيلوا من تشبه بالعلماء عالماً ، ومن سمي بالفقيه فقيها حا كماً ، وهيهات هيهات،هذه هى الترهات!! يقرأ الانسان مسألتين،أو إلى باب المسح على الخفين، ثم يلبس عمامة ويضم على عصاه يمينه ، ويقبل على هذه الدنيا المهينة فيعمل فى اكتسابها حيله ، ويهمل من أخراه عمله ، يفتى بالجهالة، ويحكم بالرذالة ، ويظن أنه قد فاز بالسلامة ، واستوجب الكرامة بنفيه الكرامة ، وهيهات بل هو فى أسفل سفل ، وأقبح شغل ، صار فى دنياه مشغولا ، وفى أخراه مسئولا ، فياليته كان مجهولا ، وأنا والله أكثر تلبيساً وأخش تزويقاً وتدنيساً ،وأدوم على الدنيا تعريساً :

أسأت فما عذرى إذا انكشف الغطا ... وأظهر رب العرش ما أنا أستر
اذا الله نادانى بيوم قيامة ... تعديت حد العلم هل أنت تؤجر
أسأت إلى خلقى وحقى تركته ... فأين الحيا منى فانى أكبر
دعوت إلى علم وأظهرت حكمة ... وأنت على الدنيا عكوف مشمر
وخالفت ما قد قلت وازددت غفلة ... وقلبك للذات والغش تطمر
ظننت بأنى مهمل لامرئ عصى ... كأنك لم تعلم بأنك تحشر
هنالك يمتاز المسيئون كلهم ... فواحسرتا إن كنت ممن يحير
فيا حى يا قيوم يا خير راحم ... وما أنت للزلات والذنب تغفر
عصيتك من لومى ونفسى ظلمتها ... وذنبى فى عمرى يزيد ويكثر
ولكن ، إن جئت ذنبا وزلة ... أرجيك يا رحمن للوهن تجبر
وتغفر لى ذنبى وتصلح عشتى ... وترحم آبائى فانك تقدر

وأرجوك يا رحمن إذ ما سترتنى بدنياى فى يوم القيامة تستر

اللهم إنى أسألك بوجهك الكريم ، وكلامك العظيم ، ونبيك الرحيم ، أن تغفر لى كل ذنب وتختم لى بخير يا حليم يالطيف يارحيم . لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، ياحى يا قيوم برحمتك أستغيث فارحمنى ، واغفر لى ولوالدى ولاحبائى ولجميع المسلمين آمين .

ذكر الغزالى فى كتاب الاحياء فقال : بعد فراغك من علم الآخرة اشتغل بفروض الكفايات على التدريج فايتدىء بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ وأقل ما فى ذلك تحصيل ما فى الصحيحين تحصيلا تقدر به على ما تحتاج إليه عند الحاجة ، ولا يشترط حفظ متونه . ثم تعلم التفسير ، وأقله ضعف القرآن كوجيز الواحدى ، وما زاد على وسيطه فاستقصاء مستغنى عنه . ثم بسائر علوم القرآن من ناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه وغيرها ، وكذا فى السنة . ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه ، وأقله معرفة ما فى خلاصة المختصر ونحوها ، ثم أصول الفقه ، ثم بعلم الطب والحساب . وهكذا فى بقية العلم على ما يتسع له العمر ، ويساعد فيه الوقت . ولا تستغرق عمرك بفن واحد طلبا للاستقصاء فى العلم ، فالعلم كثير ، والعمر قصير . واقتصر من شائع اللغة ؛ على ما ينطق به ويفهم به كلام العرب . ومن غريب علمها على غريب القرآن والحديث . ومن النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة وإياك والتعمق فيه ، وأما علم الشعر فعلم لا ينفع ، والجهل به لا يضر ، وكتب التاريخ غير نافعة فى الدنيا والآخرة ، ويكفيك فى حفظ أسامى الرجال ما فى كتب من قبلك ، وعلم الكلام مقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من الخلق لا غير ، ومقصود حفظ السنة تحصل رتبة الاقتصاد منها بمعتقد مختصر منها ، وأما علم النجوم كالرمل فعلمها حرام إلا بقدر ما يعرف به

(١) ما بين القوسين زيادة من نسخة أخرى

القبلة وأوقات الصلاة وجميع علم السحر ونحوه حرام والله أعلم . ذكره الغزالى بما هذا معناه .

وهذا الترتيب فى العلوم الشرعية محتاج اليه . وأما علم الخلاف والجدل فلا طائل تحته ، وعلم المذهب قد ذكرت (ما)فيه . والله أعلم .

القسم الخامس والعشرون : الاجتماع والالفة ، وحسن المداراة والصحبة ، وما يورث المحبة ، قال الله تعالي (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (١) قال ﷺ « إذا تواصل أهل البيت وتحابوا أجرى الله عليهم الرزق » وقال ﷺ « لا تزال أمتى بخير ما تحابوا » وقال ﷺ « التودد نصف العقل » ويروى « رأس العقل بعد الايمان بالله مداراة الناس ، والتودد إلى الناس » وقال ﷺ « لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا » وقال الله تعالى « ولا تنازعوا — أى لا تختلفوا فيما بينكم — فتفشلوا — فتجبنوا عن عدوكم — وتذهب ريحكم » أى نصركم وقيل جرأتكم ، وقيل دولتكم . قال الواحدى : والريح هنا كناية عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد . وقد حض ﷺ على الجماعة فى كل الطاعات ، وأمر الله باجتماع الناس كل يوم خمس مرات للصلوات ، وفى كل أسبوع مرة للجمعات ، وحتم انضمام أهل البلدان المتفرقة للحج فى عرفات ، وندب إلى المشاورة فى الامور المهمات ، وأمر باجتماع الامة بامام واحد حذراً من المشاجرات ، وتأكيد للألفة بين المؤمنين ، وحثاً على المواصلات ، ولقبول طاعة البعض ببركة البعض رحمة من رب السماوات ، وليقتد الطالح بالصالح فيزيد فى الطاعات ، ويقلع عن المحرمات ، وإلى هذه الأسباب أشار ﷺ بقوله « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » وقال ﷺ « يد الله على الجماعة » وقال

---

(١) قال أبو عبيد : يعنى عليكم بكتاب الله وترك الفرقة فانه أمان لكم وعهد من عذاب الله وعقابه .

ﷺ « المرء كثير بأخيه ، والمؤمن مرآة المؤمن ، وما التقى مؤمنان الا استفاد أحدهما من صاحبه خيراً ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . والمراد بذلك من يصلح أمر الدين والدنيا بعواقنه . وماسواه فلا بأس بمهاجرته . وقال عمر رضى الله عنه : إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليستمسك به . وقال ﷺ « تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا » رواه مسلم .

فعلى العاقل أن يخرج من قلبه الحسد والغش والعداوة والبغض ، وأن يحب المسلمين لاسلامهم ويصلح ذات بينهم ، فقد كان علماء الدين يستروحون عند اللقاء ، ويتناصرون ويتساهمون فى السراء والضراء . حتى قال الشافعى رحمه الله العلم بين أهل العلم رحم متصل . فكيف يدعى الاقتداء به جماعة صار علمهم عداوة قاطعة ؟ ! وقال ﷺ « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ؟ » قالوا بلى يارسول الله ! قال « إصلاح ذات البين ، وفساد ذات البين هى الحالقة » وقال ﷺ « إن الله ليغفر ليلة النصف من شعبان لجميع من فى الأرض إلا من كان مشركا أو مشاحناً » وقال ﷺ « يقول الله تعالى وجبت جنتى للمتحابين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى » وقال ﷺ « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان . فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدؤ بالسلام » ويروى « فمن هجر أخاه فوق ثلاث فهو فى النار » قال النووى رحمه الله : وهذا إذا كان هجره لحظ النفس وتعنت أهل لدنيا ، فان كان لا بتداعه ونحوه فلا بأس به . وقال ﷺ «من نظر إلى وجه أخيه نظر ود غفر الله له » وقال ﷺ « من أحب قوماً فهو منهم يوم القيامة —

أو قال فهو معهم يوم القيامة » ولم يفرح المؤمنون بحديث كفرحهم بهذا الحديث ، وقد كانت أخوة الاسلام منعقدة بين الصحابة وهى الأخوة العامة. قال الله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وقال الله تعالى (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين) ثم آخى ﷺ بين أصحابه أخوة خاصة، وحالف بين قريش والأنصار فى دار أنس. وقال ﷺ « المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله » ولما قال رجل من الأنصار يوم السقيفة : منا أمير ومنكم أمير ، قال عمر : سيفان فى غمد لا يصطلحان ، ثم بايع لأبى بكر رضى الله عنه فبايع الناس ، وذلك أنه إذا بويع لاثنين تغير الأمر وتبدد ، وقوى العدو وتمرد . واشتد الخلاف وتجدد ، وتنغص العيش وتنكد :

فالافتراق مذل ما به رشد والاجتماع يعز الأهل والخلا

وفى اجتماع القلوب ، تزول الكروب ، وقال الله تعالى فى قوم مقتهم : (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)

﴿ فصل ﴾ إذا فهمت هذا فمما يورث التحاب ويزرع فى القلوب المودة الصلاح قال الله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أى محبة فى القلوب ومنه الزهد قال ﷺ « إزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس »

ومنه العفو قال الله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) وقال ﷺ « تعافوا تسقط الضغائن بينكم » ومنه التواضع ، قال ﷺ « ثمرة التواضع المحبة » ومنه السخاء : قال ﷺ « من طلب محبة الناس فليبذل ماله » وقال ابن مهران : من طلب مرضاة الاخوان بلا شىء فليصادق أهل القبور . ومنه الهدية ، قال ﷺ « تهادوا تحابوا وتذهب

الشحناء » وقال ﷺ « نعم المفتاح الهدية أمام الحاجة » وقال ﷺ « الهدية تذهب السخيمة » أى الحقد والغل . وأنشد بعضهم فى ذلك :

إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الفظاظة من كواها

وقال ﷺ « تهادوا الطعام بينكم فان ذلك توسعة لأرزاقكم » وقال ﷺ « الهدية رزق من الله طيب »

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها ، وان كانت ورقا أو ذهبا » وقد أمر ﷺ بالمكافأة بها وإعطاء خير منها وعوض بيكر ست بكرات ، وبطبق من رطب وقثاء بملء كفه حليا . قال وهب: وترك المكافأه من التطفيف ، ولا بأس باهداء القليل ، قال ﷺ « لا تحقرن جارة لجارتها ولوفر سن شاة » —وهو نصف الظلف—.وقال« لو أهدى إلى ذراع لقبلت » وقد كن أزواجه ﷺ يتهادين الجراد بينهن، ويكره رد الهدية ، ومن منعه من قبولها مانع شرعى فليحسن العذر .

ومنه المصافحة قال ﷺ « تصافحوا يذهب الغل» وقال ﷺ « من أخذ بيد أخيه المسلم إكراماً له أكرمه الله » وقال ﷺ « من تمام التحية الأخذ باليد » وصافح حماد ابن المبارك بيديه وقال ﷺ « زر غباً تزدد حباً » وقال ﷺ « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » وقال ﷺ « إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو فانه أوصل للمودة » وقال ﷺ « جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء اليها » وفى المثل : قطع الضراوة عداوة — أى قطع العادة . ومن ذلك الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، قال ﷺ «من أراد أن يجعل الله له عهداً عنده وفى قلوب المؤمنين مودة فليكثر من الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .

ومنه تسوية الصفوف فى الصلاة ، قال ﷺ «استووا ولا تختلفوا فتختلف

قلوبكم » ومن ذلك إفشاء السلام ، ومعناه أن تسلم عليه كلما لقيته قال ﷺ « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم »

﴿ فصل ﴾ وهنا أشرح آداب السلام ، وما فيه من تفصيل وأحكام ، ومن يسلم عليه ومن لا ، وما أفضل ذلك وأولى ، وأختصر في ذلك جهدي ، وآتي منه بكل ما عندي

فاعلم أن ابتداء السلام سنة مؤكدة على الكفاية ، فإن سلم ولو صبياً على واحد وجب عليه الرد إن كان بالغاً ، وندب إن كان صبياً أو على جماعة فالرد فرض كفاية ، فإن رد أحدهم سقط الاثم عن الباقين ، وان ردوا كلهم كان أفضل ، وكانوا مؤدين للفرض ، سواء ردوا معاً أو مرتباً ، فإن امتنعوا كلهم أثموا كلهم ، ولا يسقط الفرض برد غيرهم ، ولا برد صبي منهم ، وفي وجوب الرد على المجنون والسكران ، جوابان للعلماء ، وعندي أنه يجب على السكران دون المجنون . ولا بد في السلام ورده من رفع الصوت بقدر ما يحصل به الاسماع ويسن رفعه حتى يسمعه سماعاً محققاً ، فإن شك في ذلك زاد في رفعه واستظهر ، وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام ، فليخفض صوته بحيث يحصل إسماع الأيقاظ ولا يتسيقظ النيام ، وندب أن يرسل بالسلام إلى من غاب عنه من أهل الاسلام ، ويلزم الرسول أن يبلغه ، لانه أمانة ، ولو ناداه بالسلام من وراء حائل أو كتب كتاباً وسلم عليه فيه ، أو أرسل رسولا فقال : سلم على فلان فبلغه الرسول والكتاب وجب الرد على الفور ، ويسن الرد على الرسول أيضا فيقول : وعليك وعليه السلام ولو سلم على أصم أتى باللفظ وأشار باليد ، وإلا لم يستحق جوابا . وكذا في جواب سلام الأصم يجب الجمع بينهما . ويكره للناطق الاشارة بالسلام باليد ونحوها من غير لفظ ، والجمع بينهما حسن ، وسلام الأخرس وجوابه بالاشارة معتد به ، والأفضل أن

يقول المسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، أوسلام عليكم ، وبالتعريف أفضل ، ويأتى بصيغة الجمع ، وإن سلم على واحد ، فلو قال للواحد: السلام عليك أو سلام عليك حصل أصل السنة أيضا . ويكره الابتداء بقوله عليكم السلام، أوعليك السلام، ويجب به الرد، فلو قال وعليكم السلام بالواو فليس بسلام ؛ فلا يستحق جوابا ويجب أن يكون الرد متصلا بالسلام كاتصال الايجاب والقبول فى العقود ، فان أخر ثم رد لم يكن جوابا وأثم. وأقل الجواب عليكم السلام ، أو عليك السلام للواحد ، والأفضل وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه . أو عليك السلام للواحد ، فيأتى بالواو أوله، فان حذفها أجزأه على الأصح . وكذا ولو قال السلام عليكم ، أو سلام عليكم ، فلو قال عليكم أو وعليكم بلا تعرض لسلام لم يكن جواباً كما أنه لو قال : السلام ولم يقل عليكم لم يكن سلاماً ، وفيه احتمال .ولو سلم عليه جماعة فقال وعليكم السلام وقصد الرد عليهم جاز وسقط الفرض، فان تلاقى اثنان فسلم كل منهما على صاحبه مرتباً كان الآخر جوابا ، أو معا كان كل منهم مبتدئا ، فيجب على كل أن يجيب ، والابتداء بالسلام أفضل ، فينبغى لكل أحد أن يحرص على أن يسبق فيبتدىء به . ومن سلم على واحد فغاب ثم لقيه على قرب يسن أن يسلم ثانيا وثالثا ، وأكثر ، كما لو تماشوا جماعة فحال بينهم شجرة ونحوها ثم التقوا ، وكذا إذا كانوا نياما فاستيقظوا ندب أن يسلم بعضهم على بعض ، وندب أن يسلم الماشى على الجالس الراكب على الماشى ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير ، ولا يكره ابتداء الجالس والماشى والكثير والكبير ، وإن كان خلاف الأولى . هذا إذا تلاقوا فى طريق فاما إذا ورد على قاعد أو قعود فلوارد يبدأ صغيراً كان ، أو كبيراً قليلا أو كثيراً ، ويقطع القراءة ليسلم

وندب البداءة بالسلام قبل كل كلام ، ولو سلم فأجيب ثم كرر السلام

مراراً فعندى أن إجابته واجبة كلما سلم لعموم قوله تعالى (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) الآية ما لم يقصد التلاعب، ولو لقى صاحبه أو ورد عليه فلم يسلم لنسيان أو نحوه فهل يتداركه ؟ ينبغى أن يكون كمن ترك تحية المسجد حتى جلس ، على الخلاف فى ذلك

ويكره أن يخص طائفة من الجمع بالسلام ، وأن يسلم على مشتغل بالبول ، أو الجماع ونحوهما ، أو على نائم أو ناعس ، وعلى المصلى وعلى المؤذن حال أذانه وإقامته ، وعلى من فى حمام ونحوه ، ومن يأكل واللقمة فى فمه ، ومن هو مشتغل بالدعاء مستغرق فيه منجمع القلب عليه ، فان فعل لم يستحق رداً فى كلها ، ويكره للبائل ونحوه رده .

ويسن للمصلى بالاشارة بيده أو برأسه فلا يتلفظ بشىء ، فان رد بعد فراغها فلا بأس ولو قال عليه السلام لم يضر ، وكذا لو قال للعاطس : يرحمه الله لم يضر ، فان أتى بلفظ الخطاب بطلت صلاته . ذكره فى الروضة . ويسن للآكل والمؤذن رده ، ويكره السلام على الملبى فان فعل وجب الرد لفظاً . ويكره السلام والامام يخطب، فان فعل وجب الرد فى الأصح ، وأما الآكل ولا لقمة فى فمه ، ومن هو فى مبايعة أو سوم أو معاملة أو قراءة فيسلم عليهم ويجب الرد لفظاً ، ويستأنف القارىء التعوذ ، ومن مشى فى شارع أو سوق ونحوه سلم على من شاء . ولو دخل على جماعة يعمهم سلام واحد اقتصر عليه لجميعهم ، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب ، ويكفى رد أحدهم كما مر ، فان زادوا فأفضل ، فان كانوا جمعاً لا ينتشر فيهم سلام واحد كالجامع فسنة السلام أن يبدأ به إذا شاهدهم ، فيكون مؤدياً سنته فى حق من سمع ، ويجب الرد على من سمعه على الكفاية ، فان جلس فيهم سقط عنه سنة السلام فيمن بعده ممن لم يسمعه ، وإن أراد الجلوس فيمن بعدهم ممن لم يسمعه سلم عليهم أيضاً . وقيل قد حصلت السنة

بالسلام على أوائلهم .

﴿ فصل ﴾ ومن أراد الجلوس بين قوم جلس حيث ينتهي به المجلس ولا يقيم أحداً من موضعه ، فان آثره غيره لم يقبل إلا أن يكون فى تقديمه مصلحة ، أو أمره شيخه بذلك ، ولا يجلس وسط الحلقة إلا لضرورة ، ولا يجلس بين صاحبين إلا باذنهما ، فان فسحا له قعد وضم نفسه ، ومن قام من مجلسه ثم رجع فهو أحق به ، ولا يترك أحد السلام لغلبة ظنه أن المسلم عليه لا يرد لسبب ما . وسلام النساء على النساء كسلام الرجال على الرجال . ولو سلم رجل على امرأة أو عكسه فان كانت زوجته أو أمته أو بينهما محرمية فالسلام سنة والرد واجب ، وان كانت أجنبية يخاف الافتتان بها لم يسلم ، فان فعل حرم عليها الرد ، ولا تسلم هي عليه فان فعلت كره أن يرد . وإن كانت عجوزاً جاز السلام ووجب الرد ، وان كن جمعاً فسلم عليهن الرجل أو الرجال جمعاً فسلموا على المرأة جاز مالم يخف فتنة ، ويجوز السلام بالعجمية وان قدر على العربية إذا فهم المخاطب ، ومن لا يستقيم نطقه سلم كيف أمكنه . والسلام عند الانصراف عن القوم سنة كهو عند القدوم ويجب جوابه فى الأصح .

ولا يجوز أن نبتدىء الذمى بسلام . ومن سلم على من لا يعرفه فبان ذمياً ندب أن يقول استرجعت سلامى أورده على تحقيراً له ، فان سلم هو على مسلم لم يزد فى الرد على وعليكم .

ويكره أن نبتدىء الذمى بشيء من الاكرام ، ومن احتاج إليه لعذر حياه بغير سلام ورحمة ، كقوله : هداك الله ، أنعم الله صباحك ، أو صبحك الله بالخير ، أو بالسرور أو بالعافية ، أو السعادة ، ونحوه . ومن مر على جماعة فيهم مسلم أو مسلمون وكفار سلم عليهم ، وقصد المسلم أو المسلمين . ومن كتب كتابا إلى مشرك قال فيه سلام على اتبع الهدى . واما المبتدع ومن اقترف ذنباً ولم يتب

منه فينبغى أن لا يسلم عليه ولا يرد عليه سلام . فان اضطر إلى السلام على الظالم بأن خاف ترتب مفسدة فى دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يسلم سلم ونوى أن السلام اسم من أسماء الله تعالى ـ المعنى الله عليكم رقيب ـ ذكر كل ذلك النووى رحمه الله. قال : ولا ينبغى فى غير الأنبياء أن يقال فلان عليه السلام ونحوه، سواء الأحياء والأموات إلا إذا كان خطابا أو جوابا . قال : والتحية عند الخروج من الحمام لا أصل لها ، لكن لو قال له حفظا لوده ومؤانسة له: أدام الله لك النعيم ونحوه من الدعاء فلا بأس . قال ولو ابتدأ المار فقال صبحك الله بالخير أو بالسعادة أو لا أوحش الله منك ونحوه . لم يستحق جوابا، لكن لو دعا له قبالته كان حسنا إلا أن يريد ترك ذلك تأديبا له ولغيره لاهمال السلام . ويسن لمن سلم على إنسان أسمعه كلامه وتوجه عليه الرد بشروطه فلم يرد أن يقول له بعبارة لطيفة رد السلام واجب فينبغى أن ترد على ليسقط عنك الفرض ، فان لم يرد ندب أن يحلله من ذلك فيقول : أبرأته من حقى فى رد السلام، أو جعلته فى حل منه ويتلفظ به فانه يسقط به حق هذا الآدمى .

ويكره أن يقول لغيره أو يكتب إليه أطال الله بقاءك ، فأول من كتبه الزنادقة ، ومكاتبة المسلمين كانت: من فلان إلى فلان : أما بعد سلام الله عليك ؛ فانى أحمد الله اليك الذى لا إله إلا هو وأسأله أن يصلى على محمد وعلى آل محمد

﴿ فصل ﴾ ويسن للبالغ إذا أراد الدخول على قوم ولو على أمه ونحوها أن يستأذن فيسلم ثم يقوم على الباب بحيث لا ينظر إلى من داخله فيقول : السلام عليكم أدخل ؟ فان لم يجبه أحد قال ذلك ثانيا وثالثا ، فان لم يجبه أحد انصرف ولا يعيد الاستئذان على أصح الأوجه ؛ ويستأذن بالدخول على أهل الذمة ولا يقدم لفظ السلام . فاذا استأذن بذلك أو بدق الباب فقيل له من أنت ؟ فينبغى أن يصف نفسه بما يعرف به ، فيقول أنا فلان بن فلان ؛ أو المعروف بكذا ؛

وإن كان فيه صورة تبجيل كالقاضي فلان أو الشيخ فلان . ويكره اقتصاره على أنا،أو على الخادم ، أو بعض الاصحاب ونحوه . وسئل النبي ﷺ عن الاستئناس في قوله تعالى (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) فقال « يتكلم الرجل بالتكبيرة والتحميدة ويتنحنح يؤذن أهل البيت »

وأما المملوك والأطفال فيستأذنون في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة ، أحدها من قبل صلاة الفجر ، والثاني وقت الظهيرة حين يضع ثوبه ، والثالث بعدصلاةالعشاء حين يفضي الرجل إلى امرأته ، ولا يحتاجون إلى استئذان فيما عدا ذلك . فاذا بلغ الأطفال استأذنوا لكل دخول كغيرهم . ومن دعى فجاء مع الرسول فذلك إذنه ، ويعتبر قول الصبي المميز بالاذن بالدخول وإيصال الهدية ونحوها .

﴿ فصل ﴾ ويستحب استحباباً مؤكداً زيارة الصالحين والجيران والاصدقاء والأقارب ، وإكرامهم وبرهم لما قدمنا . ولقوله ﷺ « من عاد مريضاً أو زار أخاله في الله ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك ، وتبوأت من الجنة منزلا » ولتكن زيارته على وجه لا يكرهونه في وقت يرتضونه ، وندب طلب الانسان من صاحبه الصالح أن يزوره ويكثر زيارته ، ومن زار قوماً فلا بأس أن يأكل طعامهم ويقيل عندهم ، ولا ينقص حظه به ، ولا بأس بزيارة العجائز للتبرك والدعاء . قال أبو بكر : قوموا بنا نزور أم أيمن كما كان ﷺ يزورها .

﴿ فصل ﴾ ويسن إكرام الواصل بالقيام له ، ويكون للبر والاكرام لا للرياء والاعظام . وأن يقام لقيامه إذا انصرف حتى يتوارى، ويكره حني الظهر والرأس في كل حال لكل أحد ، ويحرم أن يطمع في قيام القوم له والله أعلم . وقال ﷺ « إذا جاءكم الزائر فاكرموه » وقال ﷺ « أفضل الحسنات تكرمة الجلساء » وقال ﷺ « إن لجواب الكتاب حقا كرد السلام »

القسم السادس والعشرون : السلام عند دخول البيت وإن لم يكن فيه أحد ، قال الله تعالى (فاذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) الآية . وقال ﷺ لأنس « إذا دخلت على أهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى أهلك » ويروى « من لقيت من أمتى فسلم عليه يطل عمرك، وسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك » وقال « ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله تعالى: فان لم يكن فيه أحد قال السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

القسم السابع والعشرون : مما يورث البركة وينفى الفقر المواظبة على الدعاء الذى من قاله أذهب الله همه ، وقضى دينه ، ولو كان مثل جبل كبير. وهو أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . » هكذا رواه أبو داود عن النبى ﷺ . ويزيد : اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، واغننى بفضلك عن سواك . ذكره الترمذى فى حديث حسن . وروى ابن السنى أن النبى ﷺ قال « ما يمنع أحدكم إذا عسر عليه أمر معيشته أن يقول إذا خرج من بيته : بسم الله على نفسى ومالى ودينى ، اللهم رضنى بقضائك وبارك لى فيما قدر لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت » وقال ﷺ « من قال فى كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين . كن له أماناً من الفقر » ذكره فى الفائق . وقال ﷺ « إذا تعسر عليك أمر دنياك ووقعت فى ضيق وضنك فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فان الله تعالى يفرج عنك كل هم وغم » وقال مكحول : من قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولا ملجأ من الله إلا إليه صرف عنه سبعين باباً من الضر . ويروى من الفقر . ذكره الترمذى فى جامعه

وقال بعض التابعين : من كثرت هومه فعليه بالاستغفار ، ومن ألح عليه الفقر فليكثر من قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

القسم الثامن والعشرون : تسمية الله فى جميع الأعمال ، وتكرار التسمية فى كل الأحوال حتى عند دخوله الخلاء والوقاع ونحوه . روى الثعالبى أنه ﷺ قال « حلف الله بعزته أن لا يسمى اسمه على شيء إلا شفاه الله ، ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك الله عليه » ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة . وروى الترمذى أنه ﷺ كان يأكل طعاماً فى ستة من أصحابه ، فجاء أعرابى فأكله بلقمتين ، فقال « أما إنه لو سمى لكفاكم » وقال ﷺ « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع »[1]

فالتسمية سنة فى ابتداء كل قول وعمل كائناً ما كان خلا الاستنجاء ، ويأتى بها الجنب والحائض ولا يقصد القرآن ويجهر بها بحيث يسمع رفقته ليقتدوا به فيها، فإن سمى أحد الآكلين ونحوهم أجزأ عن الباقين . والأفضل أن يأتوا بها كلهم فإن اسمه تعالى دواء مجرب يذهب الداء ويجلب الدواء، به تستنزل البركات وبه ينجى من الهلكات. قال ﷺ « جعل الله هذه الآية شفاء من كل داء ، وعوناً لكل دواء ، وغنى من كل فقر ، وستراً من النار ، وأماناً لهذه الأمة من الخسف والمسخ والغرق والقذف ، ما داموا على قراءتها ؛ ولا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم » رواه النقاش فى تفسيره . وقد أمر ﷺ بكتبها فى صدور الرسائل والدفاتر ، وهى آية من الفاتحة . وقد رددها فى قراءته عشرين مرة ، وأمرت عائشة رضى الله عنها خياطة أن تنقض رقعة ثوبها لأنها لم تسم الله عليها ، وينبغى لمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم أن يجودها ، قال ﷺ « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله غفر الله له» . وقال ﷺ « إذا كتبت

---

(١) قال النووى : ناقص قليل البركة . وقوله ذو بال . أى حال يهتم به.

فبين السنة فى بسم الله الرحمن الرحيم» وقال ﷺ « إذا كتبت الق الدواة ، وحرف القلم وأقم الباء ، وفرق السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ومد الرحمن، وجود الرحيم » ذكره فى كتاب الشفا .

القسم التاسع والعشرون : سكنى المواضع المعهودة بالبركة ، وتجنب ما يدعو إلى الهلكة . روى مالك فى الموطأ أن امرأة قالت : يا رسول الله داراً سكناها والعدد كثير ، والمال وافر ، فقل العدد ، وذهب المال ؟ فقال « دعوها ذميمة » ونحوه فى سنن أبى داود . وفيه أيضاً قال فروة : يارسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين ، وهى أرض ريفنا وميرتنا وإن وباءها شديد ، فقال «دعها عنك، فان من القرف التلف »[1] قال مالك رحمه الله : كم دار سكنها ناس فهلكوا ، ثم آخرون فهلكوا . وكتب عمر إلى أبى عبيدة وهو بالشام لما وقع بها الطاعون إن الأردن أرض غميقة : أى كثيرة الانداء والوباء — وإن الجابية أرض نزهة ، — أى بعيدة من ذلك — فاظهر بمن معك من المسلمين إلى الجابية . وقال ﷺ فى البصرة « إياك وسباخها وكلأها وسوقها ، عليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف » وقال ﷺ « إن مصراً ستفتح بعدى ، فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً ؛ فانه يساق إليها أقل الناس أعماراً » وقال ﷺ « رأس الكفر نحو المشرق » وقال ﷺ فى نجد « هناك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرن الشيطان » وقال ﷺ « لا يزال أهل الغرب بخير حتى يأتى أمر الله »[2] وقال ﷺ « من تعذر عليه الملتمس فعليه بهذا الوجه » — وأشار إلى اليمن. وقال ﷺ « عليكم باليمن إذا هاجت الفتن ؛ فان قومه رحماء ، وإن أرضه

---

(١) القرف : مداناة المرض أى قرب الوباء يتلف . وسماعنا أبين بفتح الهمزة ويروى بكسرها

(٢) أراد أهل المغرب ذكره فى الشفاء

مباركة » وقال ﷺ « اللهم بارك لنا فى شامنا ، اللهم بارك لنا فى يمننا » وقال ﷺ « عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه ، يجتبى إليها خيرته من عباده » وقال ﷺ « طوبى للشام لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليها » وقال ﷺ « أوتاد الأرض من أمتى أبدال الشام ، وعصب اليمن أربعون صديقا لا يموت منهم أحد إلا أبدل الله مكانه مثله ».

ولا يخفى فضل مكة والمدينة والارض المقدسة ، ومن هنا روى أنه لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء ، وهى الايمان ، والحياء ، والكفر ، والنفاق ، والهجرة ، والسيف ، والغنا ، والذل ، والشقاء ، والفقر. فقال الايمان: أنا راحل إلى اليمن ، وقال الحياء وأنا معك ، وقال الكفر أنا راحل الى العراق قال النفاق وأنا معك ، قالت الهجرة أنا راحلة إلى الشام ، قال السيف وأنا معك ، قال الغنا أنا راحل الى مصر ، قال الذل وأنا معك ، قال الفقر أنا راحل الى البادية ، قال الشقاء وأنا معك. وقال كعب لعمر رضى الله عنه : لا تخرج اليها — يعنى العراق — فان فيها تسعة أعشار السحر والشر ، وبها فسقة الجن وبها الداء العضال — يعنى الهلاك فى الدين — وفى حكمة عمر أنه قال : فرقوا عن المنية ، واجعلوا الرأس رأسين ، ولا تلبثوا بدار معجزة ، وأصلحوا مثاويكم — أى منازلكم — وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم ، واخشوشنوا واخشوشبوا وتمعددوا (١)

(١) قوله فرقوا عن المنية . أى اذا أراد أحدكم أن يشترى شيئا من الحيوان من رقيق أو غيره من الدواب فلا يغالين فيه فانه لا يدرى ما يحدث به . ولكن ليجعل ثمنه فى رأسين . وان كانا دون الاول فان مات أحدهم بقى الآخر . والمنية الموت . والالباث الاقامة . يقول لا تقيموا ببلد قد أعجزكم فيه الرزق . ولكن اضطربوا فى البلاد . وهذا شبيه بقوله اذا اتجر أحدكم فى شىء ثلاث مرات فلم يرزق فيه فليدعه . وقوله : أخيفوا الهوام قبل أن يخيفكم أى دواب الارض كالعقارب والحيات . يقول احترسوا منهن ولا يظهر لكم منهن شىء إلا قتلتموه .

القسم الثلاثون : التجارة والسفر لابتغاء الرزق قال الله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من

والهوام كل مايدب من الحيوان وان لم يقتل كالحشرات . ومنه قوله لكعب أتؤذيك هوام رأسك يعنى القمل . ثم منها مايستحب قتله للمحرم وغيره وهى المؤذيات كالحية والعقرب والفأرة والقرادوالبقوالبرغوثوالقمل وسام أبرص والوزغ قال صلى الله عليه وسلم « من قتل حية فكأنما قتل كافراً » وقال صلى الله عليه وسلم « من قتل وزغا فى أول ضربة كتب له مائه حسنة . وفى الثانية دون ذلك . وفى الثالثة دون ذلك » رواه مسلم. ومنها مايكره قتله وهومالا يظهر فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والجعلان وبنات وردان . ومنها نوع يحرم قتله كالضفدع والنمل والذر ونحوها . قال النقاش: ويقال قتلها ينقص من رزق المرء ولايجوز احراق شىء من الحيوان فى النار حياً والله أعلم . وقوله واخشوشنوا هو من الخشونة فى اللباس والمطعم . واخشوشبوا — بالباء — شبيه به وهو كل شىء غليظ خشن فهو حشن وخشب وهو من الغلظ وابتذال النفس فى العمل . والاحتفاء فى المشى ليغلظ الجسد ويصلب. وقد قال صلى الله عليه وسلم « تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة » وقوله تمعددوا فيه قولان. يقال هو من الغلظ أيضا . ومنه قيل للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد . قال الراجز :

ربيته حتى اذا تمعددا * كان جزائى بالعصا أن أجلدا

يقال : تمعددوا تشبهوا بعيش معد . وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش . يقول فكونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم . قال فضالة : كان النبى صلى الله عليه وسلم ينهانا عن كثير من الارفاه . وكان يأمرنا أن نحتفى أحيانا . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يمشون حفاة ويصلون على الارض بلاسجادة . ويأكلون الطعام المديس بالدواب وهى قد تبول عليه . ويمسحون أيديهم بعد الغمر بأخمص نعالهم . أو يعركونها بالتراب ثم يصلون من غير مس ماء . وعدو الاشنان بدعة . ولم يحترزوا عن عرق الدواب المتمرغة بالنجاسة . عمدوا الى الباطن فطهروه تأديباً وهذبوه تهذيبا . ووقفوا فى الظاهر على ماجوزه الشرع تقريبا وترغيبا

فضل الله) — أي يتجرون — وقال ﷺ « سافروا تصحوا وتغنموا » ويروى « تصحوا وترزقوا » وقال ﷺ « البركة فى التجارة وصاحبها لا يفتقر إلا تاجر حلاف مهين» وقال ﷺ «بيعوا وابتاعوا فان لم تربحوا بورك لكم» وقال ﷺ «تسعة أعشار الرزق فى التجارة ، والجزء الباقى فى السابياء » يعنى ـ النتاج ـ ويروى «الخير عشرة أجزاء ، أفضلها التجارة اذا أخذ الحق وأعطاه» وقال ﷺ «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء » قال ﷺ « البيعان بالخيار مالم يتفرقا ، فن صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت البركة من بيعهما » وقال ﷺ « ما أملق تاجر صدوق » وقال ﷺ « من استطاع أن يشترى دابة فليشترها فانها تأتيه برزقها وتعينه على رزقه، وسافروا يوم الاثنين فانه نجاح» وقال موسى عليه السلام: سافروا وأملوا فى أسفاركم البركة ، فانى قد سافرت وما أؤمل كل ما أتانى. وينشد فى المعنى :

تغرب على اسم الله فى طلب العلا — وسافر ففى الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة — وعلم وآداب وصحبة ماجد

قال العلماء رضى الله عنهم : والتجارة هى الاسترباح بالبيع والشراء ، وقد كان ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وابن عوف وطلحة وابن مهران وابن سيرين بزازين . والزبير وعمرو بن العاص وابن كريز خرازين . وكان العباس عطاراً ، وأبو سفيان وأيوب السختيانى يبيعان الجلود ، ومالك بن دينار وراقاً . رضى الله عنهم أجمعين .

القسم الحادى والثلاثون : مما فيه البركة ، وينمى المال اتخاذ الغنم . قال ﷺ «الغنم بركة ، والابل عز لأهلها » وقال ﷺ «صلوا فى مرابض الغنم فانها بركة» ويروى « اتخذوا الغنم فانها بركة ويروى « البركة فى الغنم » ويروى « بركة الأموال الغنم » ويروى « أفضل الاموال الغنم» وقال ﷺ «خير المال الشبع،

وخير المال الغنم ، وخير المرعى الاراك والسلم » وقال ﷺ « عليكم بالضأن فانه مال ينمى » وقال ﷺ « خير المال الشاء » وقال ﷺ « الشاة بركة ، والشاتان بركتان ، والثلاث شياه ثلاث بركات » وقال ﷺ «السكينة فى أهل الغنم وهى من دواب الجنة ، وما من نبى إلا رعاها » ويروى « استوصوا بالمعز خيراً فانه مال رقيق[1] وانفشوا له عطنه — أى نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغيره . ويروى أن أبا هريرة قال لحميد بن مالك أحسن إلى غنمك ، وامسح الرغام عن أنوفها — وهو ماء يسيل منها — وأطب مراحها وصل فى ناحيتها ، والذى نفسى بيده ليوشك ان يأتى على الناس زمن يكون فيه الثلة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان . وقال ﷺ « يأتى على الناس زمان خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر ، يفر بدينه من الفتن » وقال ﷺ «شر الرعاة الحطمة »[2] وقال عمر إن الزجر للماشية شديد عليها — يعنى الحبس للأول عن الآخر — قال الهروى رضى الله عنه: وفى الحديث أن امرأة شكت إليه قلة نسل غنمها ورسلها — أى لبنها — وأنها لا تنمو ، فقال لها النبى ﷺ : « ما ألوانها ؟ » قالت سود ، قال لها عفرى[3]

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « سيد البهائم البقر ». وقال فى الابل إنها خلقت من الشياطين فلا يأتى نفعها إلا من جانبها الاشأم ، وإن على ذروة كل بعير شيطاناً » . وقال أكثم : عليكم بالابل فأكرموها فإنها حصون العرب ، وفيها ثمن الكريمة ، وفكاك الدم ، وفى ألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو كلفت الابل الطحن لطحنت .

---

(١) يعنى ليس له صبر كصبر الضأن على البرد والحفا وفساد المأوى

(٢) وهو الذى لا رفق له بالماشية بل يسوقها سوقاً عنيفاً حتى يحطم بعضها بعضا

(٣) يعنى اخلطيها بعفر أى اجعلى مكانها عفرا تراها تستوى بيضها للبركة فى البيض

القسم الثانى والثلاثون : اتخاذ النخل فانها بركة قال ﷺ « إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» ـ يعنى النخلة ـ وقال الله تعالى فيها (كشجرة طيبة) الآية أراد بها النخلة. وقال ﷺ « نعم المال النخل الراسخات فى الوحل المطعمات فى المحل» ـ يعنى الجدب ـ وقال ﷺ « أكرموا النخلة فنها عمتكم » وقال ﷺ « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » وقال ﷺ « بيت لا تمر فيه جياع أهله » قاله مرتين أو ثلاثا. وقال ﷺ « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة ، فان لم يجد تمرا فليفطر على الماء فانه طهور » وقال ﷺ « التمر البرنى فيه شفاء من كل داء » وقال ﷺ «خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء فيه ولا ضرر من التمر » وقال ﷺ « من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » روى فى الصحيحين وقال ﷺ « إن فى العجوة العالية شفاء ! وإنها ترياق اول البكرة » رواه مسلم . وقال ﷺ «العجوة من الجنة وفيها شفاء من السم » وقال ﷺ « ينفع من الجذام والبرص أن تأخذ سبع تمرات كل يوم من عجوة المدينة ، تفعل ذلك كل يوم » رواه أبو نعيم(١) وقال ﷺ كلوا البلح بالتمر فان الشيطان يحزن إذا رأى ابن آدم يأكله ، يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق » وقال ﷺ « أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر فانه من كان طعامها التمر فى نفاسها خرج ولدها حليما » رواه الحافظ أبو نعيم . وقال ﷺ « إذا ولدت المرأة فليكن أول ما تأكل رطبا ، فان لم يكن فتمرة ، فانه لو كان شىء أفضل منه أطعمه الله مريم حين ولدت عيسى » وكان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات وترا ، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلى . وقال ﷺ « نعم سحور المؤمن التمر » وقال ﷺ

---

(١) وقال أهل الطب: العجوة صنف من التمر كريم صلب مكتنز متين القوة وهى شفاء من السم لاسيما السموم الباردة . وهى تنفع من لسعة العقرب وذلك مجرب وغير ذلك قاله الهروى والأزهرى والصيحانى منها

« أكل التمر أمان من القولنج » والله أعلم .

القسم الثالث والثلاثون : مما روى أن فيه البركة العسل ، قال الله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) وقال ﷺ « جعل الله البركة فى العسل وفيه شفاء من جميع الأوجاع » وقال ﷺ « من شرب العسل فى كل شهر مرة يريد ما جاء به القرآن عوفى من سبعة وسبعين داء » وقال ﷺ « نعم الشراب العسل » وقال ﷺ « من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » وقال ﷺ « عليكم بالعسل فوالذى نفسى بيده ما من بيت فيه عسل إلا وتستغفر الملائكة لأهل ذلك البيت ، فان شربه رجل منهم دخل فى جوفه ألف دواء ، وخرج منه ألف داء ، فان مات وهو فى جوفه لم تمس النار جسده » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالشفاءين العسل والقرآن » وقال صلى الله عليه وسلم « ما طلب الدواء بشىء أفضل من شربة عسل » وقال صلى الله عليه وسلم فى العسل « انه يسرو عن فؤادى ويجلو لى عن بصرى » وقال « الذباب كله فى النار إلا النحلة » وكان ابن عمر رضى الله عنه لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا طلى عليه بالعسل حتى الدمل ، ويقول : قد جعل الله فيه شفاء للناس . وقال على رضى الله عنه : اذا اشتكى أحدكم شيئاً من بطنه فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ؛ وفى رواية أربعة دراهم ؛ فيشترى بها عسلا ويشربه بماء السماء ، فيجمع الله الهنىء والمرىء والشفاء المبارك .

القسم الرابع والثلاثون : مما يورث البركة كيل الطعام وتقويته وحسن التدبير والتقدير . قال ﷺ « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » وفى حديث آخر « قوتوا طعامكم يبارك لكم فيه[1] » وروى « الطعام المكيل بركة » ويروى أن قوماً شكوا إلى النبى ﷺ سرعة فناء طعامهم فقال « أتكيلون أم تهيلون ؟ » قالوا

(١) وقال الاوزاعى: يعنى به صغر الارغفة وقيل هو كقوله كيلوا طعامكم

بل تهيل، قال لهم « فكيلوا ولا تهيلوا » — أى لا تصبوه صبا — وقال ﷺ « التدبير نصف المعيشة » وقال ﷺ « من فقه المرء رفقه فى معيشته » وقال ﷺ « من قدر رزقه الله ومن بذر حرمه الله » وقال ﷺ « الرفق فى المعيشة خير من بعض التجارة » وقال ﷺ « من قصد فى معيشته رزقه الله » وقال ﷺ « إياكم والسرف فى النفقة ، وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا » ويروى « ما عال من اقتصد »[1] ويروى « ما عال امرؤ مع الاقتصاد فى النفقة ، وإن فى الاقتصاد نصف العقل والنصف الآخر فى مداراة الناس والتحبب إلى الناس مع الصدق من أخلاق الصالحين » وقال ﷺ « لو أن المؤمن عبد الله عبادة نوح ألف سنة لما نفعه ذلك عند الله تعالى حتى تكون فيه ثلاث خصال ، اقتباس العلم ، والاقتصاد فى النفقة ، وورع يحجزه عن معاصى الله تعالى » وقال مجاهد : إذا كان فى يد أحدكم شىء فليقتصد ، فان الرزق مقسوم فلعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ، وربما أنفق ماله أجمع فى الخير ثم لم يزل عائلا حتى يموت ، وأنشد بعضهم :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال أيسر من سؤال وضرب فى البلاد بغير زاد

﴿ فصل ﴾ وينبغى إذا أراد الكيل أن يطوف حول الصبرة ثلاثا ، ويسمى الله تعالى ويدعو بالبركة ثم يكيل ، قال جابر : مات أبى وترك ست بنات ودينا كثيرا ، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا ، فقال ﷺ « اذهب فبيدر كل تمر على ناحية ففعلت ، ثم دعوته فطاف حول أعظمها بيدرا ثلاث مرات ثم جلس عليه ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة أبى ، وأنا والله راض

(١) أى ما افتقر من أنفق على أهله وعياله من غير اسراف ولا إقتار ذكره فى شرح الشهاب

أن يؤدى الله أمانة والدى ولم أرجع إلى اخوتى بتمرة واحدة ، فسلم الله البيادر كلها حتى أنى أنظر الى البيدر الذى عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة . ثم يأخذ من جانب الصبرة ولا يأخذ من وسطها كما يفعل فى الاكل .
قال ابن يسار (١) : كان للنبي ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال لها الغراء ، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة وقد ثرد فيها ، فأتى بها فالتفوا عليها ، فلما كثروا جثا ثم قال « كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها يبارك فيها » ويكثر ذكر الله ولو بقلبه ، ولا يدق رأس المكيال ولا يزلزله ولا يلف يده على رأسه ، لكن ما حمله المكيال وهو أن يكال برأسه ، وإن كان الطعام فى إناء فيأخذ منه قليلا قليلا ولا يصبه صبة واحدة ، فن البركة تنزل فيما بقى فى الاناء مالم يحص كم بقى فيه . قال أبو هريرة قال لى النبي ﷺ هل بقى فيه من شىء ؟ » قلت نعم التمر فى المزود ، قال « فأتنى به » فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ودعا فيها بالبركه ، ثم قال « ادع عشرة » فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجلساء كلهم وشبعوا ، ثم قال « خذ ما جئت به وأدخل يدك واقبض منه ولا تصبه » فقبضت على أكثر مما جئت به ، فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله وأبى بكر وعمر وعثمان ، وحملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله . وقالت عائشة : مات النبي ﷺ وما فى بيتى شىء يأكله ذو كبد حراء الا شطر (٢) شعير فى زق لى ، فأكلت منه حتى طال على ، فكلته ففنى ولو كنا تركناه لاكلنا منه ذكره الترمذى . وجاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطر وسق من شعير ، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ففنى ، فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال له « لو لم تكله لاكلتما منه حتى تملانه ولقام بكم » وكن لام مالك عكة تقيم لها أدم بيتها حتى

(١) ن : ابن بسر (٢) قولها شطر شعير أى شىء من شعير

عصرتها . فقال ﷺ « لو تركتها ما زال قائماً »

﴿ فصل ﴾ ومن أعدل المكاييل المكيال المعروف بالأرضى [(١)] عندنا ، فانه قدر صاع النبي ﷺ. أخبرني شيخي برهان الدين بن العلوى رضى الله عنه أن معه عيار صاعه ﷺ ، وأخبرني من أثق به أنه عاير عليه فوجدنا ذلك العيار كالأرضى ، والذى به التعامل اليوم نصف الأرضى وهو نصف الصاع ، والمد ربع أرضى والله أعلم وتقدير الصاع وزناً ستمائة درهم وخمسة وثمانون درهماً وخمسة أسباع درهم فقلة ذكره النووى رحمه الله . وقال الرافعي : ستمائة وثلاثة وتسعون وثلث والله أعلم

﴿ فصل ﴾ ومن هذا إجادة العجين ، قال عمر وهو على المنبر : أملكوا العجين ، دنه أحد الريعين . ويروى خير الطحينين [(٢)] وقال عمر رضى الله عنه : لا يذرن أحدكم الدقيق فى البرمة حتى يغلى الماء

القسم الخامس والثلاثون : التوسعة على العيال سيما فى يوم عاشوراء من المحرم ، وفى الأيام الفاضلة كشهر رمضان ، وعشر عرفة قال ﷺ « من وسع على عياله يوماً لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه » . وقال ﷺ « ما وسع قط على عياله أحداً إلا وسع الله عليه » وقال ﷺ « من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع الله عليه السنة كلها » ويروى « سائر السنة » ويروى « السنة جميعها » وقال سفيان رضى

---

(١) الارضى بفتح الراء منسوب الى أرضة . وهى قرية من قرى وصاب فيها سوق وجمعة . وهى قريبة الى عركبة التي يقول فيها محمد بن الحسن الكلاعى سنة أربع وأربعمائة فى قصيدته المفحمة

وعركبة فيها الشراحة طنبوا * وكان بمقرى ترخمى عشنزر

(٢) أى أجيدوا عجنه وأنعموا والريع الزيادة فالريع الاول الزيادة عند الطحن والثانى عند العجن

الله عنه : إنا جربناه خمسين سنة فوجدناه كذلك . قلت : وهذا حسن بجرب ينبغي الاعتماد عليه . وقال ﷺ « من اغتسل يوم عاشوراء مرتين لم يمرض تلك السنة إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالاثمد ليلة عاشوراء لم يضره رمد تلك السنة » ويروى « من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عيناه أبداً » رواه الثعالبي مسنداً وقال يحي بن أبي كثير : من اكتحل يوم عاشوراء بكحل فيه مسك لم يشك عينيه . قال الترمذي : وقد اختلف أهل العلم في يوم عاشوراء أي يوم هو ؟ فقال بعضهم : العاشر من المحرم ، وقال بعضهم : التاسع منه . قلت: ودليله قوله ﷺ « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » وقال بعضهم : هو الحادي عشر ، والأصح أنه العاشر والله أعلم . ولكن ينبغي الاستظهار بصيام كلها والتوسعة فيها . وأنشد السلفي :

صوم عاشوراء قد جاء عن المـ   صطفى فيه أحاديث صحاح
فاغتنمه ثم أبشر بعده   بصلاح وفلاح ونجاح
فالذي قد جاء عنه مرتضى   وسواه فرياح في رياح

وقال ﷺ « ما من أيام أعظم عند الله من أيام العشر ، فأكثروا فيها من التحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبي ﷺ ، فيها ليلة عرفة وهي ليلة مباركة ، ويوم عرفة يوم مبارك ، ويوم عرفة سيد الأيام» . وقال ﷺ « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام » — يعني العشر — ويروى « ان صيام يوم منها ليعدل بصيام سنة ، وليلة منها بليلة القدر ، وأنشد السلفي فيها

صم عشر ذي الحجة وارغب إلى   رب العلا في الفوز بالجنة
فهو كما قد جاء لمن صامه   في عرصات الحشر كالجنة

وقد تقدم في فضل من أكرم عياله ما يكفي

القسم السادس والثلاثون : الاجتماع على الطعام ، وأن يبدأ أفضلهم في

السن أو الأحكام. قال ﷺ « الجماعة بركة » وقال ﷺ « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » وروى أن ناساً شكوا إلى النبي ﷺ أنهم يأكلون ولا يشبعون ، قال « فلعلكم تفرقون » قالوا نعم ! يا رسول الله ، قال « فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه » وقال ﷺ : « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » وقال ﷺ « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » وقال ﷺ « الأكل مع الاخوان شفاء » وقال الحسن رحمه الله : أخرجوا نهدكم فإنه أعظم للبركة وأحسن لأخلاقكم (١) وقال حذيفة : كنا إذا حضرنا طعاماً لم نضع أيدينا حتى يضع النبى ﷺ يده قبلنا ، وأتى ﷺ بطعام فقال « يستحب أن يبدأ رجل صالح فخذ يا أبا عبيدة » وكان إذا استن أعطى السواك الأكبر ، وإذا شرب أعطى الذى عن يمينه . وكان ﷺ يقول « ابدؤا بالأكابر » وقال محمد بن على الترمذى : وهذا فى السواك والشراب وكل شىء ، وإذا لم يبدأ به لم يوقره . وقد كان ﷺ يقول « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا » وقال طلحة بن مصرف لرجل : لو علمت أنك أكبر منى بليلة ما تقدمتك — يعنى فى الطريق — وقال ﷺ لابن سهل لما افتتح الكلام وهو أصغرهم « كبر الكبر » أى ليلى الكلام الأكبر ، وكذلك سائر الأفعال .

ويسن الجلوس أيمن الامام الصالح ، وأن يبدأ فيما يناول من طعام وشراب وطيب ونحوها بالأفضل ، ثم بمن على يمينه .

القسم السابع والثلاثون : إكرام الطعام ، ولعق الاصابع ، واتخاذ الخل والبقل

---

(١) لابد [illegible] الجماعة النفقة بالسوية يوما بيوم وجمعها فى السفر وغيره ولا بأس ان يأكل بعضهم اكثر من بعض اذا تحقق أن اصحابه لا يكرهون ذلك قال النووى رحمه الله وليس من باب الربا فى شىء بل هو سنة حسنة

والملح . قال ﷺ « اكرموا الخبز فان الله سخر لكم بركات السماء والارض والحديد والبقر وابن آدم » وقال ﷺ : « ما أهان قوم طعاماً إلا ابتلاهم الله بالجوع » ورأى كسرة ملقاة فى بيت عائشة ، فمشى إليها فمسحها : وقال « ياعائشة أحسنى جوار نعم الله فانها قل ما نفرت عن أهل بيت فكادت ترجع اليهم » .

قال الحكيم الترمذى فى نوادره : وبلغنا أن امرأة أنجت صبياً لها بكسرة من خبز ووضعتها فى جحر ، فابتلى أهل ذلك الزمان بقحط اضطرت المرأة من شدة الجوع إلى أن طلبت تلك الكسرة حتى وجدتها فأخذتها فأكلتها . وقال ﷺ «نعم الادام الخل اللهم بارك فى الخل فانه كان إدام الانبياء قبلى ؛ ولم يقفر بيت فيه خل[1] وقال « سيد الادام الملح » قال أصحابنا والادام كل ما يؤتدم به فى العادة سواء اصطبغ به أم لا كاللحم والجبن والبيض واللبن والسمن والشيرج والملح والبقول والبصل وما يؤكل مع الخبز . وروى « أن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل » وروى « زينوا موائدكم بالبقل[2] فانه مطردة للشيطان » .

﴿ فصل ﴾ ومن إكرام الطعام ترك انتظار الأدام ، واستقباله بالأدب ، وأكله على السنة . فمن ذلك غسل اليدين قبل الأكل وبعده فى طست واحد وسيأتى دليله فى الباب الخامس إن شاء الله تعالى ، ومسح العينين ببلل اليد ولا ينفضها ، والقعود على الرجل اليسرى متواضعاً واليمنى منصوبة ، وأن يخلع نعليه ويبدأ بالملح ويختم به . قال ﷺ « عليكم بالملح فانه شفاء من سبعين داء منه الجنون والجذام والبرص » والتسمية — وقد ذكرت — والأكل بالأصابع الثلاث فيما يتأتى بذلك ، وأن يكون أكله منفرداً كأكله مع الناس . لكن له ترك الاكل وإن لم يكتف بما قد أكل حيث يعلم أن بعده من يحتاجه ،

---

(١) قوله : يقفر . بتقديم القاف من القفار وهوا كل الخبز يابسا بغير ادام .
(٢) البقل معروف وهو فى اللغة كل نبات اخضرت له الارض

أو ينتظر سؤره ، أو جرت عادة بالاحتشام من استيفائه ونحوه ، وليصغر اللقمة ويجود المضغ إذا كان فيه رفق بالجليس . أو تعليم الأدب أو كان ضيفاً وفى الطعام قلة ، أو كان شبعاناً ، وإذا رفع يده رفع غيره ممن له حاجة ونحو ذلك من المقاصد الصالحة ، فانه يسن أن يمد الأكل مع رفقته ما دام يظن أن لهم حاجة إليه ، ويسن أن يؤثرهم بفاخر الطعام كقطعة لحم أو خبز طيب ، ونحوه . وما كان من بركة أو فاضل ندب أن يشارك به أحبابه ، وأن يقول لغيره أفضل لى من ذلك ونحوه .

ومن تناول طعاماً ونحوه فليشارك به أهل مجلسه ، ولا يأكل مما يلى أكيله ، ولا ينتظر على الطعام ، ولا يتبع نظره لقمة صاحبه ، ولا يأكل من أعلا الثريد وغيره ووسط القصعة . وسيأتى دليله . ولا بأس فى ذلك فى الفواكه ، ولا بأس بتتبع حوالى القصعة لطلب قطع اللحم ونحوها ان لم يكن يكرهه صاحبه . ويسن أن لا يتميز على جلسائه بنوع إلا لحاجة كدواء أو غيره ، وندب مدح الطعام الذى يأكل منه ، والاستكثار من الماء المبارك ونحوه ، وتعليم من يسىء الأكل وتأديبه وتنبيهه على البسملة ، والحديث على الطعام بما لا إثم فيه ، ويجوز أن يقول لا أشتهى هذا ونحوه إذا دعت الضروة إليه .

﴿ فصل ﴾ ويسن إذا فرغ أن يلعق أصابعه أو يلعقها ، وأن يلعق القصعة ، ويأكل اللقمة الساقطة ما لم تتنجس ، ويتعذر تطهيرها قال ﷺ « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شىء من شأنه ، حتى يحضره عند طعامه ، فاذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فاذا فرغ أحدكم فليلعق أصابعه ، فانه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة » ويروى « فان آخر الطعام فيه بركة » وقال ﷺ « من أكل فى قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة » ويروى « أنها تقول أعتقك الله من النار كما أعتقتنى من

الشيطان » وقال ﷺ « من وجد كسرة ملقاة فمسحها وأكلها لم تستقر فى بطنه حتى يغفر له ويعتق من النار » وقال ﷺ « من أكل ما سقط من القصعة والخوان رفع الله عنه الجنون والبرص والحمق ، وعن أولاده تغيير اللون والحمق والجنون » وقال ﷺ « من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل فى سعة من الرزق »

﴿ فصل ﴾ وقد نهى النبى ﷺ عن الأكل منبطحاً ، ومتكئاً ، وبالشمال ، وعن التنفس فى الاناء ، وعن قصع الرطبة وهو إخراجها من قشرها ، وعن النفخ فى الطعام والشراب وقال « النفخ فى الطعام يذهب بالبركة » ونهى عن الشرب من فم القربة والاناء ، قيل لانه ينتنه ، وقيل لانه يخاف أن تكون فيه دابة أو جان ، فان قلنا بالثانى وتيقن أن لا شىء فيه لم يكره ، وإن قلنا بالأول كره بكل حال ، ولا بأس بالكرع فى الحوض ونحوه — وهو الشرب منه — بالفم من غير عذر باليد

﴿ فصل ﴾ ويكره الشرب من ثلمة الاناء ؛ وأن يعيب الطعام والشراب ؛ وأن يقرن بين تمرتين ونحوهما إلا باذن ؛ وأن يتمخط أو يبصق حال أكلهم إلا لضرورة ، وأن يوضع الرغيف تحت القصعة ؛ وأن يشم الطعام كما تشمه السباع ؛ وأن يقرب فمه إلى القصعة بحيث يرجع منه شىء إليها ويكره الأكل على الطبق ؛ [illegible] وقطع الخبز واللحم بالسكين ؛ وقد قطع ﷺ بها جبنة ؛ والأكل والشرب قائماً جائز للحاجة ، ولا يكره لغير حاجة بل هو خلاف الأولى ؛ وإذا كان المأكول شيئاً له عجم فلا يجمع من ذلك ما يرمى به وما يؤكل على الطبق ؛ ولا فى كفه ؛ بل يضعه على ظهر كفه من فيه ويرمى به ؛ فقد كان ﷺ إذا أكل التمر وضع النواة على ظهر أصبعيه ؛ الوسطى والمشيرة . ثم ألقاها ؛ وأشار الراوى — وهو شعبة — بأصبعيه . قال الحكيم الترمذى : وإنما فعل ذلك لأنه لو أخذ النواة بباطن أصبعه

ثم عاد إلى بقية التمر لكان لا يخلو أن تكون أصابعه مبتلة من ريق الفم عند أخذ النواة، فكره أن يعود إلى بقية التمر وفى يده بلة النواة، لحرمة الآكيل والصاحب وليتأدب به من بعده، فانه قد يعاف الرجل فعله ذلك ويكره، فكان يلتقى النوى بظاهر أصبعيه ويستعمل باطنهما فى تناوله. وفى حديث آخر ما يحقق ما قلناه. حدثناه عمر بن أبى عمر بأسناده وهو أنه ﷺ نهى أن يجمع بين التمر وبين النوى، وبين الرطب والنوى على الطبق، ثم قال: حدثنا عمر قال حدثنا الحارث باسناده أنه ﷺ أتى بطبق من رطب، فأكل منه شيئاً ثم ألقى النوى من فمه بشماله، فمرت به داجنة فناولها إياه فأكلت. هذا آخر كلام الترمذى.

قلت: وعلى هذا يكره للآكل اذا أراد أن يعود للأكل أن يلعق أصابعه كما ذكر، وانما يسن له لعقها آخر أكله حتى لا يعود بعده، وهو المفهوم من الاحاديث والله أعلم. وقال جعفر الصادق: اذا جلستم مع الاخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس، فانها الساعة التى لا تحسب عليكم من أعماركم. وقال ﷺ: «لا تزال الملائكه تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع» وقال ﷺ «الطعام البارد فيه بركة، والطعام الحار لا بركة فيه» وقال ﷺ «الثريد بركة» وروى أنه دعا يوماً بقرص فكسره فى صحفة ثم وضع فيها ماء سخنا ووضع فيها ودكا، وصنع منه ثريدة ثم شعشعها ثم لبقها ثم صنبها [1] وقال ﷺ «إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»

﴿فصل﴾ واعلم أنه يكره أن يأكل الانسان من الحلال فوق شبعه، وأكل طعام المباهات، وما تكلف للأعراس والتعازى، وطعام الظلمة والفسقة، وإن كان من وجهه، وأما المجهول فن لم يمكن ترك طعامه إلا بالايذاء فعليك أن تأكل،

---

(١) قوله: لبقها يعنى جمعها بالمقدحة وهى المغرفة وشعشعها أفرغ عليها رعلة من السمن فرواها بها وفرقها بها وصعنبها أى رفع رأسها

فان طيبة قلب المسلم وصيانته عن الأذى أولى وأهم من الورع . ذكره الغزالى

﴿ فصل ﴾ ويسن التخلل بعد الفراغ بالسواك أو قبله بغير قصب الحرث ، ومن عود السواك أحب . قال ﷺ « حبذا المتخللون من الطعام ، فانه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا المؤمن يصلي وفى فمه وأضراسه شيء من طعام ، ولا يبلغ الخارج بالخلال فان منه تكون الدبلة — وهى قرح يخرج فى الرئة — ولا بأس بما يلوكه بلسانه . والمضمضة بعدالطعام سنة وقد شرب ﷺ لبناً فمضمض وقال « إن له دسما »

﴿فصل﴾ ويسن إذا استضاف مسلم لا ضرورة به مسلماً أن يضيفه ويكرمه ، وقد مر دليله فى قسم الصدقة . وقال ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه » والضيف جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما كان بعد ذلك فهو صدقة . فمن إكرام الضيف أن يبدأ بالسلام ، ثم بالطعام ، ثم بالكلام ، كصنع إبراهيم عليه السلام . ومنه كثرة الترحيب ، وحمد الله على حصوله ضيفاً عنده ، وسروره بذلك ، وثناؤه عليه لكونه جعله أهلا لتضييفه . ومنه اختيار الحلو من الأطعمة والأكل على السفر ونحوها ، ومنه الذبح للضيف وخدمته بنفسه .

وندب أن يقول لضيفه عند التقديم : بسم الله ، أو كلوا . أو الصلاة ، ونحو ذلك من العبارات المصرحة بالأذن فى الأكل ، ولا يجب ذلك . وإذا رفع يده من الطعام فليقل له : كل ، ويكرر ذلك عليه ، ما لم يتحقق أنه اكتفى ، وكذا يفعل فى الشراب والطيب . حتى يسن أن يقول ذلك لزوجته وغيرها من عياله . ومنه أن لا يستخدم ضيفه ، ولا يغسل يديه قبله . ولا يحلف على أحد . ولا يتكلف لضيفه إلا أن يكون له فيه نية من كثرة الانفاق ، ولا يفعله حياء وتفاخراً

وأما الضيف فأدبه أن يجلس حيث أجلس ، وأن لا يستحقر ما قدم له ،

وإذا تبعه غيره قال إن هذا تبعنا فان شئت أذنت له ، وإن شئت رجع ، ولا يخرج إلا باذن بعد رفع المائدة إن أمكن . قال الله تعالى (إذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا) قال ابن أبي حكيم : هذا أدب أدب الله به الثقلاء . ولا يصوم الضيف تطوعاً إلا باذن ، ولا يدخل على قوم وقت أكلهم قاصداً إلا إذا تحقق فرحهم بذلك ، وليخرج مع ضيفه إلى باب الدار ، ويحفظ عليهم وقت الصلاة ، ويجوز تقليد رب البيت فى قبلة بيته ، وليدع له الضيف عند الخروج .

ويسن تلقيم الضيف إن لم يكرهوا ذلك . قال ﷺ « إذا أكل أحدكم مع الضيف فليلقمه بيده ، فان فعل ذلك كتب الله له بكل لقمة عمل ستين سنة » وإلقام الخادم والزوجة أيضاً سنة ، والأكل مع الضيف سنة ، ولا يجوز إلقام الضيف ضيفاً آخر وإن خصصه المضيف بطعام لم يطعم منه غيره وكره تخصيصه . وقال الله تعالى (ولا على أنفسكم) أى ليس عليكم حرج فى أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أى من أموال عيالكم ومن أموال أزواجكم ، وبيت المرأة كبيت الرجل ، (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) قال الواحدى : وهذه الرخصة فى أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك ، كرخصته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره ، أو مر فى سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفا بعباده ، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق ، وضيق النظر ، ثم قال تعالى (أو ما ملكتم مفاتحه) يعنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته ، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ، ويشرب من لبن ماشيته . ثم قال تعالى (أو صديقكم) ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها ، وإن لم يحضروا من غير أن

تترددوا وتحملوا (ليس عليكم جناح،أن تأكلوا جميعاأوأشتاتا)— أى متفرقين — أعلم الله أن الرجل إذا أكل وحده فلا حرج عليه ذكره الواحدى . قال النووى : وإنما يجوز الأكل من طعام القريب والصديق بلا إذن إذا غلب على الظن أنه لا يكره ذلك ، فان شك ولم تكن ضرورة حرم ، ويجوز الشرب من الحباب الموضوعة فى الطرق ، ويجوز أن يأخذ الضيف ما يتيقن رضا المالك به ، وليس له إطعام سائل وهرة فى الأصح ، ويملك الضيف الطعام بالبلع فى الاصح ، والاكل والشرب فى السوق نقص مروءة إلا لمن غلبه العطش ، والوليمة أيضا سنة ، وهى كل دعوة تتخذ لحادث سرور كاعذار للختان والعقيقة يوم سابع الولادة ، والخرس للسلامة من الطلق ، والنقيعة لقدوم المسافر ، والوكيرة للبناء ، والمأدبة لغير سبب ، والاجابة اليها كلها سنة وقيل واجبة . وتجب وليمة النكاح وإجابتها فى الاصح والله أعلم

القسم الثامن والثلاثون : تسمية الولد محمداً وأحمد أحب الاسماء . قال ﷺ « سم ابنك محمداً يكثر خير بيتك » وقال ﷺ « لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمى » وقال ﷺ « إذا كان فى البيت من اسمه محمد كثر خيره وحضرته الملائكة » وقال ﷺ « أيما أهل بيت لم يكن فيهم محمد لم تنزل فى ذلك البيت بركة » وقال ﷺ « أيما أهل بيت فيهم محمد لم تزل البركة فى ذلك البيت ما دام محمد حيا » وفى تفسير الثعالبى قال ﷺ « إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له فى المجلس ، ولا تقبحوا له وجها ، وما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم ، ومامن مائدة وضعت فحضرها من اسمه أحمد أو محمد الا قدس فى كل يوم ذلك المجلس مرتين » وقال ﷺ « ما اجتمع قوم فى مشورة معهم رجل اسمه محمد أو أحمد فلم يدخلوه فى مشورتهم إلا لم يبارك الله لهم فيها » وقال مالك رضى الله عنه : سمعت أهل مكة

يقولون : ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا . وقال ﷺ « أحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام » وقال ﷺ « انكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم » فيسن لكل أحد أن يسمي ولده محمداً ، وباسم حسن ولو كان سقطا . ويسن تغيير الاسم الى أحسن منه ، ويكره كل ما يتطير بنفيه كافلح ، وبرك ، ويسار ، وما يتطير باثباته كجمرة وحرب وشهاب ؛ ويكره تسمية المرأة ست الناس ونحوه — أى كست الكل ، وست الاعمام ، وستى أنا ، قال ﷺ « إن أنخع الاسماء عند الله أن يتسمى رجل باسم ملك الاملاك » (١)

﴿ فصل ﴾ ويسن كنية أهل الفضل من الرجال والنساء وأن يخاطبوا سواء كان له ولد أم لا ، وسواء الصغير والكبير ، وسواء كنى بولده أو بغيره ، لكن الأولى أن يكنى بأكبر أولاده ، ولا بأس بمخاطبة الكافر بها إذا لم يعرف بغيرها ، أو خيف فتنة من ذكره باسمه

ويجوز أن يكنى الرجل بأبي فلانة ، وأبي فلان والمرأة بأم فلانة وأم فلان ، والادب أن لا يذكر الانسان كنيته فى كتابه أو خطابه إلا أن لا يعرف إلا بها ، و كانت أشهر من اسمه . ولا يجوز التكنى بأبي القاسم لمن اسمه محمد ولغيره فى الأصح ويحرم التنابذ بالالقاب سواء كان لقباً له أو لابيه ونحوه وذلك كالأعرج والاسكاف والحداد ونحوها .

وينبغي أن يدعوه بأحب الاسماء اليه وإذا أراد نداء من لا يعرف اسمه

---

(١) قوله انخع اراد اقتل الاسماء واهلكها له ويروى احنع اراد اشدها ذلا واوضعها عند الله قال سفيان وذلك كقولهم شاهان شاه . وقال غيره هو ان يتسمى بأسماء الله كقوله الرحمن والجبار والعزيز قال ابو عبيد وكلا القولين له وجه والله أعلم

ناداه بعبارة لا يتأذى فيها ولا يكون فيها كذب ولا ملق كقوله : يا أخى ، ياقفيه ، ياهذا ، ياصاحب الثوب الفلانى ، أوالجمل ، أوالسيف ونحوه ، على حسب حال المنادى والمنادى . ويجوز ترخيم الاسم وتصغيره إذا لم يتأذ صاحبه . ويجوز بل يستحب اللقب الذى يحبه صاحبه . ذكر أكثر ذلك النووى . ولا بأس بتسمية الدواب وتلقيبها ، فقد كانت بغلة النبي ﷺ تسمى دلدل ، وناقته العضبا والقصوى [1] ، وحماره يعفور ، وسيفه ذوالفقار ، وجبته الغراء . والله أعلم .

القسم التاسع والثلاثون : التأدب بهذه الآداب . قال ﷺ «لن يهلك امرؤ بعد مشورة » وقال ﷺ «ماشقى عبد بعد مشورة ، ولا سعد من استغنى برأى ، وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول مايفسد منه رأيه » وقال ﷺ «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار» وقال الحسن رضى الله عنه : والله ماتشاور قوم قط إلا هداهم الله لأفضل مايحضرهم . وقال الله تعالى فى مدح قوم رضى فعلهم (وأمرهم شورى بينهم) فيسن لمن هم بأمر أن يشاور جماعة ممن يثق بدينهم ومحبتهم وخبرتهم وحذقهم ونصيحتهم ، ويعرفهم قصده وما فى ذلك الأمر من مصلحة ومفسدة إن علم ذلك ، ويبذل المستشار وسعه فى النصح وإعمال الفكر فى ذلك ، والاشارة حق كفاية لا عين ، وليقبل اشارة الموصوفين إن لم يظهر فيما أشاروا به مفسدة ، ثم يصلى صلاة الاستخارة وستأتى صفتها فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

﴿فصل﴾ وقال ﷺ «احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فسأل الله تعالى ، وإذا استعنت فاستعن

---

(١) القصوى التى قطع طرف اذنها . ولم تكن ناقة النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . وانما كان لقبا لها . من كتاب تيسير الوصول فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم للديبع رحمه الله .

بالله فقد مضى القلم بما هو كائن ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه، ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا ، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً » وقال ﷺ « من يصبر على الرزية يعوضه الله ، وأفضل العبادة انتظار الفرج » وقال ﷺ « من يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله ، ومن يستغن يغنه الله ، ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر» وقال ﷺ «الصبر ضياء» [1] وقال ﷺ ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط » وقال ﷺ «الاناة من الله ، والعجلة من الشيطان» وقال ﷺ « إياكم والدين فانه هم بالليل ومذلة بالنهار » وقال ﷺ « أقلل من الدين تعش حراً » وقال ﷺ « الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن » وقال ﷺ « لا ينبغى للمرء أن يذل نفسه يتعرض من البلاء لما لا يطيق »

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ «إذا أمسيتم فكفوا صبيانكم ، فان الشياطين تنتشر حينئذ » ويروى « فان للجن انتشاراً وخطفة ، فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم » وقال ﷺ « إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان ، فانهن يرين مالا ترون ، وأقلوا الخروج إذا هدأت الأرجل فان الله يبث من خلقه فى ليله ما يشاء ، وأجيفوا الأبواب واذكروا اسم الله وغطوا الجرار وأكفؤا الآنية —أى غطوها— وما كان منها فارغاً فكبوه على وجهه وأوكئوا القرب» أى اربطوها . ويروى « وخمروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئا وأطفئوا المصابيح.ويرو واذكروا اسم الله فى

---

(١) اى الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله تعالى وعلى البلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصى لا يزال صاحبه مستضيئا مستمرا على الصواب وقيل فى قوله (صبراً جميلا) ان الصبر الجميل ان يكون ذو المصيبة مع القوم لا يدرى أيهم هو

كل ذلك» ويروى «فان الشيطان لا يفتح باباً إذا أجيف وذكر اسم الله عليه ، ولا يكشف إناء عليه وكاؤه» ويروى «فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء»[1] ويروى «إذا بات الاناء ليس عليه غطاء بزق الشيطان فيه ، أو شرب منه» ويروى «لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء»[2] وقال ﷺ «لا تشربوا من حيال العروة فى الاناء فانها مقعد الشيطان».

﴿فصل﴾ وقال ﷺ «لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما أعلم ما سار راكب بليل وحده» وقال ﷺ «لا تنزلوا الأودية فانها مأوى السباع والحيات» وقال ﷺ «تبقه وتوقه»[3] وقال ابن الزبير : الذل أبقى للأهل والمال[4] وقال ﷺ «اعقل وتوكل» وقال مطرف : من نام تحت هدف مائل وهو ينوى التوكل فليرم نفسه من طمار — أى الموضع المرتفع — وهو ينوى التوكل . قال الهروى: فوجب أن يحتاط الانسان جهده ولا يعتمد احتياطه ، ولا ينبغى أن يعرض نفسه للمهالك ويقول قد توكلت . وقال ﷺ «الشيطان يهم بالواحد وبالاثنين

---

(١) قيل انها فى كانون الاول

(٢) الفواشى بالفاء لكل منتشر من الابل والبقر والغنم وغيرها ذكره الجوهرى وفحمة العشاء سواده وذلك أول الليل. فاذا اشتبكت النجوم قلت الظلمة

(٣) أى استبق النفس ولا تعرضها للهلاك وتوقه، أى احترز من الآفات

(٤) أى انه اذا صبر على الضيم وأطاع المسلط عليه حمى أهله . وأحرز دمه وماله . فان طلب العز والمعالى عودى وقوتل . وربما كان هلاكه وتلف ماله وأهله . اه هروى بالمعنى . وما أحسن قول المتنبي :

ذريني أنل مالا ينال من العلا * فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولا بد دون الشهد من إبر النحل

فاذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم ، إن الله رفيق يحب الرفق ويرضى به ، فاذا ركبتم هذه الدواب العجم فأنزلوها منازلها ، فان كانت الارض جدبة فانجوا عليها بنقيها ، وعليكم بسير الليل فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار ، وإياكم والتعريس على الطرق فانها طرق الدواب ومأوى الحيات ، وان السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه ، فاذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليعجل إلى أهله» . وقال ﷺ « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » وقال ﷺ « استكثروا من النعال فان الرجل لا يزال راكباً ما انتعل » وقال ﷺ « لا يمشين أحدكم فى نعل واحدة ، ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعا » وقال ﷺ «إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره إلا أن لا يكون عن يساره أحد ، وليضعهما بين رجليه أو ليصل فيهما» ونهى ﷺ أن ينتعل الرجل قائماً . وقال ابن عباس رضى الله عنه من السنة إذ جلس الرجل أن يخلع نعليه ويضعهما بجنبه . وقال ﷺ « لا تطرق الفرخ فى العش فانه فى أمان الله حتى يطير ، فاذا طار فارمه بقوسك وانصب له فخك » وقال ﷺ « من نام على سطح غير محجور عليه فقد برئت منه الذمة ، ومن ركب البحر اذا التج — أى اضطرب — فقد برئت منه الذمة » وقال ﷺ « إذا كان أحدكم فى الفىء فقلص عنه فصار بعضه فى الشمس فليقم فانه مجلس الشيطان» وقال ﷺ « لا تصلوا فى القزع فانه مصلى الخافين » (١) ويروى « لا تحدثوا فى القزع » وقال ﷺ « استعينوا على كل صنعة بصانعها » وقال ﷺ « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » ويروى « استعينوا على أموركم بالكتمان ، وكل ذى نعمة محسود » قال بعضهم : إذا خفت حسد حاسد فعم عنه أمورك ، ومن كتم سره جهل العدو أمره. وقال آخر : لا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك،

---

(١) والقزع الموضع يكون فى وسط الزرع أو الكلأ خاليا من النبات

فانهم إن رأوه قليلا هنت عليهم ، وان كان كثيراً لم تبلغ رضاهم . وقال ﷺ « اغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » وقال ﷺ « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور » وقال ﷺ « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم ، رجل تحته امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه ، ورجـل أعطى سفيها ماله » وقد قال الله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياماً»[٢] وقال ﷺ «طاعة النساء ندامة» وقال ﷺ لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء فإن فى خلافهن البركة . وقال معاوية : عودوا نساءكم لا . فانهن سفيهات ، ان أطعت المرأة أهلكتك . وأمر عليه السلام بالتعوذ من امرة الصبيان وبإكرام الشهود ، وفى نسخة وقال : « أكرموا الشهود » وقال ﷺ « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » وقال ﷺ « اذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه فانه أنجح للحاجة» وقال ﷺ « كرم الكتاب ختمه » وقال ﷺ «قيدوا العلم بالكتابة» وقال ﷺ « « ضع القلم على أذنك فانه أذكر للمآل» وقال ﷺ « عقوا عن أولادكم فانه نجاة لهم من كل آفة » وقال ﷺ « كل غلام مرهون بعقيقته تذبح يوم سابعه ، ويحلق ويسمى » وقال ﷺ « اذبحوا لله فى أى شهر كن ، وبروا لله وأطعموا »

﴿ فصـل ﴾ ومن ذلك النظافة . قال ﷺ : « غسل الاناء وطهارة الفناء يورثان الغنا » وقال ﷺ « بنى الدين على النظافة » وقال ﷺ « ان الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافه . كريم يحب الكريم . جواد يحب

---

(١) أراد بالسفهاء النساء لضعف عقولهن وقيل الاولاد مالم يؤنس رشدهم وقيل الايتام . وقيل الجهال

الجود ، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء فى دورهم»[1] وقال على كرم الله وجهه: طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه فى البيت يورث الفقر . وقال ﷺ «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جرس ولا نجس ولا صورة ولا جنب ولا جلد نمر» وقال ﷺ «لا تبيتوا مناديل الغمر معكم فان الشيطان يمسى عليه» وقال ﷺ «لبس الثوب النظيف ينفى لهم ، والبخور ينفى الغم» وقال ﷺ «رفعوا فانه أنقى وأبقى» وقال ﷺ «تخللوا فانه نظافة والنظافة تدعو الى الايمان» .

﴿ فصل ﴾ ومن النظافة حلق العانة وقص الشارب بحيث يبين طرف شفته بيانا ظاهراً لاغير ، وتقليم الاظافر ونتف الابط وقص ما طال من شعر الأنف ويسن تعاهدها فى كل جمعة ويكره تأخيرها عن أربعين يوماً . ومنها فرق شعر الرأس . قال النووى : ولا بأس بحلقه لمن لم يخف عليه تعاهده ، ولا بتركه لمن خف عليه ذلك ويكره حلق بعض الرأس وهو القزع سواء كان مفرقا أو مجتمعا بل سنة الحلق أن يستقبل المحلوق القبلة ويبتدىء الحالق بمقدم رأسه ، فيحلق منه الشق الايمن ، ثم الايسر ، ثم يحلق الباقى ، ويبلغ بالحلق العظمين اللذين عند منتهى الصدغين ، ثم يدفن شعره وأظفاره ونحوهما ، وكذا دم الفصد والحجامة، وقد تعود الناس التحذيف ولا بأس به[2] ويسن ترجيل الشعر وتسريح اللحية ودهنهما غبا — أى بعد أن يجف الاول — وأن يبدأ بدهن حاجبه ومشطه ثم الرأس ثم اللحية بعدهما ، فمن فعل هكذا لم يصدع رأسه ، ذكره الترمذى فى

---

(١) يعنى الكناسات

(٢) قال الغزالى رحمه الله وهو : القدر الذى اذا وضع طرف خيط على رأس الاذن والطرف الثانى على زاوية الجبين . وقع جانب الجبهة ونحوه فى المستعذب قال الفارقى وكانت بنو هاشم يحذفون عنه الشعر قال شيخنا برهان الدين : وليس من القزع فى شىء قال وينبغى للمتزوج فعله ليتزين لاهله

نوادره . وقال ﷺ « من كان له شعر فليكرمه » . وقال فى علامة الفرقة المارقة من الدين « التسبيد فيهم فاش » [1] وقال ﷺ « نعم الرجل خريم لولا طول جمته » وقيل « نعم الرجل حزم لولا طول جمته فقصرها من شحمة أذنيه . قال الهروى : وفى الحديث أنه ﷺ رأى رجلا طويل الشعر فقال «هذا ذباب أى هذا شؤم . وقال ﷺ « المشط يذهب بالغم والوباء والفقر » وقال ﷺ « من امتشط قائما ركبه الدين » وقال « تسريح اللحا بالمشط عقب الوضوء ينفى الفقر » وقال ﷺ «من أراد أن يأمن الفقر وشكاية العين والبرص والجنون فليقلم اظفاره يوم الخميس بعد العصر » وقال ﷺ « الاظفار تقص يوم الخميس ويوم الجمعة فان ذلك يورث الغنا » ، وذكر الغزالى أن الاختيار ان يبدأ بسبابة اليد اليمنى إلى خنصرها ، ثم بخنصر اليسرى إلى إبهامها ويختم بإبهام اليمنى . هكذا فعل النبى ﷺ . وأما الرجل فيبدأ بخنصر الرجل اليمنى إلى خنصر الرجل اليسرى كالتخليل فى الوضوء . ذكره فى الاحياء وغيره . وأنشد بعضهم فى تقليم الاظفار :

إبدأ بيمناك وبالخنصر   فى قصك الاظفار واستبصر
وثن بالوسطى وثلث بما   قد جاء بالابهام والبنصر
وأتبع البنصر سبابة   فى اليد والرجل ولا تقصر
فذلك أنس لك ان رمته   من وجع العين فلا تنكر

﴿فصل﴾ ومنها غسل البراجم — وهى عقد الاصابع ومفاصلها — وإزالة ما يجتمع من الوسخ ، فى معاطف الاذن وصماخها ، وفى الانف والاظفار وسائر البدن . ومنها الغسل فى كل حال تتغير به رائحة البدن ولكل اجتماع .

---

(١) قال أبو عبيدة هو ترك التدهن . وغسل الرأس وقيل هو الحلق واستئصال الشعر قلت : ودليله أن فى رواية سيماهم التحليق قال أبو عبيدة وقد يكون الامران جميعا

﴿ فصل ﴾ ومنها السواك قال ﷺ « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » وقال ﷺ « السواك يزيد الرجل فصاحة » وقال ﷺ « صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك » وقال على رضى الله عنه : السواك يجلب الرزق . ذكره فى البيان . وكن السواك من أصحاب محمد ﷺ بمنزلة القلم من أذن الكاتب . وهو سنة فى كل وقت ، ولا يكره بحال إلا للصائم بعد الزوال ، ويتأكد استحبابه لاصلاة ، والذكر ، والتلاوة ، وتغير النكهة ، وبعد الأكل وعند نومه ، ودخوله بيته ، واستيقاظه ، ويسن أن يكون بعود من أراك ، وأن يكون يابساً قد ندى بالماء ، ويستاك عرضاً ، ناويا الاتيان بالسنة ، ويمره على الظاهر والباطن من أسنانه ، وعلى سقف حلقه برفق ، ويعوده الصبى ليألفه . ولا بأس أن يستاك بسواك غيره باذنه ذكره النووى . وينبغى أن يغسل السواك عند إرادته ، وفى الحديث « نظفوا الصماغين بالماء ، فانهما مقعد الملكين» — وهما مجتمع الريق فى جانب الشفة .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك طى اثياب قال ﷺ « اطووا الثياب فان راحتها فى طيها ترجع إليها رواحها ، وان الشيطان لا ينشر ثوبا مطوياً » وقال ﷺ « كل ثوب لا يطوى بالليل ويذكر اسم الله عليه يستمتع به الشيطان »

﴿ فصل ﴾ ويسن لبس خاتم الفضة للرجل فى الخنصر فى اليمين أو اليسار لا فيهما معاً . وقال ﷺ « التختم بالزمرد ينفى الفقر » وقال ﷺ « من تختم بالعقيق لم يقض له إلا بالذى هو أسعد » ويروى « لا يصيب أحدكم غم ما دام عليه » وقال ﷺ « من تختم بالياقوت الأصفر لم يفتقر » وقال ﷺ « ماطهر الله يداً فيها خاتم حديد »

﴿ فصل ﴾ ويسن إطفاء المصابيح عند النوم بغير النفس . قال ﷺ « لا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون »

مسألة قال العجيلي فى شرح الوجيز : ويكره البول والغسل بالماء الجارى بالليل ، قال لأن الماء بالليل مأوى للجن ، فربما يصيبه شيء من جهتهم

﴿ فصل ﴾ وقد نهى ﷺ عن أكل الحذف — أى ما لا يغطى من الطعام والشراب — وعن البول فى الجحر ، وفى الماء الراكد ، وفى الطرق ، ومواضع الاجتماع ، وتحت الشجر المثمر . ونهى عن قتل حيات البيوت ، وعن الحصاد فى الليل ، وعن تعاطى السيف مسلولا . وعن قد السير بين أصبعين ، وعن الجلوس فى وسط الحلقة ، وعن جلوس القوم عزين — أى متفرقين — وعن نتف الشيب . ونهى عن اللبسة الصماء — وهى تجليل البدن بالثوب مع رفع طرفيه على عاتقه الايسر ، وقيل مع رفع أحد جانبيه إلى أحد عاتقيه ، وقيل هو التلفع وهو أن يشتمل بثوب واحد ويجلل به جسده فلا يرفع منه جانباً يخرج منه يده ، وهذا اشتمال اليهود وقيل هى أن يلتحف بالثوب ثم يخرج يده من قبل صدره — ، ونهى أن يحتبى الرجل بثوبه ليس على فرجه منه شيء . ونهى ﷺ عن السوم قبل طلوع الشمس [1] ، ونهى أن يبيت الرجل فى بيت ليس عليه باب ، وعن النوم فوق سطح غير محجور عليه ، وأمر بالاسراع تحت الهدف المائل ونحوه ، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

﴿ فصل ﴾ قال الكاشغرى فى بعض مصنفاته : ومما يورث الغنى حسن الخط ، وقراءة تبارك ، والمزمل ، والليل ، وألم نشرح ، وحضور المسجد قبل الأذان وترك كلام الدنيا بعد الوتر . قال الهروى وفى الحديث « من اتخذ قوسا عربيا وجفيرها [2] نفى الله عنه الفقر »

---

(١) السوم رعى الابل لانها اذا رعت قبل أن تطلع الشمس وهو ندٍ أصابها منه الوباء وربما قتلها . وقيل السوم أن يسام بالسلعة فى ذلك الوقت لانه وقت الذكر . اهـ هروى (٢) الجفير الكنانة .

القسم الأربعون : اجتناب هذه الاشياء التى تورث الهم والفقر، وهى سب الريح . شكا رجل إلى النبي ﷺ الفقر ، فقال : «لعلك تسب الريح» وهاجت ريح فقال رجل : اللهم العنها ، فقال ابن مسعود لأمه فانهـا نذرو مبشرات ولواقح . فالريح مبشرة بالمطر الذى هو الرحمة ، والنعمة والرزق . وهى التى تحمل المـاء فتمجه فى السحاب ، ثم تمر به فيدر كما تدر اللقحة ، وهى الملقحة الشجر ، وهى المطيعة لله ، وبها يستدل على القبلة ، وبها يصح الهواء والجو . ومنها الصبا وهى الريح التى تأتى من المشرق وهى ريح النصر . قال الواحدى : إذا هبت على الابدان نعمتها ولينتها ، وهيجت الاشواق إلى الاحباب ، والحنين إلى الاوطان ، ويستروح بها كل حزين ومكروب وينشد :

فان الصبا ريح إذا ما تنفست على نفس مهموم تجلت همومها

قال الجوهرى ويقال : اذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض ، وهى التى تختلف مهابها . قال ﷺ « الريح الجنوب من الجنـة » وهى اللواقح ، وفيها منافع للناس (١) وقال ابن عباس رضى الله عنه : الرياح ثمـان ، أربع رحمة ، وأربع عذاب نسأل الله تعالى خيرها ونعوذ به من شرها .

﴿ فصل ﴾ ومنها منع المـاء والخير . قال ابن عباس رضى الله عنه : منع الخير يورث الفقر ، ومنع الملح يورث الداء ، ومنع المـاء يورث الندامة ، ومنع النار يورث الشقاق والعدواة . قال ﷺ « خمسة أشياء لا يمنعن ، فمن منعهن منعه الله خيره يوم القيامة ، الماء ، والملح، والنار والابرة ، والخمير » قالت عائشة : فما تكون النار؟ قال « أيما أهل بيت أعطوا ناراً فما طبخ به فكأنما تصدق به ، ومن سقى مسلماً أو أعطاه وضوءاً خلق الله من كل نقطة ملكا يستغفر له إلى يوم القيامة» ومن سقى مسلماً والماء موجود فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ،

---

(١) والجنوب هى التى تأتى من جهة اليمن

ومن سقى مسلماً في عطشه فكأنما أحيا نفساً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ، ومن أعطى أخاه إبرة كان له كحجة ، ومن أعطى خيراً فما طيب به كان كمن تصدق به ،ومن منع هذه الخمسة منعه الله خيره يوم القيامة » رواه النقاش في تفسيره . وفي تفسير الواحدي : قال ﷺ « من سقى مسلما شربة من ماء حيث ما يقدر على شربة الماء أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة .

﴿ فصل ﴾ ومنها كثرة النوم وقد مضى ذكره قال الشاعر :

سرور الناس في لبس اللباس وجمع الخير في ترك النعاس

وقد أجمع رأي سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء .

﴿ فصل ﴾ ومنها الظلم وهو البغي ، قال الله تعالى (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقال عز وجل (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) وقال تعالى (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) وقال ﷺ « الظلم يدع الديار بلاقع »[1]

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال وهب بن منبه : إذا هم الوالي بالظلم أو عمل به أدخل الله النقص في أهل مملكته ،حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير والعدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وقال ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل :« اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري » وقال ﷺ « من أعان ظالماً سلطه الله عليه » وقال مالك بن دينار رضي الله عنه : وجدت في بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى قال أفني أعدائي بأعدائي . ثم أفنيهم بأوليائي. وقال ﷺ : « اتقوا الحرام في البنيان فانه أساس الخراب » وقال ﷺ « إياكم ودعوة المظلوم وإن كان فاجراً » وقال ﷺ « مطل الغني ظلم » وقال ﷺ « من مشى مع

(١) يعني يذهب ما في البيت من المال ويفتقر ويتفرق شمله .

ظالم فقد أجرم ، والله تعالى يقول (إنا من المجرمين منتقمون) وقال تعالى (انما بغيكم على أنفسكم) (١) وقال ﷺ « ذنبان لا يغفران ويعجل بصاحبهما العقوبة ، البغي وقطيعة الرحم » ويروى « ما من عمل يعصى الله به بأعجل عقوبة من بغى » وقال ﷺ « إياكم والبغي فان من بغى عليه لينصرنه الله ، وإياكم والمكر فانه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » وقال تعالى (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم — أى بشرك — وأهلها مصلحون) فيما بينهم ، أى ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق فى المعاملة وتركوا الظلم أن ينزل الله عليهم عذاباً يهلكهم. قال ابن عباس : فبين أن الناس لا يهلكون بالشرك اذا لم يتظالموا، ولكن يهلكون بالظلم ، والظلم هو وضع الشيء فى غير موضعه ، و التصرف فيما لا يملك . قال ﷺ «يقول الله تعالى يوم القيامة أنا الديان لا ظلم عندى، وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، وضربة بيد على يد ، ولأقتص للجماء من القرناء ، ولأسألن الحجر لم نكب حجر ، ولأسألن العود لم خدب صاحبه .

ومن أعظم الظلم القتل بغير حق قال ﷺ « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم بغير حق » وقال « لو أن أهل السماء والأرض اشتركو فى دم مؤمن لكبهم الله فى النار » والأثم متعلق فى قتل العمد . قال الله تعالى (ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه) الآية .وهو انواع ، منها الغيلة ، وهو أن يخدع الرجل حتى يصير إلى موضع يستخفى فيه فيقتله فيه ، وهو الذى يقول فيه أهل الحجاز ليس للوالى أن يعفو عنه ، ومنه الفتك وهو أن يأتى الرجل رجلا وهو قار مطمئن لا يدرى مكان الذى يريد قتله فيقتله ، او يكمل له ليلا أو نهاراً فاذا وجد غرة قتله ، قال ﷺ « قيد الايمان

---

(١) قال الهروى أى راجع اليكم

الفتك لا يفتك مؤمن » والصبر وهو أن يأخذ الاسير فيقتل . والغدر وهو أن يعطى غيره أمانا ثم يقتله وهو شر الوجوه كلها وهو المراد بالحديث . قال ﷺ « ذمة المسلمين واحدة فاذا أجارت جارية فلا تخفروها ، فان لكل غادر لواء من نار يوم القيامة» وقال ﷺ « من أمن رجلا ثم قتله فأنا برىء منه ، وان كان المقتول فى النار » وقال ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته [1] ، رجل أعطى بى [2] ثم غدر [3] ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره .

﴿ فصل ﴾ ومنها الزنا . قال ﷺ « لا تزنوا فان الزنا يقطع الرزق ، ويهدم العمر ، ويدخل النار ويسود الوجه والصحائف» . وقال ﷺ «لا تزال أمتى بخير مالم يفش فيهم الزنا ، فاذا فشا فيهم فيوشك أن يعمهم الله بعذاب » . وقال عكرمة : إذا كثر أولاد الزنا قل المطر . وقال وهب رضى الله عنه : مكتوب فى التوراة الزانى لا يموت حتى يفتقر ، والقواد لا يموت حتى يعمى . وقالت زينب : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال ﷺ « نعم ! إذا كثر الخبث » — يعنى الزنا .

﴿ فصل ﴾ ومنها الربا ، قال تعالى (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال ﷺ « إن الربا وإن كثر فعاقبته تصير إلى قل » وقال ﷺ « لا بركة فى مال خالطه ربا » وقال ابن مسعود : ما أهلك الله أهل نبوة قط حتى يكثر فيهم الربا والزنا . ويقال: ما ظهر الزنا وأكل الربا فى بلدة إلا وخربت . ولقد كان أبو حنيفة رضى الله عنه لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ويقول فى الخبر « كل قرض جر نفعا فهو ربا » .

﴿ فصل ﴾ ومنها الخيانة فى الكيل والوزن ، وهى كبيرة ، قال الله تعالى (ويل

---

(١) قوله : خصمته أى غلبته . (٢) أى عهد الله وميثاقه

(٣) أى ترك الوفاء مأخوذ من الغدر وهو الظلام .

للمطففين) الآيات وقال ﷺ « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة الموت وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما ترك أئمتهم الحكم بكتاب الله تعالى إلا جعل الله بأسهم بينهم » ويروى أن ليث بن عبد الرحمن قال : إنما يؤذن فى هلاك القرى إذا استحلوا أربعا ، إذا نقصوا الميزان وبخسوا المكيال ، وأظهروا الزنا ، وأكلوا الربا ، فاذا أظهروا الزنا أصابهم الوباء ، واذا نقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر ، واذا أكلوا الربا جرد فيهم السيف .

« فصل » ومنها الخيانة فى كل شىء ، قال ﷺ « الأمانة تجر الرزق ، والخيانة تجر الفقر » وقال ﷺ « نزلت المائدة خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد ، فخانوا وادخروا وخبؤوا لغد فرفعت المائدة » ويروى «فمسخوا قردة وخنازير » وقال ﷺ « يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه ، فاذا خانه خرجت من بينهما — يعنى نزعت البركه — ودخل الشيطان » وقال ﷺ « من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد فى غيره فقد خانه » وقال ﷺ « لا يؤم الرجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم ، فمن فعل فقد خانهم » ويقال : افشاء الاسرار يورث البوار ، والاعراض عن النصيحة يورث الفضيحة ، وأعظم الديانة ترك الخيانة ، والله لا يحب الخائنين .

﴿ فصل ﴾ ومنها مخالطة العلماء والقراء للكبراء والأمراء ، قال ﷺ « لا تزال يد الله على هذه الأمة ما لم يعظم أبرارهم فجارهم ، وما لم يوافق شرارهم خيارهم ، وما لم يمل قراؤهم الى أمرائهم ، فاذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة ، وسلط عليهم جبابرتهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، وأنزل بهم الفاقة » . وقال ﷺ « يخرج

فى آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين ، ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يغترون أم علي يجترئون ، فبي حلفت لأبعثن علي أولئك فتنة تدع الحكيم منهم حيران.

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الحكم بغير ما أنزل الله ، والحرص على الولاية والجور . وقال كعب لابن عباس : إذا رأيتم السيوف قد أعريت ، والدماء قد أهرقت ، فاعلموا أن حكم الله قد ضيع ، فانتقم الله لبعضهم من بعض ، وإذا رأيتم الطاعون قد فشا ، فاعلموا أن الزنا قد فشا . وقال ﷺ « مانقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا فى غير ما أنزل الله ، إلا فشا فيهم الفقر » وقال ﷺ لأبى ذر « إنى أحب لك ما أحب لنفسى ، لاتأمرن على اثنين ، ولا تتولين مال يتيم » وقال ﷺ « لاخير لمؤمن فى الامارة ، أولها ملامة ، وثانيها ندامة ، وثالثها عذاب يوم القيامة » . وقال ﷺ « مامن وال يلى شيئا من أمور المسلمين إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، يوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب فان كان محسناً نجا باحسانه ، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر فيهوى به فى النار سبعين خريفا »(١) وقال ﷺ « من جعل قاضيا فقد ذبح بغير سكين » وقال ﷺ « يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب مايود أن لو لم يكن قضى بين اثنين » وقال ﷺ « من قضى بجهالة أو تكاف لقى الله كافراً ، ومن قضى فحاف متعمدا لقى الله كافرا ، ومن قضى بنية أو فقه واجتهاد فذلك لاله ولا عليه » وقال ﷺ « مامن وال يغلق بابه عن ذى الخلة والحاجة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء عن خلته وحاجته

---

(١) والجسر . بفتح الجيم وكسرها وهو هاهنا الصراط ، وأصلها القنطرة التى يعبر عليها . اهـ مشارق

ومسكنته » وقال ﷺ خمسة غضب الله عليهم ، إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا ، وإلا فمثواهم فى الآخرة النار ، أحدهم أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع المظالم عنهم » وقال ﷺ « من ولى من أمور أمتى شيئا فحسنت سيرته فيهم رزق الهيبة من قلوبهم ، واذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم ، واذا وفر عليهم أموالهم وفر الله عليه ماله ، واذا أنصف الضعيف من القوى قوى الله سلطانه» .

﴿ فصل ﴾ ومن ولى من أمور المسلمين شيئا وجب الصبر تحت لوائه . وإن جار وعمل الكبائر ، ولا يجوز الخروج على الولاة . قال ﷺ « اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة » وقال ﷺ « من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فانه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهلية » وقال ﷺ « من يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى » وقال ﷺ « من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله ، فليكره ما يأتى به من معصية الله ولا ينزعن يداً من طاعة » وقال ﷺ « من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » وقال ﷺ « من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد فأراد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » وكل هذه قد خرجها مسلم فى صحيحه . وقال ﷺ « من فارق الجماعة واستذل الامارة لقى الله ولا وجه له عنده » وقال ﷺ « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله ، ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله » وقال ﷺ « السلطان ظل الله فى الأرض يأوى اليه كل مظلوم »[1] وأنشد السلفى فى طاعة أولى الأمر ، ومن خصه الله بالولاية والقهر :

---

(١) قوله : ظل الله اى ستر الله ، وقيل خاصة الله .

عليك بطاعة السلطان سرا وجهراً مابقيت مدى الزمان
ولا تعبأ بذى سفه وطيش رقيع قد يمنيك الأمانى
فطاعة من له أمر ونهى أمان فى أمان فى أمان

فإن أصلح وعدل زاد فضله وتضاعف أجره . قال ﷺ «إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وقال ﷺ « والذى نفس محمد بيده إن الوالى العدل ليرفع له كل يوم مثل عمل رعيته ، وصلاته تعدل سبعين ألف صلاة ، وإن جار وظلم ثقل حمله وعليه وزره ، وذلك بذنوبنا » وقال ﷺ « اسمعوا وأطيعوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » وقال ﷺ : « مامن وال يلى رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » وقال ﷺ « كما تكونون يولى عليكم » ويروى : أسد حطوم خير من وال ظلوم ، ووال ظلوم خير من فتنة تدوم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الاحتكار فى الأقوات ، وهو أن يشترى طعاماً فى الغلاء ويمسكه حتى يضر بالناس فيزداد الثمن . قال ﷺ « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون ، ومن احتكر على المسلمين طعاماً ضربه الله بالجذام والافلاس»

قال العلماء . وأما إذا اشتراه فى الرخص وانتظر به الغلاء ، أودخل عليه غلة من ملكه فتربص به الغلاء فليس باحتكار ولا يأثم بذلك ، وهذا المعنى أراد والدى رضى عنه بقوله :

واحفظ طعامك فى حال الأمان إذا طاب المكان حتى يهب غلاء

اللهم إلا إن كان بالناس ضرورة وعنده مايفضل عن مؤنته ومؤن عياله سنة ، فانه يجب عليه بيع الفضل ، فإن لم يفعل أجبره السلطان على ذلك والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الاساءة إلى أولياء الله، وهم الذين اذا رؤوا ذكر

الله . قال ﷺ « يقول الله تعالى : من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة ، وإنى لأسرع شىء إلى نصرة أوليائى ، إنى لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب»(١) وقال ﷺ « إياك ونار المؤمن لا تحرقك ، وإن عثر كل يوم سبع مرات فان يمينه بيد الله، إذا شاء أن ينعشه نعشه » وقال ﷺ « رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »وقال ابن عمر رضى الله عنه — وقد نظر إلى الكعبة — : ما أعظم حرمتك؟. وإن المؤمن لأعظم منك حرمة عند الله منك . وقال ﷺ « ملعون من ضار مؤمنا أو مكر به »

(فصـل) ومن ذلك قطع الشجر المنتفع به فى الطرق ونحوها . قال ﷺ «من قطع سدرة صوب الله رأسه فى النار » قال أبو داود: هذا مختصر ، أراد من قطع سدرة من فلاة ظلما وعتوا بغير حق له فيها كان يستظل بها ابن السبيل والبهائم صوب الله رأسه فى النار . قال الكاشغرى : و التحرز عن قطع الاشجار الرطبة يزيد فى العمر ، وإذا كان ذلك فقطعها ينقصه والله أعلم . وقد نهى ﷺ عن قطع شىء من نبات الارض ثم قرأ (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) الآية. قلت : وأما للمصالح فلا بأس بقطع النبات وقلعه فقد قطع نخل بنى النضير وحرقه. وروى أبو عبيد باسناده فى الذى قضى له النبى ﷺ بالارض وقد غرس فيها . قال الراوى فلقد رأيتها يضرب فى أصولها بالفؤس ، وإنها لنخل عم — أى تامة فى طولها والتفافها والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك السؤال عن ظهر غنى. قال ﷺ « ما فتح عبد على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر » ويروى « سبعين باباً من الفقر » وقال ﷺ « من سأل الناس عن ظهر غنى فصداع فى الرأس ، وداء فى البطن » وقال ﷺ « من احتاج إلى الناس فكتم ما به وأفضى إلى الله أمره كان حقاً على الله أن

---

(١) أي شديد الغضب

يفتح له برزق واسع من حيث لا يحتسب » وقالﷺ « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد ، وإن أنزلها بالله أغناه » وقال عمر رضى الله عنه : مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسألة . وقال بعضهم : لا تسألوا غير مولاكم ، فسؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد . وقال معاذ رضى الله عنه : ينادى مناد يوم القيامة أين بغضاء الله فى أرضه ؟ فيقوم سؤال المساجد . وقالﷺ« إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة ، رجل تحمل بحمالة [1] بين قوم ، ورجل أصابته جائحة[2] فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوى الحجى من قومه أن قد أصابته فاقة ، وأن قد حلت له المسألة ، وما سوى ذلك من المسائل سحت »

﴿فصل﴾ ومنها الحرص وكثرة الطمع والشره والرغبة فى الدنيا . قالﷺ « الطمع فقر حاضر » ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام « أتريد أن لا تحتاج إلى الناس ؟ قال : نعم ! قال لا تطمع فى أموال الناس . وقال ﷺ « إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع » ويروى « الدنيا حلوة فمن أخذ عفوها بورك له فيها » وقال ﷺ « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه ، فأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته ، فانه ينال ما عند الله إلا بطاعته ، ألا وإن لكل امرىء رزقاً هو يأتيه لا محالة ، فمن رضى به بورك له

---

(١) الحمالة كأن يقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء فيتحمل أدياتها رجل ليصلح ذات البين

(٢) والجائحة المصيبة تحل فى مال الرجل فتجتاحه كله ، كالجراد والبرد والسيل والفتنة .

فيه فوسعه ، ومن لم يرض به لم يبارك فيه ولم يسعه ، إن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله» وقال ﷺ «الرغبة فى الدنيا تكثر الهم والحزن ، والزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن » وقال ﷺ « إنك لا تدع شيئا اتقاء الله إلا أعطاك الله خيراً منه ، وقال ﷺ «ماترك العبد شيئاً من الدنيا إلا أعطاه الله خيراً مما ترك » وقال ﷺ « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » وقال ﷺ «من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » وقال ﷺ « تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، ان أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شبك[1] فلا انتعش » وقال ﷺ « لعن عبد الدينار وعبد الدرهم » وقال ﷺ « خيار المؤمنين القانع ، وشرهم الطامع » وقال ﷺ «ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة ، فيؤمر بهم إلى النار . قالوا : « يا رسول الله مصلين ؟ قال « نعم ! كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهنا من الليل ، فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » ويروى « لا تنظروا إلى صوم الرجل وصلاته ، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشرف على الدنيا »

لا يغرنك فى المرء رداء رقعه
وقميص فوق كعب الساق منه رفعه
وجبين لاح فيه أثر قد خلعه
أره الدرهم تعرف غيه أم ورعه

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الذنوب والمعاصى كلها ، قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالى (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة

---

(١) شبك أى دخلت شوكة فى رجله

أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفهسم)[١] وقال ﷺ « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » وقال ﷺ « لن يهلك الناس حتى يقدروا من أنفسهم » وقال ﷺ « من حاول أمراً بمعصية الله كان له أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى ، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامدهم منهم ذاماً له ، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم ، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » وقال ﷺ « من اعتز بالعبيد أذله الله » وقال ﷺ « يقول الله تعالى: أنا الملك وقلوب الملوك بيدى ، فأى قوم أطاعونى جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة ، وأى قوم عصونى جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة ، فاذا رأيتم منهم ما تكرهون فلا تميلوا إليهم بالمعتبة وتوبوا فى أعطف قلوبهم عليكم » وقال ﷺ « مسكين ابن آدم ، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً ، ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لوصل إليهما جميعاً ، ولو خاف من الله فى الباطن كما يخافه فى الظاهر لسعد فى الدارين جميعاً »

فيا أيها المحب للسلامة سالم تسلم ، ولا تضر مسلما تندم ، فكما تدين تدان وكما تذم تذم وتهان ، فلو مكروه أتاك أو أحد أذاك فبما كسبت يداك . قال الله تعالى (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال تعالى (ومن يعمل سوءاً يجز به) قال ﷺ « هى المصيبات فى الدنيا »

ويروى أن لبانا كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ، فجاء سيل عظيم فذهب بالغنم فجعل يبكى ويقول: اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا. فعمل لله وللناس

---

(١) اى حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم

ما تحب أن يعمل لك تجد عملك

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغى اجتنابه حرق قشر البصل والثوم ، والنوم على الوجه ، وكنس البيت فى الليل ، وكنسه بالخرقة ، وترك الكناسة فى البيت ، وغسل اليدين بالطين والنخالة ، وفى الاناء الذى يأكل فيه ، والجلوس على العتبة وهى التى يوطأ عليها — والاتكاء على أحد زوجى الباب ، والتوضؤ فى المتبرز ، وخياطة الثوب على البدن ، وتجفيف الوجه بالثوب ، وترك اليد على الخاصرة ، والبول[1] عريانا ، والأكل جنبا ، وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر ، والبكور إلى السوق ، وبطء الرجوع منه ، وشراء كسر السائلين ، ودعاء الشر على الوالدين والأولاد وعلى الولاة ، وترك تخمير الأوانى ، وإطفاء السراج بالنفس ، والرمى بالقملة وهى حية ، وغسل القدم باليمين ، والبول فى الماء الراكد ، ولبس السراويل قائما ، والتعمم قاعدا ، وغسل الجنابة فى موضع البول والنجاسة ، والأكل بأصبعين ، والمشى بين الغنم ، وبين امرأتين ، وحجامة يوم سابع الشهر ، وكثرة العبث باللحية ، وقرع الاسنان ، وتشبيك الاصابع حول الركبتين ، وكثرة تفقيعها ، ووضع الكف على الأنف ، وقطع الظفر بالسن ، وكشف العورة فى وجه الشمس والقمر ، واستقبال القبلة ببول أو غائط ، والتثاؤب فى الصلاة ، والبصاق على الخلاء والرماد ، ووضع اليد على الخد وأنت قاعد بلا وجع .

ومن أعظم ذلك التهاون بالصلاة ، والتهاون بما يسقط من المائدة ، وترك التسمية على الطعام ، وكثرة الأكل ، والكذب ، ولبس نعل الشمال قبل اليمين ، والأكل على الطبق المقلوب ، فكل هذه الخصال تورث الهم والحاجة . فينبغى اجتنابها . ذكر أكثرها الكاشغرى فى بعض مصنفاته والله أعلم

---

(١) كذا فى الاصلين : ولعلها والنوم عريانا

﴿فصل﴾ فى التوبة ووجوبها وكيفيتها . قال لله تعالى (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) وقال تعالى (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) الآية. وقال تعالى (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) وقال تعالى (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) الآية. وقال تعالى (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) وقال ﷺ « الشاب التائب حبيب الله ، التائب من الذنب كمن لا ذنب له » وقال ﷺ « إذا تاب العبد فقبل الله توبته أنسى الحفظة ما كان يعمل ، وقيل للأرض ولجوارحه اكتمى عليه ولا تظهرى مساويه أبداً » وقال ﷺ « من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه » وقال الفضيل رحمه الله : لا يرد الجور بالسيوف ، وإنما يرد بالتوبة . وقد اجتمعت الأمة على وجوبها ، لأن الانخلاع من المعاصى واجب على الدوام ، فصارت التوبة واجبة على الفور ، وهى من أصول الاسلام ، وهى منقسمة إلى توبة بين العبد وبين الله — وهى التى يسقط بها الاثم — وإلى توبة فى الظاهر وهى التى تعود بها الشهادة والولاية

أما الأولى فانه يندم على ما فعل ، ويترك فعله فى الحال ، ويعزم على أن لا يعود إليه أبداً ، فان لم يتعلق به حق مالى لله ولا للعباد كقبلة الاجنبية ومباشرتها فيما دون الفرج ، فلا شيء عليه سوى ذلك . وإن تعلق بها حق مالى كمنع الزكاة والغصب والخيانة فى أموال الناس ، وجب مع ذلك تبرئة الذمة عنه بأن يؤدى الزكاة ويرد أموال الناس إن بقيت ، ويغرم بدلها إن لم تبق أو يستحل المستحق فيبرئه ، ويجب أن يعلم المستحق إن لم يعلم به ويوصله إليه إن كان غائباً وغصبه منه هناك ، فإن مات سلمه إلى وارثه فان لم يكن له وارث وانقطع خبره دفعه إلى

قاض حسن السيرة والديانة، فانعذر تصدق به على الفقراء بنية الغرامة له إن وجده فإن كان معسراً نوى الغرامة اذا قدر ، فان مات قبل القدرة و كان عاصياً بالتزامها ، فالظاهر ثبوت المطالبة بالظلامة ، والمرجو من فضل الله المغفرة .

فأما اذا استدان فى موضع يباح له الاستدانة واستمر عجزه عن الوفاء حتى مات ، أو أتلف شيئاً خطأ وعجز عن غرامته حتى مات فهذا لا مطالبة فى حقه فى الآخرة إذ لا معصية منه والمرجو أن الله تعالى يعوض صاحب الحق. وتستباح الاستدانة لحاجة فى غير معصية ولا سرف إذا كان يرجو الوفاء من جهة ، أو سبب ظاهر ، وإن تعلق بالمعصية حق ليس بمالى فان كان حداً لله كالزنا ونحوه فان لم يظهر عليه فله أن يظهره ويقر ليقام عليه الحد ، والأفضل أن يستر على نفسه لما قدمت فى أقسام اللسان ، فان ظهر فقد فات الستر فيأتى الامام ليقيم عليه الحد . وان كان حقاً للعباد كالقصاص وحد القذف فيأتى المستحق ويمكنه من الاستيفاء فان لم يعلم المستحق وجب إعلامه ، فيقول أنا الذى قذفتك أو قتلت أباك فان شئت فاقتص وإن شئت فاعف . وتصح التوبة من القتل الموجب للقود قبل تسليم القاتل نفسه للقصاص فى حق الله تعالى ، ويكون منعه للقصاص معصية مجددة تقتضى توبة لها ولا تقدح بالأولى .

وأما الغيبة فان لم تبلغ المغتاب فيكفيه الندم والاستغفار فى الأصح . قال ﷺ « إذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر له فان ذلك كفارة له » فان بلغته فيأتيه ويستحله ويشترط أن يبين له ما اغتابه به . ويسن للمغتاب أن يبرئه منها ، فان تعذر لموته أو تعسر لبعده فقد تعذر تحصيل البراءة عنها، ولكن ينبغى أن يكثر له الاستغفار له والدعاء ويكثر الحسنات ولا اعتبار بتحليل الورثة .

والتوبة من الحسد ونحوه ، وهو أن يهوى زوال نعمة الغير ويسر بنكبته ، تحصل بما تقدم فيسأل الله زوال هذه الخصلة . ولا يستحب أن يخبر المحسود

بحسده له ، فلو قصر فيما عليـه من مظلمة ودين ومات المستحق واستحقه وارث بعد آخر ، ثم مات ولم يوفهم فالمستحق للمطالبة فى الآخرة صاحب الحق أولا فى ألاصح ، فلو دفع إلى بعض الوارثين عند انتهاء الاستحقاق إليه خرج من مظلمة الكل إلا فيما سوف وماطل .

وأما توبة الظاهر التى تتعلق بها عود الشهادة فهى فعلية كالزنا والسرقة ونحوهما ، فلا يكفى فيها إظهار التوبة منها فى قبول الشهادة ، بل يختبر مدة يغلب على الظن أنه قد صلحت سريرته ؛ وأنه صادق فى توبته ؛ وذلك سنة على الصحيح وقيل نصفها ؛ وقيل لا تقدير لها .

وقولية كالقذف ، فيشترط فى التوبة منه القول فيقول قذفى باطل ، أو يقول أنا نادم على ما فعلت ولا أعود ، أو يقول ما كنت محقاً فى قذفى وقد تبت منه ونحوه ، وليكن ذلك عند القاضى ، وسواء فى ذلك القذف على سبيل السب والايذاء ، أو على صورة الشهادة ؛ فلو جاء ببينة على زنا المقذوف أو اعترف المقذوف أو قذف زوجته ولاعن لم يحتج إلى توبة .

وكذا ينبغى اشتراط التوبة بالقول فى سائر المعاصى القولية كالغيبة ونحوها ؛ فيقول فى شهادة الزور كذبت ولا أعود ويستبرأ المدة المذكورة ثم تقبل شهادته فى غير تلك الواقعة ، وسواء فى رد الشهادة والتوبة قذف محصناً أو غيره ، حتى لو قذف عبده أو ولده فالحكم كذلك ؛ فتحريم القذف سبب الرد ؛ وتصح التوبة من ذنب وإن كان ملابساً ذنباً آخر مصراً عليـه . وإذا تاب من ذنب توبة صحيحة ثم عاد إليه فى وقت أثم بالثانى ووجب عليه التوبة منه ؛ ولم تبطل توبته من الاول خلافاً للمعتزلة فى هاتين المسألتين . ومن تاب من معصية وذكرها وجب تجديد الندم كلما ذكرها ، وقيـل لا يجب فان لم يجدد التوبة كان ذلك معصية جديدة والتوبة الاولى صحيحة.

وتجب توبة من ترك التوبة ، وإسلام الكافر ليس بتوبة من كفره ، وإنما توبته ندمه على كفره ، فيجب مقارنة الايمان الندم على الكفر ثم يسقط وزر الكفر بالايمان والندم على الكفر اجماعاً قطعاً والله أعلم . ذكره النووى وغيره وقال ﷺ «من حلف وقال فى حلفه واللات والعزى فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعال أقامرك فليصدق» وقال ﷺ «لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة إصرار» وقال بعضهم : الذنب الذى لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا فينبغى أن لا يستهزىء الانسان بذنب وإن صغر ، فتواتر الصغائر عظيم فى تسويد القلب. اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولاصحابنا ولجميع المسلمين



الباب الرابع

فى الطب والمنافع

اعلم أن التداوى مأمور به، قال ﷺ «ياعباد الله تداووا فان الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد وهو الهرم»

قال الشافعى رضى الله عنه : العلم علمان ، علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، فان قلت الرضا بالقضاء واجب فاعل التداوى خروج عن الرضا ، فاعلم أن من جملة الرضا بقضاء الله تعالى التوصل إلى محبوباته بمباشرة ماجعله سببا ؛ فليس من الرضا للعطشان أن لايمد يده للماء زاعما رضاه بالعطش الذى قضاه الله ، ون الله تعالى قد أمرنا بإزالة العطش بالماء ، وقال (وليأخذوا حذرهم) فمعنى الرضا ترك الاعتراض على الله تعالى إظهاراً وإضماراً مع بذل الجهد فى التوصل إلى محبوباته ، وذلك بحفظ الأوامر وترك المناهى فافهم ذلك. ذكره الغزالى .

وقد سئل ﷺ عن الأدوية والرقى هل ترد من قدر الله شيئا ؟ قال : «هى من قدر الله» إذا عرفت هذا فسأورد لك من الأحاديث المتضمنة للطب مافيه مقنع للأديب ، وتذكار للطبيب ، إن شاء الله تعالى ، وأذكره متروحا ولا ألتزم فيه ترتيباً والله أعلم

القول فى الحمية وتقدير الأكل ، قال الله تعالى : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) وقال ﷺ «لاتشبعوا من الطعام ثم تأكلوا عليه ، فان ذلك

أصل كل داء » وقال ﷺ «أصل كل داء البردة[1] » وقال ﷺ « الأكل على الشبع يورث البرص » وقال ﷺ « إن الله تعالى يحمى عبده المؤمن من الدنيا وهو يحميه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافون عليه » وقال عمر رضى الله عنه : إياكم والبطنة فى الطعام والشراب ، فإنها مفسدة للجسم مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما فإنه أصلح للجسد ، وأبعد من السرف . وقال الحكماء : الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم والسقم داعية الموت . قالوا : ولو سئل أهل القبور عن سبب آجالهم لقالوا : البطنة والتخم . قالوا : وليس للبطنة خير من مخمصة تتبعها ، وقال ﷺ « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة ، فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » ويروى « المعدة بيت الأدواء » ويقال : دمك داؤك ، وأقاربك أعداؤك ، ومالك قاتلك ، ورأس الداء البطنة ، ورأس الدواء الحمية ، وعودوا كل جسم ما اعتاد

وتقدير الأكل كما قال النبى ﷺ « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فان كان ولا بد فاعلا فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس » وليقدم الألطف والأشهى والرطب على ضدها ، ويمزج الحلو بالحامض ، والرطب باليابس ، والبارد بالحار » وقد روى « إذا أكلتم فرازموا[2] » وعاد ﷺ مريضاً فقال له ماتشتهى ؟ ، قال خبز بر ، فقال ﷺ « من كان عنده شىء من الخبز فليأتنى به » ثم قال ﷺ « إذا اشتهى مريض أحدكم شيئا فليطعمه »

---

(١) أى التخمه والبشم ويروى البرد بسكون الراء وحذف الهاء وهو ضد الحر

(٢) أى اخلطوا أكلكم فكلوا لينا مع يابس وسائغا مع خشن وقيل كلوا وما لحماً مرةً لبناً يوماً قفاراً وقيل رازموا أى قولوا بين اللقم الحمد لله

ففى هذا بيان أن المريض إذ تناول مايشتهيه وإن كان أضر قليلا كن أنفع وأقل ضرراً مما لا يشتهيه وإن كان نافعا لاسيما إذا كن مايشتهيه غذاء ؛ ولهذا يستحب من الأطعمة ما كان أنضج طبخاً وأحسن لونا ، وأزكى رائحة ، وأطيب طعماً ليكون الطبع إليه أميل فينهضم، ويكون أبلغ فى التغذية والقوة . وقد ترك ﷺ أكل لحم الضب حين عافه ولم يكن يعتاده ، وفى ذلك دليل على الامتناع عن الأطعمة التى لم تجربها العادات ولم تشتهيها النفوس ، وقد قال ﷺ «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فان الله يطعمهم ويسقيهم» وقالت أم المنذر : دخل على النبى ﷺ ومعه على ولنا دوال معلقة — تعنى عناقيد من عنب — فجعل عليه السلام يأكل وعلى معه [illegible] له مه — أى اكفف — ياعلى [illegible] ناقه » قالت فجعلت لهما سويقاً وشعيرا فقال النبى ﷺ « ياعلى من هذ فأصب فانه أوفق لك [1] »

وقد روى أن النبى ﷺ ناول عليا وهو محموم تمرة ثم أخرى ثم أخرى ثم أخرى حى أكل سبعا ؛ ثم قال « حسبك ياعلى ففى هـذا دليل على منع المريض ما يزيد فى علته : ودليل أن على السبع التمرات فى حد القلة

﴿ فصل ﴾ وأحسن الأطعمة وأغذاها خبز البر المحكم الصنعة ، وهو أن يكون من حنطة يكمل نضجها بعد أن حفت منها الرطوبات . وأن يكون خبز خشكاراً ، وهو أن لا ينفسر ولا يستأصل نخالته بالغربلة ويكون ظاهر الخمير والملح ، جيد العجين مخبوزا فى التنور

---

(١) الناقه الذى صح ولم تتكامل قوته [illegible] ضعف الهضم فالائق به تلطف [illegible] التعير حسن تغذيته [illegible] الدود من البطن

وأما خبز الحوارى وهو مانقى منه وبيض فانه ليس كالأول ، وهو معتدل ، وأما الهريسة فدون ذلك وقد قال ﷺ « إن جبريل عليه السلام أطعمنى الهريسة يشد بها ظهرى لقيام الليل » ويروى « ضعفت عن الصلاة والجماع حتى نزلت على قدر يقال لها الهريس ، فأكلت منها فزادنى قوة أربعين رجلا ، وقد شكى نبى من الأنبياء الى الله الضعف فأوحى الله اليه أن كل ملتا بسمن» وفى حديث أبى هريرة بلغنى أن من أكل خبزة بسمن(١)»وقال ﷺ « نعم الطعام الزبيب ، يطيب النكهة ، ويذهب البلغم ، ويصفى اللون ، ويشد العصب ، ويذهب الوصب ، ويطفىء الغضب ، وذكر خصالا عشرا ، ويروى « عليكم بالزبيب فانه يكشف المرة ، ويذهب بالبلغم ، ويذهب بالعيا ويحسن الخلق ، ويطيب النفس . قال الأطباء : الزبيب حار لين ينفع من وجع الأمعاء ، وعجمه بارد يابس يأكل البلغم ويذهب الغم ، وإن دق عجمه دقا ناعما وسقى منه وزن ثلاثة دراهم بماء فاتر نفع من الاسهال

وأما التمر فقد مضى فيه قسم فى الباب الماضى ، وفيه أنه ينفع من السم ، ومنه ما ينفع من الجذام والقولنج وغيرهما . وقال ﷺ « عليكم بالبغيض النافع — يعنى التلبينة — فوالذى نفسى بيده إنها لتغسل البطن كما يغسل أحدكم ثوبه من الوسخ » وكان إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى يأتى على أحد طرفيه — يعنى يحيى أو يموت — وقال ﷺ فى التلبين شفاء من كل داء ، وشكت عائشة خشونة فى صدرها ، ووجعاً فى رأسها ، فقال « عليك بالتلبين — يعنى الحساء — فانه لهوجاء ». وقال «انه يرتو فؤاد الحزين — أى يشده ويقويه — ويسروا على فؤاد السقيم » أى يكشف . ويروى « التلبينة مجمة

(١) كذا فى الاصلين وقال الاصمعى هى التى عند العامة الملت

لفؤاد المريض ، تذهب ببعض الحزن [١] وقال ﷺ « سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم ثم الأرز » ويقال الأرز ، حار قابض ينفع من يبول الدم إذا أكله بلبن ، ويأتى فيه حديث فى الباب الخامس إن شاء الله تعالى .

وعن على رضى الله عنه : من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ، ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، ومن أكل أحداً وعشرين زبيبة حمراء كل يوم لم ير فى جسده شيئا يؤذيه ، والثريد طعام العرب ، واللحم ينبت اللحم ، والشحم يخرج مثليه من الداء ، والسمك يذيب الجسد ، ولم يستشف النساء بشىء أفضل من الرطب ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ، ولم يستشف الناس بشىء أفضل من السمن ، والمرء يسعى بجده ، والسيف يقطع بحده . ومن أراد البقاء والابقاء ، فليبكر العشاء — أى لا يؤخره — وليباكر الغداء ، وليقل غشيان النساء . وليخفف الرداء — يعنى الدين — قال بعضهم: ومباكرة الغداء وإن قل تطيب النكهة ، وتطفىء المرة ، وتعظم القوة ، وتعلل شرب الماء .

ويروى عنه أيضا : من أراد البقاء والابقاء ، فليجود الحذاء ، وليأكل على نقاء ، وينسرب على ظمأ ، وليقل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغداء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ، ودخول الحمام على البطنة من شر الداء ، وأكل القديد بالليل معين على الفناء ، ومجامعة العجائز تهدم أعمار

---

(١) التلبينة ماينقع من النخالة فيطبخ ماصفيا من مائها أو حساء يعمل من الدقيق وربما جعل فيه عسل وسكر فإن ترب حرا كان أكثر نفعا وسمى بغيضا لأن المريض يعافه وهو نافع له من كل شىء فى صحته لشعير والذرة عمل له الحساء من البر و [illegible] عمل له من الشعير . وقوله مجمة أى مريحة

الأحياء . وقال على رضى الله عنه أيضا : عليكم بالثريد فانه يطرد الفكر . وقد مضى فى قسم إكرام الطعام من صفة الثريد ما يكفى إن شاء الله تعالى .

القول فى المياه : قال الله تعالى (كلوا واشربوا) وقال (فكلى واشربى وقرى عينا) وقال ﷺ « سيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء » وقال ﷺ «خير الماء السنم»[1] ويروى « خير الماء الشبم » وكان يستعذب له الماء من بئر السقياء — وهى عين بينها وبين المدينة يومان — وكان يكره شرب ماء الحميم وقال لعائشة وقد سخنت ماء فى الشمس « لا تفعلى هذا فانه يورث البرص » قال أبو نعيم: الماء يحفظ على البدن رطوبته وهو أنفع الاشربة وأوفقها، وأنفع المياه أخفه وزنا ، وأعذبه طعما

والماء البارد على الريق يبرد الكبد جدا ، وعلى الطعام يقوى المعدة ينهض الشهوة ، وأجود المواضع لتبريد الماء المبردات والاشجار ، والمواضع الهوائية. ومياه الانهار الكبار أحمد المياه ، وأنفع المياه ماروق وسكن حتى يرسب ما خالطه ، وأردؤها مياه العيون التى تجرى من ناحية الجنوب. وماء السماء أخف المياه وألطفها مالم يطل مكثه فى المصانع — أى البرك — ومياه السباخ أغلظها تتولد منها الأمراض البلغمية ، والمياه العذبة أنفع للاغتسال من المالحة . والماء الحار المحرق مع العسل يحل القولنج ويفش الريح ، وكثرة الاغتسال بالماء مما يتغير به اللون وبشحب منه الجلد ، والبرد مبرد للمعدة ولا يحتمله إلا من كان حر المزاج ، وهو بركة تطهر به البطن ، وأورد أبو نعيم فى خلال ذلك أحاديث كثيرة

ولا ينبغى الشرب عقب الجماع ، والرياضة ، والخروج من الحمام ، وأحسنه بعد ساعة يستقر بها الطعام فى البطن . وقال ﷺ « إذا شرب أحدكم الماء

(١) أى الجارى الظاهر على وجه الارض ويروى الشبم أى البارد

فليشرب أبرد مايقدر عليه ، لانه أطفأ للمرة وأنقع للغلة» وكان ﷺ يأكل البرد ويقول : يقتل الدود فى الأسنان ، وقال ﷺ « الشرب فى أثر الدسم داء فى البطن » وأكل طعاماً ثم شرب ماء باردا فى الصيف . وقال « يابردها على الكبد » وقال ﷺ « الشرب من فضل وضوء المؤمن فيه شفاء من سبعين داء أدناها الهم » وقال ﷺ « لا تشربوا فى نفس واحد ، واشربوا فى ثلاثة أنفاس ، فانه أهنأ وأبرأ وأمرى» وقد شرب ﷺ فى نفسين، ويروى أن الكباد — يعنى وجع الكبد — من العب ، وهو جرع الماء من غير مص — وقد أمر ﷺ بالمص، ونهى عن العب،وأمر بعب اللبن وقال « من شرب الماء على الريق انتقصت قوته »

القول فى اللباس قال الله تعالى (قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم) وقال ﷺ . استدفئوا من الحر والبرد » وقال « عليكم بلباس الصوف تجدون حلاوة الايمان فى قلوبكم ؛ وعليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل . وعليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة ؛ وإن لباس الصوف يورث القلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجرى فى الجوف الدم ؛ فمن كثر تفكره قل طعمه وكل لسانه » وقد رخص الزبير وابن عوف بلبس الحرير من وجع كان بهما ؛ ويروى من القمل . وقال للمرأة التى تستحيض « أنعت لك الكرسف فانه يذهب الدم » يعنى القطن — وطبعه حار — والعمامة تكسب الحلم . وقال ﷺ « اعتموا تزدادوا حلما » وعن على وابن عباس من لبس نعلا صفراء لم يزل فى سرور ما دام لابسها . ويروى قل همه .

القول فى النوم. قال الله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أى راحة لكم ؛ ففى النوم راحة النفس ، وهو يسخن الباطن ويعين على الهضم ؛ فان أفرط رطب الجسم وأرخاه وأطفأ حرارته.وقال ﷺ « قيلوا فان الشياطين لا تقيل » وقال ﷺ « من نام بعد العصر فاختلس عقله فلا يلومن إلا نفسه » وقال مكحول

لرجل نام بعد العصر : لقد عوفيت ، لقد دفع عنك ، إنها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون — يعنى الجن والشياطين — وفيها تكون الخبطة — وهى الجنون والخبل — ويروى النوم :فى أول النهار حمق ، وفى وسطه خلق، وفى آخره خرق، وقد مضى فى القسم السابع من الباب الماضى فى النهى عن نومة الغداة ما يكفى إن شاء الله تعالى

القول فى اللحم ، قال الله تعالى (لتأكلوا منه لحماً طرياً) وقال ﷺ : « خير الادام الدنيا والآخرة اللحم» وهو يزيد فى السمع ، وقال ﷺ « إن اللحم لينبت اللحم . فكاوه نهشاً فانه ألذ ، وهو يقوى الجسم، ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ، ومن داوم عليه أربعين يوماً قسا قلبه » ويروى « أكل اللحم يحسن الوجه ، ويطيب النفس ، ويحسن الخلق » وقال ﷺ « عليكم بأكل لحوم الابل » وقال « أطيب اللحم لحم الظهر » ويروى « خير اللحم ما اتصل بالعظم » وقال« إن للقلب فرحة عند أكل اللحم ». وقال «عليكم بألبان البقر فانها دواء ، وأسمانها شفاء، وإياكم ولحومها فانها داء » قال الاطباء : لحمها بارد يابس ، ولحم العجل معتدل : ولحم الضأن حار معتدل لين ، وكذا الدجاج والحمام ، ولحم المعز بارد لين ، ولحم الذكر أطيب ، ولحم الأنثى أرطب . وقال ابن عباس : الجدى جيد لوجع الظهر . ونحوه عن على ، وهو الذكر من أولاد المعز . ويروى أن نبيا شكى إلى الله تعالى الضعف ، فأمره أن يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما .

القول فى البيض، روى أبو نعيم فى كتابه أن رجلا شكى إلى النبى ﷺ قلة الولد ، فأمره أن يأكل البيض . فقال يارسول الله وأى بيض ؟ قال « كل البيض ولو بيض النمل » وقال شكى داود عليه السلام إلى ربه قلة الولد ، فأوحى الله إليه أن يأكل البيض ، ومخ البيض حار معتدل ، وبياضه بارد معتدل .

القول فى الألبان والأدهان ، قال الله تعالى (وإن لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها) إلى قوله (لبنا خالصا سائغا للشاربين) وقال ﷺ «ليس شيء يجزئ عن الطعام والشراب غير اللبن » وقال « تداووا بألبان البقر فانى أرجوا أن يجعل الله فيها شفاء وبركة فنها تأكل من كل الشجر » وعن أنس : أن ناسا اجتووا المدينة أى لم توافقهم فأمرهم النبي ﷺ أن يلحقوا براعى إبله فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا ذلك فصلحت أبدانهم . ويروى أنه أصابهم وعك شديد فصفرت ألوانهم ونحلت أجسامهم وعظمت بطونهم ، فلما أصابوا لبن الابل انقطعت عنهم الحمى وحسنت ألوانهم ، وخفت بطونهم ، ونبتت أجسامهم وكان ﷺ إذا حلب اللبن لم يشربه حتى يشوبه بالماء ، وكان ﷺ يشرب اللبن المرضوف(١) قال الحافظ أبو نعيم : اللبن الحليب يخصب البدن ، وينفع من الربو والسعال ، ويزيد فى الباه ، وألبان الغنم أكثرها فضولا ، وأدسمها ، فاذا شيبت بالماء كان أقل ضرراً لمن يعتريه الصداع ، ولبن المعز أعدل من لبن الضأن وأرق ، وألبان الأتن نافعة من سدد الرئة ، واللبن الحليب مع التمر مخصب للبدن جداً ، والزبد نافع للقوبا ولخشونة الصدر ، والسمن أقوى الأدهان . وأغذاها وأورد فى ذلك أحاديث كثيرة. قال : وألبان الابل تشفى من فساد المزاج ، وتغير المياه والسدد . وقال ﷺ « فى ألبان الابل وأبوالها شفاء للذربة بطونهم » وقال ﷺ « كلوا الزيت وادهنوا بالزيت فان فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام ، ومن ادهن بالزيت لم يقربه شيطان أربعين ليلة » وقال ﷺ « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة من الباسور » ويروى « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون عند فإنه فان فيه شفاء للناس » وشجرة الزيتون كثيرة البركة ، وفيها أنواع المنافع لأن الزيت

---

(١) وهو الذى طرح فيه الرضفة . وهى الحجارة المحماة .

يسرج منـه ، وهو أدام ودهان ودباغ ، ويوقد بحطب الزيتون وتفله ، ورماده يغسل به الأبريسم ، ولا يحتاج فى استخراج دهنه إلى عصار ، وطبع الزيت بارد، وكان ﷺ ينعت الزيت والورث من ذات الجنب . قال قتادة يلده من الجانب الذى يشتكيه . وقال ﷺ «فضل البنفسج على سائر الأدهان كفضلى على سائر الخلق» وهو بارد فى الصيف حار فى الشتاء . ويروى إذا وقع الوباء فى بلدة وأنت فيها فعليك بدهن البنفسج فانه يذهب الوباء[1] وقال ﷺ «الدهن يذهب بالبؤس ، والكسوة تظهر الغنا » وقال « تحفة الصائم الدهن والمجمر » وقال ﷺ « إذا ادهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه، فانه يذهب الوصب والصداع » ويروى «من أدمن على حاجبه المشط عوفى من الوباء » .

القول فى الملح. قد مضى فيه حديث عن النبى ﷺ ، وحديث عن على كرم الله وجهه . وقال ﷺ « ابدأ بالملح واختم بالملح فان فيه شفاء من سبعين داء منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع الأضراس » ولدغته عقرب فى إبهام رجله اليسرى فقال « على بذلك الأبيض الذى يكون فى العجين » فأتى بملح فلعق منه ثلاث لعقات ، ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت . وقال « إن مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح » والملح حار يابس فى الثالثة وإذا اكتحل به قطع الظفرة ، واللحم الزائد فى العين ، وإن جعل على حرق النار لم يتنفط .

القول فى العسل ، قد مضى فيه قسم كامل فى الباب الثالث . وقال ﷺ « عليكم بالشفاءين » -يعنى العسل والقرآن- وقال رجل : يا رسول الله إن أخى استطلق بطنه ، فقال « اسقه عسلا » ثم أتاه فقال فعلت فما زاده إلا استطلاقاً

---

(١) البنفسج نبات كالحشيش طيب الريح زهره أحمر يضرب الى السواد ودهنه يرطب الدماغ ويزيل النشوفة

فقال « اسقه عسلا » ثم أتاه الثالثة فقال فعلت فلم فما زاده إلا استطلاقا ، فقال له النبي ﷺ « صدق الله وكذب بطن أخيك ، اسقه عسلا فسقاه فبرأ » .
ومن اعترض على هذا الحديث بأن الأطباء مجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال ؟ قلنا له إن المريض يكون الشيء دواءه فى ساعة ، ثم يكون داءه فى الساعة التى تليها لعارض يعرض من غضب يحمى مزاجه أو هواء يتغير ، أو غير ذلك . وجميع الاطباء مجمعون على أن المرض الواحد يختلف ، علاجه باختلاف الزمان ، والسن ، والعادة ، والغذاء ، المألوف وقوة الطباع ، فيحتمل أن يكون هذا الاسهال فى الشخص المذكور فى الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة[1] فأمره النبي ﷺ بشرب العسل فزاده اسهالا فزاده عسلا الى أن فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل . وعن أبى سعيد رضى الله عنه أنه قال : دواء المبطون العسل . وفى الحديث « هل عقيتم صبيكم » أى هل سقيتموه عسلا ليسقط عنه عقبه — أى غائطه — وكان ابن سيرين اذا غد الى المصلى يلعق لعقة عسل وقال : إنه يحبس البول على .
وروى أبو نعيم أن رجلا أهدى إلى النبي ﷺ فرساً وكتب إليه أنه ظهرت به دبيلة ، فابعث إلى بدواء من عندك : فرد ﷺ الفرس لأنه لم يسلم ، وكان لا يقبل زبد المشركين ، وأهدى إليه عكة عسل وقال له « تداوى بهذا » والعسل حار يابس فى الثالثة ، وهو جلاء غسال مفتح إذا استعمل أكلا وطلاء ، وينقى البشرة وينعمها ، ويسمى الحافظ الأمين . لأنه يحفظ ما يودع فيه ، وإذا

يعنى الخلفة . وقال فى فقه اللغة : الهيضة أن يصيب الانسان مغص وكرب يحدث بعدها قيء واختلاف . والخلفة أن لا يلبث الطعام فى بطن الانسان بل يخرج سريعاً وهو بحاله لم يتغير من لذع ورجع واختلاف ضريرى . وقال الجوهرى : الهيضة قياء وقيام معاء .

جعل فى اللحم الطرى حفظ طراوته ثلاثة أشهر ، وكذا إذا جعل فى القثاء والقرع وكثير من الفواكه حفظها ، وإذا لطخ به الشعر المقمل قتل قمله وصئبانه وطوله وحسنه ، وإذا استن به جلا الأسنان وحفظ صحتها وصحة اللثة ، واذا تغرغر به نفع من أوجاع الحلق والخناق . وهو يوافق السعال البلغمى ، ويدر البول والحيض ، ويلين البطن ويفتح سددها ، ويفتح أفواه العروق ، وينفع من لسع الهوام ذوات السموم ، ومن عضة الكلب الكلب ، وهو غذاء وشراب ودواء وحده ، ومع الأدوية ، وهو حلواء وفاكهة ؛ ولعقه على الريق يذيب البلغم ويسخن المعدة باعتدال ويفتح سددها ، ويدفع الفصل ، ويفعل كذلك بالكبد والكلا والمثانة ، واذا لعقه صاحب السكتة نفعه ، وإن جعل فى فتيلة وأدخلت فى الأذن نفع من الماء الداخل فيها ، وإن خلط معه مرارة ديك أو ثور ، أو تيس وا كتحل به أحد البصر ، وكذا اذا اكتحل به وبماء الرمان الحلو أو به وبماء الفجل جلا العين ، وإن جعل معه مثله من لبن امرأة وا كتحل به نفع من البياض فى عين الصبى ، وإن كان فى عين كبير فزبد البحر مع العسل يسحق سحقا ناعماً ويكتحل به غدوة وعشية ، أو يطبخ بول الصبى فى إناء نحاس مع العسل ويكتحل به ، وإن عجن التوم المحرق بالعسل أزال الاثر العارض تحت العين ، وان خلط الثوم بعسل أيضا نقى الوجه وأذهب كمنة الدم ، وان خلط العسل مع كندر مدقوق منع تحلب الزكام ، وان سقى صاحب الاستسقاء العسل مع بعر شاة نفعه ، وان أحرق ظلف ماعز وعجن بعسل وشرب بماء نفع من البول فى الفراش ، وان خلط مع عود العنب بعد سحقه وطلى على اللثة شد الأسنان المسترخية وقطع الدم السائل ، وان لت بالعسل فتيلة قوية وحقن بها وتركت ساعة نفع لانحصار الغائط ، وان سحق القرنفل وديف بالعسل مع ماء فاتر وطلى على البهق أزاله

القول فى الفواكه . قال ﷺ « ربيع أمتى العنب والبطيخ » وقال ﷺ

« فى العنب خمسة أشياء حلال : تأكلونه عنبا وعصيراً مالم ينش ، وتتخذون منه زبيباً ، وربا ، وخلا » وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت أمى تعالجنى ببعض السمنة لتدخلنى على رسول الله ﷺ فلم يتهيأ لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب فسمنت كأحسن السمنة [1] . وقال ﷺ « تفكهوا بالبطيخ وعضوه فان ماءه رحمة ، وحلاوته من حلاوة الجنة ، فمن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين ألف حسنة ، ومحى عنه سبعين ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف درجة ، وقال « البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلا ، ويذهب بالداء أصلا » وأخذ ﷺ بطيخا وشمه ثم وضعه وقال « عظموا البطيخ فانها من خلل الجنة ماؤها شفاء ، وحلاوتها من الجنة » وكان أحب الفواكه اليه البطيخ والرطب وكان ﷺ يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بشماله ويأكل منه . ويلقى النوى بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول « نكسر حر هذا ببرد هذ » وقال ﷺ « عليكم بالبطيخ فان فيه عشر خصال ، هو طعام وشراب ، وهو أشنان ، وهو ريحان ، وهو يغسل المثانة ، وهو يغسل البطن ، ويكثر ماء الظهر ، ويزيد فى الجماع ، ويقطع الابردة [2] وينقى البشرة » . وأنشد بعضهم .

تحيات وفاكهة وأدم   وهاضوم الثقيل من الطعام
وأشنان وحلوى مهنأً   ومنق للمثانة كل عام

وقال على رضى الله عنه : ما من بطيخة إلا وفيها من ماء الجنة قطرة لا محالة ، فكلوا وتبركوا فان استطعتم أن لا تطرحوا منها شيئاً فافعلوا ، وكلوه بقشورها وشحومها وبزورها . ولا تصبوا ماءها فانها ربيت بالبركة ، وحشيت بالرحمة ، إذا أراد المؤمن أكلها . وما من طعام فى الجنة إلا وفيه من لذة ذلك الطعام . وقال ﷺ « من أكل رمانة حتى يستتمها نور الله قلبه أربعين ليلة »

(١) قال الجوهرى القثاء هو الخيار
(٢) والابردة بكسر الهمزة والراء علة من غلبة البرد والرطوبة تفتر عن الجماع

وقال على كرم الله وجهه : اذا أكلتم الرمان فكلوه بشحمه فانه دباغ المعدة . وقال ابن عباس : ليس من رمانة إلا وفيها قطرة من الجنة ، فمن دخلت تلك القطرة فى جوفه أمرضت الداء الذى يوسوس فى القلب أربعين يوماً — الرمان نوعان حلو وحامض فالحلو معتدل لا حار ولا بارد وأكله ينفع من السعال والحامض بارد يابس يعقل الطبيعة — وقال ﷺ « كلوا السفرجل وتهادوا به فان ذلك يثبت المودة » وروى أن أول ما خلق الله تعالى من ثمار الجنة السفرجلة ، حلوة من غير قذى ، صفراء من غير أذى . وقال ﷺ « كلوا السفرجل وأطعموه الحوامل فانه يزكى العقل » وقال ﷺ « إذا وجد أحدكم طخاء على قلبه فليأكل السفرجل » — والطخاء هو ثقل وغثاء — وقال ﷺ لرجل معه سفرجلة « كلها فانها تجم الفؤاد — أى تريحه» — ويروى «فانها تشد القلب ، وتطيب النفس ، وتذهب بطخاوة الصدر » ويروى « كلوا السفرجل على الريق فانه يذهب وغر الصدر » وقال ﷺ « عليكم بالأترج فانه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ » وقال ﷺ « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب » وقال أهل الطب : الأترج — ويقال له ترنج أيضاً ، ينفع للزكام والسموم . وقال ﷺ : «كلوا التين فان على كل حبة باسم الله القوى » ويروى« أكل التين أمان من القولنج » وقال ﷺ « كلوا التين ولو قل ، فانها فاكهة نزلت من الجنة » — قلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس — وقال ﷺ « من أحب أن يرق قلبه فليدمن أكل البلس » وقال نشوان بن سعيد رضى الله عنه فى تفسير هذا الحديث نفسه . والبلس حار لين نافع فى نهش الهوام : وقال الجوهرى البلس يشبه التين . وعن ابن عباس رضى الله عنه : لما أهبط الله آدم إلى الأرض كان أول شىء أكله من ثمارها النبق — والنبق هو ثمر

السـدر — فقشره بارد رطب ما دام غضا ، فاذا اشتدت حلاوته فهو معتدل وفيـه رياح ونواه حار يابس ، والذى فى بطن النوى حار يابس . والسدر شجر يغسل بورقه الرأس . وقال ﷺ « عليكم بالفوا كه فى إقبالهـا فانها مصحة للأبدان ، مطردة للأحزان ، واتقوها فى إدبارها فانها داء فى البطن »

القول فى العطر والرياحين : قال ﷺ « إن أمثـل ما تداويتم به الحجامة والعود البحرى » وقال ﷺ « لا تعذبوا صبيانـكم بالغمز من العذرة ، وعليكم بالقسط » وقال على : ما تدغرن أولادكن بهذا العلاق ، عليكن بهذا العود الهندى فان فيه سبعة أشفية ـ الدغر غمر الحلق إذا أخذته العذرة وهى وجع يهيج فيه من الدم ـ يقول لا ترفعوا الحنك على الاصبع ولـكن عليكم بالقسط وهو عرق شجرة . وهو نوعان بحرى وهندى ، فالبحرى هو القسط الأبيض وهو أفضل من الهندى وأقل حرارة منه . وقيل هما حاران يابسان فى الثالثة . والهندى أشد حراً . وقد ذكر النبي ﷺ السبعة مجملا وذكر الاطباء أنه يدر الطمث والبول وينفع من السموم ويحرك شهوة الجماع ويقتل الدود . وحب القرع فى الامعاء إذا شرب بعسل ويذهب الـكلف إذا طلى عليه ، وينفع لبرد المعدة والـكبد ، ومن حمى الورد والربع ، وغير ذلك ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم . وقال فى شمس العوم : القسط عود يتبخر به ، وهو أسـود وأبيض . والابيض أجود ، ينفع من الطحال ويجفف القروح الرطبـة ، وإذا شرب ماؤه نفع من نسع الحيات ، وإذا سحق وطبخ بزيت أو سليط وطلى به البدن نفع من الفالج . والارتعاش واسترخاء العصب . وسكن النفض . وإذا عجن بالعسل أذهب الـكلف . وهو يسعط من العذرة ، ويلد من ذات الجنب . وإذا ديف بعسل ثم لعق نفع من سقوط الهات . وإذا شم أو تبخر به فى الأنف نفع من الزكام . وقال ﷺ فى الحادة «ولا تمس طيبا إلا إذا طهرت نبسذة من قسط وأظفار » — الاظفار طيب يتبخر به — وكان ﷺ يستجمر بالالوة

وبكافور يطرحه معها — الالوة العود الذى يتبخر به وينسب الى مدينة فى اليمن يقال له عود ظفارى،وهو حاريابس فى الثانية مقو الدماغ والأعضاء يذهب كثرة رطوبة الجسد والمعدة،ويطرد الريح ويفتح السدد ويحبس البطن وينفع من سلس البول والكافور ضرب من الطيب وهو صمغ شجر وهو المراد فى الحديث. والكافور أيضاً نبات له نور وهو بارد يابس فى الثالثة قاطع لشهوة الجماع إذا شم أوشرب مذهب للصداع الحار وإذا شرب بماء عقل البطن من إسهال الصفراء— ويروى أن النبى ﷺ دخل على بعض أزواجه وقد خرج فى أصبعها بثرة — أى خراج صغير — فقال لها « عندك ذريرة ؟ » فوضعها عليها وقال « قولى اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بى فطفئت — والذريرة فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند — وقال ﷺ « عليكم بالاثمد المروح عند النوم » قال أبو عبيد : أراد المطيب بالمسك . رخص عليه السلام أن يكتحل بالمسك أو يتطيب به ، وكان يرى وبيصه فى مفرقه . والمسك أطيب الطيب ، وهو حار يابس فى الثالثة يقوى الأعضاء الضعيفة وينفع الشيوخ وأصحاب الرطوبات ، ويذهب الرياح من العين ومن سائر الجسد ، وإذا شمه المغشى عليه أفاق ، وإذا أخذ منه وزن نصف عدسة مع مثله زعفران وأسعط به نفع من الصداع الحادث من الرطوبة والبرد ، وكل الأطياب حارة ما خلا الصندل والكافور . وقال ﷺ « عليكم بالمرزنجوش فشموه فانه جيد يذهب بالخشام » — المرزنجوش هو الازاب وشمه ينفع من الكابوس والسدر والدوار والصداع البارد وماؤه ينفع لوجع الأذن من البرد يقطر فيها . وان شرب طبيخه نفع من المغص وعسر البول . وان طبخ ورقه بالأدهان حلل الأعياء وإن ضمد به الفالج واللقوة أذهبهما. قال أبو نعيم والخشام داء يأخذ الانف وصاحبه مخشوم — وقال ﷺ « إذا أعطى أحدكم الريحان فليشمه فانه خرج من

الجنة » وقال ﷺ « إذا وضعت الحلوى فأصيبوا منها ولا تردوها ، وإذا وضع الطيب فأصيبوا منه ولا تردوا منه شيئاً » وقال ﷺ « أهبط الله آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة ، وهى سيدة ريحان الدنيا ، وبالسنبلة ، وهى سيدة طعام الدنيا ، وبالعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا » وقال ابن عباس : أول غرس وضعه نوح عليه السلام فى الأرض حين هبط من السفينة الآس — يعنى المدس وهو شجر طيب الريح بارد فى الأولى يابس فى الثانية يجلو البهق ويسود الشعر ، وإذا سحق وذر على القروح المترطبة جففها ، ويطيب الآباط المنتنة ، وحبه نافع لنفث الدم يقوى المعدة ، ويدر البول ، وينفع من أوجاع المفاصل إذا ضمد به . و الأزهار والرياحين حارة إلا الآس ، والخلاف ، والنيلوفر ، والورد الأبيض والأحمر ، منها باردة — وقال ﷺ « شموا النرجس ولو فى اليوم مرة ، ولو فى الشهر مرة ، ولو فى السنة مرة ، ولو فى الدهر مرة ، فإن فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس » — والنرجس بفتح النون وكسر الجيم ضرب من الشجر له زهر ظاهره أبيض وباطنه أصفر . فى وسطه سواد يشبه العيون ، ورقه كورق البصل ، له عود فى وسطه أجوف كساق البصل . وهو حار فى الثانية ، وخاصيته أنه يقطع الكاف وينفع إذا شم من وجع الرأس الكائن من البلغم والسوداء — وقال ﷺ « سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية » — يعنى زهر الحناء — وقيل الفاغية ما أنبتت الصحراء من الأنوار الطيبة الرائحة التى لا تزرع

القول فى التوم والبصل والفجل والخس : قال ﷺ لعلى « كل الثوم نيئاً فلولا أن الملك يأتينى لأكلته » قال المؤلف : وهذا محمول على التأذى به من الأشخاص لفائدة ، وفى ابتداء الإسلام ثم نسخ . فقد ورد النهى عن أكله ونحوه نيئاً أحاديث صحيحة ، ولا بأس بمطبوخه . وقال ﷺ « كلوا الثوم

وتداووا به فان فيه شفاء من سبعين داء » وأصاب ابن عمر رضى الله عنه قطع أو بهر ، فكان يطبخ له الثوم فى الحساء فيأكله — القطع والبهر تتابع النفس وعلوه — والثوم حار يابس وهو يسمى ترياق البدو ، ومنافعه كثيرة وهو ينفع من لسع الحيات إذا غلى بسمن وشرب، وكذا إذا ضمد به وبالملح والسمن ، وإن شوى وأكل صفى الحلق ونفع الصوت وإن أخذ منه سن وجعل على الضرس المتأكل نفعه . وقال ﷺ « إذا دخلتم بلدة وبيئة فخفتم وباءها فعليكم ببصلها » ويروى « من أكل من فحا أرض لم يضره ماؤها » — الفحا مقصور البصل — وهو حار يابس نافع لمن انقطع حيضها من غير وقتها وإذا أكل مشوياً صفى الصوت وماؤه نافع من الغشاء ومن ابتداء الماء فى العين إذا اكتحل به ، وإن كسر وشم حرك العطاس وأذهب الغم الشديد وهون المرض ، وإن طبخ مع لبن البقر أو مع اللحم زاد فى الباه وفى الظهر وقوى الكليتين. وعن ابن المسيب أنه قال : من أكل الفجل فسره أن لا يوجد ريحه فليذكر النبى ﷺ أول قضمة — الفجل بضم الفاء وإسكان الجيم وهو معروف خبيث الجشاء — وهو حار دسم يطرد الرياح ويزيد فى البلغم ويهضم الطعام ويجلو النظر وورقه خير من أصله والصغار أصلح من الكبار . وقال ﷺ « كلوا الخس فإنه يورث النعاس ، ويهضم الطعام» — الخس نبت وهو بارد لين يزيد فى الدم

القول فى الحلبة والزنجبيل والفلفل والكمون والسنوت: قال ﷺ « لو تعلم أمتى ما فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً — الحلبة حارة لينة نافعة للجسم ولكل ورم ولضربان المفاصل وسكنى السعال والرياح، وإن طلى بها على القروح برئت وإن دقت وجعلت فى برمة وأضيف إليها دقيق الكمون وصب عليها ماء وطبخها يسيراً و نزء على البطن والمعدة نفع من المغص . وإن خلط دقيقها بدقيق الدثلاء وخلط بعسل و ضرب دقيقها بسمن قديم وجعل على الدمل فتحه وأخرج

ما فيه أو جعل على الخنازير والورم خلف الأذن نفعه .

وأهدى ملك الروم إلى النبي ﷺ زنجبيلا فأطعم منه كل انسان قطعة — الزنجبيل معروف وهو حار فى الثانية رطب فى الأولى، هاضم للطعام ، معين على الجماع ، يحلل الرياح الغليظة فى المعدة والامعاء — ويروى أن سلمة طحنت شعيراً ثم جعلته فى قدر وصبت فيه زيتاً ودقت الفلفل والتوابل وقالت : هذا مما كان يعجب النبي ﷺ ويحسن أكله — الفلفل حار يابس فى الرابعة إذا مضغ مع الزبيب خفف البلغم وإذا اكتحل به نفع من ضعف النظر الحادث من الاخلاط الغليظة ، وإذا حملته المرأة بعد الجماع منع من الحبل . والتوابل جمع تابل وهى الابزار — وقال ﷺ « عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء من كل داء إلا السام ».وقال ﷺ «الكمون الاسود شفاء » — والسنوت هو الرازيانج وهو الشمار وهو محلل الرياح ، وهو حار فى الثانية يابس فى الأولى؛ والذى يستعمل منه بزره وورقه وأغصانه ولحا عروقه ، وهو يذهب الرياح ويفتح السدد ، ويدر البول والطمث ، وإذا غلى ونزعت رغوته وشرب بعسل نفع من الحمى المتطاولة ، وإن ضمد به مع العسل نفع من عضة الانسان ، وإن شرب بماء بارد سكن الغثيان .

وقيل : السنوت الكمون ، وهو حار يابس يجفف الرطوبات ويحلل الرياح والنفخ فى البطن والمعدة ، فإذا شم نقى الدماغ ، وإن مضغ نفع من وجع المعدة ، وإن شرب مغليا بشراب نفع من المغص ، واذا تبخرت المرأة وهى فى الطلق به وبالورس ولدت سريعاً؛ وان مضغته وجعلته على ثديها نفع من وجعه ؛ وان شرب منه وزن درهمين ومن السداب مثل ذلك قطع اللبن . وبزره نفع للفواق ؛ وان أضيف الى الحلبة وجعل فى برمة بعد الدق وصب عليهما ماء وطبخا طبخا يسيراً ووضعا على البطن والمعدة نفع من المغص أيضاً ، وان نفخ فى الأنف مسحوقا قطع الرعاف . وقال ثعلبة بن سهل : ليس شىء يدخل الجوف إلا تغير

الا الـكمون ، وقيل : السنوت هو العسل وقد ذكر . وقيل : وهو عكة السمن تعصر فيخرج منها خطوط سود مع السمن ، وقيل : هو الشبت ، وقيل : التمر. وقد ذكر ، وقيل : العسل الذى يكون فى السمن فيكسبه ذلك رطوبة ودهانة .

القول فى سائر الاشجار: قال ﷺ « ان فى الحبة السوداء شفاء من كل داء الا السام» —والسام هو الموت— والحبةالسوداء الشونيز —ويروى أن أبا عتيق عاد مريضاً فقال : عليكم بالحبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعا فاسحقوها ثم قطروا فى أنفه بقطرات زيت فى هـذا الجانب ، وفى هـذا الجانب ، واستشهد بالحديث . وكان ابن مسعود رضى الله عنه : يأمر من وجع البطن أن يستف ثلاث سفات من شونيز ترض رضاً ، ويقول فى كل سفة : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب العرش العظيم . وقال ﷺ «اذااشتكى أحدكم بطنه فيأخذ فى كفه شونيزاً فيستفه ويشرب عليه عسلا — والشونيز هو الـكمون الأسود ، ويسمى الهندى ؛ وهو حار يابس يشفى الزكام اذا قلى وشم دائماً ، ويحلل النفخ ويقتل الدود اذا أكل على الريق وطلى على البطن ،واذا نقع منه سبع حبات فى لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه ، واذا شرب فى حساء أدر الطمث والبول واللبن ؛ واذا بخر به طرد الهوام ، واذا علق فى عنق المزكوم نفعه ، واذا شرب منـه مثقال بمـاء نفع من البهر وضيق النفس ، وهو ينفع من نهش الريلا ، وهى حية قصيرة ، وينفع من حمى الربع ، ويقتل حب القرع ، وينفع الصـداع البارد اذا طـلى به على الجبين، وينفع البثور والجرب — وقال ﷺ لأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما « بم تستمشين » قالت بالشبرم ، قال « حار يار » قالت ثم استمشيت بالسـنا ، فقال « لو أن شيئاً فيه الشفاء من الموت لـكان فى السنا » — والشبرم حب كالحمص من شجر ترعاه الابل والغنم له شوك وهو حار رطب بافراط فى الدرجة الرابعة، شـديد الحرارة ولهذا أكد بقوله ﷺ

« يار » والمستعمل منه لبنه وقشور عروقه . كذا فى شمس العلوم ، والشربة منه قيراط الى ثلاثة قراريط ، والاكثار منه يقتل لحرارته ويبسه . والسناء بالمد والقصر نبت يتداوى به له حمل اذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلا ، وهو حار يابس فى الاولى ، وأفضل ما يكون منه بمكة . وهو يقوى القلب ويخرج السوداء ، والصفراء ، وخاصيته النفع من الوسواس السوداوى ، ومن شقوق الأطراف ، وانتثار الشعر ، ومن القمل ، ومن الجرب والحكة ، وان طبخ بزيت وشرب نفع من أوجاع الظهر والوركين : ــ وقولها استمشيت أى شربت دواء المشى وهو الاسهال ــ ويروى « لا بأس للمحرم أن يتداوى بالسناء والعتر » — والعتر نبت يتداوى به كالمرزنجوش — وروى أبو نعيم باسناده أن النبى ﷺ مر بحائط وفيه شجرة نابتة فقالت : خذنى يارسول الله فوالذى بعثك بالحق نبياً ما من داء الا وفى منه دواء — يعنى السعتر فالسعتر شجر معروف وهو حار يابس فى الثالثة يحل النفخ ويطرد الرياح وينقى الرئة والمعدة والكبد من البلغم ، وينزل الحيض ويدر البول ، وينفع من أوجاع الحلق . وان قطر ماؤه فى الأذن مع لبن امرأة نفع من وجعها . قال الجوهرى : وبعضهم يكتبه بالصاد فى كتب الطب لئلا يلتبس بالشعير . والمر صمغ شجرة وهو حار يابس اذا وضع تحت اللسان وشرب ما ينحل منه صفى الصوت ، وان در على قروح الرأس أبرأها ، وان شرب منه وزن باقلا نفع من السعال ووجع الصدر ، وان لطخ به المنخر أذهب نزلة الزكام ، وان مضغ طيب النكهة .

وروى أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتى باللبان والمر . واللبان هو الكندر ، وهو حار قابض يجلو ظلمة البصر وينزف الدم من كل عضو ، وإذا مضغ حلل البلغم وأذهب حبث النفس . وزاد فى الحفظ وإذا شرب نفع من نفث الدم وإطلاق البطن ، وإذا دخل دخانه الأنف نفع من الزكام .

ومن عجائبه أنه ينقع هو والنوشادر فى ماء حتى ينحل ، ثم يكتب بمائه فى قرطاس أبيض ويتركه حتى يجف ، ثم يبخر بلبان فيظهر عجيبا ، وهذا سر لحفظ السر ، وقد أمر عليه السلام بالتبخر باللبان ، وقال ﷺ « الكندر طيبى وطيب الملائكة» وقال ﷺ «عليكم باللبان فامضغوه فانه يمسح الحزن من القلب ، ويشد القلب ، ويزيد فى العقل ، ويذكى الذاهن ، ويخلف الذاهب ويذهب النسيان» ويروى « عليكم باللبان فامضغوه فانه يذهب بالبلغم ، وهو بخور الأنبياء . ولا يصعد إلى السماء إلا ريحه ، والبيت الذى يبخر به لا يدخله شيطان ثلاثة أيام » وقال ﷺ « اطعموا نساءكم الحبالى اللبان فانه يزيد فى عقل الصبى » ويروى « اطعموا حبالاكم اللبان فان يكن فى بطنها ذكر يكن ذكى القلب ، وإن تكن أنثى يحسن خلقها وتعظم عجيزتها » وقال ابن عباس : خذ مثقال كندر ومثقال سكر ودقهما واشربهما على الريق فانه جيد للبول والنسيان — السكر والقند عصارة قصب السكر — والسكر معتدل فى الحرارة واللين نافع لأرباب الامزجة، الملتهبة وقصبه يزيد فى الباه وينفع من السعال، ووجع الصدر — وقال ﷺ « كلوا قصب السكر فانه يهضم الشبعان ويشبع الجائع » وقال ﷺ « بخروا بيوتكم باللبان والشيح» : وقال أبو نعيم —والشيح طعمه مر وريحه طيب ومنابته بالقيعان والرياض . قال غيره وهو حار فى الدرجة الثانية ويابس فى الثالثة يدر البول والطمث وإذا تدخنت به المرأة خرج الجنين، ودخانه يطرد الهوام ، وإذا ضمد به على لسعة العقرب نفع منها ، وإذا شرب ماء طبيخه بعسل قتل الدود في البطن — وقال ﷺ «عليكم بالثفاء فان الله جعل فيه شفاء من كل داء » وقال ﷺ « ماذا فى الأمرين من الشفاء الصبر والثفاء — والثفاء على مثقال القراء الحرف وهو حب الرشاد ويقال الحلف ، وهو حار يابس فى الرابعة ويحلل الرياح وأورام الطحال ، وينقى الرئة من البلغم اللزج ، ويسهل

الطبيعة إذا شرب منه وزن خمسة دراهم مسحوقا بماء حار ، وإن سحق سحقا ناعماً وسف نفع من البرص ، وإن ضمد بهعرق النساء سكن ضرباته ، وإن جعل على الدمل بماء وملح أنضجه ، ويخرج الدود من البطن ، وإن جعل صاحب العلقة شيئا من حب الرشاد فى فمه وتفل عليه نزلت العلقة فيه ، وقال الجوهرى فى صحاحه : الثفاء الخردل ونحوه . حكاه الهروى عن الليث . وهو أيضا حار يابس فى الرابعة نافع من وجع الطحال والأوجاع الحادثة من البلغم والسوداء وإن دق وعجن وديف بماء وعسل واكتحل به جلا غشاوة العين ، وإذا دق وقرب من المنخرين حرك العطاس وحرك المغمى عليه من الصرع ، وعن ابن عمر رضى الله عنه . أنه ينفع من تقطير البول خردل يعجن بعسل ويبندق ويؤخذ كل يوم منه على الريق وزن ثلاثة دراهم . والصبر معروف عصارة شجر . ويقال له صبر سوقطرى وهو حار فى الثانية يابس فى الثالثة ينقى المعدة والرأس والمفاصل من البلغم ويسهل الطبيعة ويفتح سدد الكبد ويذهب اليرقان ويلصق القروح البطيئة الاندمال وإذا ديف بالماء أذهب الورم فى الأنف والعينين ويسكن حكة العين والمآقى ومنافعه كثيرة . وقال ﷺ فى المحرم يشتكى عينه « يضمدها بالصبر» وقالت أم سلمة : دخل على النبى ﷺ حين توفى أبو سلمة وقد جعلت فى عينى صبرا ، فقال « ماهذا ؟ » فقلت إنما هو صبر ليس فيه طيب . فقال « إنه يشب الوجه » أى يحسنه ويلونه ويوقرد . وقال ﷺ « ضحكت الارض فأخرجت الكبر » وهو الاصف . قال أبو نعيم : قال ابن الأعرابى الاصف صغير الخصر شجر حار يابس فى الثالثة وأقواه خا أصوله ثم ثمره ثم ورقه ثم زهره ومنه سهلى وجبلى . وقال فى شمس العلوم : الأصف هو اللصف ، وإذا خلط بدقيق شعير وضمد به على الطحال نفع ، وإذا علق ورقه على امرأة لم تحبل مادام عليها ورقه وأصله يحلل الخنازير والأورام الصلبة ، وإذ خلط بماء حار

وعسل نفع من النقرس وضعف الأوراك وإذا أخذ شيء من أصوله مع كف خردل ودق كل واحد منهما وحده ثم خيضا بالماء وطلي على خرقة وألزقت على الطحال نفع منه — وقال ﷺ «كلوا الهندباء فانه ليس بشيء من الأيام يوم إلا وقطرات من الجنة تقطر عليه» ومر ﷺ بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها فبرأت . فقال ﷺ «بارك الله فيك انبتي حيث شئت فأنت شفاء من سبعين داء أدناها الصداع» وكان ﷺ يحب من البقول الهندبا ، والبقلة الحمقاء» — الهندبا يمد ويقصر بقلة من أحرار البقول وهي ضربان : أهلي وبري . فالبري هو الذي تسميه الأطباء الطرخشوف والعامة تسميه المرار، وهو بارد في أول الدرجة الاولى يابس في آخرها ، والأهلي : صيفي وشتوي ، والصيفي بارد يابس يبسه أكثر ، والشتوي أكثر برودة وأقل يبساً ، والمستعمل عصارتها .

والبقلة الحمقاء هي الرجلة وتسمى الفرفخ وعندنا الحرقب ، وهي بقلة حريفة باردة لينة تبرد حرارة الأورام وتنفع الصفراء وكثير من الأدواء وتجعل على الثآليل فتذهبها وتنفع لوجع الضرس إذا مضغت في إبانها ، وإذا غمست في عسل ومضغت نفع من السلاق — وقال ﷺ «كل الكرفس فانها بقلة الأنبياء ، وهي طعام الخضر والياس عليهما السلام» — والكرفس بفتح الكاف والراء وسكون السين وبفتحها بقلة من أحرار البقول وهي تفتح السدد وتذكي القلب وتورث الحفظ وتطرد الجنون والجذام والبرص ، والمداومة على أكله تزيل البخر — وقال ﷺ «شكى نبي من الأنبياء إلى الله تعالى جبنا — أي خوفا — في قومه فأوحى الله إليه أن مرهم ليستفوا الحرمل فانه يزيد الرجل شجاعة» ويروى أن فيها شفاء من اثنين وسبعين داء فتبخروا بها . والحرمل بفتح الحاء والميم شجر وهو حار يابس في الدرجة الثالثة يدر البول، ويخرج دود البطن ، وينفع من عرق

النساء ، ويحل رياح الدماغ والقولنج ، قال فى شمس العلوم وهو ضرب من النبات تسميه أهل اليمن الحرمل الشامى وهو نبت ينبت فى الأودية والبلاد الحارة له أغصان قدر ذراعين ، ورقه أخضر ، وزهره أبيض ، وله حب كحب الحنطة فى قرون كقرون اللوبيا وهو حار رطب ،

ويروى أن فاطمة رضى الله عنها عمدت إلى حصير فأحرقته وألصقته على جرح النبى ﷺ ليستمسك الدم فاستمسك ، — وكان هذا الحصير يعمل من البردى ، وهو ورق ينبت فى المياه ، وسطه عسلوج طويل أخضر إلى البياض ، وهو بارد يابس ولرماده قوة فى حبس الدم ، وإذا نفخ فى أنف الراعف قطعه ، وأبلغ شىء يقطع دم الفصاد ، ثم يسحق ويجعل عليه. وقال ﷺ «أخضبوا بالحناء فانه يزيد فى شبابكم وجمالكم ونكاحكم» وكان يستعمل الحناء إذا وجد فى رأسه حرارة ، ولا تصيبه قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شكا أحد إلى رسول الله ﷺ وجعاً فى رأسه إلا قال له احتجم ، ولا وجعاً فى رجليه إلا قال له اخضب رجليك. وقال على رضى الله عنه : الحناء بعد النورة أمان من الجذام. ذكر هذا كله الحافظ أبو نعيم فى كتاب الطب بأسانيده، وأورد فى ذلك وغيره أحاديث كثيرة مسندة ، وأكثر ما فى هذا الباب من كتابه رحمه الله .

وقال ﷺ «الخضاب بالحناء يجلو البصر، ويطيب النكهة، ويطرد الشيطان» الحناء معتدل الحرارة وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه . ويقوى الرأس وينفع حرق النار إذا صب طبيخه على الموضع ومن خاصيته الترطيب والتبريد والتليين ، وفيه قبض يشد الأعضاء . وإذا عجن بالسمن وضمد به جرب متقرح المزمن برءه . وإذا دق زهره مع خل سكن صداع الرأس . ونفع من الورم الحار ضماداً ، ومن قروح الفم والقلاع فى أفواه الصبيان إذ مضغ ، ولونه درى محبوب — وقال

ﷺ فى جلد متية « يطهره الماء والقرظ » ـ خص القرظ بذلك لانه حريف يعمل فى نزع الفضول واذا نقع ورقه وثمره فى ماء أياما ثم طبخ حتى ينفسخ ثم صفى الماء وأعيد على النار حتى ينعقد ربه نفع ذلك من الحمرة والنملة والأورام الحارة والشقوق والداحس ويقطع سيلان الدم وسيلان الرطوبة من الرحم ويزيد نتو المقعدة والرحم البارزة الى خارج. واذا شرب عقل الطبيعة . وهو بارد فى الأولى يابس فى الثانية وكذا صمغه . وقال ﷺ « عليكم بالهليلج الأسود فانه من شجر الجنة ، طعمه مر وفيه شفاء من كل داء » ـ الهليلج الأسود حب شجرة وهو ضربان اسود انتهى نضجه وهو بارد يابس فى الأولى ، وأصفر وهو بارد يابس فى الثانية ـ وقال ﷺ « كلوا اليقطين فلو علم الله شجرة أخف منها لأنبتها على أخى يونس ، فاذا اتخذ أحدكم من اليقطين مرقا فليكثر فيه من الدباء فانه يزيد فى الدماغ وفى العقل » ـ واليقطين هو الدباء وهو بارد رطب ولا يقرب الذباب مارش بماء ورقه ذكره الجوزى . وقال كعب شكا نبى من الانبياء الى الله تعالى الصداع فأوحى الله تعالى اليه أن يأكل القرع باللبن ، والقرع هى الدباء ـ وقالت أم سلمة كنا نطلى وجوهنا بالورس من الكلف ـ الورس حار يابس وهو صبغ أصفر فى اليمن يتخذ منه طلاء للوجه فيحسنه ويذهب الكلف والبهق الابيض والحكة ـ وقال ﷺ «الكمأة من المن ماؤها شفاء للعين وهو شفاء من السم » ويروى « عليكم بماء الكمأة الرطبة » . وقال أبو هريرة : أخذت ثلاثة أكمؤ أو خمسا أو سبعا فعصرتهن فجعلت ماءهن فى قارورة وكحلت منه جارية فبرأت ـ الكمأة جمع كمء . وهو نبات يخرج فينفض الأرض ، مستدير الأوراق يؤكل بعد أن يشوى وتسمى بنات الرعد لأنها تكثر به ؛ وهى باردة رطبة تنفع من ضعف البصر اذا اكتحل بمائها واذا دقت بماء وخضب به الشعر نفع من ابتداء الصلع العارض قبل وقته لكن منها صنف قتال يحدث أكله الاختناق ـ وقال ﷺ « الحوك بقلة طيبة كأنى

أراها نابتة فى الجنة ، والجرجير بقلة خبيثة كأنى أراها نابتة فى النار » وقال ابن عباس رحمه الله: فى قوله تعالى(ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة):انها الكشوت. وقال أنس رضى الله عنه : هى الحنظل . وقال تعالى (والشجرة الملعونة فى القرآن) هى شجرة الزقوم . وقال ﷺ « الجبن دواء ، والجوز داء ، فاذا اجتمعا صارا شفاءين» وعد ابن عباس مما يورث النسيان التفاح .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « شكا نبى من الانبياء إلى الله تعالى قساوة قلوب قومه فأوحى الله اليه وهو فى مصلاه أن أمر قومك يأكلوا العدس فانه يرق القلب ويدمع العين ويذهب بالكبرياء وهو طعام الابرار» . ـ العدس بارد يابس يهيج الريح ويكثر المرة والدم ويسمى البلس واذا صب ماء طبيخه على دقيق الدخن وأنعم عجنه وضمد على السرة نفع من وجع البطن .وسيأتى فيه حديث فى الباب الخامس ان شاء الله تعالى ـ وقال ﷺ «من أكل فولة بقشرها أخرج اللهعنه من الداء مثلها» ـ الفول الباقلاء ـ وعنعلى أنهقال : منأراد أن لا يؤذيه الباقلا فليأكله بقشره .

القول فى المعادن وهى أشياء : منها الملح وقد ذكر ، والجبلى أفضل ، ومنها الاثمد قال ﷺ « عليكم بالاثمد عند النوم فانه يجلو البصر وينبت الشعر » . ويروى « ويذهب بالدمع » وكانت لهﷺمكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة فى هذه ، وأربعة فى هذه ، وقيل ثلاثة فى كل عين وهو الأصح . قال أبو عبيد : ويسمى الاثمد الجلاءلأنه يجلو البصر ويقويه ، ويجلو الوجه ويحسنه ؛ وقال ﷺ « عليكم بالاثمد فانه منبتة للشعر ، مذهبة للقذى ، مصفاة للبصر » .ـ والاثمد بارد يابسفى الرابعة .

ومنها الذهب والفضة ؛ يروى أن عرفجة أصيب أنفه فتخذ أنفا من ورق ، فأنتن عليه فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفا من ذهب — الورق الفضة. وهىباردة

يابسة باعتدال . والذهب موافق للأجساد حتى انه إذا كوى به الجسد لم يتنفط مكان كيه وأسرع برؤه وهو لا يبليه الثرى ولا يصديه الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار .

ومنها الحديد ومنفعته ظاهرة . قال الله تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وهو محتاج إليه كل ذى حرفة ، وطبعه بارد يابس ، وإذا أحمى وأطفى فى ماء نفع من ورم الطحال وضعف المعدة والاسهال والهيضة ، وخبثه بارد يابس أيضا إذا أخذ معه قشر الكندر ، ونقع فى شراب قابض وشرب منه قبل الطعام وبعده قطع الطمث ، وقيل يقطع الطمث ويحسن اللون ويذهب الصفار ، وقد أمر النبى ﷺ بالتختم بالعقيق ، قال فى شمس العلوم : ومن تقلده أو تختم به سكنت عنه حدة الغضب ، وإذا لبس منه ما كان غير صافى الحمرة على لون غسالة اللحم وفيه خطوط بيض نزف الدم من أى موضع كان . وكان لعائشة رضى الله عنها عقد من جزع ظفار — الجزع معروف ، وإذا لف بشعر امرأة أسرع ولادتها . ويروى أن الملائكه تنفر من ريح النحاس وهو الصفر . قال الأطباء : ولا ينبغى أن يأكل فيها فمن أدمن الأكل فيها أصابته أدواء كثيرة كوجع الكبد والطحال . ومنه فى الحديث أن رجلا دخل على النبى ﷺ وفى عضده حلقة أو خاتم من صفر فقال ماهذا ؟ قال له من الواهنة ، فقال له انها لاتزيدك إلا وهنا أى ضعفا — والواهنة عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها . قال الهروى : وهى تختص بالرجال دون النساء . وقد كان للنبى ﷺ قدح من قوارير يشرب فيه . وقال ﷺ « غبار المدينة يبرىء من الجذام » وجاء إلى النبى ﷺ رجل فى كفه وضح فقال ﷺ : « انظر بطن واد لا منجد ولا متهم فتمعك فيه » ففعل فلم يرشيئا حتى مات وأراد واديا لا احدا من نجد وحداً من تهامة . وروى « تنكبوا الغبار فمنه تكون النسمة » —

وهى الربو الذى لايزال صاحبه يتنفس نفساً ضعيفا — وقال ﷺ « التراب ربيع الصبيان » وقال لعائشة « لا تأكلى الطين فانه يغير اللون ويعظم البطن ويعين على القتل ، من بات وفى بطنه مثقال من طين أكبه الله فى النار » .

﴿ فصـل ﴾ روى أن النبى ﷺ كان يطلى بعيره بالقطران من الجرب . وفى هذا دليـل على مداواة البهائم — والقطران هو الهناء وهو حار يابس فى الرابعة ، ويسمى حياة الميت ، وإذا استنشق نفع من الوباء ، وإذا لطخ على الحلق نفع من الخناق ، وإن لتت به فتيلة وأدخلت الأذن قطع مدتها ، وإن قطر فيها قتل الدود والهوام الداخلة فيها ، وهو يطرد الهوام وإن جعـل فى بيوت النمل قلعها ، وإذا احتملته المرأة بصوفة أفسد النطفة وقتل الاجنة وأخرج الميتة ، وإن جعل مع جوف العفص على الضرس المتأكل نفعه

القول فى المساكن : وقد مضى فى الباب الثالث قسم منها وأنه ﷺ نهى عن مواضع الوباء ولما نزل المدينة وكانت شديدة الوباء دعا الله أن ينقل وباءها إلى مهيعة وهى الجحفة ، فيختار سكن البرارى لصحة هوائها . قال أهل الطب : ونسبة هواء المدن إلى هواء البرارى كنسبة الماء الغليظ الجوهر الكدر الى الماء الصافى ، وذلك لأن هواء المدن راكد لارتفاع مبانيها وكثرة ما يتحلل من فضلات ساكنيها ، وجيف دوابهم والشرف المرتفعة على التلال والجبال القليلة المياه والشجر أفضل ، فاذا لم يكن بد من سكنى المدن فليسكن المكشوفة الآفاق ، ويسكن أطرافها ومما يلى الشمال أفضل ولتكن مجالس السكنى عاليـة البنيان ، واسعة الفناء ، تخترقها ريح الشمال ، وتدخلها الشمس لتلطف هواءها وليبعد عنها المستراحات ما أمكنه .

﴿ فصل ﴾ فى السواك والخلال : قال ﷺ « فى السواك عشر خصال ، مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، ومسخطة للشيطان ، ومحبة للحفظة ، ويشد اللثـة ،

ويطيب الفم ، ويقطع البلغم ، ويطفئ المرة . ويجلو البصر ، ويوافق السنة » وقد تقدم فيه زيادة فى آخر القسم التاسع والثلاثين . وقال ﷺ « نعم السواك الزيتون ، من شجرة مباركة تطيب الفم ويذهب الحفر ، هى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى » وقد مضى فصل فى القسم السابع والثلاثين فى الخلال من الباب الماضى . وقال ﷺ « لا تتخللوا بقضيب آس ، ولا بقضيب ريحان ، فانى أكره أن يحركن عرق الجذام » ويروى أنه نهى يستاك أو يتخلل بعود الآس والرمان وقال انه يحرك عرق الجذام ، ونهى عن التخلل بالتين والطرفا والقت والورد ، ثم قال ﷺ « ومن لم يتجنب هذه فأصابه سوء فلا يلومن إلا نفسه » ويروى أن رجلا تخلل بالقصب فتغر فمه — أى ورم — فنهى عمر عن التخلل بالقصب . وروى أن التخلل بعود الطرفا يورث السل .

﴿ فصل ﴾ وغسل اليد بعد الطعام متأكد، وقد مضى ذكره وسيأتى دليله فى الباب بعد هذا ان شاء الله تعالى . وقال ﷺ « إن الشيطان جساس لحاس فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفي يده ريح غمز فأصابه شىء . ويروى « لمم فلا يلومن إلا نفسه » ويروى « من أكل غمزا ولم يغسل يديه فعرض له عرض فلا يلومن إلا نفسه » — قال جعفر الصادق العرض هنا الجذام

﴿ فصل ﴾ كل الأيام صالحة لتقليم الأظفار الا عشر عرفة للمضحى . وقال ﷺ « من قلم أظفاره يوم الجمعة كان أمانا له من الجذام » ويروى « حفظ من الجمعة إلى الجمعة » وعن حميد بن عبد الرحمن : من قص أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه الداء ، وأدخل فيه الشفاء ونحوه عن ابن عباس . وقال ﷺ « يوم السبت يوم مكر وخديعة ، والاحد يوم غرس وبناء ، والاثنين يوم سفر وطلب رزق ، والثلاثاء يوم حرب وبأس ، والأربعاء يوم لا أخذ فيه ولا عطاء ، والخميس يوم دخول على السلطان وطلب الحوائج ، والجمعة يوم خطبة ونكاح »

قلت : وقد روى أن النور خلق يوم الاربعاء قال لانه يوم نحس على الكفار فيكون سعداً على المؤمنين .

﴿فصل﴾ وقال ﷺ « لا تطيلوا القعود في الشمس فانها تظهر الداء الدفين » وقال ﷺ « لا تطيلوا الجلوس فى الشمس ، فان الشمس تغير اللون ، وتقبض الجلد ، وتبلى الثوب ، وتبعث الداء الدفين » وقال على لرجل رآه فى الشمس قم عنها فانها مبخرة مجفرة ، تنقل الريح وتبلى الثوب وتظهر الداء الدفين . وقال ﷺ « استقبلوا الشمس فى الشتاء بوجوهكم فانها بكم برة ، تخرج الداء من الجوف والصداع من الرأس » ونهى أن يقف الرجل بعضه فى الظل وبعضه فى الشمس وقال لرجل شكى اليه النقرس « كذبتك الظهائر » أى عيك بالمتى فيها . وشكى رجل إلى عمر المعص فقال : كذب عليك العسل ، أى عليك بسرعة المشى اليه — والمعص التواء فى العصب — . وشكى قوم إلى النبى ﷺ العيافى المتى فقال « عليكم بالنسلان » فنسلوا فخفت أجسادهم وقطعوا الأرض . وفى حديث آخر أن قوما شكوا الضعف فقال « عليكم بالنسل » — يقال : نسل فى المشى اذا سارع وقارب الخطوة—

﴿القول﴾ فى الحجامة : قال ﷺ « خير الدواء الحجامة والفصاد » وقال ﷺ « الحجامة على الريق تزيد فى العقل ، وتزيد الحافظ حفظا » ومن احتجم فى يوم الخميس أو الاحد كذلك يوم الاثنين والثلاثاء فانه يوم دفع ا‌ . فيه عن أيوب البلا ، وضربه يوم الاربعاء ، لا يبدأ بأحدكم داء من جذام ولا برص لا يوم الأربعاء وليلة الاربعاء . وقال « الحجامة فى الرأس شفا من سبع أدواء لصاحبها من الجنون ، والجذام ، والبرص ، والنعاس . ووجع الأضرس . والصدع ، والظلمة يجدها فى عينيه » وقال عليكم بالحجامة فى جرزة القمحدودة فانه شفاء من اثنين وسبعين داء من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس ،

— القمحدودة فاس القفا التي اذا استلقى الانسان أصابت الارض من رأسه—
وقال ﷺ « استعينوا على شدة الحر بالحجامة » وقال ﷺ « نعم العبد الحجام يذهب الدم ويخفف الصلب ويجلو البصر » ونهى عن الحجامة في النصف الأول من الشهر ، وأمر بها في كل النصف الآخر. وقال ﷺ « من احتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين كان شفاء من كل داء » وقال « احتجموا لسبع عشرة أو تسع عشرة أو إحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم » وقال « إن في الجمعة لساعة لا يحتجم فيها أحد إلا مات » وقال « إن يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم » وقال « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من الشهر أخرج الله منه داء السنة » وقال « من احتجم أو اطلى يوم السبت أو يوم الاربعاء فأصابه برص فلا يلومن الا نفسه» قال الغزالي : وما أعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب ولا يصدق المصطفى صلى الله عليه وسلم المكاشف بأسرار الملكوت ، فلو أن المنجم قال لك إذا كان يوم كذا أصابتك مصيبة فاحترز ذلك اليوم لم تزل خائفا مستشعراً . ويروى لك حديث النبي ﷺ فتقول ضعيف ، أو لعله لا يكون كذلك وهـذا نوع من الشرك . وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا حديث ضعيف فبرص وعظم عليه ذلك فرأى النبي ﷺ في نومه فشكا اليه فقال « لم احتجمت يوم السبت ؟ » فقال لان الراوي ضعيف . قال : أليس قد نقل عني ؟ قال قد تبت يا رسول الله فأصبح وقد زال مابه . وقد احتجم ﷺ وهو محرم من رهصة أصابته ، واحتجم على وركه من وثي كان به ، ويروى من شقيقة كانت به وهو صائم .

القول في الكي والتكميد : يروى أن النبي ﷺ أتى بسارق فقال اقطعوه ثم احسموه — أي اقطعوا عنه الدم بالكي . والحسم كي العرق بالنار لينقطع الدم — والكي يقطع الدم ويجفف الرطب ويسخن البارد ويشد الرخو وقد كوى رسول

الله ﷺ أسعد من الشوصة — وهي ورم في حجاب الاضلاع من داخل — وكواه في حلقه من الذبحة وهي وجع الحلق — وبعث ﷺ الى أبي بطبيب فكواه وفصده في العرق، وكوى أبو عبد الرحمن السلمى غلاما له وقال: هو دواء العرب. وكوى أنس من اللقوة — وهي داء يصيب الوجه وعلامته إذا رام تغميض عينيه نقيت التي في الجانب الصحيح مفتوحة، وكوى ابن عمر من اللقوة أيضا ورقى من العقرب، واكتوى خباب سبع كيات وأتى ﷺ برجل نعت له الكي فقال اكووه وأرضفوه — والرضف الحجارة تسخن ثم يكمد بها — . وقال ﷺ «مكان الكي التكميد، ومكان العلق السعوط» وعاد ﷺ سعيد بن العاص من القولنج فكمده بخرقة» — أي سخنه — ويروى بخرقة فيها ملح وشعير مشوى. وقال ﷺ «الشفاء في ثلاثة، شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار. وما أحب أن أكتوى» وهذا الحديث من بديع الطب، لان الأمراض الامتلائية دموية، أو صفراوية، أو بلغمية، أوسوداوية، فما كان دمويا فشفاؤه إخراج الدم، وما كان من الثلاثة فشفاؤه الاسهال بالمسهل اللائق بكل خلط منها، فكأنه ﷺ عبر بالعسل عن المسهلات، وبالحجامة عن إخراج الدم بها وبالفصد ووضع العلق وغيرها، وأخر الكي لأنه يستعمل عند عدم نفع المشروبة ونحوها، فقوله ماأحب أن أكتوى إشارة إلى تأخير العلاج بالكي حتى يضطر إليه.

القول في السعوط واللدود والمشي والعلق. قال ﷺ «إن خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي» ويروى «والعلق» ويروى «اللدود أحب إلي من الاعلاق» فالسعوط صب الدواء في الأنف، واللدود صب الدواء في جانب الفم، والمشي الاسهال، سمي بذلك لانه يكثر المشي إلى المتوضأ — والاعلاق العلق يجعل في محجمة فيمتص الدم.

باب منافع الصلاة والقراءة والصوم والصدقة: قد مضى في أقسامها ما يكفي

ى بيان فضلها وانها جامعة لخيرى الدنيا والآخرة وقال ﷺ « من كثرت قراءته بالنهار كثر جماعه بالليل » وسيأتى فى الباب السادس والسابع من منافع آيات ودعوات ما تقر به العين إن شاء الله تعالى . وقال ﷺ من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار ». وقال أبو هريرة: قال لى النبى ﷺ، اشكبندردم[1]؟» قلت نعم ، قال « قم فصل فان الصلاة شفاء » .

ففى هذا فائدتان ، إحداهما تكلمه بالفارسية ومعناه أتوجعك بطنك ، والثانية أن الصلاة شفاء وهى تبرىء من ألم الفؤاد والمعدة والامعاء وكثير من الآلام وكثرة الصلاة والتهجد تحفظ الصحة لانها مشتملة على انتصاب وركوع وسجود وغير ذلك فيتحرك معها أكثر الاعضاء لاسيا المعدة والامعاء، والسجود الطويل ينفع صاحب النزلة والزكام ويمنع انصباب النزلة إلى الحلق ، وهو معين على فتح سدة المنخرين فى علة الزكام ، وهو يعين على نفض الأخبثين وحدر الطعام عن المعدة والامعاء وتحريك الفضول وغير ذلك . فان حصل فى الصلاة خشوع ونية صالحة وخضوع حصل فيها خيرات الدنيا والآخرة ، وفضائل النفس والجسد وهى تسر النفس وتمحق الهم والحزن ، وتزيل الأمل الخائب ، وتكشف الوهم الكاذب ، ويصفو فيها الذهن ، ويتفرغ البال، وهى تطفىء نار الغضب وغير ذلك من فوائد الدنيا والآخرة التى لا تحصى . كذا ذكره بعض العلماء رضى الله عنهم. وقال ﷺ « عليكم بالصوم فانه محسمة للعروق مذهبة للاشر » وقال لعبد الله بن عمرو حين ذكر قيام الليل وصيام النهار قال « إذا فعلت ذلك هجمت عيناك — أى غارت ودخلت — ونفهت نفسك » — أى أعيت — وقال للنساء : « إذا جعتن دقعتن وإذا شبعتن خجلتن » — الدقع الخضوع ، والخجل الكسل — وقيل البطر. وقال ﷺ « داووا مرضاكم بالصدقة »

---

(١) فى ن: اشكنبدرد . وفى الثالثة اشكندردم

القول فى الحمام : قال ﷺ « غسل القدمين بالماء البارد عند الخروج من الحمام أمان من القولنج والصداع » ويروى « أمان من النقرس » وعن ابن عمر : نعم البيت الحمام ، ينقى الوسخ ويذكر النار . وقال ثعلبة بن سهل : الحمام جيد للتخمة . وقد دخلت عائشة رضى الله عنها حماماً لسقم بها . وقيل : بولة فى الحمام قائماً فى الشتاء أنفع من شربة دواء ، ونومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء . ويكره صب الماء البارد على الرأس وشربه بعد الخروج منه ، وسيأتى فيه زيادة كلام فى القسم السادس من الباب الآخر إن شاء الله تعالى .

القول فى الاستقاءة : يروى عن أنس أنه كان إذا وجد شيئاً خلط من هذه الأطعمة ثم استقاء ، وقال وجدته نافعا .

القول فى الرقى والتمائم والسحر والنشرة : يروى أن النبى ﷺ استؤذن فى رقية فقال « من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل » وفى حديث آخر أنه ﷺ قال « إن الرقى والتمائم والتولة من الشرك » أراد بالرقى ماليس بلسان العربية مما لايدرى ماهو لأنه ﷺ قد رخص فى الرقية من العين والحمة ، والنملة ، وهى قروح تخرج فى الجنب ، ورأى جارية فى وجهها سفعة — أى صفرة تضرب إلى السواد : فقال « استرقوا لها فان بها النظرة — يعنى العين من نظرة الجن — والتمائم خرزات وسيور كانت العرب تعلقها فى أولادهم يتقون بها العين بزعمهم ، فنهى عنه النبى ﷺ وقال « من تعلق شيئاً وكل إليه والتولة بكسر التاء ويجوز ضمها الذى يحبب المرأة إلى زوجها وهو من السحر . والتأخيذ تبغيضها إليه . قالت امرأة لعائشة : أقيد جملى ؟ قالت : نعم ! فقالت : قيد جملى ؟ فلما علمت ماتريد قالت : وجهى من وجهك حرام . أردت بجملها زوجها وتقييده إن تأخذه عن النساء بالسحر وهو حرام — قال العلماء : والسحر حقيقة وتأثير فى الأجسام ، وقد يقتل كثيراً . ويفرق به بين الزوجين ، وقد

يكون فعلا كالتدخين ، ويكون قولا كالرقية وهو من الكبائر .

وقد سحر المصطفى ﷺ حتى كان يخيل له أنه يفعل الشيء ومايفعله ، وأنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، فأتى ﷺ فى النوم فقيل له : إنك مطبوب من فلان ، وإنه فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان ، فذهب ﷺ فاستخرجه منها وكان ماؤها نقاعة الحناء ، وأمر بالبئر فدفنت

ومرضت عائشة فقال لها سندى : إنك مطبوبة ـ يعنى مسحورة ـ فقالت من طبنى ؟ قال امرأة من نعتها كذا وكذا ، وقد بال صبى الآن فى حجرها فنظرت عائشة فاذا هو نعت مدبرتها فسألتها فأقرت ، ثم أريت عائشة فى النوم أن اغتسلى من ثلاثة أبيار يمد بعضها بعضاً فانك تشفين ، فوجدت بوادى قناء فاستقى لها من كل بئر فاغتسلت به فشفيت قال أبو عبيد : وفى حديث رسول الله ﷺ حين قال « لعل طباً أصابه » يعنى سحراً ، ثم نشره بقل أعوذ برب الناس . وذكر فى الشفاء أن رسول الله ﷺ تنشر . وروى البخارى جواز ذلك عن ابن المسيب وغيره وأجازه الطبرى وغيره — والنشرة بالضم هى ضرب من العلاج وهو مايتخذه المعروضون بالجنون والصروع من أدوية يجعلونها فى إناء ويوقدون النار تحتها وغير ذلك مما يتعاطونه .

وكان ابراهيم النخعى يأمر بنشرة من الحمى أن يؤخذ دلو جديد فيجعل له عرقوتان من جريدتين ذكر وأنثى — يعنى النخل الذكر والأنثى — ثم يملأ من ماء ينزع من البئر ويجعل فيه سبع تمرات عجوة ، وتجعل عليه جريدة ثم يعلق تحت النجوم ، فإذا أصبح اغتسل به يفعل ذلك ثلاث غدوات متواليات

ويروى أن قوماً مروا بشجرة فأكلوا منها فكأنما مرت بهم ريح فأخمدتهم فقال ﷺ « قرشوا الماء فى الشنان — أى بردوه — وصبوه عليهم فيما بين الأذانين » — أى الفجر أذان والاقامة — وقال أبو عبيد الشنان الاسقية

والقرب الخلقان خصها دون الجدد لأنها أشد تبريداً . قال وهـذا الفعل شبيه بالنشرة ، ورد رخصة فى غير اصابة العين

قلت : وسيأتى فى الباب الذى بعد هذا القول فى العـين مستقصى وكيفية الاغتسال منها إن شاء الله تعالى .

القول فى البضاع والولادة والرضاع: قال النبى ﷺ « إذا أعجب أحدكم بامرأة فليأت أهله فان ذلك يرد من نفسه » وقال ﷺ « من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء » — الباءة والباه الجماع — قال الشاعر :

والباه مثل الباء يخـ ـفض للدناءة أو يجر

ففى هذا حض على النـكاح وندب اليه ، وقد كان الأنبياء عليهم السلام كثيرى التزويج . كان لسليمان بن داود عليه السلام سبعمائة مهرية وثلثمائة سرية ، وكان لداود عليه السلام مائة زوجة ، وكان نبينا محمد ﷺ يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة وهن إحدى عشرة امرأة ، وقد أعطى ﷺ قوة أربعين رجلا . ثم إن منافعه كثيرة، إذا كان به هم سرى عنه وإذا كان قلبه متعلقاً بالحرام زال عنه ذلك ، ويزول به الوسواس عن القلب ، ويسكن الغضب ، وينفع من القروح فى النفس لمن طبيعته الحرارة .

ويقال : كل شهوة يعطيها الرجل نفسه فانها تقسى قلبه إلا الجماع . قالوا : وقد يؤدى تركه إلى الصداع والصرع والماليخوليا ، وهو اختلاط الذهن وكثرة الهذيان والغم والتخيلات والافـكار الردية ، وقد يحدث من تركه مع كثرة الشهوة مايعمى عين القلب ، ويسد على الفـكر بابه ، وعلى الدين أسلوبه . ويحدث سوء تدبير وقد يبرىء استعماله من هذه الأمراض ، وكثرته فى الصيف والخريف أكثر ضرراً ، وفى الشتاء والربيع أقل ضرراً ، ومن مضاره أنه يضعف

البدن والبصر ، ويحدث منه وجع الظهر والرأس سيما لمن طبيعتـه البرودة أواليبوسة ، وكثرته تضعف الـكلى وتيبس الدماغ وتضر بالروح . قال معاوية ابن أبي سفيان : إدمان النـكاح فناء العمر . وسئل عنه مالك فقال : هو نور عينيك ، ومخ ساقيك،فأقلل منه أوأكثر . ويقال إن وقاع العجوز يضعف ويسرع الهرم ، ووقاع المريضة يورث المرض إلا لشبق مفرط ، والوقاع حال خلو المعدة أقل ضرراً ، وحال امتـلائها أكثر ضرراً ، ويظهر ذلك فى الولد ، وهو على الامتلاء يورث القولنج والفالج والنقرس والحصاة ، والوقاع قائماً يضعف البدن ، وقاعداً يورث وجع الـكلا والمثانة والبطن ، وعلى الجنب الأيمن يضعف الـكلا ، وعلى الأيسر يورث ورم الرئة ، والاسراع يورث الفالج واللقوة . وينبغى لمن يريد الولد أن يكونا فى موضع نظيف طيب الرائحة خفيفى المعدة جافين عن الرطوبة ، ويلتفا بثوب واحد ، فاذا فرغا تركه عليها . وتوقع المرأة نفسها على أحسن إنسان تعرفه وتضمره فى قلبها ذلك الوقت حتى يصـير فى داخل ضميرها كأن ذلك الانسان بين يديها تبصره . قال الغزالى فى كتاب الأربعـين : عرف بالتجربة أن المجامع حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرق،أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه مال لون المولود إلى ذلك اللون الذى غلب عليه ، وأن الجنين وقت ما يتحرك فى البطن تميل صورته إلى الحسن إن كانت الأم مشاهـدة تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها . ولذلك أمر النبى ﷺ المباشر عند مباشرته أن يحضر فى قلبه إرادة صلاح المولود ويدعو الله بذلك . هذا كلام الغزالى رحمه الله

وينبغى أن يكون ذلك فى قبل الطهر بعد مداعبة . قال ابن قتيبة : إذا غشيت المرأة فى قبل الطهر ، وأول الشهر ، وعند طلوع الفجر أنجبت . وقد جمعت هذه المعانى فى قول الشاعر :

لقحت فى الهلال عن قبل الطهر   وقد لاح للضياء بشير

قال : وإن الرجل إذا غشيها وهى مذعورة فا كرهها أذكرت فجاءت به لا يطاق . ثم إذا قضى حاجته فلا يقوم قائماً ولا عن يساره بل عن يمينه ويضطجع فانه أصح لجسمه، وأسرع للقاح، ولا يغتسل فوريا فانه يخشى منه الحمى، بل بعد ساعة يسكن فيها تعبه . وقال ﷺ «إن الله تعالى أمرنى أن أعلمكم مما علمنى وأؤدبكم ، لا يكثرن أحدكم الـكلام عند المجامعة فانه يكون منه العمى ، ولا يقبلن أحدكم امرأته إذا جامعها فانه يكون منه صمم الولد » ويروى « النظر إلى الفرج يورث الطمس » أى العمى . قيل عمى الناظر ، وقيل إن حدث ولد كان أعمى القلب أبله . وقال ﷺ « لا تقربوا المرأة وهى حائض فأنه إن قضى بينـكما ولد كان أجذم » وقال ﷺ «لا تغيلوا أولادكم سراً »فان الغيل يدرك الفارس فيدعثره — أى يهدمه ويطحطحه بعد ما صار رجلا ، والغيل أن ترضع ولدها وهى حامل والغيلة الاسم منـه وهو أن يطأ المرأة وهى مرضع — فـكره النبى ﷺ أن يجامع امرأته وهى ترضع ولم يحرمه . وقالت عائشة رضى الله عنها : نظرت الى النبى ﷺ ووجهه يتلألأ ، فقلت لأنت أحق بقول أبى كبير :

ومبرأ من كل غبر حيضة   وفساد مرضعة وداء مغيل

فقال ﷺ « وأنت مبرأة من أن تـكون أمك حملت بك فى غبر الحيض » أى بقيته . وقد ورد نهى عن ذلك فى أوقات مخافة على الولد . فمن ذلك أول يوم من الشهر ، وآخر ليلة منه مخافة الجنون على الولد ، وليـلة الأربعاء أو يومها لئلا يكون قتالا ، وليلة الأحد أو يومها لئلا يكون عاقا ، وليلة النصف لئلا يصرع ، وليلة عيد الفطر ويومها لئلا يكون عقيما ، ولا ليلة الأضحى ويومها لئلا تزيد أصابعه ، ولا آخر النهار فيـكون أحول ، ولا فى المواضع التى تطلع عليها الشمس، ولا يكشف عورتها فى النجوم ولا من قيام فيكون بوالا فى الفراش ،

ولا بشهوة لامرأة غيرها فان الولد يكون مخنثاً ، ولا يمسحا بعد الجماع بخرقة واحدة . وسيأتى فى الباب السادس ما يقال عند الوقاع إن شاء الله تعالى فاعتمد عليه

﴿ فصل ﴾ وقد قال ﷺ « إن جز الشعر يزيد فى الجماع » ويروى « صوموا ووفروا أشعاركم فانها مجفرة » — أى مقطعة للنكاح — ونقص للماء ، ويروى أن رجلا شكى إليه عليه السلام التعزب، فقال له «عف شعرك» ففعل فسكن ما به. وقال مجاهد النطفة تزيد فى الولد. وقال ﷺ «إذا أتى أحدكم أهله فأراد أن يعود فليتوضأ » وقال ﷺ « رفع عن الحبالى الحيض وجعل رزقاً للولد » وقال ﷺ « إن للرجل تسعة وتسعين عرقاً وللمرأة مثل ذلك ، فاذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله تعالى أن يجعل الشبه به » وقال ﷺ « إن الرجل ربما أشبه أخواله والولد لا يكون إلا من الماءين ماء الرجل وماء المرأة ، فماء الرجل يخرج من صلبه ، وماء المرأة من ترائبها وهو موضع القلادة من الصدر ، فمن سبق ماء الرجل أشبهه الولد ، وإن سبق ماء المرأة أشبهها الولد » ويروى أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم وفى أى صورة ما شاء ركبه ، فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم أو غيرهم.

﴿ فصل ﴾ ويروى أن عمر رضى الله عنه مر بامرأة قد ولدت ، فدعا بشربة من سويق وقال اشربى هذا فانه يقطع الحس ويدر العروق — والحس وجع يأخذ النساء عقب الولادة . وسيأتى فى الباب السادس ما يقال عند تعسر الولادة إن شاء الله تعالى ، وفى الباب الأخير ما يقال بعد الولادة إن شاء الله تعالى . قال ﷺ « أشمى ولا تنهكى فانه أنور للوجه ، واحظى عند الرجل » أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن عند الجماع . بيانه قول عائشة رضى الله عنها

لختانة إذا أخفضت الجوارى فلا تستوعبيه فيذهب ماء وجهها ولذة زوجها

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « الرضاع يغير الطباع » وقال ﷺ « لا تسترضعوا أولادكم الحمقى فان اللبن يعدى » ويروى « يشبه عليه » معناه أن المرضعة إذا أرضعت غلاماً فانه ينزع الى أخلاقها فيشبهها . قالوا ويختار أن تكون المرضعة صحيحة الحواس والجسد ظاهراً وباطناً ، معتدلة ، لحيمة، عظيمة الثديين، وتتغذى بالحلوى والسمين والسمك الرطب

﴿ فصل ﴾ ويروى أن النبي ﷺ قال فى نعت الانسان «عيناه هاد، وأذناه قمع، ولسانه ترجمان، ورجلاه بريد، وكبده رحمة ، ورئته نفس ، وطحاله ضحك، وكلوتاه مكر ، والقلب ملك، فاذا طاب طابت جنوده » قال وهب: النفس للدواب وللآدمى وهى حارة ومسكنها البطن ،وفضل الآدمى بالروح وهو بارد ومسكنه الدماغ. ويروى أن الله تعالى قال فى آدم ركبت جسده من رطب ويابس ، وسخن وبارد ، فالماء رطب ، والتراب يابس ، والنفس حارة . والروح بارد . قال الجوهرى رضى الله عنه ، ويقال الجوزى : إن الجنين يكون فى بطن الام معتمداً بوجهه على رجليه وراحتاه على ركبتيه وأنفه بين ركبتيه ، والعينان على الركبتين ، وظهره إلى وجه الأم ، وعظام البدن مائتان وأربعون عظماً سوى السمسمانية والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ قال محمد بن عبيد الله الانصارى : المولود صبى إلى خمسة عشر سنة ، ثم هو شاب إلى ثلاثين ، ثم هو كهل إلى أربعين سنة ، ثم هو شيخ إلى أن يموت . ويروى أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من الحيض؟ فقال لها « خذى فرصة من مسك فتطهرى بها» قال النووى رضى الله عنه : ويقال إن المطلوب منه إسراع علوق الولد ، وقيل غير ذلك . وعن عائشة رضى الله عنها ما تستطيع إحداكن إذا طهرت من حيضها أن تدس بشيء من قسط فان لم تجد

فبشىء من ريحان — تعنى الآس — فان لم تجد فبشىء من نوى — فان لم تجد فبشىء من ملح

القول فى بعض الحيوانات : منها الحمام ، يروى أن رجلا شكى إلى النبى ﷺ الوحشة فقال له « اتخذ زوجاً من حمام » ويروى أن نوحاً عليه السلام لما أرسل الحمامة لتأتيه بخبر نضوب الماء ، فوقعت بموضع الكعبة وكانت طينة حمراء فخضبت رجليها ، فسألت نوحاً أن يهب لها الطوق فى عنقها والخضاب فى رجليها فمسح يده على عنقها وطوقها ، ووهب لها الحمرة فى رجليها ودعا لها وأسكنها الحرم ، وبارك عليها ، فقال : بارك الله فيك وفى نسلك وجعلك محببة أنيسة ، فمن ثم صار الناس تبعث بها فى الكتب وقال : جعل الله فى نسلك شفاء للمريض ، وتحفة للصحيح. ذكره النقاش فى تفسيره. ومنها الديك ، قالت امرأة : يا رسول الله إن ابنتى ما تنام من الفزع ، فقال « اربطى عند رأسها ديكا أبيض » وقال ﷺ « الديك الأبيض الأفرق صديقى وصديق صديقى جبرائيل ﷺ وعدو عدو الله ابليس ، يحرس دار صاحبه وسبع دور » وكان ﷺ يبيته معه فى البيت. ومنها الذباب قال ﷺ « أحد جناحى الذباب داء والآخر شفاء ، فاذا وقع فى الطعام فأمقلوه — أى اغمسوه — فانه يقدم الداء ويؤخر الشفاء » ومنها الحية : قال ﷺ « لا تقتلوا من الحيات الا كل أبتر ذى طفيتين ، فانه يسقط الولد ويذهب البصر » ويروى « اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر » فذو الطفيتين الذى على ظهره خطان يشبهان الطفية وهى خوصة المقل ، والأبتر القصير الذنب من الحيات وغيرها. ذكره أبو عبيد. وسيأتى فى الحيات كلام شاف فى الباب الآخر إن شاء الله تعالى.

قال كعب ورضى الله عنه : لا تديموا أكل الحيتان فانه يورث السل. وقد نهى ﷺ أن يؤكل ما تحمله النملة بفيها وقوائمها. ذكره الحافظ أبو نعيم فى كتابه.

وسمى النبي ﷺ الفأرة فويسقة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : أكل سؤرها يورث النسيان

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ لجارية أصابتها سفعة « استرقوا لها فان بها النظرة » — يعنى العين من الجن — قال ابن عباس : والكلاب من الجن ، فاذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لهن فان لهن أنفسا — يعنى أعينا — ويروى أن امرأة قالت : يارسول الله ان ابنى هذا به جنون يصيبه عند الغداء والعشاء ، فمسح ﷺ صدره ودعا له ، فثع ثعة فخرج من جوفه جرو أسود يسعى فشفى . وقال ﷺ « إن الشيطان لا يخبل أحداً فى بيته فرس عتيق من الخيل المنسوبة »

القول فى العدوى : قال صلى الله عليه وسلم « لا تديموا النظر إلى المجذوم فمن كلمه منكم فليكن على قيد رمح بينه وبينه » وقال ﷺ « لا يوردن ذو عاهة على مصح » وقال ﷺ « لا عدوى ولا طيرة ولا صفر ولا هامة ، وفر من المجذوم فرارك من الأسد » قال فى البيان أجرى الله العادة بأن يخلق الداء عند ملاقاة الجسم الذى فيه الداء ، ومعنى قوله لا عدوى أى هذه الأدواء لا تعدى بأنفسها وطباعها كما قالت الملحدة ، ويروى « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول » فالهامة هو قول العرب إن عظام الموتى تصير هامة فيخرج منها طائر يطير يقال له الصدى فأبطله ﷺ ، والصفر حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهى عند العرب أعدى من الجرب تشتد على الانسان إذا جاع وتؤذيه فأبطل النبي ﷺ أنها تعدى ، والغول ساحرة الجن تتغول للآدميين فى الفلوات ومواضع النجاسات — أى تتلون لهم فتهلكهم — فأبطل النبي ﷺ فعلها بنفسها ، وقوله اذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان ، دليل على وجودها ؛ وكذا ما ذكره الترمذى رحمه الله فى حديث الذى كان يأخذ من بيت الصدقة أنه الغول دليل على ذلك والله أعلم ويروى أن عمر رضى الله عنه خرج الى الشام بأمراء الأجناد فأخبر

أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين فاختلفوا عليه ، ثم الانصار فاختلفوا عليه ، ثم مشيخة قريش فقالوا : نرى أن ترجع بالناس عن الوباء ، فرجع عمر بالعسكر ، وقال : نفر من قدر الله إلى قدر الله . فجاءه ابن عوف قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا سمعتم به — يعنى الطاعون — بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه ، فحمد الله عمر ثم انصرف.

﴿ فصل ﴾ وروى الحافظ باسناده أن النبي ﷺ قال « إذا ارتفعت النجوم ارتفعت العاهة عن كل بلد » قال أبو نعيم : قال بعض المطببين اضمنوا لى ما بين مغيب الثريا إلى طلوعها وأنا أضمن لكم سائر السنة . وقال ﷺ « الشتاء ربيع المؤمن »

القول فى الهم والحزن : قال ﷺ « ما على أحدكم إذا لح به همه أن يتقلد سهمه ينفى به همه » وقال ﷺ « من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه ، ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته » وقال الشافعى رحمه الله : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله . وفى حكمة آل داود : العافية ملك خفى ، وغم ساعة هرم سنة ، وفقد الاخوان يذيب الجسد . وقال عمر رضى الله عنه : سبب موت أبي بكر موت النبي ﷺ ، ما زال جسمه يجرى أى ينقص حتى مات . ويروى أنه دخل على النبي ﷺ فوجده مريضاً فمرض ، فبرأ النبي ﷺ فعاده فبرأ أبو بكر لما رأى النبي ﷺ . وأنشد فى معنى ذلك شعراً :

مرض الحبيب فزرته ... فمرضت من أسفى عليه
شفى الحبيب فعادنى ... فبرأت من نظرى اليه

وسيأتى فى آخر الباب السادس ان شاء الله تعالى ما يقال لدفع الهم والحزن .

وتقدم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس أنه قال : من لبس نعلا صفراء قل همه .

القول فى الأوجاع والحمى : قال ﷺ « الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء » وقال ﷺ « إذا حم أحدكم فليرش عليه من الماء البارد من السحر ثلاثا » وكانت أسماء إذا أتيت بالمرأة وقد حمت لتدعو لها أخذت الماء وصبته بينها وبين جيبها واستدلت بالحديث ، وفى هذا دليل على حمل المريض إلى من يدعو له ، والمراد بهذه الحمى الحمى المحرقة التى معها ورم فى بعض الأعضاء وقوة المريض مستظهرة ، والصفراء فى غليانها ، وكثيراً ما تعرض فى أرض العرب وفى كل بلد حار يابس ، فهذه التى يوافقها الماء سقيا وغسلا . وقد قال ﷺ فى مرضه : « هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس » فأجلس فى مخضب فصب عليه ، وقال مكحول : وصف لنا هلال من الحمى قال تأخذ إحدى وعشرين حبة شونيزاً وتنقعها فى الماء ، ثم تأخذ ثلاث قطرات فيقطر أول يوم فى منخره الأيمن قطرتين ، وفى الأيسر قطرة ، وفى اليوم الثانى فى الأيسر قطرتين وفى الأيمن قطرة . ثم فى الثالث مثل الأول . وقد مضى فى النشرة فيه حديث .

وروى أبو نعيم فى كتابه باسناده عن الشعبى أن رجلا استهوته الجن . فقال: علمونى للحمى الربع شيئا ، فقالوا : تأخذ ذباب الماء فتعقده فى خيط ثم تجعله فى عضدك الأيسر فتبرأ . وقالت عائشة رضى الله عنها : إذا كانت حمى ربع فليأخذ ثلاثة أرباع من السمن وربعا من لبن فيشربه .

علاج الدوار . قالت عائشة رضى الله عنها : ينفع من الدوار سبع تمرات عجوة فى سبع غدوات على الريق

القول فى وجع العين : قال ﷺ لاهم إلا هم الدين ولا وجع إلا وجع

العين » وكان ﷺ إذا رمدت إحدى نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها ، وكحل عين على ببزاقه من ريقه عليه السلام فبرأت ، وقال ﷺ لصهيب « تأكل التمر وبك رمد ؟ » الحديث استفهام منكر عليه لأن الرمد مرض حار عفن والتمر يزيده ، وكان بعلى رمد ، فدخل يوما والنبى ﷺ يأكل تمراً فرمى إليه بتمرة فأكلها ، ثم رمى إليه بأخرى فأكلها ، حتى رمى إليه سبعاً ، ثم قال له « حسبك ياعلى » فجعل السبع فى حد القلة . وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : مثل أصحاب محمد ﷺ مثل العين ، ودواء العين ترك مسها . وقال ابن المسيب : العين نطفة ، فاذا مسستها دنفت ، وإذا أمسكت عنها صفت . وقال عبد الله : شكوت إلى النبى ﷺ عينى فقال « انظر فى المصحف ، فان عينى اشتكت فشكوت إلى جبريل عليه السلام فقال انظر فى المصحف » وقال ﷺ « من أدمن النظر فى المصحف متعه الله بنظره » وقال ﷺ « ثلاث يجلين البصر النظر إلى الماء الجارى ، والنظر فى الخضرة ، والنظر فى الوجه الحسن » وكان ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة ، وإلى الماء الجارى ، وإلى الاترج والحمام الاحمر ، وقال ﷺ للحسين « نم على قناك تخمص بطنك ، وخذ من شعرك تحسن رقبتك ، واكتحل يضيء وجهك وبصرك »

والضرس : روى أبو نعيم عن سلمان قال : اشتكيت ضرسى إلى النبى ﷺ فأمرنى أن آكل التمر بشق ضرسى الآخر .

والعذرة : قد تقدم أن القسط ينفع من العذرة ، وروى أبو نعيم فى كتابه أن النبى ﷺ اشتكى العذرة فضمد صدغيه .

وجع الظهر : فقال على رضى الله عنه الجدى جيد لوجع الظهر . وقال عمر : دخلت على النبى ﷺ وحبشى يغمز ظهره وهو نائم على بطنه ، فقلت : ماهذا يارسول الله ؟ : فقال « إن الناقة تقحمت بى البارحة »

القول فى القلب : قال ﷺ « إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » وقال ﷺ « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فان القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء » وقال ﷺ « قلوب بنى آدم تلين فى الشتاء » وقال ﷺ «أزيبوا طعامكم بذكر الله تعالى ، والصلاة ولا تناموا عليه فتقسى قلوبكم » وقال ابراهيم الخواص : دواء القلب خمسة أشياء ، باخلاء البطن ، وقراءة القرآن بالتدبر ، ومجالسة الصالحين ، وقيام الليل ، والتضرع فى السحر . وقال ﷺ « لا تكثروا الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب ».

الطحال : روى أبو نعيم أن رجلا قال للقاسم بن محمد إنى لطحيل فكيف أصنع ؟ فقال رجل من أهل العراق : خذ سام أبرص فعلقه على موضع الطحال من بطنك ، ثم اقبضه ثم اجعله فى حقة فانه يضمر إذا ضمر السام أبرص .

وجع الخاصرة : قال ﷺ « الخاصرة عرق الكلية ، وذا تحركت آذت صاحبها فداووها بالماء المحرق والعسل » وقد شرب ﷺ الماء المحرق منها — أى من وجع الخاصرة ، والماء المحرق المغلى بالحرق وهى النار ، وقد تقدم أن القسط والزيت والورس نافع من ذات الجنب.

القول فى الباسور : قد تقدم فى الزيت أنه مصحة من الباسور وفى التين أنه يقطع الباسور . وروى أبو نعيم أن ابن عباس رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو مصفر اللون من الباسور ، فقال له النبى ﷺ « أين أنت عن الآصف؟ — يعنى الكبر — تأخذه فتدقه وتسف منه » قال ففعلت ذلك فبرأت . وقال ﷺ « الاستنجاء بالماء البارد صحة من الباسور » ويروى « عليكم بغسل الدبر فانه مذهبة للباسور » وقال لقمان : الجلوس فى الخلاء يتجع منه الكبد ، ويورث الباسور ، ويصعد الحرارة إلى الرأس فاقعد هوينا ثم قم.

﴿ فصـل ﴾ قال ﷺ « إذا وجد أحدكم فى بطنه رزا فليأت مرحاضه فان حبسه بعد مايهيج داء ؛ وإذا وجد أحدكم بولا فليبل ، فان حبسه يورث الحصى » الهروى. المرحاض الموضع الذى بنى للغائط قال ولما بال الاعرابى فى المسجد ابتدره الناس فقال ﷺ « لا تزرموه » أى لا تقطعوا عليه بوله . وكذا قال فى الحسن وقد بال فى حجره عليه السلام فأخذ منه فقال « دعوه لا تزرموه » ويروى « لا تزرموا ابنى قال الشافعى رحمـه الله : وكانت العرب تستشفى من وجع الصلب بالبول قائمـاً . وقال إنه ﷺ بال قائمـاً لعلة كانت به .

وجع البطن : قد مضى فى العسل والشونيز والسنوت انها تنفع من وجع البطن

النسا : قال ﷺ « شفاء عرق النسا إلية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ؛ ثم يشرب على الريق كل يوم جزء » ويروى أنه قال « إلية كبش عربى لا صغير ولا كبير » قال أنس رضى الله عنه : فوصـفته لأكثر من مائة فبرأوا .

(فائدة) ويقال إن هـذه الالية نافعة للذى يصرع كل شهر ، تقطع صغاراً صغاراً وتنضج بالنار ، فاذا صفا دهنها صب إلى إناء ويؤخذ شهد حديث فيرمى عنه شمعه ثم يخلط عسله مع الدهن . ويعرك ليختلط ثم يشربه ثلاثة أيام على الريق ، ويمنع صاحب ذلك عن الالبان والبقول والتمر والفاكهة ، ويشرب ماء النعنع .

القول فيما يورث الحفظ والنسيان : قال ﷺ « من أراد الحفظ فليأكل العسل » ويروى « غسل الرأس يزيد فى الحفظ » وقال ابن عباس رضى الله عنه : خمسة تورث النسيان ، أكل التفاح الحامض ، والقاء القمل حياً على الأرض ، والبول فى الماء الراكد ، وأكل سؤر ، الفأر والحجامة فى النقرة . زاد غـيره

وقراءة ألواح القبور ، والمشي تحت الخطام ، وبين امرأتين ، والنظر إلى المصلوب ، وكثرة الهم والمعاصي

البلغم والرطوبات : ودواء البلغم والرطوبات أكل الخبز اليابس ، والقيء ، وأكل الزبيب على الريق بحيث لا يحتاج إلى شرب الماء ، وتقليل شرب الماء . وقال ابن سيرين : ثلاث دواء البلغم السواك ، والصيام ، وقراءة القرآن بالليل . وقال أيضاً : لبس النعل السوداء يورث النسيان . ونحوه عن ابن الزبير . وسيأتي في القسم الخامس عشر من الباب السابع ، وفي القسم العشرين منه أذكار لحفظ القرآن

القول في الجروح : قد مضى أن رماد الحصير يقطع الدم . ويروى أن رجلا أصابته شجة في رأسه فأمره أصحابه بالاغتسال لما اجنب ، فاغتسل فمات ، فقال ﷺ « قتلوه قتلهم الله ، إنما كان يكفيه أن يعصب على رأسه خرقة ويمسح عليها ويتيمم ، ويغسل سائر بدنه » وأمر علياً أن يمسح على الجبائر . وهي العيدان التي يجبر بها العظام . ففي هذا دليل على أن الماء يضر المجروح . وقال الله تعالى (وإن كنتم مرضى أو على سفر) إلى قوله (فتيمموا) قال ابن عباس يريد مرضاً يضره الماء كالجدري والقروح والجروح . وقال عمر رضي الله عنه : إن المدة إذا نزلت بين العظم واللحم أكلته . وأمرت أم كلثوم بشاة فسلخت حين جلد عمر رضي الله عنه أبا بكرة فلبس جلدها . قال أهل الطب : وذلك إذا لبس عقيب السلخ . نافع لأثر السياط ومن الأورام .

شقوق الأرجل : قال أبو ذر رضي الله عنه تشققت رجلي [illegible] داووها بالدهن

﴿ فصل ﴾ قال ﷺ لا تكرهوا أربعة فإنها لأربعة لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام

ولا تكرهوا السعال فانه يقطع عروق الفالج ، ولا تكرهوا الدماميل فانها تقطع عروق البرص .

﴿فصل﴾ وقال ﷺ « لا تديموا النظر إلى البحر » ويروى « الى الماء فان ذلك يورث ذهاب العقل» وقال ﷺ « لا تنظروا فى المرآة فى الليل فانه يصاب منه الحول فى العين» وقال ﷺ « لا تنظروا الى وجوه الموتى فانه يورث الصفرة» قال الحكماء : وللنظر تأثير فى الناظر ، فالنظر إلى الحزين يورث حزناً ، وإلى أهل الصلاح يورث رقة وصلاحاً ، والنظر إلى الفسقة يورث قسوة وفساداً ، والنظر الى الناعس يورث نعاساً .

(فصل) فى أشياء مجموعة : قال النبى ﷺ « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه» وقال ﷺ « لا تنتفوا الشعر الذى فى الأنف فانه يورث الأكلة ، ولكن قصوه قصاً » وقال ﷺ « الشعر الذى فى الأنف والأذنين أمان من الجذام » وقال ﷺ « طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء » وقال « وأى داء أدوأ من البخل » وقال ﷺ « تعشوا ولو بكف من خشف فان ترك العشاء مهرمة » وكان يكره أن يتعشى اذا طفى السراج حتى يسرج له ، ولا يقعدوا فى بيت مظلم حتى يضاء له فيه سراج »وقال ﷺ « لا تردوا شربة العسل على من أتاكم بها » وقال ﷺ « ثلاث لا ترد : الوسائد ، والدهن ، واللبن » وقال ﷺ « من طبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن» وقال على رضى الله عنه « إذا أنستم - أى علمتم - من صبيانكم سوء خلق فأذنوا فى أذنه اليمنى وأقيموا فى أذنه اليسرى » كما فعل ﷺ بالحسن والحسين . وقال ﷺ فى الخمر « انه ليس بدواء ولكنه داء » ونهى ﷺ أن تجعل الضفدع فى الدواء . وكان ﷺ يصب الماء على رأسه من العطش أو من الحر وهو صائم .

﴿ فصل﴾ فى الطبايع: وهى أربع ، المرة الصفراء ، وغالبها قبل البلوغ وهى

حارة يابسة ، ويستدل عليها بصفرة اللون ونحافة الجسم وكثرة الحركة والعجلة فى الكلام والافعال ، علاجها بكل رطب كالسكر الابيض والليم[1] وسمن المعز والشعير والقثاء والبطيخ والحومر — وهو التمر الهندى . ومن أماراتها الحمى واصفرار الاراقة والصداع ومرارة الفم ، وأن يرى فى نومه النيران والشمس المحرقة ونحو ذلك ، ويتولد منها جرب الجفن ووجع الأذن والمفاصل وشقوق الأصابع وصفرة الاسنان والدوار والشوصة والبثور والحوصة ، وقيل الحصبة والنملة والحمرة ووجع اللهاة والعشق ونحوها ومهما احترقت صارت سوداء

والدم : وغالبه بعد البلوغ إلى خمسة وثلاثين ، ويستدل على زيادته بالسمن وحمرة اللون وبشاشته وانبساط وجهه ومحبته للملاهى وهو حار رطب دواؤه كل بارد يابس كالذرة واللبن الحامض لحته والعنب الحامض والعترب والعنمة والصمغ العربى وهو صمغ الطلح ومن اماراته امتلاء الجسم والحر[illegible] وكثرة النوم والدمل وأن يرى فى نومه الرعاف والاحتجام والغناء والرقاصين واللاعبين والرياض والبساتين ، ويتولد منه الزكام والرمد وحك العين ، ووجع الحلق ، والذبحة . وذات الجنب ، وورم الكبد والطحال والمعى والأنثيين .

والبلغم : وهو بارد رطب وغالبه من خمس وثلاثين إلى خمس وأربعين ، ويستدل عليه ببياض الجسم وضخم البدن وبطء الحركة وقلة نشاطه و[illegible]مه ودواؤه كل حار يابس كالعسل والخلنجان والدخن ، والقرفة . ولبن الابل . والشيرج ، والكشد ، والجزر ، والمصطكى ، وحب العصفر . ومن امارته كثرة البصاق وبرودة الجسم وقلة شهوة الطعام أول النهار وأن يرى فى نومه الأمطار والمياه والاغتسال والسباحة . ويتولد منه الفالج والسدد والصداع البارد والجرب والبخر ونتن الابط وحمى الورد وبرد الكبد والطحال و جبن وعسر

(١) الليم : الليمون كما فى القاموس

الولادة ونحوها .

والمرة السوداء : وغالبها فوق الأربعين ، ويستدل عليها بسواد اللون واخضرار، البشرة وصلابة الأعضاء، واكتناز اللحم ،وقلة الكلام . وهي باردة يابسة دواؤها بكل حار رطب كالبر والسكر الأحمر والودك والموز اليانع الذى لم يتغير والجزر والكراث وخاصة الحلبة ولبن الضأن . ومن أماراتها يبوسة العين وسائر الجسم، وقلة النوم،وكثرة الشرب ، ويبوسة الاراقة الباطنة .

وأن يرى فى نومه الاهوال والمخاوف والحيات والأموات ونحو ذلك ، يتولد منها خفة الرأس والرعاف والتآليل ، والبسور ، والصروع ، والماليخولية ، والقولنج ، والقوباء ، والبهق ، والكلف والجذام، والسعال اليابس،وداءالثعلب والنقرس والشهوة الكابة ومن عفونتها حمى الربع .

وفصول السنة أربعة ، الشتاء وهو بارد رطب ، وأوله لسبع بقين من أيلول . والربيع وهو بارد يابس ، وأوله لسبع بقين من كانون الاول ، وهو أعدل السنة . والصيف وهو حار رطب وأوله لسبع بقين من آذار . والخريف وهو حار يابس وأوله أقصر ليلة فى السنة لست بقين من حزيران . وبكل فصل ثلاثة أشهر ، وثلاثة بروج وسبع منازل .

وهذه أسماء الأشهر : تشرين أول ، وتشرين ثانى ، وكانون الأول ، وكانون الثانى ، وشباط ، وآذار ، ونيسان ، وأيار ، وحزيران ، وتموز ، وآب ، وايلول يصلح فى كل فصل عكس طبعه من المذكورات. وأخوف السنة على الصبيان الربيع ،وعلى الفتيان الصيف ، وعلى الكهول الخريف ، وعلى الشيوخ الشتاء

واعلم بأن كل حامض فهو بارد ، وكل حلو فهو حار ، وكل مر فهو حار، وكل مالح فهو حار . إلا ما أزيل طبعه بمعالجة أو نار ، وكل ماجاوز الحرارة أوالبرودة إلى أقصى الغايات فهو من السموم ، وكل بياض فهو دليل على البرودة ،

وكل سمرة دليل على الحرارة .

والفرسك [1] بارد ثقيل ذا رياح وكذا التفاح ، والمشمش حار ، والدجر حار ثقيل، ولبن النساء حار ، والنورة حارة يابسة ، وكذا النار .

واعلم أن حفظ الأشياء يكون بأشباهها ، وعلاجها بأضدادها ، وحفظ صحة الشباب بالفصد والاسهال ، والكهول بالاسهال دون اخراج الدم ويمتنعون عن الجماع ، وأما الشيوخ فلا يتعهدون شيئاً من ذلك وأنفع مايكون لهم الحقنة بالزيت والله أعلم .

---

(١) كذا فى نسختين وفى ثالثة القرشك ولم نقف على معناه



الباب الخامس

فى أربعين حديثاً كل حديث منها يتضمن لفظ البركة سردتها سرداً واختصرتها جداً (الحديث الأول) قال ﷺ « أكرموا يوم الجمعة وليلته فانه يوم مبارك وليلته شريفة ، ولله فيه عتقاء من النار ، ومن بركته لا تسعر النار فيه ، ومن بركة ليلته يغفر الله كبائر أمتى إلا الشرك بالله » ويروى « أن يوم الجمعة يوم بركة ورحمة ، وكل مولود يولد من الكفار فى ليلة الجمعة اكرمه الله تعالى بالاسلام » (الحديث الثانى) قال ﷺ « عليكم بالغنم فانها مباركة رقيقة » (الحديث الثالث) قال ﷺ « البركة فى الطعام البارد » (الحديث الرابع) وقال ﷺ « صبيان البيوت بركة » (الحديث الخامس) وقال ﷺ « تختموا بالعقيق فانه مبارك » (الحديث السادس) وقال ﷺ « الحجامة على الريق أفضل وفيها شفاء وبركة » (الحديث السابع) وقال ﷺ « تسحروا فان فى السحور بركة » (الحديث الثامن) وقال ﷺ للعرباض بن سارية « هلم إلى الغداء المبارك » — يعنى السحور (الحديث التاسع) وقال ﷺ « كلوا الارز فان فيه شفا وبركه » (الحديث العاشر) وقال ﷺ « كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة » يعنى بها شجرة الزيتون ، وهى كثيرة البركه وفيها أنواع المنافع لأن الزيت يسرج منه وهو إدام ودهان ودباغ ، ويوقد بحطب الزيتون وتفله ورماده يغسل به الابريسم ولا يحتاج فى استخراج دهنه إلى عصار . قال الجوهرى رحمه الله : والعتم شجر الزيتون البرى . وقال ﷺ « نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة ، يطيب الفم ويذهب الحفر ، هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى » ويروى « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون عند أوانه فان فيه

شفاء للناس » (الحديث الحادي عشر) وقال ﷺ « عليكم بالعدس فانه مبارك مقدس ، وإنه يرق القلب ويكثر الدمعة ، وقد بارك الله في العدس وبارك فيه سبعون نبياً أحدهم عيسى عليه السلام » (الحديث الثاني عشر) وقال ﷺ « كلوا من حوالى القصعة ولا تأكلوا من وسطها فان البركة تنزل في وسطها » (الحديث الثالث عشر) قال ﷺ « الوضوء قبل الطعام يدخل البركة ، وبعده يذهب الفقر ويصح البصر » (الحديث الرابع عشر) وقال ﷺ « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » وفي حديث آخر « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم » أي الجنون ، وأراد بالوضوء غسل اليد . قال الهروي : وهو هنا بضم الواو . وقال قتادة : من غسل يده فقد توضأ (الحديث الخامس عشر) وقال ﷺ « اجمعوا وضوءكم يجمع الله شملكم » وهو بفتح الواو . وقال في شرح الشهاب وأراد به الماء الذي يغسل به قبل الطعام وبعده وهو المأمور به . قال في البيان : لأن الوضوء إذا أضيف إلى الطعام اقتضى ذلك غسل اليد (الحديث السادس عشر) قال ﷺ « املؤا الطست وخالفوا المجوس » قال بعضهم وإنما صار غسلها موجبا لنفي الفقر لأن غسلها قبل الطعام استقبال النعمة بالأدب ، وذلك من شكر النعمة والشكر يستوجب المزيد كما مر في الباب الثالث من قسم الشكر فصار غسلها مستجلباً للنعمة ومذهباً للفقر . وقد روى أنه ﷺ غسل يده بعد الطعام ثم مسح ببلل كفه وجهه وذراعيه ورأسه ذكره أبو داود (الحديث السابع عشر) قال ﷺ « عليكم بالسراري فانهن مباركات الأرحام » (الحديث الثامن عشر) وقال ﷺ « أعظم النساء بركة أقلهن مهراً وأيسرهن مؤنة » ويروى « أعظم النكاح بركة أخفهن مؤنة » (الحديث التاسع عشر) وقال ﷺ « يستحب النكاح في رمضان رجاء البركة » (الحديث العشرون) وقال « تمسوا بالأملاك فانه أفضل في اليمن وأعظم في البركة (الحديث الحادي والعشرون)

وقال ﷺ « من بركة المرأة تبكيرها بالاناث » ويروى « مامن رجل يولد له جارية ولا يسخط إلا نزل ملك من السماء فيضع يده على رأسها فيقول مباركة من مبارك المنفق عليها معان » (الحديث الثانى والعشرون) وقال ﷺ « من أدخل بيته حبشيا أو حبشية أدخل الله بيته البركة » (الحديث الثالث والعشرون) وقال ﷺ « ان البركة فى نواصى الخيل » (الحديث لرابع والعشرون) وقال ﷺ « اذا هاجت الفتن فعليكم بأرض اليمن فانها مباركة » (الحديث الخامس والعشرون) وقال ﷺ « يرجع ثلثا بركة الدنيا إلى اليمن ، ومن كان هاربا من الفتن فاليهرب فان العبادة فى اليمن رضاء الله الأكبر » (الحديث السادس والعشرون) وقال ﷺ « اللبن بركة فاذا قدم إلى أحدكم فعبوه عبا ومصوا الماء مصا » (الحديث السابع والعشرون) وقال ﷺ « من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شىء يجزى من الطعام والشراب غير اللبن » (الحديث الثامن والعشرون) ولما زوج فاطمة من على رضى الله عنها ، وزفها استدعى بماء ودعا فيه بالبركة ثم رشه عليهما (الحديث التاسع والعشرون) وقال ﷺ « ياعلى إذا تزوجت فاغسل رجليها حين تجلس وصب الماء من باب دارك الى أقصى دارك فانك اذا فعلت ذلك أخرج الله عن دارك الأذى ويدخل فى دارك سبعون بركة ورحمة » (الحديث الثلاثون) وقال ﷺ فى ماء زمزم « إنها مباركة إنها طعام طعم ، وشفاء سقم » (الحديث الحادى والثلاثون) وقال ﷺ « من ولد له مولود فسماه محمدا حبا لى وتبركا باسمى كان هو ومولوده فى الجنة » (الحديث الثانى والثلاثون) قال النبى ﷺ « ما أكل طعام قط من حلال عليه رجل اسمه اسمى إلا وتضاعف لهم البركة فى طعامهم » (الحديث الثالث والثلاثون) وقال ﷺ « ودعوا اخوانكم إذا أردتم سفرا يبارك لكم فى دعائكم »

﴿ فصل ﴾ يستحب أن يودع الانسان أهله ومن أحب ويقول أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه فقد قال ﷺ « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » قلت : ونعم الحفيظ هو فمن قال ذلك حفظ الله له ما استودعه وذلك مجرب وأنشد فى ذلك :

أستودع الله أولادى وأمهم — والدين والمال والآباء والجسدا
والعلم والجاه والاخوان كلهم — والصحب والصهر والجيران والبلدا
وكل ما أنعم البارى على به — فهو الحفيظ لما استودعته أبدا

(الحديث الرابع والثلاثون) وقال ﷺ « إذا تزوج أحدكم أو اشترى خادماً فليقل اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة » (الحديث الخامس والثلاثون)وقال ﷺ : إذا رأى أحدكم شيئاً يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه فإن العين حق » ويروى « إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله وأعجبه ما يعجبه فليدع بالبركة » (الحديث السادس والثلاثون) وكان ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال « اللهم بارك لنا فيه ولا تضره رواه ابن السنى

﴿ فصل ﴾ فاذا رأى الانسان من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئاً فأعجبه وخاف عليه العين فليقل ذلك ، ويزيد ما قاله القاضى حسين فى كتابه التعليق قال : نظر بعض الأنبياء إلى قومه فاستكثرهم فأعجبوه فمات منهم فى ساعة سبعون ألفاً ، فأوحى الله إليه إنك عنتهم ، ولو أنك إذ عنتهم حصنتهم لم يهلكوا ، فقال وبأى شىء أحصنهم يا رب ؟ فأوحى الله اليه تقول : حصنتكم بالحى القيوم الذى لا يموت أبداً ، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

الحديث السابع والثلاثون وكان ﷺ يعوذ الحسن والحسين « أعيذ كما

بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عـين لامة » ويروى أنه ﷺ قال « ما أنعم الله على عبد نعمة فى أهل ومال وولد فقال : ما شاء الله لاقوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت » رواه الثعالبي وابن السنى . وشكا إليه رجل أنه تصيبه الآفات فقال ﷺ « قل إذا أصبحت بسم الله على نفسى وأهلى ومالى فانه لا يذهب لك شيء » فقالهن الرجل فذهبت عنه الآفات رواه ابن السنى

فينبغى المواظبة على ذلك ليسلم من العاهات والعين فقد قال ﷺ « إن أكثر من يموت من أمتى بعد كتاب الله وقدره وقضائه بالأنفس » — يعنى الأعين — وقد قال ﷺ « إن العين لتدخل الرجل القبر ، والجمل القـدر » وقال ﷺ « لو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، واذا استغسلتم فاغسلوا » قال الهروى : الاغتسال أن يؤتى العائن بقدح فيدخل كفه فيه فيمضمض ثم يمجه فى القدح ، ثم يغسل وجهه فى القـدح ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على كفه اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على كفه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر ، ثم يدخل يده اليسرى ، فيصب على قدمه اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ، ثم يغسل داخلة إزاره ولا يوضع القـدح على الارض ، ثم يصب على رأس الذى أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة . قال أبو عبيد : وأراد بداخلة إزاره طرف إزاره الداخل الذى على جسده ، وهو يلى الجانب الأيمن من الرجل ، لأن المؤتزر إذا ائتزر بها يبدأ بجانبه الايمن فذلك الطرف يباشر جسده ، فهو الذى يغسل ، وقيل داخلة الازار المذاكير وقيل الورك قلت : وهذا من أنواع النشرة والله أعلم .

قلت : وقد عان عامر بن ربيعة سهل بن حنيف فصرع مكانه ، فأمره النبي

ﷺ أن يغسل له فراح مع الركب ، وعانت امرأة سعد بن أبى وقاص فسقط ، فأرسل إليها فغسلت له ، وقال عمر وقد رأى صبياً مليحاً دسموا نونته كيلا تصيبه العين ، والنونة الحفرة التى تكون فى ذقنه . وقال بعضهم : ويقال للدائرة تحت الأنف نونة أيضاً . ودسموا أى سودوا . قال الهروى : والتدسيم السواد الذى يجعل خلف أذن الصبى كيلا تصيبه العين (الحديث الثامن والثلاثون) وقال ﷺ « اللهم إنك باركت لامتى فى صحابتى فلا تسلبهم البركة ، وباركت لاصحابى فى أبى بكر فلا تسلبه البركة » (الحديث التاسع والثلاثون) وقال ﷺ « إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الارض ، وهى الحديد ، والنار ، والماء ، والملح » (الحديث الأربعون) وقال ﷺ « ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الله الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا » وأراد بالبركة المطر

﴿ فصل ﴾ وقد سماه الله تعالى مباركا فقال (ونزلنا من السماء ماء مباركا) وسماه طهوراً وكيف لا يكون بركة ، ومنه حياة الأجسام . قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حى أفلا يؤمنون » وهو الرحمة فى قوله تعالى « فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها » وفى قوله تعالى « وينشر رحمته » وهو الرزق ، قال الله تعالى « وما أنزل الله من السماء من رزق فأحى به الارض بعد موتها » وفى قوله تعالى « وفى السماء رزقكم وما توعدون » وهو اللباس . قال الله تعالى «قد أنزلنا عليكم لباساً» — يعنى المطر — أنبتنا به النبات فاتخذ الناس منه اللباس . وهو السماء فى قوله تعالى وفى « السماء رزقكم » أراد المطر . وقال تعالى« أنزلنا من السماء ماء مباركا لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات » وهو الشيء قال تعالى ، وإن من شيء إلا يسبح بحمده» . «وإن من شيء إلا عندنا

خزائنه» — يعنى المطر — قال الواحدى : وذلك لأنه سبب الرزق والمعاش ، فلما ذكر أنه يعطيهم المعاش بين أن خزائن المطر الذى هو سبب المعاش عنده ، ثم قال : وما ننزله إلا بقدر معلوم — يعنى أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم ولا ينقصه ولا يزيده ليس عام بأكثر مطراً من عام ، غير أنه يصرفه إلى من يشاء حيث يشاء يمطر قوما ويحرم آخرين ، وربما كان فى البحر . قال ابن عباس : المطر مزاجه من الجنة فاذا كثر المزاج عظمت البركة ، وإن قل المزاج قلت البركة ، وإن كثر المطر . وأفضل المطر ما كان بالليل ومن غير رعد وفى ذلك حديث ذكره فى الوسيط وأدخل ﷺ يده فى إناء فيه قليل ماء ثم قال « حى على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى » فنبع الماء من بين أصابعه وكان ﷺ يؤتى بالصبيان فيحنكهم ويدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم . ولما افتتح ﷺ مكة جعل أهلها يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤسهم . وكان ﷺ إذا أتى بأول الثمرة أخذه وقال « اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا » ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمرة . وفى رواية لمسلم « بركة مع بركة » ثم يعطيه أصغر من يحضر عنده.وكان ﷺ إذا رأى إنسانا تزوج قال « بارك الله لك ، وبارك عليك ، وجمع بينكما فى خير » وقال قال الله تعالى : باركت لاهل مكة فى التمر واللحم واللبن ، فوسعت على عبادى فى ثلاث خصال . وقال الله تعالى : من أعطيته عطاء عن طيب نفس فهو مبارك له . وكان يقول فى الطعام اذا قرب اليه : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار ، بسم الله . ودعا لعبد الله ابن جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئا إلا ربح فيه ، ودعا لعروة ابن أبى الجعد بالبركة : قال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً ، قال البخارى : فكان لو اشرى التراب ربح فيه . والكناسة

سوق معروف . ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فملك من المال مالا يحصره عد .

﴿ فصل ﴾ وهذه صفة المصطفى ﷺ بأسرها أتيت بها تبريكا للكتاب بذكرها : لأنه روى أنه من كان عنده صفة المصطفى فى منزله أو فى رحله أو بين أمتعته أو على عضده وكان ظاعنا أو قاطنا إلا أمن من الشرق والغرق والحرق وجور السلطان ولم يفارق منزله السرور أبدا وجد ذلك فى كتاب اللباب فى فضائل المصطفى والأصحاب وفى غيره

وهو أنه ﷺ كان أزهر اللون ، أدعج ، أنجل ، أشكل ، أهدب الاشفار ، أبلج ، أزج ، أقنى ، أفلج ، أشنب ، عظيم الهامة ، معتدل القامة ، مدور الوجه ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر ، كأن ماء الذهب يجرى فى صفحة خده ورونق الجلال يطرد فى أسرة جبينه ، كأن الجدر تلاحك وجهه (ويهب نوره عليها اذا مشى بجانبها)[1] واسع الجبين . كث اللحية ، تملأ صدره ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، أحسن الناس عنقا ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، سواء البطن والصدر ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، عبل العضدين والذراعين والأسافل ، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، طويل الزندين ، سائل الاطراف ، سبط العصب ، أنور المتجرد ، فى ساقيه حموشة لو رأيته رأيت الشمس طالعة ، موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديين ماسوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر ، ربع القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ إذا افتر ضاحكا أفتر عن مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام ، جل ضحكه التبسم ، وربما ضحك حتى تبدو نواجذه ، إذا تكلم رأيت كالنور يخرج

---

(١) زيادة من نسخة ثالثة

من بين ثناياه ، جهير الصوت ، حسن النغمة ، فى صوته صحل ، كانت قراءته مفسرة حرفا حرفا ، وربما رجع فيها ، وفى كلامه ترتيل لا فضول فيه ولا تقصير ، كان متماسكا ، ضرب اللحم ، ليس بمطهم ولا مكلثم ، منهوس العقب ، أخمص الاخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، رجل الشعر ، إن انفرقت عقيقته فرقها والا فلا يجاوز شعره شحمة أذنه اذاهو وفره وربما ضفره ، إذ زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ، ويمشى هونا ، ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعا ، خافض الطرف نظره إلى الارض أطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، خاتم النبوة عند مرجع كتفه اليسرى مثل الجمع حولها خيلان ، متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة ، طويل السكوت اذا أشار أشار بكفه كلها . واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى راحته اليسرى ؛ اذا فرح غض طرفه ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وإذا اهتم أكثر مس لحيته ، وربما نكت فى الأرض بعود أو مخصرة فى يده ، بين حاجبيه عرق يدره الغضب ، كان يتختم تارة باليمين وتارة باليسار ، وكان خاتمه فضة وفصه منه ومرة فصه حبشيا كان يجعل فصه مما يلى كفه ، وكان نقش خاتمه محمد سطر ورسول سطر والله سطر هكذا

محمد
رسول
الله

فى الاصح . وقبيعة سيفه من فضة ، كان يلبس ما وجده مرة شملة ، ومرة جبة من صوف ، ومرة حبرة يمانية ، ومرة قباء ، ومرة بردا أحمر ، ومرة بردين أخضرين ، ومرة جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج ،

ومرة برداً نجرانيا غليظ الحاشية ، ومرة جبة رومية ضيقة الكمين ، وتوشح مرة بثوب قطرى وصلى ، وربما لبس فى بيته مجولا وكان صلى الله عليه وسلم ﷺ يصلى فى مروط نسائه ، وكان يأتزر إلى أنصاف ساقيه ، وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة ، وكان كمه إلى الرسغ ، وكان له ثوب لجمته خاصة ، وإذا اعتم سدلها بين كتفيه ، وخطب يوماً وعليه عمامة سوداء ، وعصب رأسه مرة بخرقة حمراء ، ومرة بحاشية برد ، وكان على رأسه فى مرضه الذى مات فيه عصابة صفراء ، وكان لنعله قبالان ، وصلى يوماً فى نعلين مخصوفتين ، وكان يحب التيمن مااستطاع فى كل شىء من شأنه ، وفى ترجله ، وتنعله وطهوره ، كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه ، وكانت يده اليسرى للاستنجاء ، ولما كان من أذى ، وكان إذا جلس احتبى بيديه ، واحتبى مرة بشملة ، واستلقى مرة فى المسجد واضعا إحدى رجليه على الأخرى ، وخرج يوما يتوكأ على أسامة ، ومرة على الفضل ، واضعا كفه على منكبه وربما اتكأ على وسادة على يساره ، وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء ، وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كل يوم مرة أومرتين ، ولا يفارقه المشط والمرود فى حضر ولا سفر ، وكان يترجل غبا ، ويكثر القناع ، ولم يكن فى رأسه شيب إلا شعرات فى مفرق رأسه ، إذا دهن واراهن الدهن، وكان شيبه أحمر ، وربما أخذ من طول لحيته وعرضها . وكان يصبغ ثيابه بالصفرة ، ويكره الخلوق للرجال ، ويكره الحمرة من الألوان ، وكانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا فى كل عين ، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ، ومن الشراب الحلو البارد ، ومن الازهار الفاغية ، ومن الالوان الخضرة ، ومن الصباغ الخل ، ومن التمر العجوة ، ومن الفواكه الرطبة البطيخ والقثاء والعنب ، وربما أكل العنب حتى يسيل رؤاله على لحيته كاللؤلؤ ، وكان يأخذ عنقود العنب بيده اليسرى

ويتناول منه حبة حبة بيده اليمنى فيأكل ، وربما أكله خرطا ، وكان يأكل القثاء بالرطب والملح ، وأكثر طعامه التمر والماء وكان يأكل البطيخ بالرطب ، ويجمع بين الخبز والرطب ، وأتى بجمار نخلة فأكل منها ، وكان ينقع له الزبيب أول الليل فيشربه من الغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة، ثم يأمر به فيهراق، وكان يتمجع اللبن بالتمر ويسميها الاطيبين ، وأطيب الطعام لديه اللحم ، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع ، ويعجبه الفأل الصالح . والكلمة الحسنة ، ويعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع : ياراشد يانجيح ياتمام ونحوه، وكان لا يتطير من شيء فان كره شيئاً رؤى كراهته فى وجهه ، وكان يعجبه الزبد والتمر . والتفل[1] وهو ما بقى من الطعام ، ويعجبه الثريد من الخبز ، والثريد من الحيس ، ويأكل الخبز بالسمن والفالوذج ، وكان أكثر لباسه البياض وكان يلبس القلانس تحت العمائم ، وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته فجعلها سترة يصلى اليها ، وكانت له عباءة تفرش له حيثما انتهى ، وحيثما انتقل، تثنى تحته طاقين، وكانت له عنزة يخرج بها يوم العيد ، وكان يحب العراجين ، ودخل يوما المسجد وبيده عرجون فحك به النخامة ، وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة ، وكان فراشه الذى ينام عليه ادما حشوه ليف ، وكان ينام أحيانا على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه ، وكان إذا عرس قبيل الصبح ينصب ذراعه ويضع رأسه على كفه ، وروى أن سلمى طحنت شعيرا ثم جعلته فى قدر وصبت عليه زيتا ودقت الفلفل والتوابل وقالت : هذا مما كان يعجب النبى ﷺ ويحسن أكله ، وكان ﷺ يأكل لحم الدجاج والحبارى ، وقال عتيبة رأيتنى وأنا سابع سبعة مع النبى ﷺ ما لنا طعام ولا شراب إلا ورق الشجر ، وقال ابن أبى أوفى غزونا مع النبى ﷺ ست غزوات نأكل الجراد ويأكله معنا ، وكان ﷺ يعقد التسبيح بيمينه ، وربما

---

(١) وفى الثانية : النقل

خرج وفى يده الخيط المربوط ليتذكر به الشيء ، وكان يشرب الحليب ممزوجا بالماء على الريق ويتغدى بعد ذلك بخبز الشعير مع الملح ونحوه[1] وكان يحب الطيب ويكره العرف الردىء ، وكان يتتبع الطيب فى رباع النساء ، وكان كثير العرق وعرقه أطيب الطيب ﷺ ورائحته أطيب من العنبر والمسك الاذفر جبلة وان لم يمس طيبا ، وكانت له سكة يتطيب منها وكان لا يرد الطيب ، ويستجمر ثلاثا بالعود وبكافور يطرحه معه . وكان يتطيب بالمسك حتى يوجد بريقه فى رأسه ولحيته ، وكان يغسل رأسه بالخطمى وربما لبده ، وكان يقبل عائشة ويمص لسانها وهو صائم ، ومضغ وتراً فى رمضان . ورصف به وتر قوسه ، وخرج يوماً وعليه مرط مرجل من شعر ، واغتسل يوماً من حمام بالجحفة ، وكان أحب الأشياء اليه بعد النساء الخيل ، وكان يحتجم على هامته وبين كتفيه ، واحتجم على وركه وعلى ظهر قدميه ، وفى الكاهل والاخدعين . وهو سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ﷺ .

ومات ﷺ يوم الاثنين ضحى وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف لا قميص فيها ولا عمامة ، وقبر ليلة الأربعاء وهو ابن ثلاث وستين سنة ، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ، ولا شاة ولا بعيراً ، إلا سلاحه وبغلته ، وأرضاً جعلها صدقة وهى مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقى من خمس خيبر . وقال ﷺ « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى فانها من أعظم المصائب » ولما قالت عائشة رضى الله عنها : فمن لم يكن له فرط يا رسول الله — تعنى ولداً مات قبله — قال « أنا فرط أمتى لن يصابوا بمثلى » صدق ﷺ وشرف وكرم ورزقنا شفاعته وختم لنا بالخير بمنه وكرمه .

وهذه أبيات نظمناها فى مدحه صلى الله عليه وسلم تشتمل على كثير من صفاته وإشارة إلى بعض معجزاته وهى : —

---

(١) فى الثانية : قدح عسل ممزوجا بالماء

بسم الله أبدأ فى كلامى ... وأحمده على النعم الجسام
وأثنى بالصلاة وبالسلام ... على خير البرية والأنام
نبى الله خير الخلق طراً ... وأفضل نسل حواء وسام
جلا الرحمن فيه السوء عنا ... وأخرجنا من الكرب العظام
نبى هاشمى يثربى ... إليه العيس تحدى كل عام
به الرحمن يسقينا ويشفى ... به الأدوا ويغفر للأثام
نبى جاء من عليا قريش ... ختام الرسل ظلل بالغمام
نبى إن دعا فى عام محل ... أثار الخير فى يمن وشام
نبى إن أتاه ذو بلاء ... ليمسحه شفاه من السقام
نبى إن دعا بحياة ميت ... يعد حياً يجيب من الرجام
نبى إن خلا فى تحت غصن ... حطيم عاد مخضر الحطام
نبى إن تراه رأيت نوراً ... وقلت الشمس بل بدر التمام
نبى ريحه مسك وورد ... نبى لفظه در النظام
نبى خلقه حلم وعلم ... نبى خلقه ضخم العظام
نبى أنجل ربع ورحب ... نبى مصطفى للدين حام
نبى قد يرى من خلف ظهر ... يصد الخلق عن طلب الحرام
نبى أدعج العينين حقاً ... نبى مجتبى وافى الذمام
نبى أفلج الأسنان دراً ... يضىء بنوره غسق الظلام
نبى إن دنا من صم صخر ... لقاه الصخر يدعو بالسلام
وكلمه الذراع وقال دعنى ... فقد سمتك زينب فى عظام
وكلمه الصبى بوسط مهد ... وكلمه مبارك اليمام
وكان كلام هذا الطفل حقاً ... على شهرين من وضع الغلام

وكم أشفى مريضا من ضناه وأبرأ ذا التعلل من سقام
وظلله الغمام بيوم فتح فنادى الله بارك فى الغمام
وكلمه الحمار وصاح ضب بأن المصطفى هاد تهام
وكم ذئب بنصح الخلق نادى ونزه أحمداً من كل ذام
وخر له البعير وكلمته ظباء الوحش فى حسن الكلام
وحن الجذع من شوق إليه حنين النوق من وجد الغرام
وحدث جابر أن قد رآه دعا الأغصان من بعد السلام
فجاءته تخد الارض خداً إلى أن قال عودى بالتئام
فعادت مثل ماكانت قديماً وجاءته لقصد الاستلام
وأشبع من قليل الخبز ألفاً فما نقص الأكول من الطعام
وأشبع من جدا المعز ألفاً وما نقص الادام عن البرام
وعكة أم مالك إذ أتاها فلم تنقص بذاك عن الادام
وأشبع من سواد الشاة خلقا وكم قد عم من منن جسام
وأروى جيشه بالكف منه فصار الماء من كفيه هام
وهم ألف ونصف الالف حقاً وكل منهم صاد وظام
ونادى الله بالسقيا جهاراً فصب المزن سبعا فى دوام
فأحيا الناس بعد اليأس طراً ولم تنفك تهمى بانسجام
إلى أن جاءه الأعراب يشكو ضراء الغيث فى هدم الخيام
فنادى ربه يارب خفف فلاح الجو مرتفع الجهام
ورد الشمس بعد العصر حتى تعلت فى السما فوق الأكام
وشق البدر للاعجاز ليلا فلاح الحق فى طرق الشآم
وألقى ريقه فى قعر بئر ففار الماء عذبا فى النظام

وفاحت ريحه منه زمانا كريح المسك فض عن الختام
وأعنز أم معبد إذ أتاها وبرك فى ذرى تلك البهام
أثار الدر منها بعد يأس فأروى الركب مع حر الأوام
أباد المشركين بيوم بدر بكف من حصى والله رام
وهم ألف فأعماهم جميعا على بعد فولوا بانهزام
وفرق شملهم وأدام فيهم سهام الرجس مع حد السهام
وألقى فى القليب قليب بدر رؤس القوم والنفر الطغام
وضمضم رجس أهل السفر حقا وفلق هامهم بالاصطلام
وبشر أهل دين الله حقا بأن نصيبهم عال وسام
وأسراه الاله الى علاء وصلى بالملائكة الكرام
ولاقى الأنبياء وأم فيهم وناجى الله فى أعلا مقام
فعاد وقد دنا من قاب قوس وهذا الامر فى وقت المنام
وعاد من السماء قرير عين بتخفيف الصلاة وبالصيام
عليه صلاة ربى كل حين فيارحمن بلغه سلامى
ولا تحرق بيوم الحشر عظمى بنارك إنها شر اللزام
بحق محمد يارب وارحم جميع المؤمنين من القيام
وناظم مدحه عبد ضعيف حسينى وصابى المقام
محمد المسىء بكل حين فيارحمن سهل لى مرامى
أقمت على المعاصى مستمرا ورجواى الشفاعة فى القيام
فجد لى يامحمد منك وأشفع ولا أبقى من الحزب اللئام
فقد سميت باسمك لا تدعنى بيوم الحشر أبقى فى ظلام
فذنبى مثقل للظهر منى يلازم فى النهار وفى المنام

إلى الرحمن فاشفع لى وأهلى ‏ ‏ ‏ ‏ وللأب والدى شيخى إمامى
وللاخوان أصحابى جميعا ‏ ‏ ‏ ‏ وللراجين أهل الاهتمام
عليك صلاة ربى كل حين ‏ ‏ ‏ ‏ تدوم مدا الزمان بلا انصرام

وهذا تنبيه على غريب هذا الفصل جمعته من كلام الأئمة الماضين رحمة الله عليهم أجمعين. الأزهر مشرق اللون ، والادعج شديد سواد الحدقة، والأنجل: واسع شق العين ، والأشكل : الذى فى بياض عينيه حمرة ؛ وهو محمود ،والاشفار شعر الاجفان ، والاهدب طويلها وفى حديث أم معبد فى أشفاره عطف أى طول وانعطاف ، والابلج مشرق الوجه مسفره ، والبلج أن يكون ما بين الحاجبين نقيا من الشعر وهو محمود ، والقرن اتصالها ، والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر ، والأقنى سائل الأنف المرتفع وسطه . والفلج فرق بين الثنايا : والشنب رونق الأسنان وماؤها ، وعظيم الهامة ضخمها ، ومعتدل القامة كقوله بعد ربع القد أى طويل ولا قصير ، والقد التقطيع ، وقوله مدور الوجه . وقد روى أنه كان أسيلا ولم يكن مستديراً ؛ وهو ﷺ قد جمع نهاية الحسن فهو مستدير على طوله ، وخده أسيل أى لين طويل فمن وصفه بالاستدارة راعى رفعة الوجه وحسن تناسبها واستوائها ، ومن وصفه بالطول راعى الخدين وحسن طولهما فهو ﷺ فى نهاية حسن الطول وحسن الاستدارة ، ذلك المستدير الذى ليس بطويل مذموم ، والطويل الذى ليس بمستدير مذموم ، فهو فى نهاية الجهتين ﷺ يتلألأ أى يلمع ويضىء ، والأسرة الخطوط التى فى جبهته مثل التكسر فيها ، والملاحة شدة الملاءمة : أى يرى شخص الجدر فى وجهه كأنه مرآة، والجبينان ماعن يمين الجبهة وشمالها .وكثوفة اللحية أن تكون غير دقيقة ولا طويلة ، لكن فيها كثافة أى كثرة ، وضليع الفم أى عظيمه والعرب تحمد ذلك وتذم صغره ، وقيل أراد عظم الاسنان وتراصها ، والدمية الصورة

وسواء البطن والصدر أى مستويهما ، والضخم والعبل الغليظ ، والرحب الواسع ، والشثن اللحيم والزندان عظم الذراعين ، وسائل الاطراف . طويل الاصابع ، وسبط العصب ، ويروى القصب أى ممتد ليس فيه تعقد وتنوء ، والأنور النير ، والمتجرد الذى تجرد عنه الثياب من جسده ، فاذا تجرد فهو ملىء العين ، والحوشة الدقة ، واللبة موضع النحر ، وحب الغمام البرد والنواجذ بالجيم والذال المعجمة الأضراس ، والجهير العالى ، ويقال هو حسن النغمة إذا كان حسن الصوت بالقراءة ، والمتماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً ، والمطهم مسترخى اللحم ، والمكلثم قصير الذقن ، وضرب اللحم خفيفه ، ومنهوس العقب أى قليل لحمها ، والأخمص الذى لا تناله الأرض من وسط القدم ، وخمصان متجافى أخمص القدم ، ومسيح القدمين أملسهما لا وسخ فيهما ولا شقوق ولا تكسر ، وقال أبو هريرة لا أخمص له ، والشعر الرجل الذى كأنه مشط فتكسر قليلا لا بسط فيه ولا جعد، والعقيقة شعر الرأس ، المعنى: إذا انفرقت من ذات نفسها فرقها ، وإلا تركها معقوصة، وشحمة الاذن ما لان من أسفلها ، والضفر نسج قوى الشعر وإدخال بعضه ببعض ،فاذا لويت فهى عقيصة ، والتقلع رفع الرجل بقوة ، والتكفؤ الميل إلى سنن المشى وقصده ، والذريع واسع الخطو كان يرفع رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ، وكل ذلك برفق وتثبت بلا عجلة ، وربما أسرع فى مشيه لحاجة ذكرها ، والصبب ما انحدر من الأرض ، وقوله التفت جميعا يقول : كان لا يلوى عنقه يمنة ، ولا يسرة ناظراً إلى الشىء كفعل الطائش ، ولكن كان يقبل جميعا ويدبر جميعا ، والملاحظة النظر بلحاظ عينه إلى الشىء شزراً ، وهو شق العين الذى يلى الصدغ ، والذى يلى الأنف الماق والموق ويسوقهم أى لا يأذن لهم أو لاحد أن يمشى خلفه لكن يقدمهم ويمشي خلفهم تواضعا، والجمع المجتمع كالبيضة ، وقوله أشار بكفه كلها ،

أن إشارته كانت مختلفة ، فما كان منها فى ذكر كالتوحيد والتشهد فهو بالمسبحة وإذا أشار فى غير هذا المعنى أشار بكفه ليكون بين الاشارتين فرق ، وقوله اتصل بها أى اتصل حديثه باشارة تؤكده . وأشاح مال وانقبض ، وأراد بالحبشى الجزع والعقيق لأن معدنهما اليمن والحبشة ، وقيل أراد نوعا آخر . والقبيعة التى تكون على رأس القائم ، وربما اتخذ من فضة على رأس السكين ، والحبرة المخطط والجبة ثوبان يخاطان ويحشى بينهما قطن ، والجيب الفتح الذى يدخل فيه الرأس ، والفرجان الموضعان المشقوقان قدام القميص وخلفه يجعل لأجل الركوب والقطرى ضرب من البرود حمرلها أعلام فيها بعض خشونة ، ويقال توشح بثوبه إذا جعله مكان الوشاح وهوما يتوشح به ينسج من أديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة على عاتقيها وكشحيها ، وقد يقال التوشح والتأبط والاضطباع بمعنى فالاضطباع مسنون فى الطواف ، والسعى مكروه فى جميع الصلوات ، وهو أن يدخل وسط ثوب تحت إبطه الأيمن فيجمع طرفيه على منكبه الايسر ويبدى ضبعيه وهما عضداه كذا ذكره أهل اللغة والفقه ، زاد الغزالى فى الاحياء : ويرخى طرفا وراء ظهره وطرفا بصدره . قال فى فقه اللغة : التأبط أن يدخل الثوب تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الايسر . قال وكانت ردية النبى صلى الله عليه وسلم التأبط . وقد مضى فى القسم السابع والثلاث من الباب الرابع تفسير اللبسة الصماء وكراهتها . والمجول الصدرة وهو قميص قصير ، والرسغ موصل الكف فى الذراع ، والقبال سير بين الاصبعين الوسطى والتى تليها ، والترجل الادهان ، وامتشاط الشعر ، ولا بأس بالاستلقاء كما وصف إذا كان الازار سابغا ولابسه عن التكشف متوقيا ، فان لم يكن كذلك كره ، وعليه يحمل حديث النهى . والقناع التقنع بثوب ، والروال اللعاب : ويقال خرط المنقود إذا وضعه فى فيه وأخرج عمشوقه عاريا ، والخربز نوع من البطيخ ، والجمار قلب النخلة

وهو شحمها أبيض مستطيل كهيئة الفواد ، وبجمع الطعام إذا هيأ أكله ، والحيس تمر يخلط بسمن وأقط ،والقلنسوة لباس الرأس ، فما كان مدورا فهو كمة ، وما كان طويلا فبرنس ، وكانت كمته بطحاء أي لاطئة بالرأس ، والعنزة العكاز ، وهى عصا أسفلها زج من حديد ، وقد كان للزبير رضى الله عنه عنزة فسأله إياها النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه إياها فلما قبض أخذها ثم أعطاها أبا بكر فلما قبض أخذها كذلك ثم سألها عمر فاعطاه إياها فلما قبض أخذها ثم أعطاها عثمان رضى الله عنه فلما قتل عثمان رضى الله عنه وقعت عند آل على فطلبها عبد الله ابن الزبير وكانت عنده حتى قتل . فانظر كيف تداولوها للتبرك فى أثره ﷺ. والمنطقة هى التى يشد بها المرء وسطه ، ويقال رمل الحصير إذا شقه ؛ وأراد على أنه نسيج على وجه السرير من السعف والسعف أغصان النخل، والشريط الحبل من الخوص والخوص ورق النخل والمقل ، وعرس أى نام آخر الليل ، والرباع جمع ربعة وهى جونة العطار ، والخطمى نبات يغسل به الرأس ، ولبده جعل فيه شيئا من الصمغ ليتلبد فلا يقمل ولا يتشعث .والسحولية منسوبة إلى سحول قرية فى اليمن ، ورصف أى لواه على مدخل النصل فى السهم والمرجل الذى عليه صور الرجال .

وقولنا فى الابيات: الجمام أى العظام ، والعيس أى الابل البيض ، والادواء جمع داء ليمسحه أى ليمسح البلاء ، والرجام القبر وقد أحى الله له يوسف بن كعب وقصته طويلة ، والحطيم اليابس: وقولنا لقاه هى لغة طى ، والافصح لقيه بكسر القاف، والذراع ذراع الشاة وسمتك أى جعلت لك السم فى ، وهى زينب بنت الحارث اليهودية . والتهامى منسوب إلى تهامة وهى بلد منخفض قال البطليوسى هو اسم واقع على جزيرة العرب وهى مابين عدن إلى أطراف الشام طولا ومن جدة وما والاها من شاطىء البحر إلى أقصى العراق عرضا .والذام العيب والسلام بفتح السين

شجر ، ونخد أى تقطع ، وسوادالشاةهوسوادبطنها أطعم منه مائة وثلاثين . والهامى المنصب وكان مقتضاه هاميا لأنه فى موضع نصب فحذف ضرورة . والصادى العطشان ، والجو مابين السماء والارض ، والجهام السحاب . والبهام جمع بهم وهى الانثى من أولاد المعز والضأن ، والاوام العطش ، والحسام السيف ، والقليب البئر والطغام الاوغاد ، والاصطلام الاستئصال ، واللزام الملازم والمرام المطلب ، وقوله طرا أى جميعا ، وقطع ألف الاستلام ونحوه ضرورة ، والقيام الجماعات ، والحمام بكسر الحاء الموت ، والانصرام الانقطاع ، والله أعلم .



الباب السادس

فى الاذكار والدعوات المباركات النافعات التى وردت فيها الفضيلات. جمعتها فى هذا الباب تقريبا للأصحاب ؛ راجيا من الله تعالى الثواب. وقد أضفتها إلى من سهل على من ناقليها لتطمئن نفس العامل فيها ، وقد أضيف إلى كتب غريبة وهى فى أشهر منها قريبة طلبا للتعريف والاستعجال قبل حدوث الموت والاشتغال .

قال الله تعالى (فاذكرونى أذكركم) وقال الله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) وقال تعالى (ولذكر الله أكبر) أى أكبر من كل عبادة سواه .وقال تعالى (ادعونى أستجب لكم) وروى الترمذى وابن ماجه أن النبى ﷺ قال « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا ! بلى يا رسول الله ، قال « ذكر الله تعالى » وقال عطاء رضى الله عنه : ان الصاعقة لا تصيب ذاكرا لله . قال ابو جعفر الباقر الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ، ولا تصيب ذاكراً

قلت : وذكر الله غير منحصر فى التسبيح والتهليل والتكبير ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى فهو ذاكر لله كذا حكاه النووى عن ابن جبير وغيره . وقال عطاء : مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحرام ، وكيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتزكى وتحج ، وتنكح وتطلق ؛ وأشباه هذا . وقال الحسن : الذكر ذكران ، ذكر الله بينك وبين نفسك ما أحسنه وأعظم أجره ، وذكر الله عند ما حرم الله أفضل . وقال غيره : الذكر هو طاعة الله ، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ، فمتى كان الرجل مطيعاً كان فى ذكره كثيراً

لقوله ﷺ « من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » رواه الثعالبي والواحدي . وكل من ترك حراماً خوفاً من الله تعالى أو فعل ما يرجو به ثواباً من الله تعالى فهو ذاكر لله وان لم يتلفظ بتسبيح ونحوه ، وهذا أفضل الذكر ، ولهذا قال يوسف بن اسباط رضي الله عنه : ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله ، لكنه الذي إذا رفع ذؤابة الميزان علم أن الله يراه ، فأخذ الحق وأعطاه.

وأفضل الذكر ذكر القلب واللسان معاً ، ثم الذكر في القلب وحده ، ثم ذكر اللسان بلا قلب . قال النووي رحمه الله : والمراد من الذكر حضور القلب فليحرص الذاكر على تدبر ما يذكر وتفهم معناه ؛ ولهذا يستحب مد الذاكر قول لا إله إلا الله لما فيه من التدبر . قال : وأفضل الأذكار قراءة القرآن. قال الغزالي رحمه الله : ومن أفضل الأذكار الله لا إله إلا هو الحي القيوم ، فان فيه اسم الله الأعظم . قال ويقرب منه قولك سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

واعلم أن جميع الأذكار المشروعة واجبة كانت أو مستحبة لا يعتد بشيء منها حتى يتلفظ به بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع

وهذا حين أنثر الفوائد بالدلائل، وأبرز مكنون الوسائل والفضائل. روى في الصحيحين أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا والنعيم، يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من الأموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون بفضول أموالهم . فقال لهم النبي ﷺ « ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ » قالوا

بلى يا رسول الله ، قال « تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة».

قلت فيقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر حتى تكون منهن كلهن ثلاثاً وثلاثين ، ويزيد تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، فمن قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل . رواه مسلم فى صحيحه .والدثور — هى الأموال الكثيرة . وقال ﷺ « معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة ، وثلاثاً وثلاثين تحميدة ، وأربعاً وثلاثين تكبيرة » رواه مسلم أيضاً .

﴿ تنبيه ﴾ واعلم أن صحيحى البخارى ومسلم أصح الكتب المصنفة ، وقد أجمع الناس على تسميتهما صحيحين ، وذلك لأنهما لم يدخلا فى كتابيهما إلا ما صح عندهما ، وذلك مارواه عن النبى ﷺ اثنان من الصحابة فصاعداً مشهوران ، وما نقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من عدول التابعين فأكثر وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة . وروى عن مسلم أنه قال . لم أدخل فى كتابى هذا إلا ما أجمعوا على صحته — يعنى أئمة الحديث — كمالك ، والثورى وشعبة ، وأحمد ، وابن مهدى ، وغيرهم ، فلتطمئن نفسك أيها الصاحب بما خرجاه رضى الله عنهما . وقال ﷺ « خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ومن يعمل بهما قليل ، يسبح الله دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشراً ويكبر عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان ، ويكبر أربعاً وثلاثين إذ أخذ مضجعه ، ويحمده ثلاثاً وثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فذلك مائة باللسان ، وألف فى الميزان » . رواه الترمذى وأبو داود فى دبر والنسائى ، وقال ﷺ « من قال الصبح وهو ثان رجليه قبل أن

يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ورفع له عشر درجات ومحى عنه عشر سيئات وكان يومه ذلك فى حرز الله تعالى من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم يتبع بذنب أن يدركه ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى» رواه الترمذى وغيره . وقال حديث حسن صحيح . وفى كل هذه الأحاديث دليل على عقد التسبيح ونحوه ، باليد ونحوها ، فعله النبي ﷺ وأمر به بقوله للنساء « اعقدن بالأنامل فانهن مسؤلات مستنطقات » وكان أبو هريرة يسبح بالنوى الذى قدحك بعضه حتى ابيض منه شيء ، ودخل ﷺ على امرأة وبين يديها حصى تسبح به فلم ينكر عليها . وقال ﷺ « مامن عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلم يضره شيء » . رواه أبوداود والنسائى والترمذى . وقال حديث صحيح . وفى سنن أبى داود « لم تصبه فجأة بلاء » وقال ﷺ لعبد الله بن حبيب ! قل :قال ما أقول يارسول الله ! قال« قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» رواه أبو داود والنسائى والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح . وقال ﷺ « من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى حسبى الله لا إله إلا هو عليك توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة» رواه ابن السنى وغيره .

فينبغى المواظبة على هذا ، فقد قال ابن أبى الصيف اليمنى : ينبغى الاعتماد من ربع العبادات على تلاوة القرآن وقول حسبي الله إلى آخره قال لان العبادات سوى هذين يشترط فيها حضور القلب والصدق ، وتلاوة القرآن قد جاء أنها أعظم القربات بفهم وغير فهم ، وقائل حسبي الله قد جاء أن الله يكفيه ماأهمه صادقا كان

به أو كاذبا وقال ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات عقب صلاة المغرب بعث الله له مسلحة يتكفأ به من الشيطان حتى يصبح وكتب الله له بها عشر حسنات موجبات ومحا عنه عشر سيئات موبقات وكانت له بعدل عشر رقاب مؤمنات » رواه الترمذى والنسائى (١) ويقول ذلك بعد سنة المغرب فقد ورد حديث بتعجيلها قبل أن يتكلم . وقيل لأبى الدرداء قد احترق بيتك ، فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ماشاء الله كان وما لم يشأ الله لم يكن لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » رواه ابن السنى وأبو عمرو بن الصلاح فى المنتخب من كتاب الدعوات للواحدى ونحوه وجدت فى كتاب أنس المنقطعين . ورواه ابن السنى أيضاً من طريق آخر وقال فيه — يعنى أبا الدرداء — ما احترقت لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من قال حين يصبح هذه الكلمات وذكرها لم يصبه فى نفسه ولا أهله ولا ماله شيء يكرهه » وقد قلتها اليوم . ثم قال : انهضوا بنا . فقام وقاموا معه حتى انتهوا إلى داره ، فوجدوا قد احترق ما حولها ولم يصبها شيء ونحوه . روى أيضاً عن بريدة . وقال فيه ما قاله إذا أصبح وإذا أمسى ثم مات دخل الجنة وفى سنن أبى داود « سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان إلى قوله علماً » قال ﷺ « من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ، ومن قالهن حين يمسى

---

(١) المسلحة : بالسين والحاء المهملتين . الحرس

حفظ بهن حتى يصبح» وقال ﷺ «من قرأ حم المؤمن إلى قوله اليه المصير وآية الكرسي حين يصبح حفظ حتى يمسي ومن قالهن حين يمسي حفظ بهما حتى يصبح» رواه الترمذى وابن السنى ويروى وسورة حم الدخان . وقال ﷺ «من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون إلى قوله وكذلك تخرجون أدرك ما فاته فى يومه ذلك ، ومن قالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته» رواه أبو داود والنسائى وقال ﷺ «من قال سبحان الله حين تمسون الثلاث الآيات وآخر الصافات دبر كل صلاة يصليها كتب الله له من الحسنات عدد نجوم السماء وقطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد نبات الأرض ، وإذا مات أجرى الله له بعدد كل حسنة عشر حسنات فى قبره» رواه الثعالبى فى تفسيره ويروى أن رجلا قال : يا رسول الله تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال ﷺ «فأين أنت عن صلاة الملائكة . وتسبيح الخلائق وبها يرزقون» قال وما ذا يا رسول الله ؟ قال «قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله مائة مرة ما بين صلاة الفجر إلى أن يصلى الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ، ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه» ذكره الغزالى رحمه الله فى كتاب الأحياء . وذكره القاضى أبو الحسين الأندلسى فى بعض مصنفاته ونحوه روى ابن الصلاح عن الواحدى باسناده وسئل ﷺ عن قوله تعالى (له مقاليد السماوات والأرض) فقال «هى لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله لا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، من قالها إذا أصبح وإذا أمسى عشر مرات أعطاه الله سبع خصال يحرس بها من إبليس وجنوده ويحضره اثنى عشر ملكا يحفظونه ويستغفرون له ويعطى قنطاراً من الأجر وترفع له درجة ويزوجه الله زوجة من الحور العين ويكون له من الأجر كمن قرأ التوراة والانجيل والقرآن وكمن حج واعتمر

فقبلت حجته وعمرته وإن مات من ليلته مات شهيدا » أورده الفقيه ابن بطال فى الأربعين التى خرجها من الحسان والصحاح . وروى نحوه فى تفسير الثعالبى وقال ﷺ « من قال حين يصبح أو يمسى اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله الا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ، فمن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار جميعه » رواه أبو داود . ونحوه روى الترمذى ، وفى روايته « من قال ذلك إذا أصبح غفر الله له ما أصابه فى يومه ذلك من ذنب ومن قاله حين يمسى غفر الله له ما أصاب فى تلك الليلة من ذنب » وقال ﷺ « من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته » رواه أبو داود أيضاً . وقال ﷺ من قال إذا أصبح اللهم إنى أصبحت فى نعمة منك وعافية وستر فأتم اللهم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى كان حقاً على الله أن يتم عليه نعمته » رواه ابن السنى وقال ﷺ «من قال إذا أصبح وإذا أمسى لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل ، وكتب له عشر حسنات وحط عنه عشر سيئات ورفع له عشرة درجات . وكان يومه ذلك فى حرز من الشيطان حتى يمسى ، وان قالها اذا أمسى كان مثل ذلك حتى يصبح » رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه . وعن مسلم بن الحارث أن النبى ﷺ أسر اليه فقال « إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك اذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك كتب لك جوار منها ، واذا صليت الصبح فقل ذلك

فانك اذا مت من يومك كتب لك جوار منها » رواه أبو داودويروى «جواز منها » وفى كتاب النجم قال النبي صلى الله عليه وسلم « من استجار من النار سبعاً أجير منها » وقال صلى الله عليه وسلم « من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً ، خمس للدنيا وخمس للآخرة ، حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى علي ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عندالموت ، حسبي الله عند المسألة فى القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت واليه أنيب » رواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول . وذكر المعافى بن اسماعيل فى كتاب أنس المنقطعين . وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه كان يقول : من قال حين يصبح اللهم ماحلفت من حلف أو قلت من قول أو نذرت من نذر ، فمشيئتك بين يدى ذلك كله ماشئت كان وما لم تشأ لم يكن ، اللهم اغفره لى وتجاوز لى عنه ، اللهم فمن صليت عليه فعليه صلاتى ومن لعنت فعليه لعنتى — كان فى استثناء يومه ذلك أو قال ذلك اليوم » رواه أبو داود . وقد روى مرفوعا، وقال ﷺ «مامن عبد مسلم يقول إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا إلا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك على الصحيحين . وقال حديث صحيح الاسناد ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح ، وفى روايته وبمحمد ﷺ نبيا ، فينبغى الجمع بينهما فيقول نبياً ورسولا ذكره النووى ، وفى سنن أبى داود « من قال ذلك وجبت له الجنة » وقال ﷺ « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى ، وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيداً ، وما من مسلم يقولها حين يمسى إلا كان بتلك المنزلة » رواه الترمذى

وابن السنى ، وقال ﷺ « من قرأ آخر سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » وسئل ﷺ عن الاسم الاعظم فقال « عليك بآخر سورة الحشر » قاله مراراً ، رواهما الثعالبي ، وقال ﷺ من قرأ ثلاث آيات من أول الانعام حين يصبح وكل الله به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة ، ونزل ملك من السماء معه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقى فى قلبه شيئا ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعون ألف حجاب ، فاذا كان يوم القيامة : قال الله تعالى (يا ابن آدم امش تحت ظلى وكل من ثمار جنتى واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل فأنت عبدى وأنا ربك لاحساب عليك ولا عقاب » رواه الواحدى فى الوسيط . وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الحجاج غضب عليه وقال : لولا كتاب عبد الملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا ، فقال له أنس رضى الله عنه : إنك لا تستطيع ذلك ،قال ؟ وما يمنعنى . قال دعوات علمنيها رسول الله ﷺ وقال لى ادع بها كل صباح ومساء ، فقال له علمنيها فأبى فألح عليه فأبى ، قال أبان فسألته عن ذلك حين مرض فقال : قل ثلاث مرات بسم الله على نفسى وعلى دينى ، بسم الله على أهلى وولدى ومالى ، بسم الله على كل ما أعطانى ربى ، الله الله الله ربى لا أشرك به شيئا ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، وأعز ، وأجل مما أخاف وأحذر ، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، اللهم إنى أعوذ بك من شر كل شر ، وشر كل شيطان مريد ، وشر كل جبار عنيد ، فان تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ذكره أبو الليث السمرقندى فى كتابه تنبيه الغافلين وقال ﷺ « من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة أستغفر الله الذى لا إله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ، ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو

كانت مثل زبد البحر » رواه ابن السنى وغيره ؛ وقال قبيصة يارسول الله علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبر سنى ، وعجزت ، فقال ﷺ «أما لدنياك فقل اذا صليت الصبح ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فانك اذا قلتهن أمنت من الغم والجذام ، والبرص والفالج ، وأما الأخراك : فقل اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك » ثم قال ﷺ « أما انه اذا وافى بهن يوم القيامة ولم يدعهن فتح الله له أربعة أبواب من الجنة » رواه الغزالى فى الاحياء ، وقال فيه أيضا إن هذه الكلمات وهى بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله من قالها ثلاثا إذا أصبح أمن من الغرق والحرق والسرق ، قال وهو دعاء الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا فى كل موسم ، وذكر أن فى كتاب مكنون الجواهر وحرز القطين والمسافر أن النبى ﷺ قال « من قال حين يصبح بسم الله الرحمن الرحيم لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم عشر مرات خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ويدفع الله عنه اثنين وسبعين باباً من البلاء أدناها الجذام والبرص ، ووكل الله به ألف ملك يستغفرون له الى الليل وكان أعظم أجراً ممن حج سبعين حجة واعتمر سبعين عمرة متقبلة بعد حجة الاسلام. وهى رقية من اثنين وسبعين داء من البلاء » وذكر فيه أيضا قال ﷺ « من قال اذا أصبح واذا أمسى اللهم أنت خلقتنى ، وأنت تميتنى وتحيينى ثم يسأل الله شيئا إلا أعطاه » وقال ﷺ « من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن حمل على مائة فرس فى سبيل الله ، وقال غدا مائة غدوة ؛ ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ، ومن

كبرالله مائة بالغداة ومائة بالعشى لم يأت أحد فى ذلك اليوم بأكثر مما يأتى به إلا من قال مثل ماقال أو زاد على ماقال » وقال ﷺ « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له كفواً أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » روى هذين الترمذى . وقال ﷺ « من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفرت ذنوبه ، وان كان قد فر من الزحف » رواه الترمذى وأبو داود . وقال ﷺ « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان منه من العمل » رواه البخارى ومسلم . وقال ﷺ « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » حديث صحيح ختم به البخارى صحيحه . وقال ﷺ « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » وقال ﷺ « من قال سبحان الله وبحمده فى يومه مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر » وقال ﷺ لأبى موسى « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة ؟ لاحول ولا قوة إلا بالله » رويت هذه الثلاثة فى الصحيحين . وقال ﷺ « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة » رواه مسلم . وقال ﷺ « ماعلى الارض أحد يقول : لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم إلا كفرت عنه خطاياه وان كانت مثل

زبد البحر» رواه الترمذى وقال حديث حسن . وروى أيضا أنه ﷺ دخل على صفية وبين يديها أربعـة آلاف نواة تسبح بها فقال « ألا أعلمك بأ كثر مما سبحت به سبحان الله عـدد خلقه » وقال ﷺ « إن الله اصطفى من الـكلام أربعا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أ كبر فمن قال سبحان الله حطت عنه عشرون سيئة وكتب له عشرون حسنة ؛ ومن قال الله أ كبر فمثل ذلك ، ومن قال لا إله الا الله فمثـل ذلك ، ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون خطيئة » رواه أبو داود وغيره . وقال ﷺ « خذوا جنتكم » قالوا من عدو حضر يارسول الله ؟ قال «بل من النار » قالوا وما جنتنا ؟ قال « سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أ كبر ولاحول ولا قوة الا بالله العـلى العظيم ، فانهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات وهن الباقيات الصالحات » رواه الثعالبى والواحدى فى تفسيريهما . ودخل ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أوحصى تسبح به ، فقال لهـا النبى ﷺ ألا أخبرك بمـا هو أيسر عليك من ذلك وأفضل ؟ فقـال « سبحان الله عدد ماخلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ماخلق فى الارض وسبحان الله عدد مابين ذلك ، وسبحان الله عدد ماهو خالق ، والله أ كبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك . ولااله الا الله مثل ذلك ؛ ولاحول ولا قوة الا بالله مثل ذلك » رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن . ويروى أن جبريل عليه السلام قال للنبى ﷺ : «قل سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أ كبر ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم عدد ماعلم الله ، وزنة ماعلم الله ، وملء ماعلم الله ، فان من قالهن كتب الله له ست خصال كتب من الذا كرين لله كثيراً ، وكان أفضل من ذكره الليل والنهار ، وكن له غرساً فى الجنة ، وتحاتت عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله إليه ومن نظر اليه لم يعذبه » . رواه

الواحدى فى وسيطه والثعالبى وغيرهما وقال ﷺ «مامن مسلم يأوى إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه إلا وكل الله به ملكا لا يدع شيئا يقربه يؤذيه حتى يهب متى هب» رواه الترمذى والنسائى وابن السنى — ومعنى قوله يهب أى ينتبه ويقوم — وقال ﷺ «من قال حين يأوى الى فراشه استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد النجوم ، وإن كانت عدد رمل عالج وإن كانت عدد أيام الدنيا رواه الترمذى وقال حديث حسن — وعالج اسم موضع رمله كثير وقال ﷺ «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما فى ليلة كفتاه» روى فى الصحيحين وقيل «كفتاه من الآفات فى ليلته ، وقيل من قيام ليلته» ودليله ماروى الثعالبى أنه ﷺ قال «من قرأهما بعد العشاء الأخيرة مرتين أجزأتا عنه قيام الليل (آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه) إلى آخر البقرة قال النووى : ويجوز أن يراد الأمران. وقال ﷺ «علموها — يعنى الكافرون — صبيانكم ليقرؤها عند منامهم فلا يعرض لهم شىء» رواه الثعالبى وقال ﷺ «ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الاشراك بالله ؟» قالوا بلى يا رسول الله ! قال «تقرؤن قل يا أيها الكافرون عند منامكم» رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده ونحوه روى الترمذى وأبو داود والثعالبى والواحدى. وقال ﷺ «من أوى إلى فراشه طاهرا وذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه» وقال ﷺ «مامن عبد يقول عند رد الله روحه إليه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير إلا غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر» رواهما ابن السنى، وروى الأول منهما أيضا الترمذى، ونحوه روى أبو داود والنسائى. وقال ﷺ «من قرأ عند منامه ذلك جزاؤهم جهنم إلى آخر الكهف وسأل الله تعالى

أى ساعة قام فيها ذكره الغزالى فى كتابه كنز الانام فى أدعية الايام وقال ﷺ «من تعار من الليل فقال حين يستيقظ لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم دعا رب اغفرلى استجيب له فان قام وتوضأ وصلى قبلت صلاته» رواه البخارى وغيره — وقوله تعار أى استيقظ وقيل تمطى وأن — وقال ﷺ «إن فى الليل لساعة لايوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه ، وذلك كل ليلة » رواه مسلم وقال ﷺ « اذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فانما هى من الله فلايحدث بها إلا من يحب، واذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فانها لاتضره » رواه البخارى — والتعوذ أن يقول أعوذ برب موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى ومحمد المصطفى ﷺ من شر مارأيت فى رؤياى أن تضرنى فى دينى ودنياى ، عز جار الله وجل ثناء الله وتقدست أسماءك ذكره فى تجريد الصحاح ويروى « فلينفث [1] عن يساره ثلاثا وليتعوذ من الشيطان » روى فى الصحيحين ويروى « اذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتفل ثلاث مرات عن يساره ثم يقول اللهم إنى أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الاحلام فانها لا تكون شيئا» رواه ابن السنى وروى الترمذى «وليقم فليصل» ويروى «وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » وقال ﷺ « من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أويوم الجمعة أعطى نوراً من حيث يقرؤها الى مكة المشرفة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال » ذكره فى إحياء علوم الدين. وقال ﷺ « من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من

---

(١) والنفث نفخ لطيف بلا ريق .

الدجال » رواه مسلم . وفى كتاب الترمذى «ثلاث آيات» ويروى «عشر آيات من آخر سورة الكهف » وعن سهيل بن أبي صالح قال أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا ، فناداه مناد من حائط باسمه وأشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبى فقال لوشعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ولكن إذا سمعت صوتا مثله فناد بالصلاة ، فانى سمعت أبا هريرة يحدث أن النبى ﷺ قال « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة أدبر » وقال رجل : يارسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ؟ فقال النبى ﷺ « أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق لم يضرك » وقال ﷺ « من نزل منزلا ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » روى هذه الثلاثة مسلم فى صحيحه. وفى كتاب ابن السنى يقول ذلك ثلاثا . قال الهروى : وكلمات الله التامات هى القرآن . وفى كتاب الترمذى من قال ذلك حين يمسى ثلاث مرات لم تضره حمة تلك الليلة . وقال ﷺ «من قرأ إذا سلم الامام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، وأعطى من الأجر بعدد من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر» وروى فى الأربعين المحررة. وفى كتاب ابن السنى «من قال ذلك أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى» ولم يذكر فى حديثه فاتحة الكتاب، قال الغزالى : ويقول بعد ذلك : اللهم ياغنى ياحميد يامبدىء يامعيد يارحيم ياودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ، فمن داوم على هذه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لايحتسب ذكره فى الاحياء . وذكر فيه أيضا أن آدم عليه السلام لما أراد الله أن يتوب عليه طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ، ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم مافى نفسى وما عندى فاغفر لى

ذنوبي اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني الا ما كتبته لى فأرضني بما قسمته لى . فأوحى الله اليه إني قد غفرت لك ولم يأت أحد من ذريتك فيدعوني بمثل مادعوتني به الا غفرت له وكشفت همه وغمه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، وجاءته الدنيا وهى راغمة وان كان لا يريدها . وذكر فى الباب الثانى من كتاب الدعوات أيضا قال ﷺ «من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت غفرت ذنوبه ولو كانت كمدب النمل» وفيه أيضا قال علي كنت إذا سمعت من النبي ﷺ حديثا فينفعنى الله تعالى منه بما شاء أن ينفعني فاذا حدثني أحد من الصحابة استحلفته ، فاذا حلف صدقته ، وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت النبي ﷺ يقول « مامن عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له » ثم تلا قوله تعالى (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وغيرهم . ويروى أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال واذنوباه مرتين أو ثلاثا فقال له النبي ﷺ « قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندى من عملي » فقالها ثم قال له النبي ﷺ عد فعاد ، ثم قال له عد فعاد ، ثم قال له عد فعاد ، ثم قال له قم فقد غفر الله لك » رواه الحاكم فى المستدرك وروى ابن الصلاح باسناده عن الواحدى إلى النبي ﷺ أنه قال « تصلى ثنتى عشرة ركعة من ليل أو نهار تقرأ فى كل ركعة الحمد لله وسورة ولا تسلم إلا فى آخرهن ، ثم تسجد وتقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسى سبع مرات ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات ثم قل اللهم إني أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وبكلماتك التامة ثم سل حاجتك ولا تعلموها السفهاء فيتعلمون

ذلك» وقال أحمد بن حرب أحد رواة هذا الحديث. أخبرنى مائة أو يزيدون ممن فعلوا ذلك فاستجاب الله دعاءهم فى أمور الدنيا والآخرة . وقال أبو زكريا العنبرى: وقد جربته فوجدته أنا كذلك . وقال ﷺ « من كانت له حاجة الى الله تعالى أو الى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ، ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثن على الله تعالى وليصل على النبى ﷺ ثم ليقل لا إله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، اللهم لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين » رواه الترمذى وابن ماجه .

وينبغى أن يزيد إلى ذلك دعاء الكرب وما بعده مما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى ، ويزيد اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة ، يامحمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى ، اللهم شفعه فى . فقد رواه الترمذى عن النبى ﷺ فى حديث وقال هو صحيح ، ويزيد أيضاً : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، فقد صح أن ذلك كان أكثر دعاء النبى ﷺ وأن أنساً رضى الله عنه كان لا يدعو بدعاء إلا جعلها فيه . وذكر الغزالى فى الاحياء صلاة الحاجة وهى أن يصلى أثنى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وآية الكرسى والاخلاص ، فاذا فرغ خر ساجداً ثم قال سبحان الله الذى لبس العز وقال به، سبحان الله الذى تعطف بالمجد وتكرم به، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى المن والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم ، وجدك الأعلا ، بكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد

ثم يسأل حاجته فانه يستجاب له . وروى فى كتاب فضائل الأعمال أن النبي ﷺ قال « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوء جيداً ، ثم ليقم فى موضع لا يراه فيه أحد فيصلى أربع ركعات يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الثانية بالفاتحة مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ؛ فاذا فرغ من الصلاة قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خمسين مرة ، ثم يصلى على النبي ﷺ خمسين مرة ، ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة فانه إن كان عليه دين يقضى عنه ، وإن كان فقيراً أغناه الله تعالى ، وإن كان غريباً رده الله إلى وطنه ، وإن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولداً » وفيه أيضا قال ﷺ : « لو أن لصاحب هذا الاستغفار من الذنوب مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسى وعدد قطر المطر وورق الشجر وماء البحر وعدد الرمل لحطه الله عنه وكتب له عدد ذلك حسنات ولا يفتقر صاحبه أبداً ، وهو : اللهم إنى أستغفرك لما تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك فيه ، وأستغفرك لما أردت به وجهك الكريم فخالطنى فيه ماليس لك فيه رضاً ، وأستغفرك للنعم التى أنعمت على فتقويت بها على معاصيك وأستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ، ولكل معصية ارتكبتها ، ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به ، وفيه أيضاً قال ﷺ « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة أم الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد خمسة وعشرين مرة ، ويقول إذا فرغ من صلاته ألف مرة صلى الله على محمد النبي الأمى ﷺ فانه يرانى فى المنام

ومن رآنى فى المنام من أمتى فله الجنة ، وغفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ولأبويه إن كانا مسلمين ، ورفع عنه عذاب القبر وشدة القيامة ، وفرج الله عنه كل هم وكرب وحزن ، وعصمه الله من إبليس وجنوده ، وخفف الله عنه سكرات الموت ، ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه ، ويبعث الله له فى الدنيا ألف ملك يحفظونه من الشيطان » وذكر فيه أيضاً دعاء الفرج والنجاة من كل شدة ، وهو أن يتوضأ ويصلى أربع ركعات بتسليمة ، ثم يقول : ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يامبدىء يامعيد . يافعال لما يريد . أسألك بعزك الذى لا يرام ، وبملكك الذى لا يضام ، وبنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شىء ، أن تكفينى شر فلان ، لا إله إلا أنت يامغيث أغثنى يقولها ثلاث مرات فى آخر سجوده ثم يتشهد ويسلم .

وذكر فى هذا حكاية رقيقة تشهد بصدقه ، ونحوه ذكر القشيرى فى رسالته وهى كتاب نفيس فى أخلاق الصوفية وحقائقهم رضى الله عنهم ، ونحوه فى الياقوتة فى العبادات . وروى فى المنتخب من كتاب الدعوات . قالت عائشة رضى الله عنها : يا رسول الله علمنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب ؟ قال لها « قومى فتوضئى وادخلى المسجد فصلى ركعتين ثم ادعى حتى أسمع » ففعلت ذلك وقالت : اللهم إنى أسألك بجميع أسمائك الحسنى ماعلمت منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك العظيم الاعظم الكبير الاكبر الذى من دعاك به أجبته ومن سألك به أعطيته ، فقال ﷺ « أصبتيه أصبتيه » وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه : نزل بى أمر أهمنى فخرجت فى ساعة من الليل إلى المسجد فسمعت حركة الحصى خلفى فالتفت فلم أر أحداً فسمعت قائلا يقول : ادع الله لهذا الأمر الذى نزل بك بهذا الدعاء . قل اللهم : إنى أسألك بأنك ملك وأنك على كل شىء

قدير وأنك ما تشاء من أمر يكون أن تجعل لى من أمرى فرجا ومخرجا قال فوالله ما دعوت بهن فى شىء من أمر الدنيا إلا وقد رأيته ، وأنا أرجو أن يكون ما دعوت به من أمر الآخرة مثل ذلك إن شاء الله رواه عنه ابن الصلاح فى منتخب الدعوات وقال ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة » ويروى « من حفظها دخل الجنة وإن الله تعالى وتر يحب الوتر » رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم . قال أبو إسحاق الاسفراييني من أحصاها دخل الجنة ، أراد من علمها دخل الجنة على العاقبة إما بالتوبة من الذنوب فى الدنيا ، أو بالشفاعة فى الآخرة ، زاد الترمذى : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن. الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارىء . المصور . الغفار . القهار. الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع. المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل. الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين . الولى . الحميد . المحصى . المبدىء . المعيد . المحيي . المميت . الحى . القيوم. الواجد. الماجد. الواحد. الأحد . الفرد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر. الأول . الآخر . الظاهر . الباطن. الوالى . المتعالى . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك . ذو الجلال والاكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار. النافع . النور . الهادى . البديع . الباقى . الوارث . الرشيد . الصبور . قال الترمذى حديث حسن . وينبغى أن يزاد فيها : الحنان . المنان . المستعان . الرازق . البادى . الأحد . المقيت . المعطى . الدائم . النصير . الحافظ . الجميل . الشاكر .

الفرد . الخلاق. الراحم.الديان . المبين. الأكرم . المجير . الرب.الظهير .المليك.
المنير . الملى. الحفى . الوفى.المولى.الاعلى . السبوح . الغالب . القائم . الكفيل .
الكافى . الستار . العلام . المحمود . المعبود . المحسن . المجمل . الوتر . المقدر .
المحيط . الصادق . القريب . الفاطر . القديم . الذى لم يلد ولا يولد ولم يكن له
كفوا أحد . فكلها أسماء الله الحسنى.وقال ﷺ « إن ملكا موكلا بمن يقول
يا أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاثا قال له الملك إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك
فسل حاجتك » رواه الحاكم فى المستدرك وكان ﷺ يقول عند الكرب
« لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله
رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم » روى فى الصحيحين وفى
رواية لمسلم كان اذا حزبه أمر قال ذلك ، وإذا أصابه غم قال ذلك . وقال على
لقننى النبى ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرنى إن نزل بى كرب أو شدة أن أقولها
لا إله إلا الله الكريم العظيم سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم الحمد لله رب
العالمين. رواه النسائى وابن السنى،قال : وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها
على الموعوك ، ويعلمها المغتربة من بناته وهى التى تزوج بغير أقاربها

فينبغى لكل من وقع فى شدة أو كرب أن يقول كل ذلك ، ويزيد عليه
لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم سبحان رب السموات
السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، لا إله الا أنت عز جارك وجل
ثناؤك ياحى ياقوم برحمتك أستغيث، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى الى نفسى
طرفة عين وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت الله الله ربى لا أشرك به شيئا يقول
هذه سبعا لا إله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، ماشاء الله لا قوة
الا بالله حسبنا الله ونعم الوكيل ، اعتصمت بالله ، استعنت بالله توكلت على الله
تحصنا كلنا أجمعين بالله الحى القيوم الذى لا يموت أبدا.ودفعنا عنا السوء بلاحول ولا

قوة الا بالله العلى العظيم ، اللهم ياقديم الاحسان يامن إحسانه فوق كل إحسان يامالك الدنيا والآخرة ياذا الجلال والاكرام ، يامن لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه ، يا كثير الخير يادائم المعروف ، يابديع السموات والأرض أسألك بأنى أشهد بأنك أنت الله لا إله الا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وأسألك بأنك لك الحمد لا إله إلا أنت أن تصلى على رسولك سيدنا محمد وعلى آله وأن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا وأن تصلح ديننا ودنيانا وتخذل من عادانا . ويزيد ماشاء ، فكل هذه سماء فيها حث أكيد ، وهى مجربة وأنا أرجو أن اسم الله الأعظم لا يعدوها إن شاء الله تعالى . وقد ورد فى ذلك أحاديث صحيحة

وقال ﷺ « من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله. رواه ابن السنى وقال ﷺ « اذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فان الله يصرف بها ماشاء من أنواع البلاء » — رواه ابن السنى — والورطة الهلاك وقال ﷺ « لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » رواه الحافظ أبو نعيم فى كتاب الطب ، ونحوه فى الاربعين المقدسة

وقال ﷺ « من كثر همه فليقل اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك . أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدرى ، وربيع قلبى ، وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى ، ماقالها قط عبد الا أذهب الله همه وأبدله به فرحا » رواه فى السنن ، ورواه ابن السنى أيضا وزاد فيه . فقال رجل إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات فقال صلى الله عليه وسلم « أجل فقولوهن وعلموهن فانه من قالهن التماس مافيهن أذهب الله عنه حزنه أطال فرحه » وقال صلى الله

عليه وسلم لبريدة « ألا اعلمك كلمات اذا اراد الله بعبد خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن أبدا » ؟ قال بلى ! قال « قل اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتى ، واجعل الاسلام منتهى رضاى ، اللهم إنى ضعيف فقونى، وإنى فقير فأغننى ، وإنى ذليل فأعزنى » رواه الرامهرمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى ونحوه ذكر فى كتاب أنس المنقطعين الى عبادة رب العالمين وفى مسند ابن أبى شيبة وفى الاحياء . وقال ﷺ « إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذى سبق الى قلبك، فان الخيرة فيه » رواه ابن السنى . وقال ﷺ « من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين يخلص فيهما لله تعالى ثم استخار على إثر ذلك مائة مرة يقول أستخير الله أستخير الله إلا وفقه الله وسدد أمره » وقال جعفر الصادق :مااستخار عبد قط فى أمر مائة مرة يقف عند رأس الحسين فيحمد الله ويمجده ويثنى عليه بآلائه إلا رماه الله بخير الأمرين » وقال ﷺ « ما استخار عبد قط سبعين مرة بهذه الاستخارة إلا رماه الله بالخير ، فيقول ياأبصر الناظرين ، وياأسمع السامعين، وياأسرع الحاسبين، وياأرحم الراحمين، ياأحكم الحاكمين صل على محمد وعلى آله وخرلى فى كذا وكذا » وذكر هذه الثلاثة فى كتاب الاربعين اليمنية وسأعيد الكلام في الاستخارة آخر الباب الآخر إن شاء الله تعالى

وقال ﷺ « اذا رأيتم الحريق فكبروا فان التكبير يطفئه » وقال ﷺ «اذا وقعت كبيرة أو هاجت ريح عظيمة فعليكم بالتكبير فنه يجلى العجاج الأسود» وقال ﷺ « اذا تغولت الغيلان فنادوا بالاذان » وقال ﷺ « ستر ما بين أعين الجان وعورات بنى آدم أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه بسم الله الذى لا إله إلا هو » روى هذه الاربعة ابن السنى. وقال ﷺ « أمان لأمتى من الغرق اذا ركبوا أن يقولوا (بسم الله مجراها ومرساها إن ربى لغفور رحيم)

وما قدر الله حق قدره » الآية رواه ابن السنى أيضا ونحوه فى وسيط الواحدى وزاد أوله سبحان الله الملك

وقال ﷺ « من لبس ثوباً فقال الحمد لله الذى كسانى هذا الثوب ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، ومن أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة (١) غفر له ماتقدم من ذنبه » روى أوله ابن السنى ، وروى آخره الترمذى وأبو داود وغيرهما . وقال ﷺ « من لبس ثوباً جديداً فقال الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى حياتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به كان فى حفظ الله وفى كنف الله وفى سبيل الله حياً وميتاً »

وقال ﷺ « من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا إلا عوفى من ذلك البلاء كائنا ما كان ماعاش » روى هذين الترمذى ، ويروى « لم يصبه ذلك البلاء » قال الترمذى حديث حسن ، رواه الواحدى فى وسيطه وفيه «من قال ذلك أدى شكر ذلك البلاء

قال النووى : وينبغى أن يقول ذلك سراً بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى . قال فى المستعذب — والبلاء ما أصيب به الانسان من الشدة والتعب فى النفس والمال — وقال ﷺ « من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك » رواه أبو داود والنسائى والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح ونحوه فى المستدرك . وقال ﷺ « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء » ذكره فى الاحياء وغيره . وقال على رضى الله عنه : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى

---

(١) زيادة من نسخة ثالثة

فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون إلى آخر السورة . رواه فى حلية الأولياء لأبي نعيم [1] ونحوه فى الوسيط وفى الكشف

وقال ﷺ « مامن عبدين متحابين فى الله يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه فيصليان على النبي ﷺ إلا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ماتقدم منها وما تأخر » رواه ابن السني . ونحوه فى الاربعين المحررة . وفى رواية لابن السنى « إذا التقى مسلمان وتصافحا وحمدا الله واستغفراه غفر الله لهما » وفى رواية له أيضا : « إن المسلمين اذا التقيا فتصافحا وتكاشرا بود ونصيحة تناثرت خطاياهما بينهما » وقال ﷺ اذا التقيا المسلمان وتصافحا كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبه وأنزل عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ منهما بالمصافحة ، وعشر للذى صوفح » رواه المياسى فى كتاب المجالس المكية .

وقال ﷺ « من دخل السوق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة وبنى له بيتاً فى الجنة » رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك على الصحيحين والحكيم فى نوادر الاصول وغيرهم . وقال ﷺ « اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله لاحول ولاقوة إلا بالله يقال له هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان فيقول الشيطان لشيطان آخر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى » رواه أبو داود ونحوه ؛ روى الترمذى والنسائى وغيرهما .

قال النووى : وينبغى للمسافر أن يقرأ عند إرادته الخروج آية الكرسى ولئيلاف قريش قال فقد جاء أن من قرأ آية الكرسى قبل خروجه من منزله لم يصبه

---

(١) وقد قامت مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة بطبع هذا الكتاب النفيس المكون من عشرة أجزاء كبار لم يؤلف فى فنه مثله وبطلب منهما

شيء يكرهه حتى يرجع . وقال أبو الحسن القزويني : من أراد سفراً ففزع من عدو أو وحش فايقرأ هذه السورة وهي لئيلاف قريش فانها أمان من كل سوء ، وذلك مجرب .

وقال ﷺ ماخلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً » رواه الطبراني وقال النووي : يقرأ في الاولى الكافرين ، وفي التانية الاخلاص ، ويروى « يصلي أربعاً بالفاتحة والاخلاص ثم يقول اللهم اني أتقرب بهذه اليك فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي وقال ﷺ « وهن خليفته في أهله وماله وداره ودار من حول داره حتى يرجع » رواه في كتاب فضائل الاعمال وقد مضى في الباب قبل هذا توديع الأهل فطالعه تجده .

وقال ﷺ « اذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه فليقل اللهم اني أعوذ بك من شر فلان وأحزابه أن يفرط على أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك » رواه في الوسيط

وقال ﷺ « اذا أراد أحدكم أن يخرج من المسجد تداعت جنود ابليس وأجلبت واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها ، فاذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل اللهم اني أعوذ بك من ابليس وجنوده ، فانه اذا قالها لم تضره » رواه ابن السني — واليعسوب ذكر النحل

وقال ﷺ « من ولد له مولود فأذن في اذنه اليمنى وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان » ويروى أنه لما دنا ولاد فاطمة أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب أن تأتيا فتقرآ آية الكرسي وإن ربكم الله الآية وتعوذاها بالمعوذتين رواهما ابن السني.

وقال ابن عباس : اذا عسر على المرأة ولادها فاكتب لها في قرطاس بسم الله الرحمن الرحيم لا إله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين

(كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) (كأنهم يرم يرون مايوعدون لم يلبثو الا ساعة من نهار بلاغ) الآية ثم يصب عليه الماء وتشربه المرأة رواه الثعالبى فى تفسيره وغيره .

وقال ﷺ « اذا أذاك البراغيث فخذ قدحا من ماء فاقرأ عليها سبع مرات (وما لنا أن لا نتوكل على الله وقدهدانا سبلنا) الآية، فان كنتم آمنتم بالله فكفوا عنا شركم ، ثم ترش حول فراشك بالماء فانك تبيت تلك الليلة آمنا من شرها رواه الواحدى فى وسيطه . وقال ﷺ « من بادر العاطس بالحمد لم يضره شىء من داء البطن » رواه الحكيم الترمذى فى نوادره قال وداء البطن وجع الخاصرة .

وقال على بن أبى طالب : من قال عند كل عطسة يسمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال لم يصبه وجع الضرس ولا أذن أبدا رواه أبو نعيم باسناده فى كتاب الطب » وقال ﷺ « من عاد مريضا لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض » حديث صحيح رواه الترمذى والنسائى وأبو داود والحاكم فى المستدرك

وقال ﷺ لا حول ولا قوة بالا بالله العلى العظيم كنز من كنوز الجنة فيها شفاء من تسعة وتسعين داء » ذكره فى الأربعين المقدسية

وهذا دعاء العهد المشهور قال ﷺ « من قال دبر صلاة الصبح بعد مايسلم هؤلاء الكلمات كتبها ملك فى رق وختمه بخاتم ثم رفعها الى يوم القيامة فاذا بعث الله العبد من قبره جاء الملك ومعه الكتاب ينادى أين أهل العهود حتى يدفع اليه ذلك الرق ، والكلمات أن يقول : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم انى أعهد اليك فى هذه الحياة الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك ان تكلنى الى نفسي تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير ، وانى لا أثق الا برحمتك فاجعل

رحمتك لى عهدا عندك تؤديه الى يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد » رواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الاصول باسناده . ثم قال حدثنا صالح بن عبد الله قال حدثنا محمد بن عبد الله قال حدثنا إبراهيم بن سليمان المؤدب عن عبد الله ابن مسلم عن أبي هريرة عن ابن هرمز عن ابن طاووس أنه أمر بهذه الكلمات أن تكتب فى كفنه وتدفن معه قال الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل تجعل أمام الوجه

وذكر الثعالبي فى تفسير قوله تعالى (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) قال النبي ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهداً عند الله تعالى ؟ قالوا كيف ذلك يارسول الله؟ قال « يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض» الى قوله فى هذه الحياة الدنيا بأنى أشهد أن لا إله الا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمداً عبدك ورسولك وأنك إن تكلنى إلى نفسى » الى آخر ما تقدم « فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين أهل العهود أين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة» وروى الثعالبى أيضا عن غالب القطان قال : أتيت الكوفة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت أختلف اليه . فلما كان ذات ليلة قام فتهجد ثم بهذه الآية (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) إلى قوله (العزيز الحكيم) ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة (إن الدين عند الله الاسلام) قالها مراراً فقلت له : إنى سمعتك ترددها فما بلغك فيها ؟ قال : والله لا أحدثك بها الى سنة فكنت على بابه سنة ، فلما مضت قلت له قد مضت السنة فقال حدثنى أبو وائل عن عبد الله قال قال النبى ﷺ « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة » وروى أيضا باسناده أن النبى ﷺ قال « من قرأ

(شهد الله) الآية عند منامه خلق الله منها سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » وفى كتاب فضائل الاعمال أن أبا ذر اشتكى وجع الأضراس ، فقال له النبى ﷺ « صل كل ليلة بين المغرب والعشاء ركعتين بالحمد مرة وقل يا أيها الكافرون وإذا جاء نصر الله وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة فإنك لا تشتكى بعدها وجع الأضراس » وفيه أيضا قال ﷺ « المقتول فى سبيل الله شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والملدوغ شهيد ، وصاحب الهدم شهيد والمتردى شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، وصاحب السل شهيد ، والمطعون شهيد ، وأكيل السبع شهيد ، والنفساء شهيد ، ورجل ركب دابته فقال حين ركبها (سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) فوقع ومات فهو شهيد ، ورجل ركب سفينة فقال حين ركبها (بسم الله مجراها ومرسيها إن ربى لغفور رحيم) حتى مات فيها فهو شهيد ، ورجل نزل منزلا فقال حين نزل اللهم أنزلنى منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فمات فى ذلك المنزل فهو شهيد ، وقال ﷺ من بلغه فضل عن الله تعالى أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك » أخرجه فى الاربعين السباعية وفى الياقوتة فى العبادات وروى فى كتاب الترغيب والترهيب لأبى القاسم إسماعيل بن محمد التميمى باسناده أن النبى ﷺ قال « من بلغه عن الله شىء فيه فضيلة فأخذ به إيمانا ورجاء ثوابه أعطاه الله ذلك وان لم يكن كذلك

وهذه رقية لجميع الاوجاع روى النسائى وأبو داود أنه ﷺ قال « من اشتكى منكم شيئا أو اشتكاه أخ له فليقل ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض كما رحمتك فى السماء فاجعل رحمتك فى الارض واجعل لنا من أمرنا راشدا واغفر لنا حوبنا وخطايانا انك أنت رب المطيبين ، وأنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ » ويروى المتطببين بدل المطيبين

— والحوب الاثم — والله أعلم

وهذه آيات مباركات نافعات لجميع العاهات أحببت أن أضيفها مع الدعوات وهي نافعة من العين والفالج والجذام والبرص ولمائة داء من الامراض المعضلات، وهي حرز من الآفات، وهي الفاتحة وأربع آيات من أول سورة البقرة (وإلهكم إله واحد) وآية بعدها وآية الكرسي وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخر البقرة، وآيتان أول آل عمران (وشهد الله) الآية (وان ربكم الله) فى سورة الاعراف وآيتان بعدها، وآيتان آخر التوبة (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) الآية و(قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون من دونه) الى آخر الآيتين فى هود (وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) إلى آخر سبحان (وان الذين آمنو وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزولا) الى آخر الكهف واوله طه الى (الأسماء الحسنى) و(أفحسبتم انما خلقناكم عبثا) الى آخر السورة وعشر آيات اول الصافات و(أليس الله بكاف عبده) الى (ألا الى الله تصير الأمور) و(يامعشر الجن والانس) والآيتان اللتان بعدها فى سورة الرحمن، وست آيات اول الحديد، واربع آخر الحشر (وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) الآيتين فى الجن وسورة القدر، ولم يكن، وإذا زلزلت، وألهكم، ولئيلاف قريش والكافرون، والاخلاص، والمعوذتان، ذكر الفقيه بطال فى كتاب الأربعين منها ثلاثا وثلاثين آية وقال ﷺ «من قرأها فى ليلة لم يصبه فى هذه الليلة لص طارىء ولا سبع ضاري وعوفى فى نفسه واهله وماله حتى يصبح» وقرأها ﷺ على رجل به جنون فبرأ. رواه ابن السني قال شعيب بن حرب: وكنا نسميها آيات الحرز وقال ﷺ للذى رقى مجنونا بفاتحة الكتاب حتى برأ وأعطى جعله مائة شاة «خذها فلعمرى لمن اكل برقية باطلة لقد اكلت برقية حق» رواه ابو داود وابن السني وقال لآخر رقى لديغا بالفاتحة لى قطيع من الغنم جعلا له حتى برأ

« وما يدرك أنها رقية قد أصبتم اقسموا واضربوا لى معكم سهما » روى فى الصحيحين . وقال ﷺ «فاتحة الكتاب رقية من كل شيء إلا السام » والسام الموت . ذكره فى كتاب النجم . ويروى « فاتحة الكتاب شفاء من كل سم » ويروى « من كل داء » ذكره الثعالبى ، ودلائل ذلك أكثر من أن تحصى ، وقد تقدم فى القسم الخامس عشر من الباب الثالث فى فضل كل القرآن ما يكفى والحمد لله ، وتقدم فى القسم الثانى منه وفى السابع والعشرين والذى بعده وفى الباب الذى قبل هذا من الأذكار ما اذا استعملته مع الذى فى هذا الباب بان ذلك فضله وبركته ان شاء الله .

وقال ﷺ « من اشتكى ضرسه فليضع أصبعه عليه ثم ليقرأ هذه الآية (وهو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) رواه ابن الصلاح فى منتخبه، وروى فيه أيضاً باسناده أن النبى ﷺ لما قال له ابن رواحة يا رسول الله إنى أشتكى ضرسى أذانى فقال له النبى ﷺ « أدن منى فوالذى بعثنى بالحق نبياً لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه ، ثم فوضع ﷺ يده عليه — يعنى الخد الذى فيه الوجع ـ وقال « اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك » سبع مرات قال فشفاه الله قبل أن يبرح

وروى فيه أيضاً أنه قال انحدرت الشياطين من الجبال والأودية يريدون النبى صلى الله عليه وسلم وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرقه بها ، فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم فزع منهم وجاءه جبرائيل عليه السلام فقال : قل أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا

طارقاً يطرق بخير يا رحمن قال فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله تعالى ، ونحوه فى الموطأ قال صلى الله عليه وسلم « رأيت ليلة أسرى بى عفريتاً من الجن يطلبنى بشعلة من نار ، كلما التفت رأيته ، فقال لى جبريل عليه السلام ألا أعلمك كلمات تقولهن فتطفىء شعلته ؟ ويخر لفيه قلت بلى ! ياجبريل ، قال قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات » إلى آخر ما تقدم ، وكان ﷺ يعلمهم من الفزع كلمات وهى أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . وكان عبد الله بن عمر [1] يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل يكتبهن ويعلقهن عليه . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن . وذلك أيضاً ينفع من السهر والوحشة ، وفى ذلك أحاديث رواها ابن السنى وغيره وفى كتاب حلية الأولياء لأبى نعيم الحافظ باسناده إلى محمد بن يوسف قال : كان أبو عبد الله النباجى مستجاب الدعوة ، وله آيات وكرامات ، بينا هو فى بعض أسفاره على ناقة له وكان فى الرفقة رجل عائن كلما نظر إلى شىء أتلفه وأسقطه ، وكانت ناقة أبى عبد الله فارهة ، فقيل له احفظها من العائن ، فقال ليس له إلى ناقتى سبيل ، فأخبر العائن بقوله فتحين غيبة أبى عبد الله فجاء إلى رحله فعان ناقته وسقطت تضطرب من ساعتها ، فأتى أبو عبد الله فقيل له إن العائن قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب ، فقال دلونى على العائن فدل عليه ، فوقف عليه وقال : بسم الله حبس حابس وشهاب قابس وحجر يابس وليل عابس وبحر طامس رددت عين العائن عليه وعلى أحب الناس إليه فى كلوتيه رشيق ، وفى ماله يليق فارجع البصر هل ترى من فطور » إلى قوله « وهو حسير » فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها . وقد قدمت فى الباب

---

(١) فى نسخة « عمرو »

الذى قبل هذا مما تدفع به العين والعاهات ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى والحمد لله . وقال الحسن : دواء إصابة العين أن يقرأ الانسان (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) الآية ذكره الثعالبي . وقال ﷺ « إذا أصاب أحدكم الحمى فإن الحمى قطعة من النار فليطفئها عنه بالماء فليأت نهراً جارياً ويستنقع فيه وليقل بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك ويكون بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس فينغمس فيه سبع مرات يفعل ذلك ثلاثة أيام ، فإن لم يبرأ فى ثلاثة فخمسة ، فإن لم يبرأ فى خمسة أيام فسبعة ، فإن لم يبرأ فى سبعة فتسعة ، فإنها لا تكاد تجاوز تسعة أيام حتى يبرأ بإذن الله تعالى » رواه الترمذى فى جامعه .

وقال ﷺ « علمنى جبريل عليه السلام دواء لا أحتاج معه إلى أدوية الأطباء قال تأخذ من ماء مطر لم يمسه سقف فتقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرة ، وآية الكرسى مثله ، والاخلاص مثله ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس مثله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مثله — يعنى سبعين مرة — ثم تشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية على الريق تفطر به وأنت صائم عند المغرب تشفى من كل داء فى جسدك ، قال نسخ من اللوح المحفوظ » ذكره فى تجريد الصحاح الستة صحيح البخارى ومسلم والموطأ وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى

وروى ابن الصلاح فى منتخبه باسناده عن بعض ولد أبى مسلم أن هذه الآيات إذا وضعت على من به صداع شديد سكن وجعه وذلك مجرب وذكر فيه حكاية عجيبة وهى : بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا إذ نادى ربه نداء خفيا ، بسم الله الرحمن الرحيم حمعسق كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة من الله على كل قلب خاشع

وغير خاشع وكم من نعمة من الله على قلب شاكر وغير شاكر وكم من نعمة من الله على كل لسان ذاكر وغير ذاكر، وكم من نعمة لله على عرق ساكن وغير ساكن اسكن أيها الوجع بعزة من له ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، وفى رواية بعد التسمية الثالثة : سبحان من لا ينسى من ذكره ولا ينسى من نسيه . وفى كتاب مكنون الجواهر قال : روى النحاس أن ماقرىء هذا على شىء من العلل إلا عوفيت بقدرة الله تعالى وهو أسكن بالذى سكن له ما فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، سكنتك بالله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده الآية ، وذكر فى ذلك حكاية حسنة عجيبة تشهد بصدقه ، وذكر فيه أيضا حرز النبى ﷺ وهو بسم الله أسترعيك ربك وأعيذك بالواحد من شر كل حاسد قائم أو قاعد و خلق زائد يأخذ بالمراصد ، وفى طرق الموارد لا يضرونه ولا يكايدونه ولا يطاردونه فى يقظة ولا منام ولا فى ظعن ولا مقام حندس الليالى وآخر الأيام يد الله فوق أيديهم وحجاب الله فوق عاديهم . قال أبو عمرو : من كان هذا معه لم يبال بأى أرض بات .

وروى ابن السنى أن النبى ﷺ قال « بسم الله الرحمن الرحيم وأعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد من شر ماتجده ياعثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها » وقال ﷺ « إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك فإن دعاءه كدعاء الملائكة » وأتى رجل إلى النبى ﷺ يشكو الوحشة فقال « أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعزة والجبروت» فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة ، وقال ﷺ « من قرأ آية الكرسى عند الحجامة كانت منفعة حجامته »

روى هذه الثلاثة أيضا ابن السنى وقال ﷺ « مامن عبد تصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرنى من مصيبتى واخلف لى خيراً منها إلا آجره

الله في مصيبته وأخلف له خيراً منها » رواه مسلم ، ويروى : وإن تقادم عهدها رواه الثعالبي ، ويروى « اللهم عندك أحتسب مصيبتي فآجرني فيها وأبدل لي خيراً منها » رواه في السنن ، وروى « مامن نعمة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالحمد إلا جدد الله له ثوابها وأجرها، وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالاسترجاع الا جدد الله له ثوابها وأجرها » رواه الحكيم الترمذي في نوادره . وما أحسن قوله تعالى (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) وقال ﷺ « ليسترجع أحدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها من المصائب» رواه ابن السني والشسع- سيور النعل- التي تشد الى الزمام فينبغي أن يقول ذلك عند كل مصيبة ، وان قلت حتى عند انطفاء مصباحه ونحوه، فكل ما آذى المؤمن فهو مصيبة ، وقال ﷺ « اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكته قبضتم ولد عبدي فيقولون نعم ! فيقول قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم! فيقول ماذا قال عبدي ؟ فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى ابنو لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » رواه الترمذي وقال حديث حسن . وقال ﷺ « لو أن أحدكم إذا اتى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا فقضي بينهما ولد كان لم يضره الشيطان » روى في الصحيحين . وروى الثعالبي باسناده عن كعب في قوله تعالى « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً الآية» . قال كان رسول الله ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات التي في الكهف ، «انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً ، وان تدعهم الى الهدى» الآية والتي في النحل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) الآية والتي في الشريعة (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) الى قوله «غشاوة» فكان ﷺ اذاقرأهن ستر من المشركين.

قال كعب فحدثت بهن رجلا خرج من الشام فأسر بأرض الروم ، فمكث ماشاء الله ثم قرأهن فخرج هارباً ، فخرجوا فى طلبه حتى كانوا يكونون معه فى طريقه ولا ينظرونه . وقال الكلبى : حدثت به رجلا بالرى فأسر فى الديلم فمكث ماشاء الله ثم قرأهن فخرج هارباً فخرجوا فى طلبه حتى جعلت ثيابهم تمس ثيابه فما يبصرونه . وقال ﷺ « اذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد ياعباد الله احبسوا ، ياعباد الله احبسوا ، فان الله عز وجل حاضر فى الأرض سيحبسه » رواه ابن السنى : قال النووى : كنت مع جماعة فانفلتت منا بهيمة وعجزوا عن تحصيلها ، فقلته فوقفت فى الحال بغير سبب الا هذا الكلام قال : وحكى لى بعض شيوخى نحو ذلك .

قلت : وأخبرنى من أثق به أنه انفلتت له بهيمة عجزوا عنها فقال ذلك فوقفت فى الحال . ويروى أن امرأة أسرت من حلب إلى الروم فى أيام سيف الدولة ، فهربت منهم ومشت مائتى فرسخ لم تطعم شيئاً ، فقدمت إلى سيف الدولة فقال لها كيف قويت على المشى وعشت بلا طعام ؟ فقالت كلما جعت أوعيت قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات فأشبع وأروى وأقوى . رواه الثعالبى . وروى ابن السنى عن يونس بن عبيد التابعى قال : ليس من رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها (أفغير دين الله يبغون وله أسلم) إلى قوله (ترجعون) إلا وقفت باذن الله تعالى . ونحو ذلك روى الثعالبى عن ابن عباس . ويروى أن دابة النبى ﷺ عثرت فقال رجل : تعس الشيطان ، فقال ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فانك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ، ولكن قل بسم الله فانك إذا قلت ذلك صغر حتى يبقى مثل الذباب » رواه ابن السنى ونحوه فى سنن أبى داود ورواه فى المهذب وغيره عن ابن عباس : قال : كنا مع عمر رضى الله عنه فى سفر فأصابنا رعد وبرق فقال لنا كعب : من قال حين يسمع الرعد سبحان من

يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته، ثلاثاً عوفى من ذلك الرعد، فقلنا ذلك فعوفينا . وكان طاووس يقول إذا سمع الرعد: سبحان من سبحت له، ويكررها . ذكرهما النووى فى كتاب الأذكار . وفى تفسير الثعالبى قال ابن عباس رضى الله عنه: من سمع الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير فان أصابته صاعقة فعلى دمه، — والصاعقة هى أشد صوت الرعد تسقط معه قطعة من نار تحرق ما أصابت — ذكره الجوزى والجوهرى والواحدى . وروى أن عبد الله بن الزبير كان جالساً مع أصحابه، فسمع صوت الرعد فترك الحديث وقال سبحان من سبحت له، وقال : إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد . وقال ﷺ « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذاكراً » ذكرهما الواحدى فى وسيطه — قال : والرعد ملك موكل بالسحاب، والصوت الذى نسمعه زجره للسحاب إذا زجره — ويقال الرعد صوت الملك إذا زجرها، والبرق أثر ضرب الملك للسحاب.

وقال ﷺ « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا » رواه ابن السنى . فيقول ذلك إذا استصعب عليه أمر — والحزن الغليظ — ذكره النووى رحمه الله ونفع به . فان أكثر ما جمعته قطرة من قطره ونقطة من بحره، وجزاه الله عنا خيراً وجزى والدينا ومشايخنا وكل من أحسن إلينا أفضل الجزاء بمنه وكرمه إنه حكيم رحيم.

ويروى أن جعفر بن محمد دخل على عليل يعوده فقال : اللهم إنك عيرت أقواماً فقلت (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وأعلم أنك الله ربى القادر على كشف ضرى فاكشفه عنى وحوله إلى أعدائك الجاحدين لك. فقالها فعوفى من ساعته . ذكره أبو الحسين الاندلسى فى كتابه . وقال ﷺ « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيراً فان الملائكة

يؤمنون على ما تقولون » وقال ﷺ « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، فان عند رأسه ملك موكل كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل » رواه مسلم فى صحيحه . وقال ﷺ « ما على الأرض مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » فقال له رجل إذا نكثر ، فقال « الله أكثر » رواه الترمذى ، وعن أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على النبى ﷺ أنه قال « من قال لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه فقال لا إله إلا أنا ، وأنا أكبر ؛ وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له،قال الله لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد قال الله تعالى لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله تعالى لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى » وكان يقول « من قالها فى مرضه ثم مات لم تطعمه النار » رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما وهو حديث حسن وقال ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطة القبر . وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط الى الجنة » رواه فى حلية الأولياء . وروى فى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » اللهم اختم لنا بها، وارزقنا جزيل ثوابها . وقال ﷺ « إن لله عموداً عن يمين العرش فاذا قال العبد لا إله الا الله اهتز ذلك العمود فيقول الرب تعالى اسكن فيقول وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها ، فيقول إنى قد غفرت له فيسكن عند ذلك » رواه فى الأربعين المحررة . وقال أبو ذر رضى الله عنه أتيت النبى ﷺ وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال « ما من عبد يقول لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة » قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال « وإن زنى وإن سرق » قلت

وإن زنى وإن سرق ؟ قال « وإن زنى وإن سرق » قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال« وإن زنى وإن سرق»ثم قال فى الرابعة « على رغم أنف أبي ذر » روى فى الصحيحين ، وأخبرنى شيخي الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوى رضى الله عنه من لفظه املاء باسناده إلى أبي عبد الله القرشي قال سمعت الشيخ أبا إسحاق بن طريف يقول لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لاصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لى فانه بلغنى أنها فداء للمؤمن من النار : قالوا فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له . وقال القرشي أيضاً سمعت الشيخ أبا زيد القرطبي يقول سمعت فى بعض الآثار أن من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار ، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى ، وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى ، وكان إذ ذلك يبيت معنا شاب كان يقال إنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار ، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه ، وكان فى قلبي منه شيء ، فتفق أن استدعانا فى يوم بعض الاخوان إلى منزله ، فبينا نحن نتناول أول الطعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول : يا عم هذه أمى فى النار ، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر عظيم ، فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه فألهمنى الله الى السبعين الألف ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى فقلت فى نفسي الأثر حق ، والذين رووه لنا صادقون ، اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار ، فما استتمت الخاطر فى نفسى إلا أن قال يا عم ها هى قد أخرجت من النار الحمد لله الحمد لله فحصلت لى فائدتان ، إيمانى بصدق الأثر ، وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه

فقد جمعت لك أيها الطالب فى هذا الباب ما فيه الفائدة الظاهرة فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة ، وأنا سائل من كل منتفع به أن يبتهل إلى

الله تعالى فى غفران ذنبي مع ذنبه ، ووالدينا ومن يلينا بحبه والمسلمين أجمعين إن الله كريم رحيم .

﴿ فصل ﴾ فيما يرجى من رحمة الله تعالى . قال الله تعالى (قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وقال سبحانه وتعالى (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال عز وجل (إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) الآية ، وقال ﷺ « والذى نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم » رواه مسلم فى صحيحه . وقد وصف الله نفسه بأنه غفور رحيم حليم لطيف غفور كريم ومن يغفر الذنوب إلا الله وينشد :

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما وقع العفو

وفى جامع الترمذى قال النبي ﷺ « قال الله تعالى يا ابن آدم إنك مادعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » ـ قرابها هو ما يقارب ملأها ـ وأنشد بعضهم فى ذلك

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لايرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً ... فاذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا ... وعظيم عفوك ثم إنى مسلم

وقال ﷺ « من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة » قيل لأبي سلمى : أنت سمعت هذا من رسول

الله ﷺ قال نعم سمعت منه هذا غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع .
وأخبرنى والدى عفيف الدين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله الحبيشى الوصابى رضى الله عنه وجزاه خيراً سماعا عليه قال حدثنا الفقيه محمد بن على القوتانى قال حدثنا الفقيه عمر بن عبد الله الحبيشى قال أنبأنا الفقيه أبو بكر بن محمد بن سعيد قال حدثنا محمد بن أسعد الصيفى باسناده عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله ﷺ « إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار » ويروى « دفع الله تعالى الى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار » قال أبو أسامة أحد رواته هذا الحديث خير للمؤمنين من الدنيا وما فيها وعده الأئمة من كنوز الحديث وخرجه مسلم فى صحيحه ، ويروى « لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله النار مكانه يهوديا أو نصرانيا » وأخبرنى والدى أيضا وغيره عن الشعبى عن القاضى أحمد بن عبدالله الهمدانى بسنده إلى النبى ﷺ أنه قال « يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول الله تعالى له أتنكر من هذا شيئا ؟ أظلمك كتبتى ؟ قال لا يارب، فيقول ألك عذر أو حسنة ، فيهاب الرجل فيقول لا يارب ، فيقول الله تعالى بلى لك عندنا حسنات وإنه لاظلم عليك ، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فيقول يارب ماهذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ : فيقول الله عز وجل انك لاتظلم ، فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة » قال أبو الحسن الصواف رحمه الله تعالى والله انى لاأحد رواته لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة فاضت نفسه معها، وأنا ممن حضر جنازته . قال ابن الاعرابى — والبطاقة هى الورقة — وقال ﷺ لأبى ذر « اذا عملت سيئةفاعمل حسنة فانها

عشر أمثالها » قال يارسول الله أمن الحسنات قول لا إله إلا الله ؟ قال « نعم ! هي أحسن الحسنات » رواه الواحدى ، وأخبرنى شيخى المقرى يوسف بن محمد الجعفرى الوصابي قراءة عليه وهو يسمع فى منزله سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة قال أخبرنى الفقيه أحمد بن محمد الجعفرى قال أنبأنا محيي الدين أبو زكريا النووى قال أخبرنا أبوالبقاء خالد بن يوسف قال أنبأنا أبوالقاسم الحسين بن هبةالله وغيره قالوا أنبأنا أبوالقاسم بن عساكر قال انبأنا الشريف بن على خطيب دمشق قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن على رسلوان قال أنبأنا أبو القاسم الفضل بن جعفر قال أنبأنا عبد الرحمن بن القاسم الهاشمى قال أنبأنا أبو مسهر قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولانى عن أبي ذر عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنه قال « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم حراما ، فلا تظالموا ، ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم ، ياعبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، ياعبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكى شيئا ، ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكى شيئا ، ياعبادى لوأن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل انسان مسألته مانقص ذلك مما عندى الا كما ينقص المخيط اذا غمس غمسة فى البحر واحدة ، ياعبادى انما هى أعمالكم أحفظها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » كان أبو إدريس رضى الله عنه اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه . وقد روى مسلم فى صحيحه قال أحمد بن حنبل : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث . وقال ﷺ

« لله تعالى مائة رحمة . أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها يتراحمون، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» ويروى «كل رحمة منها كطباق الارض» — أى تغطى الارض كلها — وقال ﷺ «يخرج الله يوم القيامة من النار من قال لا إله الا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير» ويروى «ان الله تعالى يقول اخرجوا من النار من ذكرنى يوما أو خافنى فى مقام» وقال ﷺ : «من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قد اطلع عليه غفر له وإن لم يستغفره» ويروى «من ساءته خطيئة غفر له وان لم يستغفر»

ويروى أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بسبع بشارات كرامة له ﷺ أولها يقول الله تعالى يا محمد من أطاعنى من أمتك كما ينبغى منه قبلت طاعته وجزيته الجزاء على طاعته كما ينبغى منى لا كما يليق به ، البشارة الثانية أنظر فى جوارحه السبعة فاذا كانت واحدة منهن مطيعة وستة مذنبة وهبت الستة المذنبة للواحدة المطيعة ، البشارة الثالثة من تاب منهم من المعاصى والآثام أخرجته من ذنوبه كيوم ولدته أمه . البشارة الرابعة، من أصر على الذنب ابتليته بالأسقام والامراض حتى أطهره على كره منه ، البشارة الخامسة إن من أذنب ذنباً يعلم أنه قد أساء فيه غفرت له ولا أبالى ، البشارة السادسة ، أفتح عليهم الهاوية أربعين يوماً ،والزمهرير أربعين يوماً، أجعل ذلك حظهم وحقهم من النار ، البشارة السابعة إذا قامت القيامة وقاموا بين يدى حاسبتهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف » وقال سفيان بن عيينة أبشروا فانه ما استقصى كريم قط . وقال على كرم الله وجهه : ليس فى القرآن آية أرجى من قوله (واسوف يعطيك ربك فترضى) ولا يرضى ﷺ أن يدخل النار أحد من أمته

وقال ﷺ « ما من أمة إلا وبعضها فى النار وبعضها فى الجنة وأمتى كلها فى الجنة » قال جابر ابن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته فهو الذى يدخل الجنة

بغير حساب ،ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو الذى يحاسب حسابا يسيراً ، ومن زادت سيئاته على حسناته فذلك أوبق نفسه وأغلق ظهره، وانما تدخر شفاعة النبى ﷺ لمثله وقد قال ﷺ « ادخرت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى » رواه الترمذى وغيره اللهم إنا نسألك بجاهه عندك أن تجعلنا من أمته ، ولا تحرمنا بركة شفاعته.

ويا رحمن فاجعلنى وأهلى   بيوم الحشر فى ظل اللواء
لواء محمـد خير البرايا   وشفعه بنا يوم اللقاء
فقد أحببته والرسل كلا   وهم ذخرى إلى يوم الجزاء
وقد أقررت فى ذنبى وضعفى   وإتيان الفواحش فى صبائى
فقابلنى بعفو منك جم   وجملنى وحقق لى رجائى
ولا توحش بيوم الحشر قلبى   بحق العلم واسمع لى دعائى
وللآباء فاغفر كل ذنب   وخلصنا الجميع من البلاء
وجازهم الجميل بكل خير   وأكرم روحهم فى الأولياء

وقال ﷺ « والذى نفسى بيـده ان العبد ليـدعو الله وهو عليـه غضبان فيعرض عنه ، ثم يدعوه فيعرض عنه، ثم يدعوه فيقول الله تعالى للملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فاستجبت له » رواه القشيرى فى رسالتـه . ويروى « أذنب عبد ذنباً فقال رب اغفره فغفره الله ، ثم أذنب ذنباً آخر فقال رب اغفره فغفره له ، ثم أذنب فقال رب اغفر لى ، فقال الله تعالى علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدى فليعمل ماشاء » روى فى الصحيحين بما هذا معناه وقال ﷺ « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى ، وأنا معه حيث يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وإن اقترب إلى شبراً اقتربت منه ذراعاً ، وإن اقترب منى ذراعاً اقتربت اليـه باعاً وان أتانى يمشى أتيته هرولة » رواه مسلم . ويروى « أن الله تعالى يقول أنا

عند ظن عبدى بى ، وأنا معه اذا دعانى ، وأنه ما قال عبد قط يا رب إلا قال له لبيك ، فيعجل ما شاء ويؤخر ما شاء » وروى الترمذى وغـيره أنه ﷺ قال « ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء الا استجيب له ، فاما أن يعجـل الله له فى الدنيا ، واما أن يؤخر له فى الآخرة ، واما أن يكفر عنه بقدر ما دعا ما لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم »

فأسأل الله تعالى بحق نبيه محمد ﷺ أن يغفر لى الذنوب التى اكتسبتها ، والمعاصى التى اجترحتها ، وأن يختم لى بخير الاعمال والاقوال ؛ وأن ينجينى من العذاب والاهوال ، وأن يفعل ذلك بوالدى وأولادى وأحبابى ، وأصحابى ، وكافة المسلمين فانه سبحانه كريم لا يرد سائله ، ولا يخيب آمله ، وهو أكرم الاكرمين ، وأرحم الراحمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

الباب السابع

فى الاذكار المتكررة في الاحوال ، والاعصار ، المكنونة الفضائل ، الباهرة الدلائل ، مما روى أن النبي ﷺ واظب عليه ، أو علمه وندب اليه ، نظمتها فى هذا الباب مختصراً فضلها جامعا شملها ، لتكون مع ما تقدم فى الكتاب عمدة لجميع الاصحاب ، فمن أحب اللحوق بالاخيار ، فليتعهد هذه الاذكار فى الحضر والاسفار ، يحصل له ان شاء الله تعالى خير محصول ، لاقتدائه بالرسول ﷺ فان أولى ما تمسك به المتمسكون ، واعتمد عليه المتنسكون ، ماروى عن سيد المرسلين أو عن الصحابة والتابعين ، قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم « قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم » وقال تعالى « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » وقال ﷺ « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال ﷺ « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم »

وقد اختصرت ذلك جهدى وأتيت فيه بكل ماعندى ، تقريبا للطالب ، وتسهيلا للصاحب ، والثقة بالله سبحانه وتعالى . وقد رويت عن النبي ﷺ مفرقة فجمعتها وأشرت الى تفريقها باصفار متخللة وضعتها ليأخذ كل احد ما كان اليه راغبا ، وما روى عن صحابى أو تابعى نسبته اليه غالبا ، وعندى أن حفظ ما فى هذا الباب متعين على كل متدين ، وروى الواحدى فى تفسير قول الله تعالى « والذاكرين الله كثيرا » عن ابن عباس قال يذكرون الله كثيرا فى أدبار الصلوات ، وغدواً وعشيا ، وفى المضاجع ، وكلما استيقظوا من نومهم ، وكلما غدوا أو راحوا من منازلهم ، ذكروا الله ، وسئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيراً

والذاكرات فقال: اذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحا ومساء ، وفى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهاراً؛وهى مثبتة فى كتاب عمل اليوم والليلة ، كان من الذاكرين الله كثيراً . قلت: وقدجمعتها فى هذا الباب راجيا من الله الثواب وقسمته عشرين قسما

الأول : فيما يقال عند الصباح والمساء والنوم ، ويقول اذا استيقظ من نومه عند الصباح : أصبحنا وأصبح الملك لله الواحدالقهار ، والحمد لله والكبرياء والعظمة لله ، والخلق والأمر والليل والنهار وما سكن فيهما لله ، اللهم اجعل أول يومى هذا صلاحا وأوسطه نجاحا ، وآخره فلاحا يا أرحم الراحمين . أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم انى أسألك خير هذا اليوم وخير مافيه فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده ، أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ، ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم عليه السلام حنيفا مسلما وما أنا من المشركين . اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا، وبك نحيي ، وبك نموت ، وإليك النشور ، سمع سامع بحمد الله وحسن إيلايه علينا ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله مرمى لمن رمى (سبحان الله الملك القدوس لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)(1) اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ، اللهم انى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى ، اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته ، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم ، اللهم لا يهزم جندك ، ولا يخلف وعدك ، ولا ينفع ذا الجد

(1) ما بين القوسين زيادة من نسخة ثالثة .

منك الجد ، سبحانك وبحمدك ، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، أعوذ بك من عذاب القبر ومن النار ، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركه ، وإن أقترف على نفسي سوأ أو أجره إلى مسلم ، اللهم إني أسألك من فجأة الخير ، وأعوذ بك من فجأة الشر ، ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث فأصلح لي شأني ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين ، اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك فانهما بيدك ولا يملكهما أحد غيرك ، اللهم عافني في بدني ، اللهم عافني في بصري ، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر لا إله إلا أنت . ويكرر هذا الاخير ثلاثا من الصغر[1] اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي ، وتجمع بها شملي ، وتلم بها شعثي ، وترد بها ألفتي ، وتصلح بها ديني ، وتحفظ بها غائبي ، وترفع بها شاهدي ، وتزكي بها عملي ، وتبيض بها وجهي ، وتلقني بها رشدي ، وتعصمني بها من كل سوء ، اللهم اعطني إيمانا صادقا ، ويقينا ليس بعده كفر ، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة ، اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ، ومنازل الشهداء ، وعيش السعداء ، والنصر على الأعداء ، ومرافقة الانبياء ، اللهم اني أنزل بك حاجتي وان ضعف عملي ، وقصر رأيي وافتقرت الى رحمتك فأسألك ياقاضي الأمور ويا شافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ، ومن دعوة الثبور ، ومن فتنة القبور ، اللهم وما قصر عنه رأيي وضعف فيه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحداً من عبادك ، أو خيرا أنت معطيه أحداً من خلقك ، فاني أرغب اليك فيه وأسألك يارب العالمين ، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، حربا لأعدائك سلما لأوليائك ، نحب بحبك الناس ، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك . اللهم منا الدعاء ومنك الاجابة ،

---

(١) لفظ من الصغر في النسخ الثلاثة وسيذكرها مرة ثانية

وعليك التكلان ، وانا لله وانا اليه راجعون ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود، مع المقربين الشهود، والركع السجود ، والموفين بالعهود ، انك رحيم ودود ، وأنت تفعل ماتريد ، سبحان من تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغي التسبيح الا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى الجود والكرم ، سبحان الذى أحصى كل شيء بعلمه . اللهم اجعل لى نوراً فى قلبي ، ونوراً فى قبرى ، ونوراً فى سمعى ، ونوراً فى بصرى، ونورا فى شعرى ، ونورا فى بشرى، ونورا فى لحمى ونورا فى دمى، ونورا فى عظامى، ونورا بين يدى ، ونوراً من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى، ونورا من فوقى ونوراً من تحتى ، اللهم زدنى نورا واعطنى نورا ، واجعل لى نورا . وينبغى أن يقول هذا كله من الصغر بين ركعتى الفجر وصلاة الصبح ، وندب أن يفرق بين سنة الصبح والفريضة باضطجاع أو كلام ، وأن لا يصل شيئا من الفرائض بنافلة بعدها لا راتبة ولا غيرها ، بل يفصل بينها وبين الراتبة بتحول أو كلام او نحوه . ذكره فى الروضة وغرائب الشرحين وقال ﷺ «من أصبح لا ينوى ظلم أحد غفر الله له ماجنى ذلك اليوم» وعند المساء ، يقول : امسينا وامسى الملك لله الى آخر مايريد من الذى تقدم الى قوله ويكرر هذا الأخير ثلاثا .

﴿ فصل ﴾ ويقول عند إرادة النوم : باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به الصالحين، باسمك اللهم أحيي وأموت ، وذلك بعد أن ينفض فراشه الذى ينام عليه بداخلة إزاره ثلاث مرات ثم يضطجع. وينبغى أن يستقبل القبلة عند نومه إما على جنبه الأيمن كالملحود ، ويده اليمنى تحت خده ، وإما على ظهره مستقبلا كالميت المسجى . قال الشافعى رحمه الله : والنوم على أربع جهات : نوم على القفا وهو نوم

الأنبياء ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والأولياء ، ونوم على الشمال وهو نوم السلاطين لهضم الطعام ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين . وليجتنب النوم بين قعود فان غلبه النعاس قام أو دفعه بمحادثة أو غيرها ، وإن نام جماعة وهو معهم فالأدب أن يوافقهم أو يقوم عنهم . ويزيد : اللهم أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا اليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلته ، ونبيك الذى أرسلته ، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاثاً ، اللهم اغفر لى ذنبى واخسأ شيطانى ، وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى ، اللهم متعنى بسمعى وبصرى واجعلهما الوارث منى ، وانصرنى على عدوى وأرنى فيه ثأرى ، اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين ومن الجوع فانه بئس الضجيع ، اللهم انى أعوذ بك من الجبن والكسل ، والسآمة والبخل ، وسوء الكبر وسوء المنظر فى المال والأهل وعذاب القبر ، ومن الشيطان وشركه . اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها ولك مماتها ومحياها ، ان أحييتها فاحفظها ، وأن أمتها فاغفر لها ، اللهم انى أسألك العافية ، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى . الحمد لله الذى من على فأفضل ، والذى أعطانى فأجزل ، اللهم رب كل شىء ومليكه وإله كل شىء أعوذ بك من النار ، اللهم رب السماوات ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء : اقض عنى الدين واغننى من الفقر ، اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك ، واستعملنى بأحب الأعمال اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً . أسألك فتعطينى ، وأستغفرك فتغفر لى ، وأدعوك فتستجيب لى . اللهم لا

تؤمنى مكرك ، ولا توليني غيرك ، ولا ترفع عنى سترك ، ولا تنسنى ذكرك ، ولا تجعلنى من الغافلين . اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا اله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه . ويقرأ المعوذتين ثم ينفث فى كفيه يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، ويقرأ الفاتحة وسورة الحرز وتبارك والكافرون وآية الكرسى سبع مرات ، وآخر البقرة وعشر آيات آخر آل عمران وبنى اسرائيل والزمر والمسبحات ، وان قرأ الآيات المباركات الذى بينتها فى الباب الذى قبل هذا و بعضها كان أفضل. قال علي: ما كنت أرى احداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الثلاث الآيات الأواخر من سورة البقرة ، وما كنت أرى أحداً يعقل دخل فى الاسلام ينام قبل أن يقرأ آية الكرسى ، وكانت عائشة تقول عند نومها : اللهم انى أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة ، نافعة غير ضارة ، ثم لا تتكلم بعدها بشيء . وكان بعض الصالحين يواظب على قراءة يس والواقعة وتبارك الملك ويقول : هذا التوفيق لى من الله خير لى من ملك الدنيا بحذافيرها

﴿ فصل ﴾ ويقول من استيقظ من نومه فى الليل وأراد النوم بعده : لا إله الا الله الواحد القهار ، رب السماوات والارض وما بينهما العزيز الغفار ، لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير . ويسبح ويحمد ويمجد ويكبر ويهلل عشراً عشراً . ويقول : سبحان القدوس عشراً ، ويحوقل ثم يدعو بما شاء ، ثم يقول : لا إله الا أنت اللهم سبحانك أستغفرك لذنبى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علماً ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب . اللهم انى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة ، واذا قام للتهجد قال : اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن

فيهن ولك الحمد ، أنت ملك السماوات والارض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت نور السماوات والارض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وينفض فراشه بداخلة ازاره إذا عاد ثلاثاً فانه لا يدرى ما خلفه عليه . فاذا قلق فى فراشه فلم ينم قال : اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حى يا قيوم أهدىء ليلى وأنم عينى ، اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على أحد منهم ، وأن يبغى على ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله الا أنت ، واذا خاف الاحتلام فليقل اذا نام : اللهم إنى أعوذ بك من الاحلام والاحتلام ، وأعوذ بك أن يلعب بى الشيطان فى اليقظة والمنام . ثلاث مرات ، ويضيف اليه مما تقدم آية الكرسى وآخر البقرة ، ولا يزال بذكر الله حتى يغلبه النوم . قال بعضهم : وقد يكون الموجب للاحتلام ترك حزبه أو ورده ونحوه

﴿ فصل ﴾ فاذا استيقظ النائم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، الحمد لله الذى رد على روحى ، وأذن لى بذكره ، الحمد لله الذى يمسك السموات السبع أن تقع على الارض إلا باذنه ، الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة ، الحمد لله الذى بعثنى سالما سويا ، أشهد أن الله يحيي الموتى وهو على كل شىء قدير . ويضيف اليه ماشاء مما يقوله من استيقظ وهو يريد العود فى النوم ، واذا خرج من بيته فلينظر الى السماء ويقرأ « إن فى خلق السموات والأرض » الى آخر آل عمران ، ويلبس ثوبه وهو فى الدعاء ثم يتوضأ بعد قضاء الحاجة ، ثم يتوجه

إلى المسجد فيصلى التحية إن كان قد صلى سنة الصبح وإلا صلاها وأجزت عن التحية ، ثم ينتظر الجماعة مكثراً من الذكر ويسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويستغفر سبعين مرة ولا يشتغل بعد طلوع الفجر بغير سنة الصبح لا قبلها ولا بعدها . ثم إذا صلى الفريضة اشتغل بعدها بما يقال عقب الصلوات، وفي الصباح (الثاني) فيما يقول اذا خرج من بيته أو من المسجد أو عند دخول أحدهما يقول حال خروجه من بيته بسم الله . آمنت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، حسبي الله « رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق » الآية . اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على ، وبقرأ الفاتحة والمعوذتين وليصل قبل خروجه ركعتين ليقيه الله المخرج السوء . وإن كان يريد المسجد زاد على ذلك في طريقه : اللهم بحق السائلين إليك وبحق مخرجي هذا فاني لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذني من النار وتدخلني الجنة . ويقول عند دخول المسجد : أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، الحمد لله . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ، بسم الله . قال بعض العلماء : فان لم يتمكن من التحية لحدث أو شغل ونحوه . قال أربع مرات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ويقول لمن رآه يبيع أو يشتري في المسجد : لا أربح الله تجارتك . ولمن ينشد فيه ضالة : لا وجدتها ، أو لا رد الله عليك أو غيرك الواجد . ولمن سمعه ينشد فيه شعرا ليس فيه مدح للاسلام ولا حث على الزهد ومكارم الأخلاق . فض الله فاك ، مرتين أو ثلاثا . وقد حث النبي ﷺ على الصدقة في المسجد فطرح الناس ثيابا ، وهو في حديث أبي سعيد . ويقول عند الخروج من المسجد جميع ما يقوله عند الدخول ، إلا انه يقول : أبواب فضلك .

ويزيد ماتقدم فى الباب السادس . ويقول عند باب المسجد اذا أتى لصلاة الجمعة اللهم اجعلنى من أوجه من توجه اليك ، ومن أقرب من تقرب اليك ، وأنجح من دعاك وطلب اليك . ويقول عند باب المسجد اذا انصرف من الجمعة : اللهم إنى أجبت دعوتك، وصليت فريضتك ، وانتشرت كما امرتنى فارزقنى من فضلك وانت خير الرازقين .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا لم يذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء . فينبغى لمن أراد دخول بيته أن يقول : بسم الله اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ويكثر ذكر الله تعالى، ثم يسلم على أهل البيت ويزيد : الحمد لله الذى كفانى وآوانى ، الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى ، الحمد لله الذى من على ، أسألك أن تجيرنى من النار . وإن كان مسافراً فوصل قريته صلى ركعتين فى مسجدها قبل دخوله بيته ليقيه الله المدخل السوء ، ويزيد على ذلك : توباً توباً لربنا أو بالا يغادر حوبا . (الثالث) فيما يقال دبر الصلوات وقسمة النهار . قال الله تعالى (فاذا فرغت فانصب) أى اذا فرغت من صلاتك فانصب الى ربك فى الدعاء وسله حاجتك . وارغب اليه يعطيك . فيقول عقب الصلاة : سبحان ربى الأعلى الوهاب ، سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . لا إله الا الله ولا نعبد الا اياه . له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن. لا إله الا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، أستغفر الله ، ثلاثا . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام تباركت

ياذا الجلال والاكرام ، اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك . اللهم انى أعوذ بك من الجبن . وأعوذ بك من أن أرد الى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا . واعوذ بك من عذاب القبر . اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها . اللهم انعشنى واجبرنى واهدنى لصالح الأخلاق والاعمال إنه لايهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا انت ، أشهد أن لا اله الا الله الرحمن الرحيم . اللهم أذهب عنى الهم والحزن ، اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفقر ، اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت . ويكرر هذا سبعاً ويقرأ المعوذتين ويزيد بعد صلاة الصبح خاصة : اللهم إنى أسألك علماً نافعاً وعملا متقبلا ، ورزقاً طيباً ، اللهم بك أجادل وبك أصاول وبك أقاتل . وقد تقدم أول هذا الباب ما يقوله اذا أصبح فيأتى به عند الاستيقاظ ، وبعد طلوع الفجر ، أوبعد ركعتى الفجر ، أو بعد صلاة الصبح . وتقدم أيضاً فى الباب السادس أحاديث حسنة فى ذلك . ويقول بعد الصبح : اللهم إن هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه على بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم سلم أمة محمد ، اللهم أصلح أمة محمد ، اللهم ألف بين قلوب أمة محمد ، اللهم اغفر لجميع أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا . وان قال هذا الاخير بعد كل فريضة كان حسناً . ويقول بعد ركعتى الفجر جالساً فى موضعه : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ أعوذ بك من النار ثلاث مرات . فان كان مسافراً زاد بعد صلاة الصبح : اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، اللهم أصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى ، اللهم أصلح لى آخرتى التى جعلت اليها معادى ، اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك يقول كل ذلك ثلاث مرات . اللهم لا مانع

لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . ويسن أن يخفف بالدعاء صوته ويسمع نفسه . قال فى التنبيه : الا أن يريد تعليم الحاضرين فيجهر قال في البيان : يجهر حتى يعلم أنهم تعلموا ثم يخفف . وندب أن لا يزيد الامام على قدر التشهد اذا دعا بعد السلام ، ومن انصرف من صلاة قال اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه واجعل خير أيامى يوم لقاك .

﴿ فصل ﴾ واذا قارب طلوع الشمس قرأ المسبعات وهى عشرة أشياء يقرؤها سبعاً سبعاً ، الفاتحة ، والمعوذات ، وقل هو الله أحد ، وآية الكرسى ، وقل يا أيها الكافرون ، وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ، والصلاة على النبي وآله ، ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات . ويقول سبعاً : اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا ما نحن له اهل ، إنك غفور رحيم جواد كريم ، رؤف رحيم . فهى هدية الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التميمى ، وللمواظبة على ذلك تأثير عظيم وفضل جسيم ذكره فى كتاب الاحياء . وذكر أن يقرأ قبل الغروب هكذا لفظه فى الاحياء . فاذا طلعت الشمس قال : الحمد لله الذى وهب لنا هذا اليوم وأقالنا فيه عثراتنا ، الحمد لله الذى جللنا اليوم عافيته وجاء بالشمس من مطلعها ، اللهم إنى اصبحت اشهد لك بما شهدت به لنفسك وشهدت به ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك انك أنت الله الذى لا اله إلا انت القائم بالقسط لا اله الا أنت العزيز الحكيم ، اكتب شهادتى بعد شهادة ملائكتك وأولى العلم ، اللهم انت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام أسألك ان تستجيب لنا دعوتنا ، وأن تعطينا رغبتنا ، وان تغنينا عمن اغنيته عنا من خلقك ، اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة امرى ، واصلح لى دنياى التى فيها معيشتى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها منقلبى . وقال

ﷺ « لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعتق عشر رقاب » فاذا طلعت الشمس قدر رمح صلى ركعتين ثم يقول بعدهما : اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري ، وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني ، اللهم لا تشمت بي عدوى ، ولا تسؤ بي صديقي ، ولا تجعل مصيبتي في ديني ، ولا تجعل الدنيا أكبر همي ، ولا مبلغ علمي ، ولا تسلط على من لا يرحمني . ثم يشتغل بما شاء من أنواع الطاعات. فاذا ارتفعت الشمس وانسلخ النهار من الصبح إلى الظهر صلى الضحى ركعتين أو أكثر مثنى الى ثنتى عشرة ركعة ، وهذا وقت الاختيار ؛ ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال . وقال ابن أبي الصيف : ويقول بعد الضحى مائة مرة : اللهم اغفر لى وارحمني وتب على إنك أنت التواب الرحيم . ويصرف فاضل أوقاته إلى إحدى أربع إما إلى تعليم العلم النافع وهو الذى يزيد فى خوفه من الله تعالى وفى زهده أو يشتغل بالذكر والقراءة والصلاة أو بما يوصل به خيراً وسروراً إلى أحد من المسلمين ، أو بالاكتساب لعياله بحيث يسلم دينه ويسلم الناس من لسانه ويده وأذاه .

﴿ فصل ﴾ والقيلولة معينة على قيام الليل ، كما أن السحور معين على صيام النهار ؛ فان كان لا يقوم الليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم بالغيبة ونحوها فالنوم محبوب له إذ فيه الصمت والسلامة . وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم . وكم من عابد أحسن أحواله النوم ، وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق ؟ . قال سفيان الثورى : كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة . ذكره الغزالى . قال : وأحسن بحال من سلامة حياته فى تعطيل حياته إذ النوم أخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات ، وقال القشيرى في رسالته : لا شيء أشد على إبليس من نوم العاصى ، يقول : متى ينتبه ويقوم حتى

يعصى الله ؟ . وقيل : أحسن أحوال العاصى أن ينام إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه . وقال ابن مسعود : لست أخاف عليكم النوم وإنما أخاف عليكم اليقظة . فاذا استقلت الشمس سبح الله وحمده . قال ﷺ « ما تستقل الشمس فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح الله وحمده الا ما كان من الشيطان ، وأعتى بنى آدم » – يعنى شرارهم –

﴿ فصل ﴾ فاذا زالت الشمس صلى صلاة الزوال أربع ركعات بتسليمة قال ﷺ « أربع بعد الزوال تحسب بمثلهن فى صلاة السحر ، وليس من شيء إلا وهو يسبح الله فى تلك الساعة » رواه الترمذى . ويكثر من الطاعات عقب الزوال ، قال ﷺ « إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لى فيها عمل صالح » ثم يصلى سنة الظهر أربعاً قبلها بتسليمتين ، ويجوز بتسليمة واحدة ، فاذا فرغ من الفريضة قال ماشاء مما ذكرناه ، ثم يصلى ركعتين بعد الفريضة ويكثر من الذكر بعد الظهر لقوله تعالى (وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار) والعشى من الزوال إلى الغروب . ثم يصلى قبل العصر أربعا إن شاء ، ويقرأ فيها إذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم ، ويكثر من الذكر ونحوه بعد العصر لقوله تعالى (بالغدو والآصال) والآصال هو ما بعد العصر الى الغروب وقال ﷺ « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر الى أن تغرب الشمس أحب إلى من أن أعتق ثمانية من ولد اسماعيل : وآخر النهار أكثر ، وصلاة العصر والصبح أصح ماقيل انها الصلاة الوسطى ، فاذا اصفرت الشمس فاشتغل بما اشتغلت به من الاذكار من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، لانه قبل الغروب كما أن ذلك قبل الطلوع ، قال الله تعالى (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وهو المراد بقوله تعالى (حين تمسون وحين تصبحون) وهو أحد طرفى النهار . ذكر كل ذلك الغزالى فيكثر حينئذ من الاستغفار خاصة ، ومن سائر الأذكار عامة ،

ويقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها والليل والمسبحات ، ويكثر الاستغفار ﴿فصل﴾ ويقول إذا سمع أذان المغرب: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك ، أسألك أن تغفر لى . ويقول فى اقبال النهار : اللهم هذا اقبال نهارك وادبار ليلك الى آخره ؛ ويقول بعد سنة المغرب : يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ثم يحيى ما بين العشاءين كما قدمنا . ويقرأ فى الركعتين بعد العشاء سورة السجدة وتبارك أو يس والدخان ، ثم يصلى الوتر إن لم يكن معتاداً الصلاة فى الليل ويقول بعد الوتر : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ثلاث مرات يرفع صوته فى الثلاثة : اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ثم لا يشتغل بعده إلا بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب وأفعال الخير ، لا باللهو فانما الأعمال بخواتيمها ، وقد روى أن من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم . ثم فى السحر وهو وقت السحور آخر الليل عند خوف طلوع الفجر يكثر من الاستغفار ، وتكرار الصلاة والأذكار فذلك وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار ﴿الرابع﴾ فيما يقال فى صلب الصلاة : يقرأ اذا استوى قيامه للاحرام قل أعوذ برب الناس ذكره الغزالى. واذا أحرم قال عقب قوله الله أكبر: الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلما وما أنا من المشركين ، ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين . اللهم أنت الملك لا اله الا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعا فانه لا يغفر الذنوب الا أنت ، واهدنى لأحسن الاخلاق لا يهدى لأحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها إلا أنت

لبيك وسعديك، والخير كله بيديك، والشر ليس اليك، والمهدى من هديت، أنا بك واليك، ولا منجأ منك ولا ملجأ إلا إليك، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك، اللهم باعد بينى وبين خطاياى، كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى كما ينقى الثوب الابيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياى بالماء والثلج والبرد. ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه. ثم يقرأ يجمع بين هذه فى النافلة ومن صلى منفردا أو أذن له كل المأمومين، وإلا فيقتصر على بعضها ولا يطول عليهم، ويقول فى ركوعه: سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثا، اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى وما استقلت به قدمى، سبوح قدوس رب الملائكة والروح، سبحان ذى الملكوت والجبروت، سبحان ذى الكبرياء والعظمة، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى، ويقول حال رفع رأسه من الركوع: سمع الله لمن حمده، فاذا استوى قائما قال: ربنا لك الحمد حمداً كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السموات وملء الارض وما بينهما وملء ما شئت من شىء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. ويقول فى سجوده: سبحان ربى الأعلى. ثلاثا، اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين. سبوح قدوس إلى آخر الكلام فى الركوع. اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله وأوله وآخره وسره وعلانيته، اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك. إلى آخر ما يقول بعد الوتر، ويدعو بما أحب لنفسه وصحبه من أمور الدنيا والآخرة. فقد قال ﷺ «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» ويزيد على ذلك فى سجدة التلاوة: اللهم اجعلها لى عندك ذخرا، وأعظم لى بها أجراً، وضع عنى بها وزرا، وتقبلها منى كما قبلتها

من عبدك داود عليه السلام، (سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) وتقول فى سجدة السهوة : سبحان من لا ينام ولا يسهو . ذكره بعض العلماء ويقول بين السجدتين : رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وعافنى ، ويقول إذا قنت : اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ماقضيت ، فانك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، تباركت ربنا وتعاليت. قال النواوى رحمه الله فى الأذكار : يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم ، وإذا كان إماما قال : اهدنا . بلفظ الجمع إلى آخره لأنه يكره أن يخص نفسه بدعوة دونهم ، ثم يزيد ماقنت به سيدنا عمر رضى الله عنه : اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوب اليك ونتوكل عليك ونثنى عليك الخير كله نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك ، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد وإليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك ونخشى عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق ، اللهم عذب الكفرة والمشركين الذين يصدون عن سبيلك ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك ويدينون دينا غير دينك ، اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات وأصلح ذات بينهم ، وألف بين قلوبهم ، واجعل فى قلوبهم الايمان والحكمة ، وثبتهم على ملة رسولك محمد ﷺ وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذى عاهدتهم عليه ، وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق واجعلنا منهم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة ويسر المنفرد فى قنوته ، ويجهر الامام ويؤمن المأموم على الدعاء ويشارك سرا فى الثناء كسائر الدعوات ، فإن لم يسمع قنت سرا ، والتشهد مشهور وقد تقدمت صفة الصلاة على النبى ﷺ فى القسم العشرين من الباب الثالث. ويسن لغير الامام الاسرار بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات والتشهد والأذكار وأما الامام فيجهر بالتكبيرات ويقول سمع

الله لمن حمده ويسر بسائر الأذكار، والمبلغ كالامام . ويقول بعد التشهد والصلاة على النبي ﷺ اللهم اغفر لي ماقدمت وماأخرت وماأسررت وما أعلنت وماأسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت اللهم اني أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من المغرم والمأثم ، اللهم اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا كبيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك انت الغفور الرحيم، اللهم اني اسألك الجنة واعوذ بك من النار، اللهم اسألك العفو والعافية والتقى والهدى والعفاف والغنى . فالدعاء قبل السلام وبعده مستجاب ، ومن أقام الصلوات الخمس في جماعة فكأنما ملأ البر والبحر عبادة وتحصل فضيلة الجماعة بصلاته في بيته بزوجته أو امته أو ولده لكن في المسجد افضل وفي ما كثر به الجمع افضل قال النووي رحمه الله : والأفضل الجمع بين كل ماورد في هذه المواضع ان لم يشق على غيره ، فان اقتصر على البعض فليفعل في وقت آخر بعضها وفي وقت آخر بعضها حتى يكون عاملا بجميعها . وكذلك ينبغي ان يفعل في كل الأذكار والأحوال. قلت : وقدفرقت بين ذلك بالاصفار الفاصلة ليأخذ الراغب منها ما احب ، فكلها قد وردت في مواضعها . والأفضل ان يجمع بين ذلك المنفرد وبالنوافل والتراويح ان صلاها منفرداً فان كان إماماً لم يزد في التسبيحات على ثلاث ، ولا في الدعاء قبيل السلام على قدر التشهد والصلاة على النبي ﷺ .ويكره التطويل إلا ان رضي به كل المأمومين، قال ﷺ « اذا صلى احدكم بالناس فليخفف فان فيهم السقيم والضعيف والكبير » ويروى « وذا الحاجة » واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء ، وغضب على معاذ لما طول صلاته وقال « افتان انت يامعاذ ؟ » وقال انس رضي الله عنه : ما رأيت اخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام. وقال عمر رضي الله عنه : لا تبغضوا الله الى

خلفه ، يقوم احدكم اماما فيطول عليهم حتى يبغضوا ماهم فيه

﴿فصل﴾ ويسن للامام والمنفرد الجهر بالقراءة في الصبح والجمعة وأولى المغرب والعشاء وفي كل نفل تسن له الجماعة غير كسوف الشمس ، والأفضل أن يقرأ في الظهر والصبح من طوال المفصل وهو من الحجرات الى آخر القرآن ، وفي العصر والعشاء من أوساطه ، وفي المغرب من قصاره . قال النووي : فان كان اماماً خفف عن ذلك ، إما من القصار وإلا درج قراءته ، ويقرأ في الركعة الاولى من صلاة الجمعة الجمعة ، وفي الثانية المنافقين أو بسبح والغاشية ، وفي الاولى من ركعتي العيد والاستسقاء بسورة ق ، وفي الثانية اقتربت ، وان شاء بسبح والغاشية ، وفي صبح يوم الجمعة الم تنزيل ، وفي الثانية هل أتى ، وفي سنة الفجر الاولى الكافرون وفي الثانية الاخلاص ثلاثا ، أو في الاولى ألم نشرح ، وفي الثانية ألم تر ، أو في الاولى (قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا) الآية في البقرة ، وفي الثانية (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة) الآية أو يقرأ في الثانية منهما (ربنا آمنا بما أنزلت) الآية (وانا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) الآية وفي سنة المغرب وركعتي الاستخارة والطواف بسورة الاخلاص ، وقد كان ﷺ أيضا يقرأ في الظهر بالليل اذا يغشى ، وفي العصر نحو ذلك ، وقرأ فيهما أيضا والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق ، ونحوهما ، وفي الصبح بالجوار الكنس ، وقرأ اذا زلزلت في ركعتيه ، وقرأ في الفجر أيضا بسورة ق ونحوها ، وفي العشاء والشمس وضحاها ، والتين والزيتون . وقرأ عروة في المغرب بالعاديات ونحوها ، وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه الاخلاص في أولى المغرب وقرأ ﷺ في المغرب ليلة الجمعة بسورة الاخلاص ، فلو ترك السورة التي تسن في الاولى قرأها مع الثانية ، ويبدأ بها لا بالثانية ، فلو قرأ الثانية في الاولى قرأ في الركعة الثانية السورة الاخرى وحدها . ويسن الفتح على الامام اذا أرتج ولم يدر مايقول قال نافع : صلى ابن عمر بهم المغرب فقال : ولا الضالين ثم ارتج عليه ، فقلت له :

اذا زلزلت . وفى هذا احاديث كثيرة .

﴿ فصل ﴾ ويسن لمن قرأ فى صلاة اوغيرها ولمن سمع قارئا فى صلاة او غيرها اذا مر بآية رحمة أن يسأل الله من فضله ، واذا مر بآية عذاب استعاذ منه، أو بآية تنزيه نزه الله تعالى فقال : سبحان الله او تبارك الله ونحوه ، يقول ذلك بلسانه أو بقلبه ويخفض صوته عند ذكر ماقاله الكفار من نسبة الله تعالى إلى مالايجوزعليه سبحانه ، وإذاقرأ آخر التين قال بلى وأنا علىذلك من الشاهدين واذا قرأ آخر القيامة (يحيى الموتى) قال بلى أشهد واذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون) قال آمنا بالله او لا إله إلا الله ، واذا قرا سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربى الأعلى . واذا قرا (فمن يأتيكم بماء معين) فليقل الله الواحد الصمد إلى آخر السورة ، واذا قرأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال ولا بشىء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد ، وادا فرغ من الفاتحة قال آمين ، فان زاد رب العالمين كان حسنا ، واذا مر بآية فيها ذكر النبى ﷺ صلى عليه ، ويقول اذا فرغ من كل سورة فى غير الصلاة : صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ﷺ اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين واستغفر اللهالحى القيوم ويقول عند الختم : اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماماً وهداً ونوراً ورحمة : اللهم ذكرنى منه مانسيت ، وعلمنى منه ماجهلت ، وارزقنى تلاوته آناء الليل واطراف النهار ، واجعله لى حجة يارب العالمين ، ويكثر الدعاء له وللمسلمين ولأئمتهم ، واذا وجد من نفسه رقة فى اثناء القراءة اغتنم الدعاء لهم فتلك رحمة من الله تعالى . ذكره الغزالى ويقول فى مبتدا قراءته اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ،رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، واعوذ بك رب ان يحضرون ، ويقرا قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد .قلت : واذا فرغ من الختمة شرع فى اخرى فيقرا الحمد واول البقرة الى قوله المفلحون ، فهذا هو الحال المرتحل

ويسن للامام فى صلاة الجهر سكتة طويلة بعد التأمين آخر الفاتحة يقرأ فيها سراً بقدر مايقرأ المأموم الفاتحة ، ذكره النووى « الخامس » مايقول له سامع المؤذن والمقيم يقول ولو جنبا وحائضا عقب كل لفظة وعقب الترجيع مثل قوله إلا فى حى على الصلاة حى على الفلاح فانه يقول فى كل لفظة منها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم اللهم اجعلنا مفلحين ، وفى قوله الصلاة خير من النوم صدقت وبررت ، صدق رسول الله ﷺ الصلاة خير من النوم . وفى كلة الاقامة أقامها الله وأدامها وجعلنى من صالحى أهلها ، فان كان السامع فى قراءة أو ذكر ندب أن يقطعهما وليجيب وإن كان فى نحو بول أو فى صلاة لم يجب حتى يفرغ . فان أجاب كره ولم تبطل صلاته إن أجاب بما ذكرناه إلا قوله صدقت وبررت فانه يبطلها ثم يصلى المؤذن والسامع على النبى ﷺ ويقول : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاما محمودا الذى وعدته يارب العالمين . رضيت بالله رباً الى قوله رسولا اللهم صل على محمد وآته سؤله يوم القيامة ، ثم يدعو فان الدعاء لا يرد بين الاذان والاقامة . ويسن ركعتان بين الاذان والاقامة ولو للمغرب ويسن إذا أراد المؤذن الاقامة أن يتحول إلى موضع آخر . ولا يمشى وهو يقيم وقال صلى الله عليه وسلم « إن يد الرب فوق المؤذن يقيه من كل سوء مالم يتكلم بين الاذان والاقامة » ويروى « يد الله فوق المؤذن حتى يفرغ من أذانه » وقال ﷺ « إذا كثر أذان بلدة قل بردها » ويسن اذا أراد القيام إلى الصلاة أن يسبح ويهلل ويحمد ويكبر ويستغفر كل ذلك يأتى بها عشرا فاذا انتهى إلى الصف قال اللهم آتنى من فضلك ماتؤتى عبادك الصالحين «السادس» فى ذكر الخلاء والحمام يقول إذا أراد دخوله أودخول الحمام بسم الله اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم . واذا خرج من الخلاء قال : غفرانك الحمد

لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ، الحمد لله الذى قد أذاقنى لذته وأبقى فى منفعته ودفع عنى أذاه ولو شاء لحسبه على . واذا خرج من الحمام شكر الله على ذلك فالماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه . ولا يدخله بين العشاءين وقريبا من الغروب . السابع» فى أذكار الوضوء يقول عند صب المـاء بسم الله وكذا عنـد المضمضة وعند استنشاقه وقد قدمنا استحباب التسمية عند ابتداء كل شىء فيقول عند ابتداء الوضوء والغسل والتيمم بسم الله الرحمن الرحيم . فذا فرغ منها رفع رأسه الى السماء واستقبل القبلة وقال قبل أن يتكلم أشهد ان لا اله الا الله وحده لاشريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله ثلاثا . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين . سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك فاغفر لى وارحمنى وتب على انك انت التواب الرحيم ، اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم . وذكر الفقهاء انه يسن أن يقـال بعد التسمية الحمد لله الذى جعل المـاء طهورا والصلاة نورا ومحمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا . وعند غسل اليد اللهم انى اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشؤم والهلكة ، وعندالاستنجاء بالمـاء اللهمحصن فرجى وطهر قلبى واستر عورتى . وآمن روعتى وعند المضمضة اللهم اسقنى من حوض نبيك محمد صلى الله عليه وسلم كأسا لاأظماء بعـده ابدا اللهم ثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وعنـد الاستنشاق اللهم لا تحرمنى رائحة نعيمك وجناتك ، وعند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، وعنـد غسل اليدين : اللهم اعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا ولا تعطنى كتابى بشمالى ولا من وراء ظهرى ولا تحاسبنى حسابا شديدا ، وعند مسح الرأس اللهم حرم شعرى وبشرى على النار وأظلنى تحت عرشك يوم لاظل الا ظلك ، وعند مسح الأذنين اللهم اجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسـنه ، اللهم

أسمعنى منادى الجنة مع الأبرار ، وعند مسح العنق اللهم فك رقبتى من النار ، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال ؛ وعند الرجلين اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم ، اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى ، وهذا الأخير عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد استحب بعضهم الصلاة على النبى ﷺ عند غسل كل عضو من الأعضاء أيضاً « الثامن » فيما يقال فى الأمراض ويقرأ على الأوجاع ، فقد ذكرت من ذلك نبذة شافية فى الباب الذى قبل هذا وينبغى أن يزيد على ذلك : بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك ، بسم الله أرقيك اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً ويؤدى لك فرضاً ويمشى لك إلى جنازة ويضع سبابته بالأرض ثم يرفعها قائلا : بسم الله ثلاثاً تربة أرضنا بريقة بعضنا . يشفى به سقيمنا باذن الله ربنا ، اللهم رب الناس اذهب الباس واشف أنت الشافى لاشفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما . ويقول سبعاً أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد واحاذر وهو يرفع يمينه فى كل مرة بعد ان يمسح بها الوجع ويزيد من به صداع او حمى : بسم الله الكبير اعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نفار ومن شر حر النار . قال ابن عباس : وينفع الرعاف ان يقول : إله نوح وإبراهيم ومحمد عليهم السلام اشفنى واقطع عنى هذا الدم وسيلانه ويكتب على جبهته بسم الله الرحمن الرحيم (وقيل يا ارض ابلعى ماءك) الآية (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) الآية . وكان خالد بن سعيد رضى الله عنه اذا ضربت عليه العروق من عين او وجع قال : يا مسكن العروق الضاربة ومنيم العيون الساهرة سكن عروق الضاربة واذن لعينى بنوم عاجل فى عافية . وقال الليث ينفع للنشر أن يقول خمساً أو سبعاً : بسم الله الأعز الأكرم اللهم اذهب عنى الداء والألم وأنزل بى الشفاء وأبرى السقم . وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال من اشتكى

ضرسه فليأخذ ترابا من موضع سجوده ثم يقول الشافى الله والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله . وله أيضا اسكنى ايتها الريح بالله الذى سكن له مافى السموات والأرض وهو السميع العليم ، وله أيضا يكتب على كاغد قوله تعالى (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) ويوضع على الضرس ذكره الثعالبى فى تفسيره . ولعرق النسا يقول وهو يمسح الوجع : أقسم لك بالعلى الأعلى لئن لم تنتهلأ كوينك بنار ولا حلقنك بالموسى . ذكره الثعالبى أيضا . ويقال إنه يقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم اللهم رب كل شىء ومليك كل شىء ، وخالق كل شىء انت خلقتنى وخلقت النساء فى فلا تسلطنى عليه بقطع ولا تسلطه علىّ بأذى ، واشفنى رب شفاء لا يغادر سقما ، لا شافى إلا أنت . ذكره ابن الجوزى . وقال ابن عباس : أسماء أهل الكهف تصلح لسبعة أشياء ، للطلب ، والهرب ، وتطفىء الحريق . تكتب فى خرقة ويرمى بها فى وسطه تخمد باذن الله ، ولبكاء الطفل تكتب وتصير تحت رأسه ، وللضربان ، والحمى ، والصداع ، وللعيا ، تشد على الفخذ الأيمن فانه يمشى مايشاء ولحفظ المال ، ولركوب البحر ، والنجاة من القتل . كذا ذكره النقاش فى تفسيره وغيره ، وهذه أسماؤهم : يمليخا ، مكسلمينا ، مرطؤنس ، يينونس ، سارينوس ، ا كنشيطنونس ، دونوانس ، والكاب قطمير . وروى الحافظ أبو نعيم فى كتابه أن جبريل عليه السلام علم النبى ﷺ يقول على الملدوغ : الحمد لله ، ثم يقول شجة شجة قرينة ملجة بحر فقطا ترقى بها على السكين سبع مرات ويغرس السكين فى الأرض ، قال وهى رقية بالرومية .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن عيادة المريض قربة فاضلة ، قال ﷺ « مامن مسلم يعود مسلما غدوة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ؛ ولا يعوده مساء إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة » وقال ﷺ « إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة ؛ فاذا قعد عنده قرت فيه » فيسن

عيادة كل مريض مسلم غبا متوضئا ماشيا إلا لعـذر فان رأى أمارة البرء دعا له وانصرف ، وإن رأى خلاف ذلك رغبه فى التوبة والوصية ، فان رأى منه خوفا أثنى عليه بمحاسن أفعاله ونحوها ليحسن ظنه بربه عز وجل، ويسن تطييب نفسه وطلب الدعاء منه وأن لا يطول القعود عنده ولا يأكل من طعامه إلا إن كان يشق عليه فيجبر قلبه بالأكل . وندب أن يضع يده عليه ويسأله كيف هو ، وأن يوصى العائد أهل المريض ومن يخدمه بالاحسان اليه والصبر على مشقته ولا تكره العيادة فى وقت إلا أن يشق على المريض ولا بأس بقول المريض قوموا عنى. وتجوز عيادة الذمى فان كانت له قرابة أو جوار استحبت. ويسن أن يسأل أهل المريض عنه وأن يرد المسئول هو بحمد الله بارىء وأن يكثر كل أحد من ذكر الموت والاستعداد له ، وينبغى لمن أيس من حياته إكثار القراءة وأن يقول اللهم أعنى على سكرات الموت : وتكره المنازعة فى غير الأمور الدينية ، وليبادر إلى أداء الحقوق واستحلال زوجته ووالديه وأولاده وكل من كان بينه وبينه معاملة أو مصاحبة أو تعلق فى شىء ، ويوصى بما لا يتمكن من فعله فى الحال ، ويشهد على ذلك ويتعاهد نفسه بقراءة آيات فى الرجاء أو يقرأها له غيره بصوت رقيق وهو يسمع وليحافظ على اجتناب النجاسة وعلى الصلاة ما أطاق وكيف أطاق ، ولا يقبل من يخذله عن شىء من ذلك ويوصى أهله بالصبر عليه فى مرضه وعلى مصيبتهم بعد موته ، وليكثر قول لا إله الا الله فان لم يقبلها لقنه من حضر من غير ورثته ويلقنه برفق تعريضا فيقول : ذكر الله مبارك فنذكر الله جميعا، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ويصلى على النبى ﷺ فاذا قالها لم يعدها عليه إلا أن يتكلم بكلام آخر ، ويتلى عنده يس والرعد وما تيسر من القرآن ، ويقول الحاضرون سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وليحسن الظن بالله تعالى . قال ﷺ « حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنة » وينبغى أن يموت فى ثياب طاهرة ﴿التاسع﴾

فى أذكار أحوال الميت ، ويقول عند تغميضه : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ اللهم اغفر له وارفع روحه فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يارب العالمين ، وافسح له فى قبره ، ونور له فيه . ويقرأ عنده يس والبقرة والرعد ، ولا يغمض إلا بعد خروج الروح .ومن بلغه موت صاحبه قال : إنا لله وانا اليه راجعون ، وإنا الى ربنا لمنقلبون ، اللهم اكتبه عندك من المحسنين ، واجعل كتابه فى عليين ، واخلفه فى أهله فى الغابرين ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . وإذا بلغه موت عدو للاسلام قال الحمد لله الذى نصر عبده وأعز دينه . وليكثر الغاسل ذكر الله والدعاء للميت فان رأى ما يعجبه فليحدث به وإن رأى ما يكره من سواد ونحوه حرم أن يحدث به أحدا . وإذا أراد صلاة الجنازة جعل الصفوف ثلاثا فأكثر قال ﷺ « من صلى عليه ثلاثة صفوف فقد أوجب » ويروى « دخل الجنة » قال الترمذى حديث حسن . ثم يكبر للاحرام ويقرأ الفاتحة ثم يكبر ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ثم يكبر ويدعو للميت اللهم اغفر له وارحمه والأكمل أن يقول فى الثالثة: اللهم إن هذا عبدك وابن عبدك خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوبه وأحبائه فيها الى ظلمة القبر وما هو لاقيه كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك وأنت أعلم به اللهم انه نزل بك وأنت خير منزول به وأصبح فقيراً الى رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئناك راغبين اليك شفعاء له اللهم إن كان محسنا فزد فى احسانه ، وإن كان مسيئا فتجاوز عنه ولقه برحمتك رضاك وقه فتنة القبر وعذابه ، وافسح له فى قبره ، وجاف الأرض عن جنبيه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه الى جنتك يا أرحم الراحمين .

وإن كان الميت امرأة قال : اللهم هذه أمتك ثم يعطف الكلام ،اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد

ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله دارا خيراً من داره ، وجيرانا خيراً من جيرانه ، وأهلا خيراً من اهله ، وزوجا خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار ، اللهم انت ربه وأنت خالقته ، وأنت هديته للاسلام ، وانت قبضت روحه وانت اعلم بسره وعلانيته جئناك شفعاء له فاغفر له ، اللهم إنه في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار، أنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم . وإن كان الميت طفلا دعا لأبويه : اللهم اجعله لهما فرطا واجعله لهما سلفا واجعله لهما ذخراً وعظة ، واعتباراً وشفيعا ، وثقل به موازينهما ، وأفرغ الصبر على قلوبهما ، ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما أجره ، ويزيد قبله : اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا . اللهم من أحييته منا فأحيه على الاسلام ،ومن توفيته منا فتوفه على الايمان والتوبة . اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده . ويسن أن يقول بعد التكبيرة الرابعة : اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) الآية ويستحب طلب كثرة الجمع للتبرك ورجاء دعوة تستجاب . يروى أنه مات ابن لابن عباس فقال لكريب انظر ما اجتمع له من الناس ؛ قال: فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا فأخبرته . فقال تقول هم أربعون ؟ قلت نعم ، قال أخرجوه فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « مامن مسلم يقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه » رواه مسلم . وقال ﷺ «أول مايتحف به المؤمن فى قبره أن يغفر الله لجميع من اتبع جنازته » وقال ﷺ « لا يموت من المسلمين ميت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعون له إلا شفعوا فيه .

﴿ فصل ﴾ ويقول عند حمل الميت : بسم الله ثم يسبح مادام يحمل . قال

النووى : وليس فى حمل الجنازة دناءة وسقوط مروءة بل هو فضيلة وإكرام للميت ، وليكن الماشى مع الجنازة مشتغلا بذكر الله : وبالفكر فيما يلقاه الميت . وعن قريب يكون مثله . وما يكون مصيره اليه سا كتا فى حال سيره . ويكره أن يرفع صوته بقراءة أو ذكر أو غيره ، وأن يتحدث بشىء من أمر الدنيا . والمشي عندنا أمامها أفضل ، فيكون بقربها بحيث لو التفت لرآها ، ولا يتقدمها إلى المقبرة فان فعل لم يكره . ثم هو بالخيار إن شاء قام منتظرا لها ، وإن شاء قعد ويتخذ للمرأة مايسترها من خيمة أو قبة ونحوها . ويقول من مرت به جنازة أو رآها : لا إله إلا الله سبحان الحى الذى لا يموت . ويدعو لها ويثنى بخير إن علمه . ولا يقوم لها فالقيام لها منسوخ . ويقول من يدخله القبر : بسم الله وعلى ملة رسول الله اللهم أسلمه اليك الاشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه فارق من كان يحب قربه وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه ونزل بك وأنت خير منزول به ، إن عذبته فبذنب ؛ وإن عفوت عنه فأنت أهل العفو أنك غنى عن عذابه وهو فقير إلى رحمتك : اللهم اشكر حسنته واغفر سيئته وأعذه من عذاب القبر واجمع له برحمتك الأمن من عذابك واكفه كل هول دون الجنة ، اللهم اخلفه فى تركته فى الغابرين ، وارفعه فى عليين ، وجد عليه بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين . ويحثو من على شفير القبر فيه بكفيه جميعا من قبل رأسه ثلاثا ويقول فى الاولى (منها خلقنا كم) وفى الثانية (وفيها نعيدكم) وفى الثالثة (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أو يقول فى الاولى : اللهم افتح أبواب السماء لروحه ، وفى الثانية : اللهم لقنه حجته عند المسألة ، وفى الثالثة : اللهم جاف الارض عن جنبيه .

﴿ فصل ﴾ فاذا فرغ من الدفن وسوى عليه التراب وقف واحد عند رأسه وقال : يافلان بن فلان . أو ياعبد الله بن أمة الله . ثلاثا اذكر العهد الذى خرجت

عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، قل رضيت بالله ربا ، وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا وبالكعبة قبلة ، وبالقرآن إماما وبالمسلمين إخوانا ربى الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم. كذا ذكره النووى وغيره ، وينبغى أن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ ، وانما يلقن البالغ لا الصغير . ويسن أن يقعد عند القبر بعد الفراغ من الدفن بقدر ما تنحر جزور من الابل ويقسم لحمها ، فيشتغلون بالقراءة والذكر والدعاء للميت، وحكايات الخير ليستأنس بهم ، وينظر ما ذا يرجع به رسل ربه ، فقد ثبت ذلك فى صحيح مسلم وغيره . قال ابن عمر رضى الله عنهما : وأحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول البقرة وخاتمتها .قال الشافعى رحمه الله : فان ختموا القرآن كله كان حسناً . ويسن الثناء على الميت وذكر محاسنه قال ﷺ « أيما مسلم شهد له أربعة بالخير أدخله الله الجنة » قيل وثلاثة ؟ قال «وثلاثة» قيل واثنان ؟ قال « واثنان » وأثنى على جنازة بخير . فقال ﷺ « وجبت » وعلى أخرى بشر فقال « وجبت » ثم قال «هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض من أثنيتم عليه بخير فهو من أهله ، ومن أثنيتم عليه بشر فهو من أهله » رواه البخارى في صحيحه. وقال ﷺ « ما من ميت يموت فيشهد له رجلان من جيرته الادنين فيقولان : اللهم لا نعلم منه إلا خيراً إلا قال الله تعالى للملائكته أشهدكم أنى قد قبلت شهادتهما وغفرت له ما لم يعلما » روى فى الاربعين المحررة . ويحرم سب الميت المسلم وذكر مساويه

﴿ فصل ﴾ والتعزية سنة مؤكدة قال ﷺ « من عزى مصاباً فله مثل أجره » وقال ﷺ « من عزى ثكلي كسي برداً فى الجنة » وهي الصبر وذكر ما

يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، ووقتها من الموت إلى ثلاثة أيام تقريباً ، وتكره بعد مضى الثلاثة إلا أن يكون المعزى أو المعزى غائباً حال الدفن ذكره النووى . ويعم بها جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار رجالا ونساء ، إلا أن تكون شابة فلا يعزيها إلا المحارم ، وبأى لفظ عزى حصلت السنة ، والأحسن أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فاصبر واحتسب فان أمضى المصائب فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزية مال أو فراق حبيب

ويصافح المعزى

﴿ فصل ﴾ وينبغى للرجل إكثار زيارة القبور سيما يوم الجمعة ، فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غدا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون . أسأل الله لنا ولكم العافية أنتم سلفنا ونحن بالأثر ، اللهم لا تحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ويكثر من الدعاء للموتى والمسلمين ومن القراءة ومن الوقوف على قبور أهل الخير. واعلم أن بعض العلماء منع الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصالحين لقوله ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا والمسجد الاقصى » قال الغزالى : وما يتبين لى ان الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها لقوله ﷺ « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » والحديث الأول ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ، ولا بلد إلا وفيه مسجد ، فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر ،

والمشاهد لا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى ، نعم لو كان في موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحل إلى موضع فيه مسجد ، وينتقل اليه بالكلية إن شاء . قال وليت شعري هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء كابراهيم وموسى عليهما السلام ، وذلك في غاية البعد ! فان جوزنا ذلك فقبور الأولياء والعلماء والصالحين في معناها ، كما أن زيارتهم في الحياة من المقاصد ، ثم قال إن هذا في الرحلة ، وأما في المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة علم مهما سلم له حاله في وطنه ، فان لم يسلم طلب له موضعاً خاملا أسلم لدينه ، وأفرغ لقلبه ، وأيسر لعبادة ربه ، فهو أفضل المواضع له . قال ﷺ « البلاد بلاد الله ، والخلق عباد الله ، فأي موضع رأيت فيه رفقاً فأقم فيه واحمد الله » نرجع إلى ما كنا فيه : وليدن الزائر من القبر كما يدنو من صاحبه في الحياة لو زاره ، ويكره الجلوس على القبر والاتكاء والاستناد ووطؤه إلا لضرورة بأن لا يصل إلى قبر ميته إلا بوطئه ، ولا بأس بالمشي بين القبور ولو بالنعل ، وإذا مر على قبور الظلمة ونحوهم فليكثر البكاء وليسرع السير . قال ﷺ « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين لا يصيبكم ما أصابهم » رواه البخاري

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه يجوز البكاء قبل الموت وبعده ، وقبله أولى للحديث الصحيح . «فإذا وجبت فلا تبكين باكية» قال النووي : وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ، ولا يحرم ، وتأولوا الحديث على الكراهة . وفي صحيح البخاري أنه ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعل ﷺ تذرف عيناه بالدموع ، فقال له ابن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال « انها رحمة » ثم أتبعها بأخرى فقال « إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون »

ويحرم رفع الصوت بإفراط فى البكاء . وما روى أنه ﷺ بكى على ابن مظعون فقال فى بكائه هاى هاى ، فيحمل على أنه كان مغلوباً ، وما غلب عليه لا يؤاخذ به . ذكره فى البيان . فطوبى لمن بكى من خشية الله تعالى . قال ﷺ « لو أن عبداً بكى فى أمة لأنجى الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك العبد ، وما من عمل إلا له وزن وثواب الا الدمعة فإنها تطفىء بحوراً من النار ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرم الله جسدها على النـار ، وإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة » ويروى « ما بكى عبد مخلصا فى ملأ من الملأ إلا غفر الله لهم جميعا ببركة بكائه » ويروى « الباكى من خشية الله تهتز له البقاع التى يبكى عنـدها ، وتغمره الرحمة مادام باكيا » ﴿العاشر﴾ فى أذكار المسافر. فيقول عند إرادته السفر : اللهم بك أستعين وعليك أتوكل ، اللهم ذلل لى صعوبة أمرى وسهل على مشقة سفرى وارزقنى من الخير أكثر ممـا أطلب، واصرف عنى كل شر . رب اشرح لى صدرى ونور قلبى ويسر لى أمرى ، اللهم إنى أستحفظك واستودعك نفسى ودينى وأهلى وأقاربى وأحبابى وكل ما أنعمت به على وعليهم من آخرة ودنيا فاحفظنا أجمعين من كل سوء يا كريم ياحفيظ ، اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت ، اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتم له اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت . ويقرأ سورة الكافرون وما بعدها إلى آخر الناس ست سور ، ويضيف إلى ذلك كل ما يقوله الخارج من بيته وقد تقـدم : ويسأل أهله ونحوهم الدعاء والوصية ، ويدعو لهم ويسألونه الدعاء فى سفره وان لم يكن أفضلهم ، ويشيع أربعمائة خطوة ، وإذا ودع انسانا قال أستودع الله دينك وأماناتك وخواتيم عملك زودك الله التقوى وغفر ذنبك ويسر لك الخير حيث ما كنت وكفاك الهم ، اللهم اطوله البعيـد وهون عليه السفر ، فيقول المودع : قبلت ورضيت ويرد عليه مثـل قوله استودع الله دينك وأمانتك إلى آخره .

وإذا ركب دابة أو سفينة قال عند النهوض : بسم الله ، فاذا استوى عليها قال الحمد لله الذى رزقنى هذا وحملنى عليه ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون : الحمد لله والله أكبر ثلاث مرات ، سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى وعملت سوء فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت . اللهم إنا نسألك فى سفرنا هـذا البر والتقوى ، ومن العمل ما تحب وترضى ، اللهم هون علينا سفرنا واطوعنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والأهل ومن الحور بعد الـكون ومن دعوة المظلوم ، وإذا أخذ فى الرجوع قال ذلك من قوله اللهم إنا نسألك إلي آخره ، ويزيد آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ، ولا يزال يكررها وإذا رأى بلدته زاد على هذا الأخير : اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا . ويزيد ما سيأتى . إذا رأى قرية وحرك دابته ونحوها وأسرع . وإذا صعد المسافر جبلا أو ثنية كبر ثلاثا وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ، واذا هبط سبح ، وكذا إذا نزل منزلا يسبح حتى يحط رحله ، واذا رأى قرية قال وان لم يرد دخولها : اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وباها وحببنا الى أهلها وحبب صالحى أهلها الينا ، اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الارضين السبع وما أقللن، ورب الشياطين وما أضللن، ورب الرياح وما ذرين، أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها . فاذا أقبل الليل قال : ياأرض ربى وربك الله وأعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ماخلق فيك وشر مايدب عليك وأعوذ بالله من شر كل أسد وأسود، وحاسد وحسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن

والد وما ولد فاذا كان فى رفقته مكروه من جرس ونحوه قال : اللهم إنى أبرأ اليك مما فعله هؤلاء فلا تحرمنى صحبة ملائكتك وبركتهم . ذكره ابن الصلاح ويكثر الدعاء لأهله فدعاء المسافر لايرد . قال ﷺ « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن ، دعوة المظلوم على من ظلمه ، ودعوة المسافر حتى يرجع الى أهله ، ودعوة الوالد لولده وهم يدعون له » فدعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ؛ واذا عثرت دابته قال : بسم الله ، وان أصابتها رهصة قال بسم الله أنت الراقى وأنت الباقى وأنت الشافى. ثم يعقد شعرة أو خيط قنب ثم يربط بها الرهصة روى عن مكحول. ويقال للقادم : الحمد لله الذى سلمك، الحمد لله الذى جمع الشمل بك ونحوه ذكره النووى رحمه الله. ويقال لمن قدم من غزوة الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك، ويقال لمن قدم من حج الحمد لله الذى بلغك نسكك وغفر ذنبك وأخلف نفقتك ويقول الحاج : اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج . قال الغزالى رحمه الله : وقد كان من سنة السلف أن يستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألونهم الدعاء لهم ، ويبادروا بذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام . وقال عمر رضى الله عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له فى ذى الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الأول. وقد تقدم فى الباب الذى قبل هذا ما يقال عند خوف العدو ، وكذلك مايقال أيضاً عند خوف السبع وكل ماتخشاه ، وأضف اليه من أدعية الكرب وأسماء الله الحسنى ماشئت وقل : اللهم انا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ، اللهم أنت ربنا وربهم وقلوبنا وقلوبهم بيدك وإنما تقلبهم أنت يامالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ، اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ، اللهم اكفنيهم بما شئت بسم الله ماشاء الله لاحول ولاقوة الا بالله حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتى بالخير الا الله ، ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ (كتب الله

لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوى عزيز). (لاتخاف دركا ولاتخشى) . (لاتخف نجوت من القوم الظالمين) (لاتخف انك من الآمنين) .(ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) . تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي القيوم الذى لا يموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام ، واكنفنا بكنفك الذى لا يرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ولا تهلكنا وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وامائك برحمة منك ورأفة انك أنت أرحم الراحمين .

﴿ فصل ﴾ وأفضل الأسفار السفر للجهاد ، ثم للحج ، ثم لزيارة قبر النبي ﷺ ، ثم المسجد الأقصى ، ولطلب العلم ، ثم لزيارة المشايخ والاخوان ، ثم لرد المظالم والاستحلال ، ثم لطلب الآثار والاعتبار ، ثم لرياضة النفس وخمول الذكر ، ولا يسافر للنزهة والبطر والرياء ، ذكره أبو النجيب السهروردى . ولا يسافر إلا برضا الآباء والأستاذ بعد أن يوصى ويشهد على وصيته ، ويتعلم كل ما يحتاج اليه فى سفره ، ويستحل كل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة ، واذا كانوا ثلاثة أمروا أحدهم ليطيعوه ، وخير الرفقاء أربعة ، ويكره المشى منفرداً بل مع رفقة أمناء ، فاذا ناموا حرسهم بعضهم ، ولا يركب بنيات الطرق بل الجادة الواضحة ، فان أشكل عليه طريقان فالتيامن أولى . وقد نهى ﷺ عن التفرق فى الشعاب والأودية . وقال « إنما ذلكم من الشيطان » وينبغى أن يمشى مشى أضعف رفقته ويقف لوقوف رفيقه ؛ ويبذل جهده فى خدمتهم ما أمكن ؛ ويرفع عنهم مؤنته ، قيل يا رسول الله أى الصدقات أفضل ؟ قال « خدمة الرجل أصحابه » وقال ﷺ « سيد القوم خادمهم » وقال ﷺ « خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد ، ومن متعلم محتسب ، وللخادم أجر من يخدمهم » قال الغزالى رحمه الله : خدمتك للفقهاء وأهل الدين والصوفية والتردد فى خدمتهم أفضل من النوافل ، فانها عبادات وفيها رفق بالمسلمين . قال

السهروردى : ويجب على المسافر استصحاب كوز للطهارة أو ركوة ، ويستحب له استصحاب العصا والابرة والخيوط والمقص والموسى والمشط ونحوها . قال بعضهم : يحتاج المسافر إلى أربعة أشياء وإلا فلا يسافر ، علم يسوسه ، وورع يحجزه ، وخلق يصونه ، ويقين يحمله ويسن أن لا يقدم المسافر على أهله بغتة ، بل إذا قرب بعث من يخبرهم ، ويمهل حتى تستحد المغيبة ، وتمتشط الشعثة ، ثم لا يطرقهم ليلا بل يدخل غدوة أو فى آخر النهار ، وليأتهم بهدية أو تحفة . ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة نحروا جزوراً . روى فى الصحيحين . وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤا بالنبي ﷺ فسلموا عليه ، ثم رجعوا إلى رحالهم . ﴿الحادى عشر﴾ : ما يقوله الآكل ونحوه يقول عند ابتداء الاكل : بسم الله الرحمن الرحيم فان تركها قال متى ذكر : بسم الله أوله وآخره ؛ فان نسى حتى فرغ قرأ قل هو الله أحد. وكذا فى شرب الماء والعسل واللبن ونحوها، ويتنفس ثلاثاً فيبسمل أول كل جرعة ويحمد آخرها ، ويزيد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما تحب فاجعله عوناً لنا على ماتحب ، وما زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب ، اللهم حسن أخلاقنا وطيب أرزاقنا وارزقنا نعيم الجنة ، الحمد لله الذى هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا ، اللهم أصبحنا وأمسينا بكل خير نسألك تمام نعمتك وشكرها لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك إله الصالحين ، ورب العالمين ، الحمد لله ولا إله إلا الله ما شاء الله لا قوة الا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .ويقول اذا أكل مع ذى عاهة : بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه فاذا فرغ من الأكل قال الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه غير مكفىء ولا مودع ولا مستغنى عنه ، ربنا الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا ، الحمد لله الذى من علينا وهدانا والذى أشبعنا وأروانا وكل الاحسان آتانا ، اللهم

أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت ، وإذا كان فى الطعام شبهة قال : الحمد لله على كل حال ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله عوناً على معصيتك . فاذا فرغ من الشرب قال : الحمد لله الذى جعله عذباً فراتاً برحمته ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا .

وقد تقدم فى ذلك أحاديث فى الباب الخامس والسادس فلتطالع .ويقول إذا أكل ضيفاً : اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم ، واذا أفطر عند قوم قال : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ونزلت عليكم الرحمة ، واذا حضر طعاماً لغيره وهو صائم فلم يأكل فليدع لأهل الطعام ويقول لمن سقاه شيئا أو أطعمه : اللهم أطعم من أطعمنى واسق من سقانى. وإن كان شابا قال : اللهم أمتعه بشبابه ، اللهم جمله. ويقول الصائم إذا شاتمه أحد إنى صائم إنى صائم يقوله بلسانه مرتين فأكثر . ويسن تعجيل الفطر قبل الصلاة ذكره فى الاحياء .ويقول اذا أفطر قال : ابن أبى الصيف قبل الافطار . اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت : أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى ، الحمد لله الذى أعانى فصمت ، ورزقنى فأفطرت ، اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا فتقبل منا انك انت السميع العليم . ثم يقول عند أول لقمة : ياواسع المغفرة اغفر لى ، اللهم انك عفو يا كريم تحب العفو فاعف عنى ، ويقول بعد الفطر بالماء : الحمد لله ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر ان شاء الله ﴿ الثانى عشر ﴾ فى أذكار النكاح يقول عند خطبة المرأة : بسم الله والحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وأوصى بتقوى الله جئتكم خاطباً ويخطب الولى كذلك ، ثم يقول مرحبا أولست بمرغوب عنك ونحوه . ويخطب عند العقد فيقول العاقد أو غيره . بسم الله والحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا

هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله واشهد أن محمداً عبـده ورسوله أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيئا . (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا) (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) ويقول انولى زوجتك على ما امر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح باحسان . فيقول الزوج قبلت تزويجها ونكاحها . وخطب على رضى الله عنه حين هم بتزويج فاطمة رضى الله عنها الحمد لله حمداً يبلغه ويرضيه ، وصلى الله على محمد وآله صلاة تزلفه وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله به ورضيه ، واجتماعنا هذا مما قدره الله وأذن فيه ، وهـذا محمد صلى الله عليه وسلم زوجنى ابنته فاطمة رضى الله عنها على صداق مبلغه خمسمائة درهم ، وقد رضيت فاسألوه واشهدوا . ويقال للزوج عقب العقد . بارك الله لك ونحوه . ويقال لكل واحد من الزوجين بارك الله لكل واحد منكما فى صاحبه وجمع بينكما فى خير . ويكره أن يقال بالرفاء والبنين، وندب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين والعقد فى المساجد وفى شوال ، وعرض الرجل من اليه تزويجها على أهل الخير ليتزوجوها . ودليله فى صحيح البخارى مشهور . واذا دخلت على الزوج زوجته ليلة الزفاف فليصل ركعتين ثم ليسم الله تعالى ويأخذ بناصيتها قائلا : بارك الله لكل واحد منا فى صاحبه ، ويزيد ما تقدم من ذلك فى الباب الخامس ، ولا بأس بالستر على العروس بثوب ونحوه أبيض لا أسود ، نص على ذلك الغزالى فى فتاويه . وقال أنس رضى الله عنه بعد أن ذكر نكاح النبى صلى الله عليـه وسلم زينب رضى الله عنها حتى اذا وضع رجله فى أسكفة الباب داخله والاخرى خارجه أرخى الستر بينى وبينـه ويكره ستر

الجدرات لنهى ورد فيه ، ويقال للزوج بعد دخوله عليها ، كيف وجدت أهلك: بارك الله لك .

﴿ فصــل ﴾ وقد تقدم فى الباب السادس ما يقال عند الوقاع وعند الطلق واذا بنى بأهله فاغتسلت أمرها أن تصلى ركعتين ، ثم يأخذ برأسها قائلا : اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فى ، وارزقهم منى وارزقنى منهم ، واجمع بيننا ماجمعت فى خير ، وفرق بيننا مافرقت فى خير ، فان ولد له ولد قال : اللهــم بارك لى فيما رزقتنى وأنبته نباتاً حسنا واجعله من صالحى الذرية وأعنى على كفالته حتى يبلغ أشده ، فان كان ذكراً زاد على ذلك . اللهــم اشدد به عضدى ، وكثر به فى الصالحين عددى ، وليكن عونا لى على طاعتك ، وسلمنى من سوء فتنته إنك أنت الوهاب . أو بمثل هذا يدعو لمن تهنئه بمولوده أو قل بارك الله لك فى الموهوب لك ، وشكرت الواهب ، وبلغ أشده ورزقت بره . وليرد المهنأ على المهنىء : بارك الله لك وبارك عليك ، رزقك الله مثله جزاك الله خيراً آمين . وتقدم ذكر الأذان فى أذن المولود فى الباب السادس . فيؤذن فى اليمنى ويقيم فى اليسرى مستقبلا ، ثم يقول . رب إنى أعيذه بك وذريتــه من الشيطان الرجيم . ويؤنث المؤنث . وقد تقدم مايقال عند التكحيل فى الباب الخامس . ومن بلغ أربعين سنة فليأخذ حذره . قاله مسروق وقال عمر بن عبدالعزيز . لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، وينبغى لمن بلغها ان يقول ما أخبر الله به عن أبى بكر رضى الله عنه (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) إلى قوله (وإنى من المسلمين) ثم يتهيأ إلى الرحيل بالفعل الجميل فما بقى إلا القليل ﴿الثالث عشر﴾ ما يقال عند رؤية الهلال والقمر يقول اذا رأى الهلال . الله أكبر ثلاثا هلال خير ورشد ثلاثا آمنت بالله الذى خلقك ثلاثا ، ربى وربك الله . اللهــم أهله علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا وجاء بشهر

كذا. ويزيد اذا استهل رمضان بعد قوله لما تحب وترضى ، والعافية المجللة والرزق الحسن ، ودفع الأسقام ، والعون على الصلاة والصيام ، وتلاوة القرآن . اللهم سلمنا لرمضان وسلمه منا حتى ينقضى وقد غفرت لنا ورحمتنا وعفوت عنا . ويقوله كله مستقبل القبلة . ويقول إذا دخل رجب : اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان ، آمنت بالذى لا إله إلا هو . وإذا رأى القمر قال : اللهم إنى أعوذ بك من شر هذا الغاسق إذا وقب . وإذا دخلت السنة قال : اللهم أدخلها علينا بالأمن والايمان ، والسلامة والاسلام ، ورضوان من الرحمن ، وجوار من الشيطان . اللهم أنت رب قديم ، وهذه سنة جديدة ، فأسألك من خيرها وأعوذ بك من شرها ، وأستكفيك مؤنتها وشغلها ياذا الجلال والاكرام ﴿ الرابع عشر ﴾ فى العطاس والتثاؤب . قال ﷺ « ان الله يحب العطاس ويكره التثاؤب » قال العلماء : معناه أن العطاس سببه محمود وهو خفة الجسم التى تكون لقلة الاخلاط وهو أمر مندوب اليه لأنه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة والتثاؤب بضده . ويسن لمن جاءه العطاس أن يضع يده أو ثوبه ونحوه على وجهه ويخفض بها صوته ، ولا يلوى عنقه ، ويقول عقبه : الحمد لله ، فان زاد رب العالمين كان أحسن ، ولو قال على كل حال فهو أفضل ، ولو صلى على النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فهو أكمل ، رواه الواحدى عن ابن عمر . ويقول كل من سمع تحميده غير قاضى الحاجة والمصلى يرحمك الله أو ربك ، أو يرحكم الله أو رحمك الله . فان قاله بعض السامعين أجزأ عنهم ، فان سمعه البعض شمته السامع فقط . ويقول العاطس بعد ذلك : يهديكم الله ويصلح بالكم ، أو يغفر الله لنا ولكم ، وأقل الحمد والتشميت وجوابه أن يسمع به صاحبه ، فان لم يحمد أو قال لفظا غيره لم يشمت . وندب لمن عنده أن يذكره الحمد ، وإذا عطس فى أذانه أو صلاته ندب أن يقول الحمد لله مسمعا نفسه فى الاصح . وإن عطس قاضى الحاجة أو المجامع حمد الله بقلبه فقط ،

فان تكرر العطاس متتابعا شمت إلى أن يبلغ ثلاثا ، فان زاد دعا له بالشفاء فهو مزكوم. وندب لمن تثاءب أن يرده ما استطاع ، وإن كان فى صلاة فيمسك بيده أو ثوبه على فيه فانه إذا قال هاه ضحك الشيطان . وقال ﷺ « من حدث حديثا فعطس عنده فهو حق » وقال ﷺ « من سعادة المرء العطاس عند الدعاء »

﴿ الخامس عشر ﴾ فى سائر الأحوال يقول من قصت عليه رؤيا : خيرا رأيت وخيرا يكون، خيرا تلقاه وشراً توقاه ، خيراً لنا وشراً على أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين . وقد تقدم فى الباب السادس ما يقوله الرائى ، وما يقول عند المصافحة ، ويزيد المصافح : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) الآية . ويقول إذا طنت أذنه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واذكرنى بخير ، واذكر من ذكرنى بخير . ويقول إذا نظر وجهه فى المرآة الله أكبر الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله ، وكرم صورة وجهى فحسنها . وجعلنى من المسلمين . الحمد لله اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى . ومن خدرت رجله فليذكر أحب الناس اليه . ذكره ابن السنى وغيره . ويقول اذا دخل عليه المصباح : اللهم أتمم لنا نورنا إلى يوم القيامة . وقد تقدم ما يقوله إذا طفىء ، ويقول إذا دخل السوق ويزيد : بسم الله اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها ، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة ، أو صفقة خاسرة ، ويقول إذا سمع صياح الديك : اللهم إنى أسألك من فضلك

﴿ فصل ﴾ وإذا هاجت الريح قال : اللهم إنى اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به ، ويكثر التكبير . اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا ، اللهم لقحاء لا عقيما. واذا رأى ناشئا وهو السحاب التى لم يتكامل اجتماعها ترك العمل ، وإن كان فى صلاة تركها وأقبل وأدبر وقال: اللهم انى أعوذ بك من

شر ما فيه . فان انكشف حمدا لله ، واذا نزل المطر قال رحمة : اللهم صيبا نافعا ، اللهم صيبا نافعا، مرتين أو ثلاثا ، ويدعو بما شاء ، قال الشافعي رحمه الله : حفظت عن غير واحد طلب اجابة الدعاء عند نزول الغيث ، واقامة الصلاة . ويقول بعد نزوله : مطرنا بفضل الله ورحمته . ويكثر حمد الله عز وجل ، واذا كثر المطر وخيف منه الضرر على المساكن والزرع ونحوه ، سأل الله رفعه : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ، ولا محق ولا بلاء ولا هدم ولا غرق. ويقول اذا انقض كوكب . ما شاء الله لاقوة الا بالله ، ولا يتبعه بصره . قال الشافعي رحمه الله: واذا رأى البرق أو الودق فلا يشير اليه قال ولم تزل العرب تكرهه . وتقدم مايقول عند الرعد والبرق ويزيد عليه : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك . ويقال لهذه التي تظهر في السماء قوس الله وهي أمان لأهل الأرض ، ويكره أن يقال لها قوس قزح ونحوه

﴿فصل﴾ ويسن حمد الله والثناء عليه عند البشارة بما يسر ، ولا بأس بأن يعطي المبشر شيئا فقد أعطى كعب بن مالك —وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم — الذي بشره ثوبيه ولم يملك غيرهما ، والأدب لمن سئل عن شيء أن يقول لمن عنده تحدث أو أجب ، وان كان القصد الى المسئول وحده . لما استخبر رسول الله عائشة رضي الله عنها عن أمرها قالت لأبيها : أجب رسول الله، فقال ما أدري ماأقول له ؟ فقالت لأمها: أجيبي رسول الله ، فقالت: ماأدري ماأقول له . ثم أجابته هي عن قصتها . وقال عمر للقادمين . هل من مغربة خبر ؟ أي هل من خبر غريب.

﴿فصل﴾ ويسن أن يقول لمن عرض عليه ماله ونحوه : بارك الله لك في أهلك ومالك ، وإذا قضي دينه قال : بارك الله لك في أهلك ومالك وجزاك الله خيراً .

ويقول لمن أزال عنه أذى : مسح الله عنك ما تكره ، ولا تمكن بك السوء ، أخذت يداك خيراً . ويقول إذا رأى ما يحب الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات . وإذا رأى ما يكره قال : الحمد لله على كل حال . وإذا رأى من الطيرة ما يكره قال : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فصل ﴾ ويقول إذا دفع زكاة أو صدقة أو كفارة أو نحوها : « اللهم اجعلها مغنما ولا تجعلها مغرماً ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ويقول آخذ الزكاة : آجرك الله فيما أعطيت ، وجعله لك طهوراً ، وبارك لك فيما أبقيت . وإذا قال آخذ الهدية نحوها : بارك الله فيكم . رد عليه المهدى : وفيكم بارك الله . قالت عائشة رضى الله عنها : نرد عليهم مثل ما قالوا ، ويبقى أجرنا لنا . وقال ﷺ « إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له فذلك إثابته » ولما قال له المهاجرون : ما رأينا كالأنصار كفونا المؤنة ، وشاركونا فى الأجر ، لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله : قال «لا ! مادعوتم لهم وأثنيتم عليهم » وقال ﷺ « من أزلت اليه نعمة فليكافىء بها ، فان لم يجد فليظهر ثناء حسناً » وقال ﷺ « من صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خير فقد أبلغ فى الثناء فيسن أن يقول لمن أحسن اليه : جزاك الله خيراً ، ويثنى عليه . ولمن رأى منه فعلا جميلا أحسنت أصبت . ويدعو له ، ولمن ناداه : لبيك لبيك وسعديك . ولمن ضحك : أضحك الله سنك ، ولمن جاءه مرحباً وأهلا وسهلا ، وإن قيل له كيف أصبحت فليقل : بخير أحمد الله اليك ، وإلى جميع خلقه . وإذا رأى برداً شديداً أو حرا قال . يفعل الله ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، ولا يقول أف ولا أخ ، ويقول لمن ذهب له شىء يتوقع حصول مثله كالمال والزوجة والولد: أخلف الله عليك ، فان لم يتوقع مثله كالوالد والعم قال : خلف الله عليك . ذكره النووى وغيره . وإذا

دخل الحمام سأل الله الجنة وعاذ به من النار ، ولا يكره الذكر فى الحمام ، وإذا نظر فى السماء قال (ربنا ما خلقت هـذا باطلا سبحانك)الآيات (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) الآية : ويقول عند ابتداء الأمور (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهىء لنا من أمرنا رشداً) ، (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) ويسن استفتاح مجلس حديث النبي صلى الله عليه وسلم وختمه بقراءة قارىء حسن الصوت ما تيسر من القرآن مما يليق بالمجلس من آيات الخوف والرجاء والتزهيد ونحوه . ذكره النووى . ويقول إذا شرع فى إزالة المنكر (قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) ، (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) . ويقول عند غضب سلطان أو ظالم : أطفأت غضبك بلا إله إلا الله . ويزيد ما أحب مما تقدم من دعوات الكرب . وإذا غلبه أمر قال حسبي الله ونعم الوكيل ، على الله توكلت وإذا قال له اتق الله ونحوه، أو بينى وبينك الكتاب والسنة ، أو ما قاله العلماء ونحوه ، أو اذهب معى إلى الحاكم أو المفتى ، فليقل سمعاً وطاعة ، أو نعم وكرامة ، ونحو ذلك . ويجوز التعجب بلفظ التسبيح والتهليل ونحوه . ويسن أن يعلم من يحبه أنه يحبه . قال معاذ : والله إنى لأحبك . وقال لامرأة من الأنصار إنكم لمن أحب الناس إلى . وقال لرجل : إنى لاحب هذا ، فقال ﷺ « هل أعلمته ؟ » قال لا ، قال « أعلمه » فلحقه فقال إنى أحبك فى الله ، قال أحبك الذى أحببتنى له .

ويقول عند نسيان القرآن : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . إنك أنت السميع العليم . اللهم أطلق بالقرآن لسانى ، واشرح به صدرى ، وأفرج به عن قلبى ، واستعملنى به ما أبقيتنى . وروى أن من قرأ عند نومه (وإلهكم إله واحد) الآيتين من البقرة حفظ عليه القرآن فلم ينسه . ذكره فى الاحياء . ويقول عند السواك : اللهم

بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ، وكذا عند الاكتحال ونحوه ، ويقال لمن لا يثبت عند الركوب اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً ويدعو هو بذلك

﴿ فصل ﴾ ويسن لبس السراويل والنعل قاعداً ، ولبس العمامة والرداء قائماً ، ويقول عند لبس الثوب والنعل ما فى الباب السادس مستقبلا بسم الله اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له ، ويقول لصاحبه اذا رأى عليه ثوباً جديداً البس جديداً وعش سعيداً ومت شهيداً بارك الله لك فيه ، تبلى ويخلف الله خيراً منه. أبل وأخلق مرتين أو ثلاثاً . واذا قيل له أبل وأخلق فليرد عليه .أبليت جديداً وعشت حميداً . واذا قيل له تبليه فى طاعة الله ، فليقل كساك الله من حلل الجنة .

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم فى الباب السادس ما يقال عند المصائب . قال ابن أبى الصيف والغزالى رحمهما الله ويقول عند ضياع الشيء (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها انا الى ربنا راغبون) واذا ذهبت له ضالة أو آبق قال اللهم هادى الضالة وراد الضالة ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اردد على ضالتى فانها من عطائك ورزقك، ويتلو على خيط آية الكرسى عشرين مرة ، والمعوذتين عشراً عشراً ، ثم يعقدها سبع عقد ويقول ، الله ربى لا أشرك به شيئاً ، واغوثاه ، لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، كل ذلك ثلاث مرات ويسأل الله أن يحفظ ذلك ويكرر على قلبه ولسانه يا حفيظ يا حافظ ، ويعلق معناه . قال أبو الحسن القابسى وان ضل عنك شيء فاقرأ عليه سورة الضحى . وتقدم فى الباب الخامس ما يقول من يخاف العين ويقول من بلى بالوسوسة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويتفل عن يساره ، وقل هو الله أحد إلى آخر السورة ، آمنا بالله وبرسوله ثلاثاً لا إله الا الله هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ، واذا استفاد دابة أو بقرة أو نحوها أو رقيقا وضع يده على سنامها أو ناصيته وقال : بسم الله اللهم إنى

أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، ويذكر المذكر . وقد تقدم فى القسم الرابع والعشرين من البـاب الثالث ما يقوله إذا غضب ، ويقول إذا هر عليـه كلب (يامعشر الجن والانس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) الآيات (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) . ويقول فى الدعاء على الجراد: اللهم أهلك الجراد اقتل كباره ، وأهلك صغاره، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواههم عن معايشنا وعن أرزاقنا انك سميع الدعاء . ولما رآه عمر كبر ثلاثا . وقال ﷺ « فى صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم » رواه الواحدى . وإذا رأى شيئا من حيات البيوت لم يقتله حتى يؤذنه ثلاث مرات فى ثلاث خرجات ، فيقول أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم سليمان بن داود أن لا تؤذونا ويقرأ (سلام على نوح فى العالمين) إلى قوله (المؤمنين) ويقول : ياعبد الله إن كنت تؤمن بالله ورسوله فلا تؤذنا ولا تشعفنا ولا تروعنا ولا تبدلنا فانك إن تبدلتا بعد ثلاث نقتلك ، ذن بدا له بعد ثلاث قتله. وأما الابتر وذو الطفتين فيقتلان قبل الانذار ، وكذا ماوجد من حيات الأسواق والشوارع والمساجد يقتل بلا انذار .

﴿ فصل ﴾ ويقول إذا صادف ليلة القدر : اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى ، ويكثر فيها وفى يومها ذكر الله ، وقراءة القرآن والدعاء.

وحكى عن الشافعى رحمه الله أن من شهد فيها العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظه منها. وليكثر يوم الجمعة وليلتها من ذكر الله وقراءة القرآن والصلاة على النبى ﷺ ويتنزه عن كل مكروه . قال ﷺ « اذا سلمت له الجمعة فقد سلمت له الأيام ، وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » . وقال ﷺ : « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه » ويقرأ فيها سورة الكهف ، ويقرأ فى ليلتها سورة الدخان وسورة يس والبقرة وآل عمران وفي

يومها سورة آل عمران وهود . ويكره تخصيص ليلتها بقيام ، ويومها بصيام .

﴿ فصل ﴾ وإذا قال سأفعل كذا فليقل ان شاء الله تعالى فان نسى الاستثناء فليقله—وان كان بعد شهر أوسنة—قاله سعيد بن جبير وعمرو بن دينار. قال الله تعالى (واذكر ربك إذا نسيت) أى قله اذا تذكرت . وكذا اذا حلف فليقل ان شاء الله قاصدا الاستثناء وقت حلفه ، ولا حنث عليه ، والاستثناء حسن فى كل أعمال البر حتى فى جواب الماضى . كمن قيل له أصمت أمس ؟ فيقول نعم ! ان شاء الله تأدبا وتواضعا وتبركا بذكر الله. ذكره الغزالى رحمه الله. فاعتمد ماذكرته ترشد إن شاء الله .

﴿فصل﴾ ويدعو فى الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثا مغيثا هنيئاً مريئا مريعا غدقا مجللا سحاعاما طبقا دائما ، اللهم انا نستغفرك انك كنت غفارا فأرسل السماء علينا مدرارا ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع، واسقنا من بركات السماء، وأنبت لنا من بركات الارض ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعرى واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك ، اللهم اسق عبادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، لا إله الا الله يفعل مايريد ، اللهم أنت الله لا اله الا أنت أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل الله علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوتا وبلاغا الى حين ، اللهم أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك وقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا، اللهم امنن علينا بمغفرة ماقارفنا، وباجابتك فى سقيانا وسعة رزقنا ، اللهم انا سمعناك تقول (ماعلى المحسنين من سبيل) وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا ، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا . ويكثر الاستغفار ويضيف الى ذلك من أدعية الكرب والاسماء الحسنى ما أحب ، ولا بأس أن يتوسل الى الله تعالى بما عمله من عمل صالح خالص لله تعالى نص على ذلك النووي وغيره. ودليله حديث الثلاثة الذين انسد عليهم فم الغار. ويسن أن

يبرز لأول مطر يقع فى السنة ويكشف من بدنه غير عورته ليصيب المطر ثيابه وبدنه ويشرب منه ، وكان ﷺ اذا كان أول مطر خرج حتى يصيب جسده ويقول «انه قريب عهد بربه» وكان ابن عباس اذا جاء المطر يأمر عبده أن يخرج رحله وفراشه اليه ، ويقول أحب أن ينالنى شيء من بركته . ويسن أن يغتسل فى الوادى اذا سأل أو يتوضأ ، وقد تقدم أول هذا القسم ما يقال عند المطر وبعده وغير ذلك ويسن للصواعق والزلازل والرياح الشديدة أن يصلى كل واحد منفردا ويكثر الدعاء والتضرع والاستغفار ونحوها ويستحب اذا كسفت الشمس أو القمر أن يكثر كل أحد ذكر الله تعالى والدعاء والاستغفار والصدقة ، وأن يصلى جماعة . هما آيتان من آيات الله تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته كذا قاله النبى ﷺ

﴿ السادس عشر ﴾ فى أدعية العيدين والحج . ويسن أن يكبر كل أحد ليلتى الفطر والاضحى من غروب الشمس الى الاحرام بصلاة العيد فى كل الأحوال قاعدا وماشيا ومضطجعا وخلف كل صلاة ويكبر فى عيد الاضحى ثلاثا يرفع الصوت أيضا من بعد صلاة الصبح يوم عرفة الى عقب صلاة العصر آخر أيام التشريق بعد كل صلاة ولو نفلا ، فيقول الله أكبر ثلاثا أو أكثر ، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ، الله أكبر على ماهدانا والحمد لله على ما ابتلانا وابلانا لا إله الا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ، لا اله إلا الله والله اكبر ، ويكبر الحاج ليلة الفطر ولا يكبر فى النحر الا من ظهر يوم النحر الى صبح آخر التشريق ويكثر يوم عرفة من قول لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، ويقول عشية عرفة : اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيراً مما تقول اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى ، اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر

ووسوسة الصدر وشتات الأمر اللهم انى أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر ماتجىء به الريح . وقد استحب بعض العلماء التعريف وهو أن يجتمع أهل كل بلدة أو قرية فى مسجد أو نحوه للدعاء والذكر يوم عرفة تشبها بأهل عرفات . روى عن ابن عباس والحسن وغيرهما وسئل عنه أحمد فقال : لا بأس به فعله غير واحد بكر وثابت ومحمد بن واسع وغيرهم وقال ﷺ « من أحيي ليلة العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » قال النووى رحمه الله والاظهر أن الاحياء لايحصل إلا بمعظم الليل ، وقيل يحصل بساعة ، وقيل هو أن يصلى العشاء فى جماعة ويعزم أن يصلى الصبح فى جماعة . وروى عن ابن عباس

﴿ فصل ﴾ وينبغى فى عشر عرفة وهى الأيام المعلومات أن يكثر من كل الطاعات ، ويدعو بهذه الدعوات ، وهى خمس أهداهن جبريل عليه السلام الى موسى عليه السلام أولهن : يقولها مائة مرة فى اليوم الأول ومائة مرة فى اليوم الثانى وهى لا إله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شىء قدير ، ثانيها يقولها مائة مرة فى اليوم الثالث والثامن وهى أشهد أن لااله إلا الله وحده لاشريك له أحداً صمداً فرداً وتراً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ثالثها : يقولها فى اليوم الرابع والتاسع أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أحداً صمداً لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، رابعها : كالأولى يقولها فى السادس والسابع ، خامسها : حسبى الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ يقولها فى الخامس والعاشر ويكرر كل واحدة مائة مرة ذكره أبو الليث السمرقندى وغيره . ويستحب أن يصلى بعد عيد الفطر ثنتى عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات قاله سفيان الثورى وقال هو من السنة

﴿ فصل ﴾ قال ﷺ « ماعمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من

إهراقه الدماء ، وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع فى الارض ، فطيبوا بها نفسا ، وان لصاحب الأضحية بكل شعرة حسنة » فيسن للمضحى بعد إضجاع الذبيحة أن يقول (وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) الى قوله (من المسلمين) اللهم هذا منك ولك عنى وعن أهلى فتقبل منى كما تقبلت من ابراهيم خليلك ومحمد حبيبك ويذبح قائلا بسم الله والله أكبر ثلاثا اللهم صل على محمد وآله وسلم ويسن أن يضحى فى بيته فى مشهد أهله ويذبح هو بنفسه ويتوجه الذابح الى القبلة ويوجه مذبحها الى القبلة ويضع قدمه على صفحة الذبيحة ويقطع الحلقوم والمرىء وجوبا ، ويزيد معهما الودجين وهما عرقان فى صفحة العنق محيطان بالحلقوم استحبابا ، ثم يمسك فلا يبين الرأس فى الحال ، ولا يزيد فى القطع ، ولا يبادر الى سلخ الجلد ، ولا يكسر الفقار ولا يقطع عضوا ، ولا يحرك الذبيحة ولا يزحزحها بل يترك كل ذلك حتى تفارق الروح الجسد ، ولا يمسكها بعد الذبح ليمنعها عن الاضطراب وندب شحذ السكين وأن لا يشهرها فى وجهها ، وعرض الماء عليها قبل الذبح ، والرفق بسوقها واضجاعها وسرعة القطع وهذا هو تحسين الذبح الذى أمر به ﷺ لقوله ﷺ « إن الله كتب الاحسان على كل شىء فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » ويسن أن يصلى المضحى ركعتين عقيب الذبح ، فقد ورد أن الدعاء فيهما مستجاب ويكره الذبح بالليل أضحية كانت أو غيرها ، ويكره الذبح للجن نهى عنه النبى ﷺ وذلك كأن يستخرج عينا أو يحدث دارا أو نحو ذلك فيذبح لهم قال فى البحر ، فان قصد بذلك التقرب إلى الله تعالى ليصرف عنه شرهم فهو حلال وان قصد الذبح لهم فهو حرام

﴿ فصل ﴾ وقد كنت أهملت أذكار الحج عند تقسيم هذا الباب ، وبعد ذلك رأيت أن إلحاقها فيه من أهم الأسباب فأدخلتها فى هذا القسم : وضمنت خلالها آداباً وأحكاماً بها كفاية للحاج إن شاء الله تعالى لتتم بها محاسن الكتاب ويجتزى مطالعه عن منسك وكتاب .

فينبغى لمن أراد الاحرام بالحج أن يغتسل أو يتيمم ثم يصلى ركعتين ينوى بقلبه ويساعد بلسانه فيقول : نويت الحج وأحرمت به لله تعالى ، اللهم أعنى عليه وتقبله منى ، لبيك اللهم لبيك بحجة ،لبيك لا شريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك، اللهم لك أحرم نفسى وشعرى وبشرى ولحمى ودمى ولا يذكر الحجة إلا فى أول تلبيته ، وإن أحرم عن غيره قال : نويت الحج وأحرمت به عن فلان لبيك اللهم عن فلان إلى آخر ما تقدم ، ثم يصلى على النبى ﷺ ويدعو بما شاء ويكثر التلبية فى كل حال ، وعلى كل هيئة ، وبكررها ثلاثاً ويرفع صوته إن كان ذكراً بحيث لا يبح صوته ، ويستديمها إلى أن يرمى جمرة العقبة أو يطوف للافاضة أو يحلق ولا يلبى فى طواف وسعى ، وإذا رأى ما يعجبه قال لبيك إن العيش عيش الآخرة، فاذا وصل الحرم وهو خارج مكة — قال اللهم هذا حرمك وأمنك فحرمنى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك . فاذا وصل المسجد ورأى الكعبة رفع يديه ودعا وقال: لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً وتعظيما وبراً ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيما وتكريما وبرا ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام ، فحينا ربنا بالسلام . ثم يدخل المسجد من باب بنى شيبة ويقول ما قدمنا فى القسم الثانى ويزيد : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، فهذا قرب

من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك ثم يقصد الحجر الأسود ويمسه بيمينه ويقبله ويقول : اللهم أمانتى أديتها ، وميثاق تعاهدته ، اشهد لى بالوفاء ثم يبادر بطواف القدوم — ويختص بمن دخل مكة قبل الوقوف — فيطوف سبعاً مبتدئاً من أول الحجر الأسود محاذياً له بكل بدنه خارج البيت والحجر ، جاعلا البيت عن يساره ويقول عند استلام الحجر وابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ولا إله إلا الله اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ ويكرره كلما حاذى الحجر ويقبله ويضع جبهته عليه فى كل طوفة ، فان عجز مسه فان زوحم أشار وقبل ما أشار به ، ويمس الركن اليمانى كل مرة بلا تقبيل ولا إشارة وأول ما يجاوز الحجر الاسود ينتهى إلى باب البيت فيقول: اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك، وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم بيتك عظيم ، ووجهك كريم ، وأنت أرحم الراحمين ، فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم ، وحرم لحمى ودمى على النار ، وآمنى من أهوال يوم القيامة ، واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة . فاذا بلغ الركن العراقى قال : اللهم إنى أعوذ بك من الشك والشرك والنفاق والفسوق وسوء الاخلاق وسوء المنظر فى المال والأهل والولد ، فاذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنى تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ، اللهم اسقنى بكأس نبيك محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبدا ، فاذا بلغ الركن الشامى قال : اللهم اجعله حجاً مبرورا وسعياً مشكورا ، وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، فاذا بلغ الركن اليمانى قال : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر وفتنة الممات ومن الخزى فى الدنيا والآخرة ، ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا

عذاب النار . فاذا بلغ الحجر الاسود قال اللهم اغفرلى برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم له شوط ، فيطوف كذلك سبعة أشواط ويدعو كذلك . وندب أن يضطجع الرجل فى كل طواف بعده سعي الى آخر السعي إلا فى ركعتى الطواف ، وأن يرمل فى كل الثلاثة الاشواط الاول منه ، والرمل سرعة المشي مع تقارب الخطا دون العدو وفوق المشي المعتاد ، ويكثر فيها من قول اللهم اجعله حجا مبرورا الى قوله مغفورا ويمشي فى الاربعة الاخيرة قائلا اللهم اغفر وارحم الى آخر ما تقدم . وان قرأ فى طوافه ماشاء من القرآن كان حسنا فاذا فرغ من الطواف أتى الملتزم وهو مابين الباب والحجر فيلتصق بالبيت ويضع عليه خده الايمن ويقول اللهم لك الحمد حمدا يوافى نعمك ويكافى مزيدك ، أحمدك بجميع محامدك كلها ماعلمت منها وما لم أعلم على جميع نعمك كلها ماعلمت منها ومالم أعلم وعلى كل حال ، اللهم صلى وسلم على محمد وعلى آل محمد وأعذنى اللهم من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء ، وقنعني بما رزقتنى وبارك لى فيه ، اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك وألزمنى سبل الاستقامة حتى ألقاك يارب العالمين ويزيد ماشاء ثم يصلى ركعتى الطواف وخلف المقام أولى فاذا فرغ قال : اللهم أنا عبدك وابن عبديك أتيتك بذنوب كثيرة وأعمال سيئة هذا مقام العائذ بك من النار فاغفرلى انك أنت الغفور الرحيم ويقول فى الحجر وهو من البيت يارب أتيتك من شقة بعيدة مؤملا معروفك فأنلنى معروفا من معروفك تغنينى به عن معروف من سواك يامعروفا بالمعروف . ويسن دخول الكعبة حافياً والصلاة فيها بحيث لا يؤذى ولا يؤذى ولا ينظر الى مايلهى بل يكثر ذكر الله تعالى والاستغفار .

﴿فصل فى السعى﴾ ثم اذا أراد السعى خرج من باب الصفا ، فاذا انتهى اليه رقى فيه قدر قامة واستقبل البيت ، وقال الله أكبر ثلاثا ، ولله الحمد والله أكبر على ماهدانا ،

والحمدلله على ماأولانا ، لا إله إلا الله والله أكبر لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم انك قلت ادعوني أستجب لكم وإنك لاتخلف الميعاد ، وانى أسألك كما هديتني للاسلام أن لاتنزعه مني حتى تتوفاني وأنا مسلم ، ويكرر ذلك ثلاثا ، ويزيد ما شاء ، ثم ينزل عن الصفا ويمشي نحو المروة ، فاذا بقي بينه وبينها الميل الأخضر المعلق على يساره قدر ستة أذرع سعى سعيا شديداً حتى يتوسط الميلين الأخضرين فيمشي على عادته الى المروة ، فاذا وصلها رقى عليها وأقبل بوجهه الى الصفا وقال جميع ذلك وهذه سعية ثم يعود إلى الصفا ويفعل ذلك كذلك سبعا ويقول فى ذهابه ورجوعه بين ذلك رب اغفر وارحم الى آخره كما تقدم . ويزيد يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، والذهاب والعود مرتان ثم يخرج من مكة متوجها الى منى بعد صلاة الصبح يوم الثامن وهو يوم التروية ، ويقول : اللهم إياك أرجو ، ولك أدعو فبلغني صالح أملي ، واغفر لى ذنوبي ، وامنن على بما مننت به على أهل طاعتك انك على كل شيء قدير ، ثم يصلى بها الظهر وما بعده ويبيت بها .

﴿ فصل فى المسير من منى الى عرفة ﴾ ثم يسير من منى الى عرفة على طريق ضب بعد طلوع شمس يوم التاسع على ثبير ويقول فى سيره : اللهم اليك توجهت ووجهك الكريم أردت ، فاجعل ذنبي مغفوراً وحجي مبرورا ، وارحمني ولا تخيبني إنك على كل شيء قدير ، اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة الآية ، ويكثر التلبية والقراءة والذكر ثم يقيم بنمرة قرب عرفة حتى تزول الشمس فيصلى الظهر والعصر جمع تقديم ، ثم ينهض ويقف بعرفة عند الصخرات المفترشة أسفل جبل الرحمة ويجتهد حال وقوفه بالذكر والابتهال والدعاء والاستغفار ، ولا يقصر فى ذلك فهذا

أفضل يوم في السنة كما أن ليلة القدر أفضل ليلة ، ويكثر من قوله : ربنا آتنا في الدنيا حسنة الآية ومن قوله : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وانه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم اللهم اغفر لي مغفرة تصلح بها شأني في الدارين وارحمني رحمة أسعد بها في الدارين وتب علي توبة نصوحاً لا أنكثها أبداً ، والزمني سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبداً ، اللهم انقلني من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، واغنني بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك ، ونور قلبي وقبري وأعذني من الشر كله واجمع لي الخير كله ، ويكثر من الأدعية والاذكار والتلبية والصلاة على النبي ﷺ وقد تقدم ما يقوله عشية عرفة ويسن أن يقف إلى غروب الشمس يقيناً .

﴿ فصل ﴾ ثم يفيض منها إلى المزدلفة على طريق المأزمين ويقول لا إله إلا الله والله أكبر ثلاثاً فأكثر اللهم اليك أرغب وإياك أرجو فتقبل نسكي ووفقني وارزقني من الخير أكثر مما أطلب ولا تخيبني إنك أنت الجواد الكريم ، ويصلي بها المغرب والعشاء جمع تأخير ، ويبيت بها ويحصل المبيت بحضوره ساعة من النصف الأخير ، وهذه هي ليلة العيد وقد تقدم ذكرها ، ويكثر في المزدلفة من التلبية والدعاء .

ويقول فيها : اللهم إني أسألك أن ترزقني في هذا المكان جوامع الخير كله وأن تصلح شأني كله وان تصرف عني الشر كله فإنه لا يفعل ذلك غيرك ، ولا يجود به إلا أنت . ويصلي الصبح في هذا اليوم مبالغاً في تبكيرها ، ويدعو بعدها بما أحب مما يقوله في الصباح ، وبعد الصلاة ، ثم يسير إلى المشعر الحرام وهو قزح فيصعده أو يقف تحته ويستقبل ويسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويكثر التلبية والدعاء ويقول : اللهم كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه فوفقنا لذكرك كما هديتنا وأغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا ، بقولك وقولك الحق فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند

المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) إلى قوله (غفور رحيم)(ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) الآية ، اللهم لك الحمد كله ولك الكمال كله ولك الجلال كله ولك التقديس كله ، اللهم اغفر لى جميع ما أسلفته واعصمنى فيما بقى وارزقنى عملا صالحاً يرضى به عنى يا ذا الفضل العظيم ، اللهم إنى أتشفع اليك بخواص عبادك وأتوسل بك اليك أن ترزقنى جوامع الخير كله ، وأن تمن على بما مننت به على أوليائك وأن تصلح لى حالى فى الدنيا والآخرة ياأرحم الراحمين ، فاذا أسفر الفجر انصرف من المشعر الحرام متوجهاً إلى منى مكثراً من الذكر والدعاء والتلبية ، فهذا آخر زمنها ، فاذا بلغ وادى محسر قدر رمية حجر ووصل منى . قال : الحمد لله الذى بلغنيها سالماً معافى ، اللهم هذه منى وقد أتيتها وأنا عبدك فى قبضتك أسألك أن تمن على بما مننت به على أوليائك اللهم إنى أعوذ بك من الحرمان والمصيبة فى دينى ودنياى ، فاذا طلعت الشمس يوم النحر شرع فى رمى جمرة العقبة سبع رميات بسبع حصيات ويقطع التلبية ويكثر التكبير من حينئذ ويكبر مع كل حصاة ثم يذبح إن كان معه هدى ويقول ما تقدم عند الذبح .

﴿ فصل ﴾ ثم يحلق رأسه كما تقدم ويمسك ناصيته بيده ويستقبل ويكبر ثلاثاً ثم يقول : الحمد لله على ما هدانا ، والحمد لله على ما أنعم به علينا ، اللهم هذه ناصيتى فتقبل منى واغفر لى ذنوبى ، اللهم اغفر لى وللمحلقين والمقصرين يا واسع المغفرة ، اللهم أنبت لى بكل شعرة حسنة ، وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى عندك بها درجة ، فاذا فرغ من الحلق كبر أيضاً وقال : الحمد لله الذى قضى عنا نسكنا ، اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وتوفيقاً وعوناً واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

﴿ فصل ﴾ ثم يعود إلى مكة لطواف الافاضة وهو ركن لا يتم الحج إلا بهذا الطواف الذى يكون بعد الوقوف ، وهذا الطواف والحلق ورمى يوم النحر هى أسباب التحلل ، ويجوز أن يقدم أيها شاء ويؤخر أيها شاء ، ووقتها نصف

ليلة النحر ، ويحل باثنين منها كل شيء إلا الجماع فانه لا يحصل إلا بالثالث ، وأما طواف القدوم فسنة

وأما السعي فان كان قد سعى بعد طواف القدوم لم يعده ، وإلا فالاتيان بالسعي بعد طواف الافاضة ركن لا يتم الحج الا به . ثم يعود فى يومه إلى منى ليبيت بها ليالى التشريق الثلاث ، ويرمى كل يوم بين الزوال والغروب إلى الجمرة الأولى وهى التى تلى مسجد الخيف ثم الثانية ثم الثالثة جمرة العقبة إلى كل واحدة بسبع حصيات كل يوم . ويسن فى هذه الأيام وهى المعدودات إكثار ذكر الله تعالى وقراءة القرآن ويقف عند الجمرة الأولى بعد رميها مستقبلا فيحمد ويكبر ويهلل ويدعو قدرقراءة سورةالبقرة ، وكذا عند الثانية ولا يقف عند جمرة العقبة لضيق المكان ، ورمى يوم النحر يفوت بغروب شمس ذلك اليوم ، ورمى أيام التشريق يفوت بفوات أيام التشريق ويجبر كله بالدم . ومن نفر فى اليوم الثانى قبل الغروب يسقط عنه مبيت الليلة الآتية ورمى يومها ولا دم عليه ، وأما الحلق والطواف فلا تأقيت لآخرهما ولا يفوتان ما دام حيا ، فاذا نفرمن منى فقد انقضى حجه ولم يبق له ذكريتعلق بالحج ، بل يشتغل بأذكار السفرالمتقدمة .

﴿فصل﴾ وأذكار العمرة كاذكار الحج فيما يشتركان فيه وهو الاحرام فالطواف فالسعي فالحلق . واعلم أنه يحرم بالاحرام الجماع ومقدماته التى تنقض الوضوء ، والتعرض للصيد البرى المأكول ، والطيب بما يقصد رائحته.ودهن الرأس واللحية بما يسمى دهنا ، وإزالة ظفر أو شعر من جسده ، وستر شيء من بدن الرجل بمخيط عليه أو على عضو منه بخياطة ونحوها،وستر شيء من رأسه بما يعد ساتراً . ويحرم على المحرم وغيره قطع كل نبات وشجر رطب حرمى الأصل . ويسن أن يكثر الشرب من ماء زمزم مستقبلا قائلا : بسم الله اللهم إنه بلغني عن رسولك محمد ﷺ أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » اللهم إنى أشربه لتغفر لى ولتفعل

بى كذا وكذا فاغفرلى وشفنى ويزيد ما شاء ويتنفس ثلاثا ، ويسن المجاورة بمكة ما لم يغلب على ظنه الملل وارتكاب الذنوب ونحوه . وندب التطوع بالطواف ليلا ونهاراً للحاج وغيره بلا رمل ولا اضطباع .

﴿ فصل ﴾ ومن أراد الخروج من مكة إلى مسافة قصر من حاج أو معتمر أو غيرهما نجز أشغاله وشد رحله ثم طاف للوداع حتما ثم صلى ركعتيه ندبا ، ويسن أن يأتى بعد ذلك الملتزم فيلتزمه ويقول : اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن أمتك حملتنى على ما سخرت لى من خلقك حتى سيرتنى فى بلادك وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فان كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمن الآن قبل أن تنآى عن بيتك دارى ، هذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا بيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى واجمع لى خير الدنيا والآخرة يا كريم . ولا يشتغل بعد ذلك إلا بشغل السفر .

﴿ فصل ﴾ ويزور رسول الله ﷺ ويكثر من الصلاة والتسليم عليه فى طريقه ويقول : اللهم افتح لى أبواب رحمتك وارزقنى فى زيارة نبيك محمد ﷺ ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك واغفرلى وارحمنى ياخير مسئول. فاذا دخل المسجد وصلى التحية اتجه إلى قبره فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصدا لا يرفع صوته ولا بصره بل ينظر إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر مستحضرا الهيبة والاجلال فيقول: السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك ياخيرة الله من خلق الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك وعلى آلك وأصحابك وأهل بيتك وعلى النبيين وسائر الصالحين ، أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة فجزاك الله أفضل ماجازى رسولا عن أمته ، ويزيد ماشاء . ولا يلمس جدار القبر ولا يقبله

فذلك خطأ ممن يفعله ، وإن أوصى بالسلام قال : السلام عليك من فلان أو فلان يسلم عليك يا رسول الله . ثم يتأخر قدر ذراع إلى جهة يمينه فيسلم على أبي بكر ثم يتأخر ذراعا آخر فيسلم على عمر ، ثم يعود إلى قبالة وجهه ﷺ فيتوسل به ويدعو ويتشفع ثم يقف بين رأس القبر والاسطوانة التى هناك ثم يستقبل القبلة ويحمد ويدعو بما شاء ولمن شاء،ثم يأتى إلى الروضة مابين القبر والمنبر فيكثر فيها من الدعاء والصلاة ثم إذا أراد السفر قال كذلك،ويدعو بما شاء ويودعه ويقول : اللهم لاتجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ﷺ ويسر لى العود فى الحرمين سبيلا سهلة بمنك وفضلك ، وارزقنى العفو والعافية فى الدنيا والآخرة وردنا سالمين غانمين إلى أوطاننا آمنين برحمتك ياأرحم الراحمين «(القسم السابع عشر)» فى صلاة الاستخارة ، يسن فى كل أمور الدنيا فيصلى ركعتين من غير فريضة فاذا سلم قال : اللهم انى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدرولا أقدر ، وتعلمولاأعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر — ويسمى حاجته — خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه وأقدر لي الخير حيث كان وان كنت تعلم ان هذا الأمر شرلى فى دينى ودنياى ومعاشي وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان،ثم ارضنى به ، فقد كان ﷺ يعلمهم هذا كالسورة من القرآن.ذكره البخارى فى صحيحه . وقال النووى رحمه الله : وتحصل بركعتين من الرواتب وبتحية المسجد ونحوها من النوافل ويكثر من قوله : اللهم خرلى واخترلى ثم ما انشرح له صدره فعله وما فعله بعد الاستخارة المذكورة فليرضى به وإن لحقه به مشقة فقد روى أن داود عليه السلام قال إلهى من شر الناس ؟ قال من استخارنى فى أمر فاذا خرت له اتهمنى ولم يرض بحكمى «(الثامن عشر)» فى صلاة التسابيح ، ذكرها أبو داود وغيره قال ﷺ بعد أن وصفها فلو كانت

ذنوبك عدد النجوم وعدد القطر وعـدد رمل عالج وعـدد أيام الدنيا لغفرها الله ويروى « فلو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفرلك بتلك وهى أن يكبر للاحرام ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، ثم يقول خمس عشرة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم يتعوذ ويقرأ الفاتحةوسورة ، ثم يقول عشر مرات سبحان اللهوالحمد للهولا إله إلا اللهوالله أ كبرثم يركع فيقولها عشرا ،ثم يرفع رأسهفيقولهاعشرا ، ثم يهوىساجدا فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشراً ثم يسجد الثانية فيقولها عشراً ثم يرفعفيقولها عشراقبل القيام ، ثم يقوم ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يقولها خمس عشرة مرة ، ثم يركعفيقولها عشراً ، ثم يرفع فيقولها عشراً ، ثم يسجد فيقولها عشراً يصلى أربع ركعات على هذا ، فذلك خمس وسبعون تسبيحة فى كل ركعة تبدأ بالخمس عشرة تسبيحة ، ثم يقرأ ثم يسبح عشرة . قال ابن المبارك : فان صلى ليلا فأحب أن يسلم فى كل ركعتين ، وإن صلى نهاراً فان شاء سلم وان شاء لم يسلم . قال الرويانى فى كتاب البحر : قيل لابن المبارك . ان سهى فى صلاة التسبيح أيسبح فى سجدتى السهو عشراً عشراً ؟ قال لا انما هى ثلثمائة تسبيحة قال الغزالي رحمه الله : ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها ، قال ولو زاد بعد التسبيح قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن، وقد روى فى بعض الروايات «(التاسع عشر فى صلاة الرغائب)» ذكرها النسائى وغيره قال رسول الله ﷺ « يصلى أول ليلة جمعة من رجب بين المغرب والعشاء اثنتى عشر ركعة بستة تسليمات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر ثلاثا وقل هو الله أحد اثنى عشر مرة ، فاذا فرغ من الصلاة قال : اللهم صل على محمد النبي الأمى وعلى آله بعد ما يسلم سبعين مرة ثم يسجد ويقول فى سجوده سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ثم يرفع رأسه فيقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت الأعز الأعظم سبعين مرة ،

ثم يسجد ويقول مثل الأولى سبعين مرة ، ثم يسأل الله حاجته وهو ساجد فان الله تعالى لا يرد سائله » وقد تقدم ذكرها فى قسم الصلاة من الباب الثالث . وذكر النووى فى فتاويه كراهة فعلها ولعله يعنى بذلك فعلها بالجماعة والله أعلم

وينبغى لمن أراد أن يسجد السجدتين بعدها أن يقرأ آية سجدة . فان عند بعض العلماء أنه لا يجوز التطوع بسجدة بلا سبب ، ولهذا قال فى البحر : جرت عادة بعض الناس بسجود بعد الفراغ من الصلاة يدعون فيه ، وتلك سجدة لا يعرف لها أصل والله أعلم ﴿القسم العشرون﴾ صلاة الحفظ ذكرها الترمذى وغيره عنه ﷺ ، وهى أن يصلى فى ليلة الجمعة وفى الثلث الأخير أفضل أربع ركعات الأولى بالفاتحة ويس ، والثانية بالفاتحة وحم الدخان ، والثالثة بالفاتحة والم تنزيل السجدة ، والرابعة بالفاتحة وتبارك المفصل ، فاذا فرغ حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ وعلى سائر النبيين واستغفر لأهل الاسلام ثم يقول : اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبداً ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى ، اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله بجلالك وبنور وجهك أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنيه وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى ، اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والاكرام والعزة التى لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصرى وأن تطلق به لسانى وأن تفرج به عن قلبى وأن تشرح به صدرى وأن تستعمل به بدنى فانه لا يعيننى على الحق غيرك ولا يؤتينيه الا أنت ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يفعل ذلك ثلاث جمع أو خمسا أو سبعا ، يجاب باذن الله تعالى

﴿فصل﴾ فى آداب الدعاء لتحصل الاجابة والانابة إن شاء الله الكريم ، وهى أن يكون على طهارة ، وأن يفتتحه ويختمه بحمد الله تعالى والثناء عليه

سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى سائر النبيين وآلهم رضى الله عنهم أجمعين ، وأن يستقبل القبلة إن أمكنه ويكرر الدعاء ثلاثا فأكثر وأن يجزم بالطلب ولا يقول اغفر لى إن شئت ونحوه ، ولا يستبطىء الاجابة فقد قال ﷺ « يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى» ويروى أن بين قول موسى وهارون عليهما السلام (ربنا اطمس على أموالهم) الآية وبين قوله تعالى قد أجيبت دعوتكما أربعين سنة وأنشد بعضهم:

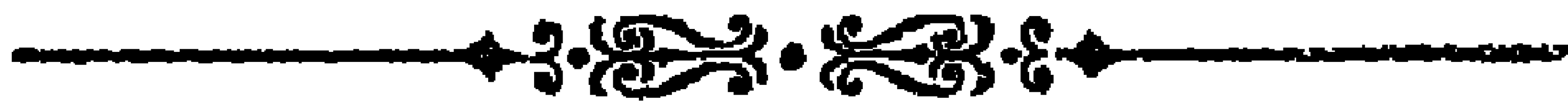
أتهـزأ بالدعاء وتزدريه وما يدريك مافعل الدعاء

سهام الليل لاتخطى ولكن لهـا أمد وللأمد انقضاء

ويقتصر على الدعوات المأثورة وهى مشهورة ولا يتكلف السجع ويكون صوته بين المخافتة والجهر متضرعا خاشعا ، ويرد المظالم والديون إن قدر عليها ، ويتوب الى الله تعالى ويستغفره ، ويكون مطعمه ومسكنه وملبسه وكل مامعه حلالا فقد ذكر ﷺ « إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغـذى بالحرام فأنى يستجاب لذلك » وأن يجد فى دعائه ويحضر قلبه قال ﷺ « أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد واجتهاد وذلك الذى يسـمع ويستجاب وإن قل » وقال ﷺ « إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ساه لاه » وأن يغتنم الازمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم النصف من شعبان ويومى العـيدين والأيام المعلومات والمعـدودات ، وكيوم الجمعـة وليلتها وليلة النصف من شعبان وليلتى العيدين والثلث الأخير من الليـل ووقت السحر ، وأن يغتنم الأحوال الشريفة كحال السجود والطواف والصيام ونزول الغيث وإقامة الصلاة وعقبها وختم القرآن .وحال رقة القلب، ويغتنم المواضع الشريفة كالـكعبة وعرفات وتحت الميزاب بمكة والمساجد الفاضلة والمشاهد الـكريمة

والمواضع النظيفة والخالية ، وأن يوقن بالاجابه ويصدق رجاؤه

قال سفيان بن عيينة : لايمنعن أحدكم من الدعاء مايعلمه من نفسه ، فان الله تعالى أجاب شر خلقه إبليس قال رب أنظرنى فقال انك من المنظرين . وأن يرفع يديه كالمغترف بهما معا حتى يرى بياض إبطيه ولا يجاوز بهما رأسه قال ﷺ « مامن عبد يرفع يديه حتى يبدو بياض إبطيه يسأل الله تعالى مسألة إلا آتاها إياه مالم يعجل » وقال ﷺ « إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردها صفرا » — يعنى خاليتين — وقال ابن عباس رضى الله عنهما : المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك ، والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة، والابتهال أن تمد يديك جميعا هكذا — ورفع يديه وجعلهما مما يلي وجهه — ثم يمسح بهما وجهه إذا فرغ ولا يمسح غير وجهه من بدنه ، ولا يرفع يداً واحدة إلا لعذر ،ولا يرفعهما إلا وهما مستورتان ، وإذا دعا لدفع بلاء جعل ظهر كفيه إلى السماء. نص عليه الرافعى والنووى وغيرهما . ويختم دعاءه بآمين ، ومن آدابه استعمال خصال النظافة وقد ذكرت وقال ﷺ « من طول شاربه لم يستجب الله له دعاءه» ولا يرفع بصره إلى السماء قال ﷺ « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم »



خاتمة الكتاب

اعلم أن كل ما ذكرته فى هذا الكتاب لا يليق بطالب الدنيا والآخرة أن يجهله ، بل ينبغي لكل أحد أن يعرفه ويستعمله فانه سهل الاستعمال كثير الفوائد فى الحال والمآل ، قال ﷺ « الدعاء هو العبادة ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل » فعليكم عباد الله بالدعاء فان الله يحب أن يسأل ومن لم يدع الله غضب الله عليه. وقال ﷺ « إن الله يحب الملحين فى الدعاء. وقال ﷺ « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء فى الرخاء » ويروى « أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى أطلب إلى حتى العلف لدابتك ، والدقة لشأنك ، ولا تستحى أن تسألنى صغيرا ولا تخف منى بخلا أن تسألنى عظيما ، فمن سألنى مسألة وهو يعلم أنى قادر أعطى وأمنع أعطيته مسألته مع المغفرة فان حمدنى حين أعطيه وحين أمنعه، أسكنته دار الحامدين ، وأيما عبد لم يسألنى مسألة ثم أعطيته كان أشد عليه عند الحساب؛ ثم إذا أعطيته ولم يشكرنى عذبته عند الحساب، يا موسى إن اردت أن لا أرد ذلك أيام الحياة دعوة فادع لعوام كما تدعو للخواص » وقال ﷺ ليسألن أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله اذا انقطع وحتى يسأله الملح» وقال ﷺ « إن لربكم فى بقية دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل دعوة أن توافق رحمة يسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبدا » وقال ﷺ « ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد ﷺ إلا كان عليهم من الله ترة» وقال ﷺ « من اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه أو قال « ماسلك رجل طريقا لم يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة[1] » وقال ﷺ « ان الله تعالى سيارات

(١) الترة : النقص وقيل : التبعة

من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا أتوا عليهم حفوابهم »ويروى« فيقول الله تعالى أشهدكم أنى قد غفرت لهم فيقولون ياربنا إن فيهم فلانا الخاطىء لم يردهم وانما جاءهم لحاجة ؛ فيقول الله وله قدغفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم ، وقال ﷺ «سلوا الله تعالى العفو والعافية » وكان إذا ذكر أحدا فى الدعاء يبدأ بنفسه، وكان يذكر الله على كل أحيانه وكان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ماوراء ذلك وكان يقول « اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسىء الاسقام اللهم إنى أعوذبك من التردى وأعوذ بك من الهدم وأعوذبك من الغرق، والحرق والهرم، وأعوذبك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت وأعوذبك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذبك من أن أموت لديغا ، اللهم واقية كواقية الوليد ، اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء وأعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك، وجميع سخطك، اللهم إنى أعوذبك أن يغلبنى دين أو يغلبنى عدو ، اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر عينى، اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق والكفر والنفاق وسوء الاخلاق . اللهم متعنى بسمعى وبصرى وعقلى واجعله الوارث منى » وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها « قولى للهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وماقرب إليها من قول أو عمل ، وأسألك خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداً » وكان ﷺ يقول « اللهم زدنا ولا تنقصنا ، واكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وأرضنا وارض عنا » وكان ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء

الدعوات لأصحابه : اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا إلى النار مصيرنا ، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا » وأخبرنى والدى رحمه الله وغيره إجازة قالوا أنبأنا الفقيه عمر بن على الشعبى قال أنبأنا القاضى إسحاق بن أبى بكر الطبرى قال أنبأنا عبد الرحمن بن أبى حرمى قال أنبأنا أبو حفص عمر بن عبدالمجيد المياشى القرشى فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبو طاهر المظفر محمد ابن على الشيبانى فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء.قال أنا أبوطاهر يحيى بن محمد المحاملى فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء. قال أنا أبو الحسن جابر بن يس فلما فرغ من القراءةدعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبو جعفر احمد بن اسحاق بن بهلول فلما فرغمن القراءة دعا لناوختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبى فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاءقال أنا عبد الرحمن بن مهدى فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء قال أنبأ مالك بن أنس فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء. قال أنبأنا محمد بن شهابفلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء :قال أنا عروة فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال حدثتنا عائشة رضى الله عنها فلما فرغت من حديثها دعت لنا وختمت المجلس بالدعاء . وقال : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من المجلس يقول « اللهم اغفر لنا ما أخطأناوماتعمدنا وما أسررنا وما أعلنا وما أنت أعلم به منا أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت »

وهذا آخر الكتاب الذى قصدت جمعه لى وللأصحاب ، أتيت به على استعجال وأنا مشغول البدن والبال فى أمر الدنيا لا فى أمر المـآل ، وقد جمعت فيه بحمد الله وعونه وتيسيره ومنه من النفائس المفيـدة والأخلاق الحميدة والآداب السديدة والفوائد العتيدة والأذكار المشهورة والأدعيـة المبرورة والأزهار المنثورة والنكت الغريبة والملح العجيبة والأوراد المتقنة والآثار الحسنة والمسائل الفقهية والأحكام السنية ما فيه كفاية للعاقل ، وإعانة للجاهل ، وتسهيل للعامل ، وتذكار للغافل ، مما لا يستغنى عنه أديب ولا متعبـد ، ولا محترف حريص ولا متزهد ، ولا خلى ولا ناكح ، ولا ولى ولا صالح ، ومن تأمله رشد ، ومن استعمله وجد ، ولعل من ينظر فيه ، ويطالعه ويقتفيه يزدرينى لجمعه ، أو يفندنى بوضعه ، فيبالغ فى العزل والسباب ، ويدعوه ذلك إلى الاغتياب ، فأنا أخبره من قبل لومه أنى دخلت باباً لست من قومه ، وأنا عارف بقصورى وتقصيرى ، وعدم استعدادى لمصيرى ، وإنما جمعتـه مع لومى وجهلى لى ولأولادى ولعاجز مثلى ، ولعل مستفيداً من آدابه ومسائله أن يعمل بها فيـكون لى مثل أجر فاعله ، أو يدعو لى دعوة نافعة فى غيبتى فترفع بها فى الآخرة درجتى ورجائى أن أحشر فى زمرة العلماء رضى الله عنهم أجمعـين ، لقوله ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم » مع أن رحمة الله أكبر ، والرجاء له أكثر . فأسـأله سبحانه أن يتجاوز لى عما تكلفته ولست من أهله ، وأن يتغمدنى برحمته وعفوه وكرمه وفضـله ، وأن يجمعنى فى جنته أنا ومن أحسن إلى ومن أحبنى وأحببته لأجله ، وأسأله سبحانه أن يمن علينا أجمعـين بما من به على الأبرار ، وأن ينجينا وأحبابنا وجميع المسلمين من العار والنار ، وأن يجعل خير أعمارنا آخرها ، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه ، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم

سوء الدار ، وأن يوفقنا فى الحياة لأحسن الأفعال والأقوال ، ويحسن أخلاقنا فى كل حال من الأحوال ، وأن يبارك لنا فيما رزق من الدين والأهل والاموال، وأن يمتعنا متعة حسنة سليمة من الأهوال ، وان يجعلنا بعلمنا عاملين ، وإلى رضاه بطاعته واصلين ، وفى بحبوح جنته حاصلين ، ولا يجعلنا فى خيره خاملين ، ولا عن الاستعداد للآخرة غافلين . ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا أجمعين من حزب حبيبنا سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولأصحابنا وسائر المسلمين برحمته إنه هو الغفور الرحيم اللطيف الكريم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجميع النبيين والآل وسائر الصالحين آمين برحمتك ياأرحم الراحمين آمين

كلمة الناشر

في سنة ١٣٤٩ دخلت بلدة الموصل وأخذت من بعض بيوتاتها الكريمة نسخة من البركة فى فضل السعى والحركة وتعهدت لصاحبه بعد أن أخذ ثمنه أن أمثله للقراء مطبوعاً ولكن نوائب مالية صرفتنى عن ذلك

وفى آخر سنة ١٣٥٤ هـ نشطنى لطبعه صديقى المحدث العلامة السيد أحمد ابن الصديق الغمارى قبل مبارحته القاهرة وقال لى « إنه مجموعة معارف عامة ينتفع بها دهماء الناس ، ويحبب إليهم الانصراف إلى تعرف البركة فى السعى والحركة ، ويشجعهم على معاناة الزراعة والصناعة والتجارة .وذلك قوام الأمم » فكان لكلامته وقع فى نفسي ، وذكر لوعدى السابق لذلك الرجل الموصلى الكريم

فها أنا أقدمه للقراء الكرام بثوبه الجديد مصححاً على ثلاث نسخ . وقد عنى بتصحيحه حضرة الشيخ عبد الحفيظ سعد عطية وكنت أشاركه فى قراءة (البروفة) الثانية أو الثالثة .وتقيد بعض التفسيرات والملاحظات أسفل صحائفه .

فاليك أيها القارىء الكريم كتاباً ينفعك فى دنياك ويجزل لك ثواب العمل به فى أخراك

أما المؤلف فانه من اعيان المائة الثامنة فى اليمن ، وكتابه هذا من الكتب المتداولة المقبولة . ذكره صاحب كشف الظنون وقال البركة فى فضل السعى والحركة للشيخ جمال الدين محمد بن عبد الرحمن الحبشى (كذا) اليمنى المتوفى سنة ٧٨٢ . وترجمه الشيخ عبد الحى الكتانى فى رحلته الحجازية ومدح هذا الكتاب وقرظه فى كتابه التراتيب الادارية فى صفحة ١٤ من الجزء الثانى ، وقال

ان في مكتبته نسخة خطية منه واعتز بها وأنها من النوادر على أن بيدى منه ثلاث نسخ وفى دار الكتب المصرية عمرها الله بدوام الأمة الكريمة المصرية فى ظل مليكها المحبوب « فؤاد الأول » أربع نسخ أما فى مكتبات أوروبة فلا تخلو مكتبة عن نسخة أو نسختين وهذا دليل على انتشار الكتاب وإقبال أسلافنا على استنساخه واقتنائه للانتفاع منه

والمؤلف هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن القاضى عبد الرحمن بن عمر ابن محمد بن عبد الله بن سلمة الجبيشى (لا الحبشى) الوصابى (لا الاصابى) المذحجى ولد سنة ٧١٢ وتوفى سنة ٧٨٢ وكان إماماً كبيراً يتقلد مذهب الشافعى وكان أميناً فى العلم لا يكاد يأتى بنص إلا وينسبه إلى قائله ويذكر اسم الكتاب المنقول منه وهذه غاية الأمانة فى العلم رحمه الله تعالى وإيانا م؟

القاهرة فى ٢٠ المحرم سنة ١٣٥٥ ناشره

محمد أمين الخانجى

فهرس كتاب البركة فى فضل السعى والحركة

* * *

